الجمهـــــورية الجزائـــــرية الديمقراطـــية الشعبـــــية

وزارة التعلـــــيم العالـــــي والبـحث العلـمي

جامـعة عبد الحميـد بن باديـس مستغانـم

كلـية الأدب العربي والفنون

تخصص: أدب وحضارة

مذكرة لنيل أطروحة الدكتوراه الموسومة بعنوان

الحضارة الإسلامية في ضوء الاستشراق الفرنسي

إعداد الطالب: بركان بن يحيى

إشراف الأستاذ الدكتور

حنيفي بن ناصر

لجنة المناقشة:

اسم الأستاذ ولقبه	الرتبة	جامعة الانتماء	الصفة
شارف لطروش	أستاذ	جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم–	رئيسا
حنيفي بن ناصر	أستاذ	جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم–	مقررا
عبد الرحمن فاطمة	أستاذة	جامعة حسيبة بن بوعلي –شلف–	ملاحظا
مختار بن قويدر	أستاذ	جامعة مصطفى اسطنبولي –معسكر–	ملاحظا
جلول بوطيبة	أستاذ	جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم–	ملاحظا
حسيبة مسكين	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم–	ملاحظا

السنة الجامعية 2021-2022

إهداء

إلى كل من أضاء بالعلم عقل غيره
أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائلي .
فأطور بسماحتي تواضع العلماء
أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته.
أقول لهما :أنتما وهبتموني الحياة والأمل والنشأة على الشرف و الطاعة والمعرفة.
تحية عطرة إلى أسرتي الصغيرة (زوجتي الكريمة التي كانت لي عونا في إنجاز هذا البحث وابنتي لميس وأريج حفظهما الله من كل سوء

إلى إخوتي وأخواتي والأصدقاء .
إلى الطاقم الذي يعمل معي في ثانوية ابن سحنون الراشدي .
-إلى كل من علمني حرفاً أصبح سنا برقه يضيءً الطريق أمامي
سعادة الدكتور المشرف "حنيفي بن ناصر"
وإلى كل أساتذة الأدب العربي بجامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم
إلى كل الذي ظن بأنني نسيته
إليك أخي القارئ.
شكرا

شكر وتقدير وعرفان

انطلاقا من العرفان بالجميل، فإنه ليسرني وليثلج صدري أن أتقدم بالشكر والامتنان إلى أستاذي ومشرفي الأستاذ الدكتور حنيفى بن ناصر حفظه الله ورعاه على توجيهاته وتعليمية القيمة والتي مدني بها ومن منابع بالكثير، والذي ماتوانى يوما عن مد يد المساعدة لي وفي جميع المجالات،وحمدا لله بأن يسره في دربي ويسر بهي أمري، وعسى أن يطيل عمره، ليبقى نبراسا متلألئا، في نور العلم والعلماء.

وأتقدم كذلك بجزيل الشكر إلى جميع الأساتذة الذين أشرفوا على تكويني أستاذة بوشفرة و الأستاذ لطروش وسعيد بوطاجين والقائمة طويلة.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أساتذتي أعضاء لجنة المنقاشة الموقرين على ماتكبدوه من عناء في قراءة رسالتي المتواضعة وإغنائها بمقترحاتهم القيمة

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من مد لي يد العون في مسيرتي الدراسية

بسم الله الرحمن الرحيم

مـــقـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــدِّمــــــة:

الإنسان مدني بطبعه، وهو صانع الحضارة بل إن الحضارة مرهونة بوجوده لأنه يملك أسباب وعناصر ومقومات الحضارة والتحضر عكس الحيوانات التي هي مرهونة، في حدود غرائزها وهذا خلاف الإنسان الذي يميز عنها بالعقل، وعرف العالم حضارات عديدة مند الأزل من فينيقية وكلدانية ويونانية وبيزنطية ورومانية ومصرية إلا أنها كلّها لم تعمر مثل الحضارة الإسلامية،لأنها ركزت على الجانب المادي وأهملت الجانب الروحي، بل تغافلت عن الجانب الأخلاقي الذي يخلد الحضارة ويروي عطش النفس الإنسانية، وهذا ما جعل الحضارة الإسلامية، تنسخ الحضارات الآخرى، ولقمت نفسها من نظيراتها الأخرى وجمعت بين الجانب المادي والجانب الروحي، وتزينت بالدين والأخلاق والقيم، مما جعلها حضارة تهتم بالإنسان لأنه محور التطور الحضاري وجاءت بنظرة عامة في كل شيء وحاربت كل أشكال الظلم والتميز والطبقية.

الاحتكار الاقتصادي والفكري والاجتماعي الذي يتواجد في الحضارات الأخرى وزعزعت طبقات وعروش وأباطرة الحكم والاقتصاد والدين من سدة الحكم ولهذا نُصبَ لها العداء منذ ظهور الدين الإسلامي، وتبنى هذا الأخير لهذا المولود الجديد تحت اسم الحضارة الإسلامية، وإلى جانب العداء للحضارة الإسلامية كان العداء أكثر للعرق العربي بوصفه عنصراً همجيا في نظر الغرب ، وغير متحضر ولا يصلح للحضارة وهذا ما يجسده شعر بشار بن برد عندما يكشر عن أنياب نزعته الشعوبية ويُعَيِّر العرب بأنهم قوم أكلهم مع الكلب وصيدهم الضبع في قوله:(())

((وعمل الغرب والإفرنج على نصب العداء لهذا الدين والحضارة العربية الإسلامية، واستعملوا جميع الوسائل من أجل ضرب هذا الإنجاز الإسلامي والعربي المتمثل في الحضارة الإسلامية العربية وكان جنود الغرب المستشرقون وعلى رأسهم الاستشراق الفرنسي، لأنه يعد أب الاستشراق الغربي ومنظر له وقد اكتحل بالحقد الصليبي والنزعة الاستعمارية على كل ماهو إسلامي)).[1]

ولهذا نطرح الإشكال ماهو دور الاستشراق الفرنسي في تشويه ومحاربة الحضارة الإسلامية.؟ وهل كل مواقف الاستشراق الفرنسي اتسمت بالسلبية أم كان هناك مواقف إيجابية.؟ ومن أجل الإجابة عن هذا الإشكال لاحظنا أننا نتتبع مراحل هذا الدور للاستشراق الفرنسي بالمنهج المناسب لمثل هذه المواضيع وهو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي فهو راجع لطبيعة الموضوع لأنه موضوع تاريخي محض يتخلله الوصف والتحليل. ومن أجل هذا وضعنا خطة فصلناها كالاتي مقدمة وطرحنا فيها الإشكالية ثم مدخل والذي رسمنا فيه الخطوط العريضة للحضارة مثل طبقات الحضارة والتاريخ والحضارة المفهوم الحضارة الإسلامية والحضارة بصورة عامة، ثم الفصل الأول الذي يعد المحطة الأولى في العمل من اجل وضع القارئ في جوً البحث عندما يعرف أولا بداية انتقال الإنسان من البدائية إلى الحضارة، وما هي المقَومات والعناصر الأساسية لبناء الحضارة؟

ثم جاء الفصل الثاني بعنوان (الحضارة الإسلامية الأصول والمقومات) تطرقنا إلى الحضارة الإسلامية بوصفها الوضعية المشكلة في الفكر الاستشراقي الفرنسي خاصة الأوروبي عامة، وتحدثنا عن إلى مقومات الحضارة الإسلامية والعناصر المهمةفيها،وركزناعلى الإنتاج الفكري والأدبي.لأن الاستشراق اشتغل أكثر عليهما وراح تارة يبت السموم وينخر جسد هذه الحضارة كالسرطان ومرة يعترف بالفضل هذه الحضارة في إثراء الإنسانية بنماذج متميزة.

ثم جاء في الفصل الثالث الذي تناولنا فيه الحضارة الإسلامية في ضوء الاستشراق الفرنسي كيف لعب الاستشراق الفرنسي دور في تشويه هذه الحضارة التي اعترف بها العدو قبل الصديق بأنها حضارة راقية وحضارة إنسانية وهذا التشويه نابع عن حقد عقائدي متلوّن بكل ألوان الحقد والكراهية والعنصرية لأنه ارتمى في أحضان الاستعمار والكنيسة، ثم أنهينا بجانب تطبيقي عن الرقعة الجغرافية التي عمدّا فيها كاستعمار ظالم (الاستشراق الفرنسي). وعانت منه كل أنواع الظلم من خلال المسخ والتشويه الذي طال الجزائر الحبيبة يقول أحد المؤرخين أن الجزائر تعد مثال لكل نشاطات الاستشراق الفرنسي، ثم توصلنا إلى بعض النتائج التي سجلنها في الخاتمة.

المدخل

ماهية الحضارة ومراحل الحضارة العربية الإسلامية

مـــد خـــل :

الحضارة لغة: الحضارة في أصل اللغة هي المكوث في الحضر يقال فلان من أهل الحضارة([1]1) و الآخر من أهل البادية وهذا حضري ، وهذا بدوي ، قال – القطا مي :

فمن تكن الحضـــــارة أعـــــــجبته*********فأي رجال بادية ترانـــــــــــــــــــــا ([2]2)

ثم أريد منها ما يستتبع الإقامة في الحضر من تعاون وتآزر، وتبادل الأفكار والمعلومات في شتي شؤون الحياة([3]3). من العلوم والعمران والثقافة والعرفان، وكل ما يتصل بتقدم الإنسان في جل مناحي الحياة المختلفة، حيت أنّ اجتماع الناس في مكان قرارهم به إنما يكون للتعاون على جلب المنفعة ودفع الضرر وتحصيل أسباب المعاش بالزراعة والصناعة والتجارة و الفنون والعلوم المختلفة إلى أن تصل إلي درجة المقدر لها.

يفهم من ذلك أن الحضارة هي: مدى ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكري و العقلي من عمران وعلوم ومعارف وفنون وتزدهر بها في طرق الحياة وسبلها حتى تصل إلي الغاية التي تتوافق بها أحوالها وإمكانياتها المختلفة. ويقول المتنبي:

حســـــن الحضارة مجلوب بتطرية *** وفي البـــــــداوة حسن غيرمجلوب[4]**

والتطرية هي المعالجة، ويرى العلامة ابن خلدون أن: (أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت الرفة، وتفاوت الأمم في القلة والكثرة، تفاوتا غير منحصر..)[5] وعرفها ول ديورانت (بأنها نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي)[6] .

ونلمس من هذه التعاريف نوع من التقارب ويظهر ذلك بشيء من التأمل ومنه يكون مفهوم العام للحضارة هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين وتطوير ظروف حياته سواء كان الجهد مقصود أم غير مقصود، أو كان الجهد ماديا أم معنويا.[7] وهذا المفهوم متصل أشد الاتصال بالتاريخ ، لأن هذا الأخير مرتبط بالزمن والثمرات، الحضارية يكون جنينها يحتاج إلي زمن ، لكي تطلع على اعتبارها جزءًا من التاريخ أو نتاج يحادي التاريخ ، مثل ماهو كائن عند الزروع و الأشجار لا تطلع إلا بفعل الزمن إذ من غير المعقول أن تزرع وتحصد في الوقت نفسه.

إنً ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافة الزمن إلى جهد الإنسان، ولا تستوي أي ثمرة حضارية إلا إذ جربها الإنسان في أرض الواقع مرات عديدة ، وتكمن فائدتها وتعلم كيف يتقنها إذا أراد ، وهذا أيضا يحتاج إلى وقت ،

---

[1] ينظر لسان العرب لابن منظور: الحضارة خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار
[2] ينظر لسان العرب دار القلم القاهرة مصر إعداد محمد منير ص 123
[3] أبوزيد شلبي تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي مكتبة وهبة القاهرة سنة 1433-2012ص07
[4] نفس المصدر ص7 منقولا عن تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي مكتبة وهية القاهرة سنة 1433- 2012ص7
[5] راجع مقدمة ابن خلدون في فصل إن الحضارة الأمصار
[6] عن كتاب الحضارة الإسلامية قصة الحضارة ج1ص03
[7] ينظر د-حسن مؤنس الحضارة ط2دار المعارف الكويت سبتمبر 1998ص13

أي زمن وتاريخ ولابدا أن يتكاثر ابتكار و صنع الشيء حتى يكون له أثر في حياة الإنسان، [1] وعلى سبيل المثال لا الحصر فإذا وفق الإنسان إلى صنع قوس واحد ورمى بها ثم تركها أو لم يعرف كيف يستفيد منها في حياته من صيد وحروب ،فأهملت و لم تكن لها قيمة حضارية وهذا ما أكده العلماء أن كل اكتشاف من الاكتشافات المبكرة التي ساهمت في المسيرة الحضارية أهملت ونسيت في نفس الجماعة حتى اتضحت قيمتها العلمية فعمل الناس بها والإكثار منها كمًا وكيفا حتى صارت أداة من أدوات الحياة اليومية . وهذا مايسمي بالقيمة التراكمية (cumulative –va leur)– وهذا كله يعمل في إيطار زمن وتاريخ ويثبت هذا علم الحفريات عندما اكتشف العلماء في مقابر الفراعنة رغيفان وبعض الأدوات عرفوا أن وراء هذه الموجودات والاكتشافات تاريخا طويلا، ومن خلال دراسة أحوال المجتمعات البدائية ،توصلنا إلي صفحات طويلة من ذلك التاريخ. فهناك من يعرف قيمة غذائية مثلا، لسنابل القمح يأكلونه كما هو ومنهم من يجمع أفراده السنابل حصدا، ومنه تحصده وتزرعه وتأكله حبا.

وهنا مرة أخري تتجلى لنا الصلة بين الحضارة والتاريخ وإذا ما عدنا إلي قصة الخبز والقمح نجد أنه قبل أن يأكل الإنسان الخبز جاهزاً فنقول إن صنع الخبز لم يتيسر إلا بأدوات من أنية وأحجار طحن وعلم يكمن في خلط الدقيق بالماء وعجنه وحسن استخدام للنار وهذا كله يحتاج إلي زمن طويل.

نفهم من ذلك أن الحضارة والتاريخ مرتبطان أحدهما بالآخر أشد الارتباط، ولا يمكن للإنسان أن يتحدث عن الحضارة، بطرح معقول إلا إذا عرف ماهية التاريخ، ومن يؤيد هذا الطرح بعض المفكرين وعلى رأسهم بن حزم في كتابه (مراتب العلوم) إن الله أوحى إلي الإنسان ، الحرف والصنائع كلها وحيا .

(النجارة–والبناء–.. الخ) كما أوحى إلي النحل كيف تبني خلاياها يقول ابن حزم: (وكيف **يتأتي** للنحل أن يصنع خليته إلا بإلهام من الله تعالي).[2] ونرد على هذا أنه أسهل وسذاجة في تفسير ظاهرة الحضارة.

حيت غاب عن ابن حزم أن النحلة تبني خليتها بغريزة مركبة فيها هدف من وراء ذلك، الحفاظ على نوعها، لذلك نجد أن النحل يصنع خلاياه على هذا النحو من عشرات الالوف، من السنين وسيبقى يصنع على هذا النحو إلي أن يطوي الله الأرض ومن عليها، عكس الإنسان،فله غرائزه أيضا يحافظ بها على جنسه،ويبقي على فطرته التي فطرها الله، عليها أما تقدمه و تحسين أحواله فيرجع إلي مواهب أخرى أعطاه الله إياها وأولها العقل،وهذا العقل هو الذي خزن المعلومات وتأمل الأشياء وبه اخترع وفتح أبواب السيادة للإنسان [3] على هذا الكون.

العقل ودوره في تاريخ الحضارة: عند ما نتكلم عن العقل نقصد به النشاط الذي يصدر من عضو في جسم الإنسان وهو المخ، وهناك فرق بين المخ والعقل، المخ عضو يشترك فيه الإنسان مع الحيوان، وقد احتاج الإنسان إلى عشرات الألوف من السنين ليتصقل ذهنه وترهف ملكاته،حتى صار يربط بين الأشياء بعضها ببعضاً واختزن النتائج لهذه الملاحظات عن الأشياء،ويعد ربط الأشياء وفهمها والربط بين الظواهر خطا الخطوة الأولى في طريق الحضاره ,ومن هنا يرى العلماء أن العقل نفسه أول مخترعات الإنسان ، ولنذكر أن لفظ العربي **عقل** تعني القدرة على

[1] حسين مؤنس الحضارة ط2 دار المعارف الكويت1998 ص14
[2] حسين مؤنس الحضارة ط2 دار المعارف الكويت 1998 ص15
[3] نفس المصدر ص15

عقل الأشياء أي القبض والسيطرة عليها،أدل على مفهوم العقل من اللفظة الإنجليزية وهي mind و أصلها فعل to mindو الأول معناه يتذكر وهي القدرة العقل ولفظ reson معناه السبب ثم قسموا عليه المعاني الآخرى، التي ترتبط بالعقل وكذلك يقال لفظة raisont l esprit ولفظيlgeist vernunft الألمانيين[1]، ونلحظ أن قدرة الذهن، و**العقل** عقل الأشياء كانت شحيحة،ثم ازدادت القدرة على الاستعمال.إذن واضح أن التفكير باستخدام الذهن استخداما منظما،عملية حضارية احتاجت إلي زمن طويل[2].وإلى يومنا هذا لازال هناك قبائل في بعض المناطق(استراليا- وغنيا الجديدة- وغابات وأدغال افريقيا- والأمازون) لا يدخل العقل أو التفكير في سلوكياتها وتصرفاتها بل تعد ردود أفعال غريزية لا أفعال معقلنة هذا يعني أنها تفتقر إلي الحضارة،وليس غير متحضرة،لأن بمجرد استعمال العقل العملي تري تصرفاً،متحضراً يرتقي إلى مستوي هذه الشعوب وهنا قد بينا عنصرين أساسين من عناصر صنع الحضارة، وهما الزمن و التاريخ ،والعقل أو التفكير إلى جانب أخر يعد مهما في صنع الحضارة، و هو الإنسان نفسه وهو كائن الوحيد الذي صنع حضارة،وهو لم يصنعها بعقله فقط وعنصر الزمن بل يعود ذلك إلي تركيبة العضوية وخصائصه البدنية[3] والإنسان كائن متميز عن غيره من المخلوقات بما أودع الله فيه غرائز وقدرات عقلية وعاطفية وجسمية تجعله يصنع الحضارة.

وهذا الإنسان مهما اختلفت أجناسه نجده توصل إلى اكتشاف فوائد كثيرة،في أشياء متعددة وابتكر أشياء أعانته، على تسيير حياته.

ومن خصائصه الحضارية لسانه(اللغة) و أحباله الصوتية التي مكنت له إخراج أصوات مختلفة مستعينا في ذلك بالشفتين،و تولد عن هذه الأصوات الحروف، ومنها تكونت الكلمات ومن الكلمات تولدت الجمل بعملية اشترك فيها الذهن واللسان،ولما عرف الكلام وهذا اكبر انجاز قام به الإنسان راح يضبط كل هذا عن طريق الكتابة،التي تعد من أهم أسس الحضارة.

ونخلص من هذا أن الحضارة ظاهرة إنسانية عامة، فالانسان هو يرقى ويرتقي ويعمل على تحسين أحواله بفضل ماأهداه الله من عقل.

التاريخ والحضارة:إلى حين ليس بالبعيد اعتقد الناس أن التاريخ هو علم الماضي يركز على ما مضى وفات من الحوادث كقيام الدول، و الحروب وتعاقب الملوك والزعماء،واتفاقيات ونوازل الطبيعة ذات الأثر المحسوس في حياة الناس،كما يرى ويقول به المسعودي ويرون أن التاريخ يشمل سير عظماء البشر وما قاموا به من أعمال سواء كانت نافعة (كقيام السلام – إعلان الحروب – ...الخ).أوكان هذا الفهم تجاه التاريخ حيت نجد كتب التاريخ في العصور الوسطى،والقديمة سجلات أو سردلتراجم العظماء ولما اقتصر فهمه على هذه الطريقة فقد كان الناس يكتبونه للتسلية،والإمتاع والمؤانسة أو للعبرة[4]يرون على أن التاريخ نوع من القصص وفرق عندهم يسير لهذا التاريخ

[1] حسين مؤنس الحضارة ط2 دار المعارف الكويت 1998 ص16
[2] نفس المصدر ص17
[3] نفس المصدر ص18
[4] نفس المصدر ص60

والأساطير ولقد كتب هوميروس إلياذته على أنها تاريخ ،وهي في الواقع قصص خالص ضبط فيها وقائع،ماضية سجلها الشعراء والقصاص في أشعارهم وقصصهم دون تحقيق،بل بلغ الأمر عندهم هو أن منزلة التاريخ،[1] عند مفكري الإغريق وعلى رأسهم أرسطو في كتابه (بيوتيقا) الشعر فضل القصص المسرحية على التاريخ ويعطي تبرير على ذلك على أن التاريخ يسجل أحداث مرسلة لا تنسجم في إطار قصة كاملة وأول من فرق بين القصص والتاريخ هو هوريدوت [2] ولهذا يلقب بأبي التاريخ ورغم ذلك كتباته تزخر بالقصص والمبلغات والشعر رغم أنه أشار إلى بعض الأحداث وبعض الصفحات الناصحة من التاريخ،وهكذا أصبح الخلط بين التاريخ والقصص طوال العصور الوسطي والقديمة،وقد احتاج التاريخ عند الغرب والعرب إلي قرون طويلة لكي تظهر شخصيته ويستقل ويصبح علما كاملا له أصوله ومناهجه وقواعده.

أما عند المسلمين ظهر عندهم في أول يوم،لأنه نشأ على نفس الأصول التي قام عليها علم الحديث.وبدأ عند المسلمين بالسيرة النبوية ونذكر في ذلك من الأوائل على المتأخرين (أبان ابن عثمان وعبيد بن شرية وعروة بن الزبير وكذلك أصحاب المغازي ، من أمثال موسى بن عقبة والوا قدي ومحمد ابن إسحاق المطلبي، أما الأساطير التي شابت علم التاريخ،عند المسلمين[3] فيما بعد تسبب فيها مصدر آخر غير الحديث و التفسير، حيث لم يجد الأوائل،بين أيديهم تفاصيل يشرحون بها الكثير مما ورد في القرآن الكريم عن الأخبار الدينية المتداولة بين اليهود ، والناصري و الحكايات التي كان يتناقلها،الفرس والهنود والإغريق والفراعنة وغيرهم ،ممن ولج الإسلام.

أما جوهر الإسلام نفسه فقد ظل سليما في جملته ابتداء من السيرة النبوية الكريمة ، والفتوحات في عصر الخلفاء الراشدين . وما ظهر بعد ذلك من دول إسلامية، أما عدا ذلك دخل اخبار الوضع التزييف لخدمة أغراض سياسية، أو مذهبية شأن التاريخ عبر كل زمان ومكان إلى يومنا هذا.

ومن أيام هيرودوت أصبح التاريخ يشق طريقه نحو الموضوعية ، وخاصة في أواخر القرن السابع عشر الميلادي حيث أصبح له دور في المعرفة الإنسانية وأصبح يتناول اليوم دراسة التجربة الإنسانيةعلى الأرض شاملة، ولم يعد يقتصر على الماضي فقط بل الحاضر والمستقبل أيضا لا يدرس الأحداث لذاتها بل كتجارب لها أثارها في الحياة ، وأحداث الجماعة الإنسانية المؤرخ يدرس الماضي لفهم الحاضر وإصلاح المستقبل ،بفضل التاريخ وبدراسته نمهد للوصول إلي الحداثة ، بي أقصر الطرق ويقال إن التاريخ هو سياسة الماضي Historyis pastpolitics إذن فإن الحاضر هو ثمرة من الماضي وفهم الماضي والحاضر هو ترشيد للمستقبل يسمي بالتخطيط للمستقبل ،the future planning for واتسع دور التاريخ ليشمل الزمن كله ،مامضى منه وماهو حاضر وماهو مقبل إذن أصبح يشمل التجربة الإنسانية وبالتالي موضوعه الحضارة الإنسانية.

طبقات الحضارة: نعرض لكبريات الحضارات ، وما أسهمت به وأن تنين خطوط الاتصال والتأثير المتبادل بينها ،فإن ذلك يزيدنا فهما بطبائع الحضارات ومساراتها ، وما تمر به من فترات القوة وما يعتريها من عصور الضعف

---

[1] حسين مؤنس الحضارة ط2 دار المعارف الكويت 1998 ص60

[2] هريدوت مؤرخ أغريقي وفيلسوف هو من جعل التاريخ يتجه نحو الموضوعية

[3] ينظر- حسين مؤنس الحضارة ط2 دار المعارف الكويت 1998 ص61

والتدهور في حديثنا، عن قيام الحضارات تكلمنا عن الحضارات الأولى وأعطينا فكرة عامة مجملة عن كيفية قيامها بأن البشر لم يعرفوا غير الحضارة واحدة بدأت من فجر التاريخ واتصلت إلى يومنا هذا [1] وأن كل شعب حمل مشعلها في فترة من الزمن قول غير سليم، لأن الحضارة نشأت في نواح عديدة من هذه الأرض ،في أزمنة متقاربة أو متباعدة،دون أن تكون هناك صلات وتأثيرات متبادلة بينها بالضرورة[2]، فهنالك من رأى المؤرخين اليوم خمس فصائل من الحضارات ، الباقية إلى اليوم وهي:

1- الحضارة الغربية الأوربية المسيحية (بفرعيها) الشرقي و الغربي

2- الحضارة الأوربية الشرقية المسيحية الأرثوذكسية (روسيا وجنوب شرق أوربا).

3- الحضارة الإسلامية وموطنها الشريط الصحراوي المداري الذي يبدأ عند المحيط الأطلسي ويستمر إلى سور الصين ، ويشمل مناطق استوائية واسعة.

4- الحضارة الهندية في شبه القارة الهندية ومعظمها استوائي .

5- الحضارة الشرقية القصوى التي تقوم في وسط الشرق الأقصى، الآسيوي، المعتدل وجنوب شرق آسيا الاستوائي .

وهم يستعملون لفظ حضارة في هذا التقسيم ، والمراد جماعة متحضرة على طراز خاص بها ، لأن الحضارة لا تقوم بغير جماعة والجماعة الإنسانية لا تقوم بغير حضارة.فالجماعة والحضارة عندهم مترابطتان بل مترادفتان وفي تصور أولئك المؤرخين تعتبر منطقة كل حضارة أو جماعة من هذه منطقة حضارة دائمة، تتعاقب عليها الأجيال وصور الحضارات المختلفة ولكنها تظل محتفظة بطابعها الحضاري العام. [3] فكأن الأرض هي موطن الحضارة ومستودع، جذورها ثم تتعاقب الشعوب عليها. والجذور عنصر أساسي وفعال في حياة كل حضارة.[4] وفي كل حضارة أو جماعة من هذه نجد الصور التي اتخذتها هذه الحضارة عبر عصور التاريخ، يعقب بعضها بعضا، ولكن هذه الصور التي تأخذها كل حضارة تتشابه في طبيعتها وروحها وشخصيتها، لأن الجذور التي أطلعتها واحدة.

فخط الحدود بين حضارة عالمية وهنت قواها وحضارة أقل منها لا يبقي ثابتا، على ماهو عليه،ولكنه يميل مع مرور الزمن إلى لانحناء والتراجع لمصلحة الحضارة الأقل تقدما،لأن الشعوب البدائية أو ذات المستوى الحضاري المتقدمة قريبا منها ،وفيها من مظاهر الخير والنعمة وتطرية الحضارة كما ، يقول الشاعر العربي ولا تزال ،

تغير على حدود هذه الحضارة و تتخطاها[5] تنهب ما تستطيع نهبه، منها فتنسحب مظاهر الحضارة أمامها ويتقدمون هم ليحلوا في أرضها ويعطوها، طابعهم الحضاري ممتزجا بما تيسر لهم اقتباسه، من مظاهر الحضارة الأعلى. حدث هذا على حدود، معظم الحضارات التي نعرفها شهادته تخوم مناطق وثغور مصر القديمة ، ومن آشور وبابل

---

[1] حسين مؤنس الحضارة ط2 دار المعارف الكويت سبتمبر1998 ص 190

[2] حسين مؤنس الحضارة ط2 دار المعارف الكويت سبتمبر1998 ص 190

[3] حسين مؤنس الحضارة ط2 دار المعارف الكويت سبتمبر1998 ص 190

[4] حسين مؤنس الحضارة ط2 دار المعارف الكويت سبتمبر1998 ص 190

[5] نفس المصدر ص 191

و الفرس و اليونان ،و الرومان وكذلك مناطق البلاد الإسلامية التي غلب عليها في الشرق مثلا طابع الأتراك ، وحضاراتهم.

وهنا نجد مهاد الحضارات وأنفسنا، أمام مثل آخر من أمثلة تعاقب، الأجناس على نفس المنطقة الحضارية، وانتقال الحضارة فيها بفضها الجذور الحضارية الغيبة في الأرض من جماعة إلي جماعة متخذة أشكالا جديدة دائما ، لأن الحضارة،تضرب جذورها في أرض المنطقة، كأنها نبات يزكو وينبت فيها يرعاه جيل بعد جيل [1] وكلما ذهبنا إلى الوراء في منطقة من مناطق الحضارة هذه، وجدنا طبقات من الحضارة يلي بعضها بعضا وهذا لا يخص فقط الحضارة الغربية الأوربية بل ينطبق على الحضارات الأربع، ويلاحظ أن الحضارة الإسلامية ، الصورة الأخيرة لنبات حضاري طويل العمق بعيد الجذور، أي سنة التشاكل والتدافع جعل كل حضارة تساهم في استمرارية متيلثها، من الحضارات الآخرى وعليه فإن الحضارات هي في الحقيقة ، وإلى يومنا هذا وما وصلت إليه من تطور حضاري بعيد. فتحت حضارة الغرب وتحت حضارة العصور الوسطي، وتحت هذه الحضارة الرومانية، وتحت هذه نجد الحضارة الإغريقية، وتحتها حضارة مصر القديمة، طبقات بعضها فوق بعض كما قلنا.[2]

إن كل حضارة عالمية أشبه بأسرة لها أمهات وللأمهات جدات، ولها بنات كثيرات تتفرع عنها وسيكون للبنات فيما بعد بنات وحفيدات، ونجد خير مثال الحضارة الهندية التي يطول ذكرها في كتب العربية على أنها مورد من الموارد التي اشتقت منها الحضارة الإسلامية وهذه الحضارة أي الهندية قامت على أساس من عناصر الحضارة السومرية. والملاحظ يجد أن كل حضارة تتولد عنها ، حضارة أخرى وقد طار ذكر حضارة الهند عند المسلمين لأسباب غير مفهومة فما أخذه العرب عن الهنود قليل ومعظمه مثل كتاب الحساب المسمى "بالسد هانتا" وهو كتاب في علم الحساب وستجد في النهاية أن العرب أعطوا أكثر مما أخذوا فلولا العرب لما ذاع صيت كليلة ودمنة في الأدب العالمي ولا ما عرفت الأرقام الهندية[3]، ولكن كل حضارة ينتهي أمرها على الصورة التي تكلم عنها ابن خلدون في كتابه (المقدمة)، تكون في تصدع ثم الانحلال وفي أثناء انحلال تضيع أراضي الجماعة شيئا فشيئا، حتى يأتي عليها الأعداء جملة وفي نفس الوقت تنحل حضارتها وتعرضها إلى غزو حضاري.

الحضارة العربية(أطوارها وخصائصها) :

نشأت الحضارة العربية الإسلامية في الجزيرة العربية في أواخر القرن السادس الميلادي، فأثّرت وتأثّرت بالحضارات المجاورة لها كالحضارة الفارسية واليونانية والهندية وغيرها، وقد مرت بالعصور الآتية : عصر صدر الإسلام ـــ عصر الخلافة الراشدة ـــ عصر الخلافة الأموية ـــ عصر الخلافة العباسية ـــ وعصر الدويلات، وهو أسوأ العصور الخمسة لأنه شهد الصراع على الخلافة والسلطة، بينما يعد العصر العباسي من أفضل العصور الإسلامية، من جهة

[1] حسن مؤنس نفس المصدر ص 194
[2] نفس المصدر ص 196
[3] نفس المصدر ص199

ازدهار العلوم المختلفة كالطب والصيدلية والفلسفة واللغة والهندسة، وشهد اتصالا بالحضارات المجاورة، إذ كان للترجمة دور بارز في نقل العديد من العلوم والمؤلفات.

2 ــ مراحل الحضارة العربية الإسلامية:

رأينا فيما سبق أن الحضارة العربية الإسلامية مرت بخمسة عصور، وتلك العصور يقسمها الباحثون[1] إلى المراحل الآتية:

1 ــ مرحلة النشوء والتكامل في الجزيرة العربية، وهي مرحلة تكوين الإنسان المؤمن المجاهد، تكوينا دينيا شاملا لحياة التدين ولحياة الدنيا، وهذا تم في عهد النبي عليه السلام، وهو أساس كل تحضر إسلامي، لأن حامله هو الإنسان، ولا حضارة بدون إنسان متحضر في فكره وحياته[2].

2 ــ مرحلة تبليغ أساسيات الحضارة الإسلامية للأمم، وهي مرحلة الفتوحات الكبرى التي بلغ بها العرب رسالة الإسلام للأمم وأسسوا دولة الإسلام ودار حضارته. وكانت عناصر حضارته هي أصول الإسلام واللغة العربية الرائعة التي وجهها الإسلام نحو أهداف أوسع وأعلى من أهدافها. وهذه هي مرحلة العصر الأموي.

3 ــ مرحلة اللقاء الحضاري بين الإسلام وبين حضارات الأمم وهي مرحلة الاقتباس من الأمم بعد الفتح الإسلامية، أو مرحلة الترجمة والاقتباس والتمثل التي دامت طوال العصر العباسي الأول، وبدأت بمبادرات فردية في العصر الأموي حيث دعا الأمير (خالد بن يزيد) بعض علماء الإسكندرية إلى دمشق لينقلوا له بعض كتب الإغريق في الطب والفلك والكيمياء، ثم أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بترجمة كتاب في الطب من اللغة السريانية.

4 ــ مرحلة الإبداع مع التنوع، وهي تمتد حتى أوائل القرن الثامن الهجري، وإن كان قد عاقتها غزوات المغول وما أعقبها، وفي هذه المرحلة كان تأثير حضارة الإسلام في الحضارة الأوروبية[3].

5 ــ مرحلة الابتكار والإبداع أو مرحلة الحضارة عند مختلف شعوب الإسلام في فارس والهند ومصر وفي الدولة العثمانية.

6 ــ مرحلة التأثير في الشرق والغرب، وتسمى أيضا مرحلة العالمية.

7 ــ مرحلة الركود والتخلف في عصر الاستعمار.

8 ــ مرحلة النهضة الحضارية الحديثة في مختلف بلاد الإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين.

خصائص الحضارة العربية الإسلامية:

إن أهم ما يميز الحضارة العربية الإسلامية أن نشوءها كان سببه وحيا ربانيا، وهو ما أهلها لأن تبقى خالدة خلود المبادئ والتعاليم التي تحملها وتدعو إليها، وهي تختلف عن غيرها من الحضارات القديمة والحديثة، والقول بوحدة الحضارات قول خاطئ، وهي ليست مكملة ولا متممة لغيرها، ومن أهم خصائصها ومعالمها ما يلي[1]:

---

[1] ـ ينظر ناجي معروف ـ أصالة الحضارة، دار الثقافة القاهرة، ط3/ 1675م، ص

2 ـ محمد عبد الهادي أبو ريدة ـ الحضارة الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر، العدد 24،السبت, 20 ديسمبر 1980م، الساعة 11:39

[3] ينظر كتاب محمود عباس العقاد الحضارة الإسلامية المجلد رقم 20دار النهضة 1974 ص 132

1. حضارة إيمانية، ذات مرجعية دينية تشربت بمبادئ العقيدة الإسلامية، وانطلقت من مبادئ التوحيد، تمتاز بالوحدانية المطلقة وتؤمن باله واحد لا شريك له، وهي الحضارة الوحيدة عبر التاريخ التي تحررت من مفاهيم الشرك والوثنية وعبادة الطواغيت والأصنام[2].

2. حضارة إنسانية عالمية لا ترتبط بجنس أو إقليم أو مرحلة تاريخية معينة، هدفها الإنسان في مختلف البلدان والمناطق، لأنّ رسالة الإسلام جاءت للبشرية كلّها، فكان الدين عالميا بل لعالمي الإنس والجن[3] حيث قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }[4].

3. حضارة يحكمها القانون، فالإسلام عبادات ومعاملات وتشريع كامل شامل لجميع جوانب الحياة من المعاملات المالية كالتجارة وغيرها، وأحكام الأحوال الشخصية المتعلقة بالزواج والطلاق، وأحكام الأسرة كالحضانة والنفقة والميراث وغيرها، والعلاقات مع الدول والجماعات، والجهاد بأنواعه...)[5].

4. حضارة تعطي العقل حقه، وهي حضارة يسر لا عسر وحضارة منتجة.

5. الحضارة الإسلامية حضارة الأمة الوسط.

6. حضارة متوازنة توازن بين الروح والجانب المادي.

7. حضارة باقية لأنها تستمد قوتها وبقاءها من الإسلام، الذي لا يضعف ولا يتراجع، وحضارته حضارة متجددة.

8. حضارة ساوت بين الناس في أصلهم، وراعت العدل بينهم.

9 ــ الحضارة العربية الإسلامية تأبى النزعة المادية التي تتنكر لحركة الروح ، ولكل ما هو غيبي، والنزعة العلمانية التي تفصل الدين عن الحياة وعن الدولة كل شيء، والاعتماد على الصراع الدائم، واللامرجعية الأخلاقية، والتشريع البشري[6]، وهي الحضارة الوحيدة التي تشتمل أسسها الفكرية والنفسية على حاجات الحياة كلها من مختلف الجوانب الروحية والنفسية والجسدية والمادية، وهي الوحيدة الجديرة بأن تمنح الأمم الصورة المثلى التي تتوق إليها، كما أن أسسها لا دجل فيها ولا تحريف، إذ إنها ذات منهج واضح مشرق ، ومن أهم مبادئ الحضارة العربية الإسلامية:

مبدأ فعل الخير والعمل على نشره وترك الشر والعمل على قمعه، ومبدأ الاستمساك بالحق ومحيته والعمل على نشره، والتبرؤ من الباطل وكراهيته، ومبدأ (العالمية والشمول) ومبدأ المثالية في العقائد والأهداف والغايات، والواقعية في الأعمال ومناهج الحياة، غير أنّ هذا البناء الفكري ينبثق عنه بناء واقعي يحتاج إلى وسائل عملية تقيم أركان الحضارة على أسس بنائها الفكري وهذه الوسائل تتلخص في وسائل منها السعي إلى معرفة حقائق الأمور وخصائص

---

[1] ـ ينظر حسان محمود عبد الله ـ قراءات دينية في قضايا معاصرة، دار الأمير، بيروت، ط/2014م، ص197 وما بعدها
[2] ـ ينظر عز الدي الخطيب التميمي ـ نظرات في الثقافة الإسلامية، ص254
[3] ـ المرجع نفسه، ص199
[4] ـ سورة الأنبياء107
[5] ـ حسان محمود عبد الله ـ قراءات دينية في قضايا معاصرة، ص199
[6] ـ المرجع نفسه، ص202و203

الأشياء ونتائجها عن طريق التعلم والتعلم، ومنها أيضاً تطبيق العلم بالعمل والاستفادة المباشرة من المعارف والتربية، والجدل بالتي هي أحسن[1] .والتي هي أقوم.

[1] ينظر عز الدين الخطيب التميمي نظرات في الثقافة الإسلامية ص 259

الفصل الأول

نشأة و مقومات الحضارة

نشأة و مقومات الحضارة

حضارة هي أرقى ما توصل إليه إنتاج العقل البشري في شتى الميادين والمجالات وهي، أي الحضارة نظام اجتماعي يعيش الإنسان على الزيادة من إنتاجه ، والحضارة تتألف من عناصر أربعة، العامل الاقتصادي والسياسي والتقاليد الخلقية، و متابعة العلوم والفنون وهي تبدأ حيت ينتهي الاضطراب، و القلق[1]، لأن الاضطراب لا تتحقق فيه الحضارة لأنها مرهونة بالاستقرار ،من أجل الإبداع وقريش مثلا كان لها نوع من الإبداع الأدبي والخلقي والعمران،....الخ، لأنها هي الوحيدة التي عرفت الاستقرار عن باقي القبائل العربية الآخرى قال الله تعالي {**ٱلَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** } [2] ويقول أيضا: {**أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ**}[3] ، هذا يدل على أنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه، دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء ، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها[4] والحضارة مشروطة بجملة من العوامل هي التي ترعى خطاها أو تعوق مصاراها.

عوامـــــــــــل الحضـــــــــارة:

العامل الاقتصادي في الحضارة:المتوحش هو أيضا متحضر بمعني هام من معاني المدنية ،لأنه ينقل ثرات إلى أبنائه، ومالإلا التراث في الحقيقة إلى مجموعة الأنظمة والعادات الاقتصادية والسياسية والعقلية والخلقية التي قام بصقلها أثناء العمل في سبيل المحافظة على الوجود على هذه الأرض والتمتع بتلك الحياة، لأننا حين نطلق على غيرنا من الناس اسم الهمج في حقيقة بهذه التسمية أصبحنا غير موضوعين ، بل نعبر بها عن حبنا العارم لأنفسنا لا أكثر وعن الجذب والرخاء إذا ما لقينا أنفسنا إزاء ضروب من السلوك تختلف عما ألفناه. وفي الحقيقة نحن نبخس من قيمة تلك الشعوب الساذجة التي تستطيع أن تعلمنا الكثير من حسن الخلق والجود، ولو كن موضوعيين وأحصينا أسس المدنية ومقوماتها لوجدنا الأمم العريانة قد أنشأتها أو أدركتها جميعا ، ولم يترك لنا سوى تهذيب تلك المقومات ماعدا فن الكتابة، ومن يجزم أنهم لم يكونوا متحضرين، ثم نفضوا عن أنفسهم تلك الحضارة، لما لمسوه فيها من شقاء للنفس.[5]

مـــن الصـــيد إلى الـــحرث:

إنّ نظام الأكل في كل يوم، هو نظام في غاية الرقي، أما الأقوام الهمجية فهي إما أن تتخم نفسها دفعة أو تمسك عن الطعام [6] وأنك لتلاحظ أكثر الأقوام توحشا بين الهنود والأمريكيين يحكمون على من يذخر طعاما لغده بضعف المراس وانعدام الذوق[7] **ويري** أهل استراليا الأصليين لايستطعون العمل كائنا ماكان، مادام جزاء العمل

---

[1] تر: الدكتور زكي نجيب محمود/ ول وايريل ديورانت قصة الحضارة الجزء 1 مجلد1 بيروت ص3
[2] سورة قريش الآية 04
[3] سورة العنكبوت الآية 67
[4] تر الدكتور زكي نجيب محمود قصة الحضارة ص3
[5] نفس المصدر ص 09
[6] Hoyas sociologies of society-I- 51 Sumer p 494نقلا عن كتاب قصة الحضارة
[7] KADA تر/ د زكي نجيب قصة الحضارة ص 11

لا يجن فور أدائه و الحياة عن قبائل الهتنتوت(hottentot) في إفريقيا إما وليمة وإما مجاعة وفي طريقة هذه عند القوم الهمج لحكمة صامتة لأن الإنسان إذا ماصار يفكر في غده خرج بذلك من جنة إلى الهموم، وهنا يتملكه الجشع، والطمع والأنانية ، والإنسان الهمجي كان يشبه في طريقة عيشه الحيوانات لأن الزنجي الأمريكي والذي يقطن الاسكيمو سأله تيري يوما ، فيم تفكر؟. فكان جوابه(ليس لدى مايدعو إلي التفكير لأني مقداركافيا من اللحم).[1]

وهذا يقارن يخزن تحت الثري عظمة فاضت عن الشهية، وأنها لشهية الكلاب، والسنجاب كذلك يذخر البندق ليوم آخر. والنحل كذلك يملأ خليته بالعمل هذه جميعا كانت أوّل منشئ المدنية، و علم أجدادنا فن ادخار، قبلها من مهارة تلك التي استخرج بها أولئك الأجداد من البر والبحر طعاما كان بمثابة، الأساس لمجتمعاتهم الساذجة. كانوا يستعملون أيديهم المجردة ما يستطعون أكله مما يبديه سطح الأرض من أشياء، وتارة أخرى يقلدون ويستخدمون مخالب وأنياب وعظام الحيوانات ويصنعون لأنفسهم آلات من العاج والصخر والعظم ينسجون الشباك والمصائد والفخاخ، من خيوط الشعر والحلفاء والليف. ويصنعون الوسائل عدد لا يحصي لاصطياد فرائسهم، من بر وبحر ويروى أن أهل بوليزيا صنعوا شباك طولها ألف ذراع ليستطيع، أن يستعملها إلى مائة رجل. ويمثل هذا التطور الوسائل ادخار القوت مع تطور النظام السياسي، حيث كان اتحاد الناس في تحصيل القوت سبب قيام الدولة[2] وكانت أحد القبائل وهي قبيلة ثلنجت Thlingitويلقب بسماك حيث يضع على رأسه غطاء ينسبه رأس عجل البحر ثم يخفي نفسه بين الصخور ويقلد بصوته، صوت الحيتان فتأتيه عجول البحر، فيطعنها بسنان رمحه وكان بعض القبائل.يلقون مادة مخدرة في مجرى مياه ليهون علىهم استجلاب السمك بعد تخديره،فأهل تاهيتي مثلا كانوا يلقون في الماء سائلا مسكرا يصنعونه من صنف معين من البندق. أو ضرب معروف لديهم من النبات، فتسكر الأسماك وتطفو على السطح مخمورة لاتخدر و يأخد منها الأسماك ما أراد[3] وبعض يسبحون تحث الماء ويتنفسون خلال قصيبات من الغاب، فيتاح لهم أن يجذبوا البط السائح من سوقه إلي جوف الماء ، إن الصيد عند كثرتنا الغالبة اليوم ضرب من اللهو، نستمد فيه اللذة فيما أظن.بينما عند الأقوام الهمج هي مسألة حياة أوموت،حيث كان الصيد يمس مسألة قوت بل يراد به الطمأنينة والسيادة ومازال إلى يومنا هذا الإنسان البدائي، يقاتل في الغابة في سبيل الحياة رغم أن الحيوان في تلك الغابة لم يهاجمه أو يكاد يهاجمه مختارا إلا إذا اضطره إلى ذلك الجوع الشديد أو الخوف وأحيانا لا يظفر بطعامه إلا المقاتل وخير دليل متاحفنا تعرض علىنا بقايا تلك الحرب التي كانت بين الإنسان والحيوان(نجد أمامنا المدى والهراوات والرماح والق والحبال الصيد و الأفخاخ ، والمصائد والسهام والمقاليع.....الخ)[4]

---

* تستعمل كلمة مثل همجي ومتوحش في إشارتنا إلي أسلافنا الذين يعاصروننا اليوم ونستعمل كلمة بدائي لندل علي كل قبائل التي لا تتخذ الحيطة أو تكاد تتخذها بحيث تذخر القوت الأيام العجاف،والتي لا تستخدم الكتابة والمتمدن علي الأقوام التي في وسعها أن تكتب وتذخر لأيام يسرها لأيام عسرها

8- spencer principales of sociologi1p60 نقلا عن كتاب قصة الحضارة د/ زكي نجيب ص 11

9 قصة الحضارة: ص 12

[3] قصة الحضارة ص12

[4] نفس المصدر ص 13

*لفظة dameبالإنجليزية تعني الصيد وتعني اللعب أيضا.

وبهذا إنً الإنسان ليحس عندئذ، أنه متطفل قد أقحم نفسه إقحاما على هذا المشهد.، وأنه مخوف يخافه الحيوان.

لم يكن الصيد و السماكة، مرحلتين من مراحل التطور الاقتصادي، بل كانا وجهين من أوجه النشاط التي كتب لها أن تظل باقية في أعلى صور المجتمع المتحضر، حيث في يوم من الأيام كان نقطة ثقل الحياة وهما الآن بمثابة أساسييهما المختبئين، لأن وراء أولئك الصيادين قصة طويلة لنا. تمثل كل، مالنا من أدب وفلسفة وفن وطقوس دينية وعبادة، وكأنما نؤدي اليوم صيدنا علنا في الفضاء المكشوف،لكن ذكريات الصيد الأزلي ماتزال تظهر فينا، حينما نفرح بمطاردتنا للضعيف أو الذي يلوذ بالفرار وتظهر حتى من خلال ألعاب، الأطفال حتى الكلمة التي نطلقها اليوم على اللعب نفسها،تدل على الصيد* إذن نلاحظ إنّ مانصل إليه في تحليل المدنية هو أنها ترتكز على تهيئة الإنسان لطعامه فإذا تمعنت في سطوة الفن وفخامته في الكنائس ومباني الرسمية أو متحفا للفن وحفلة للموسيقى، فعلم أن هذه كلها واجهة البناء لها قصة، تخفيها عن قتال إذن لم يكن الإنسان، مخترعا حين امتهن الصيد وسيلة لعيشه،ولوظل الإنسان في نطاق الصيد لابقي في اطارحيوان آكل اللحم،وإنما ظهرت إنسانيته حين تطورت حياته من مرحلة الصيد إلى مرحلة أكثر اطمئنانا، مرحلة الصيد تمثل القلق، ومرحلة أخرى هي حياة الرعي التي أفضت ميزات، عظيمة منها استئناس الحيوان وتربية الماشية، واستعمال البن.ويقال: أن هذه المرحلة، (استئناس الحيوان) بدأت حين أبقى الصيادون،على صغار الحيوان الذي يمسك به في حلبة الصيد.حين لم يروا لها تلك الصغار لاحولا ولا قوة، فساقوها إلي عقر سكناهم، ليتخذها أطفالهم لعبا لهم يلهون بها[1] وكان الإنسان يأكل الحيوان المصطاد، بعد إمهاله فترة من الزمن، أخد يستخدمه أداة للنقل ،ثم أصبح في مجتمعهم الإنساني كأنما هو منهم، ثم أصبح زميل وشريك في العمل والإقامة، ثم لاحظ معجزة التناسل وأصبح يأخذ الذكر والأنثى، ويجعل لنفسه قطيعا كاملا وكذلك خفف على النساء الرضاعة فترة طويلة بأن استعملن لأطفالهن لبن الحيوان بعد سن معينة[2] وبهذا قلت الوفيات الأطفال وأصبح للإنسان مورد جديد من موارد الطعام، مما أدى ذلك كله إلي تكاثر الناس وأصبحت الحياة أكثر ثباتا واطرادا وأصبح الإنسان السيادة له، وفي هذه الأثناء راحت المرأة في طريقها إلي أكبر كشف اقتصادي، وهو معرفة ما يمكن لتربة الأرض أن تخرجه من طيبات، فبينما كان الرجل في صيده تنكت حول الخيمة أو الكوخ، لتلتقط كل ما عساها أن تلاقيه فوق الأرض من مأكول، وإذا أخذنا مثالا على ذلك نذهب على جناح السرعة إلي استراليا حيت كان العرف الرجل ينهمك في رحلات الصيد تأخذ الزوجة في حفر الأرض بحثا عن شيء يأكل وتقطف الثمار وتجمع العسل والفطر والغلال التي تنبتها الطبيعة،[3] وفي استراليا مازالت بعض القبائل حتى يومنا هذا تحصد الغلال التي تزخر بها الطبيعة دون أن تحاول درس الحبوب وبذرها، ويذهب بعض المفكرين والمؤرخين على أن بداية الزراعة لم يعرف بتحديد، متى بدأت ونعود فيها إلي مجرد الإيمان بالقرائن والحدس ولا نجزم باليقين، فيجوز أنه حين أخد الإنسان في جمع الحبوب، النابتة بطبيعتها كانت تسقط منها حبات فهو في طريقة من مكان النباتات إلى حيث يقيم فنبهته إلي سر

---

1 Sumer and kellerK science of society ibid p 816 نقلا عن كتاب قصة الحضارة الجزء الأول ول واريل ديورانت مجلد 1

2 قصة الحضارة ص15 الجزء الأول ول واريل ديورانت مجلد 1

3 عن قصة الحضارة صSumer and Keller p18216;

العظيم[1] في نمو النبات وكان لكل قبيلة طريقة في بذر البدور قبيلة (جوانح) تلقي البذور في الأرض ويتركونها تشق لنفسها طريق إلي الأعلى، وأما قبيلة(بور نيو) يضعون البذور في حفر يحفرونها بعصاه مدببة في الحقول وهم سائرون وكانت هذه العصا أو الحافرة أبسط ما عرفه، الإنسان من أدوات الزراعة.

وقد كان الرحاله في مدغشقر منذ خمسين عام يلاحظون النساء وقد أخذوا هذه العصي المدببة، و وقفن في صف كالجنود ثم تعط لهن إشارة فيأخذن في حفر الأرض بعصيهن وقلب التربة و وضع البذور، ثم تسوية التربة بأقدامهن من جديد،[2] ثم يتنقلن إلي خط أخر وهكذا، والمرحلة التي تلت ذلك وهي استعمال الفأس في الحرث وذلك بأن ركب الإنسان عظمة في طرف العصا الحافرة.

ويقول المؤرخ (كونكوسادروس) أن المكسيكيين لا يعرفون غير الفأس لأداة الحرث من طرف قبيلة الأزاتقة، حيث إذا ما طرقت المعادن أمكن استعمال أدوات أثقل فكبرت الفأس حتى أصبحت محراثا يضرب في الأرض أعمق منه بالفأس فانكشفت له خصوبة الأرض وتغيرت سيرة الإنسان تغيرا كاملا فزرع من النبات كانت تستعصى عليه من قبل،وأصلح الأنواع التي كان قبل ذلك يزرعها.

وأخيرا تعلم الإنسان عن الطبيعة فن التحويط للمستقبل وفضيلة تبصر في العواقب كما تعلم فكرة الزمن، وهكذامع مرور الأيام عرف الإنسان أن الزراعة يمكن أن تكون موارد القوت،فلما تحقق للإنسان هذا حظى احدى، الخطوات الثلاث هي التي نقلته من الحيوانية إلي المدنية، والخطوات الثلاث هي الكلام والزراعة والكتابة[3]

الصناعـــة و أسسها:

عندما بدأت الانسانية بالكلام، وخطت خطوة مهمة من خلال الزراعة فقد بدأت الصناعة بالنار التي لم يخترعها الإنسان اختراعا بل الأرجح قد وهبته الطبيعة هذه الأعجوبة،باحتكاك الأوراق أو غصون الأشجار، والبرق والرعد أو بإندماج من باب الصدفة بعض المواد الكيماوية، و لم يكن لذي الإنسان، سوى الذكاء الذي قلد بها الطبيعة، ولما تعرف الإنسان على النار جعلها في عدة صور أولها اتخذها وسيلة لقهر عدوه المخيف ألاهو الظلام ثم استعملها للتدفئة[4] حتى صار يتحرك بعيدا،عن مناطقه الاستوائية وبهذا الانتقال أصبح شيئا فشيئا، يعمر الكوكب الأرض، ثم أصبح يستعمل النار فيلين المعادن؛ ويجعلها أشد صلابة وأكثر مرونة، فالقوم الهمج بلغت النار عندهم من الغرابة والنفع حد جعلها إحدى المعجزات التي تستحق أن تتخذ غلها وتعبد، وكانو يقيمون حفلات تعبدية وجعل منها مركزا لحياته وبيئته،وكان تنقله لا يتم إلا بها بل إن الرومان أنفسهم أعدموا العذراء الطاهرة. عقابا لها على إهمالها الذي كان من شأنه أن تنطفئ النار المقدسة [5]،وهذا كله فكان الإنسان البدائي يشحذ زناد عقله يجيب لنفسه

---

1 نفس المصدرص16
16-د/حسين محمد فهيم أدب الرحلات دار عالم المعرفة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويت سنة 1978ص 49/17
1 نفس المصدر ص17
1 نفس المصدرص18

3 نفس المصدر ص17
4 نفس المصدرص18
5 ينظر نفس المصدرص23

إجابات عملية عما تثيره الحياة الاقتصادية في وجهة من مسائل فكان الإنسان بادئ ذي بدء راضيا- في ظاهر الأمر- بما تعطيه له الطبيعة، بثمارها وجلود الحيوانات وفرائه لباسا،وبالكهوف في الجبال مأوى،وأخذ بتقليد الحيوانات وصناعته لاحظ القردة وهي تقذف بالحجارة والثمار أعدائه، وتكسر الجوز بالحجر ورأى كلاب الماء تقيم بيوتا شبيهة بما يقيمه الإنسان من أكواخ، فراح يحاكي الحيوانات و أخد يعد لنفسه آلات وأسلحة على غرار ما للحيوانات منها ويقول: (فرا نكلن) الإنسان حيوان صانع للآلات؛[1]وكان بعض الغطاء النباتي الذي يحيط،،بالإنسان مصدر بعض الآلات الخيزران صنع، منه السهام والقوارير والإبر ...الخ. وفروع الأشجار صنع الملاقط،والمماسك ومن الحلفاء،و الألياف ولحاء الأشجار صنع الحبال والثياب، وصنع لنفسه العصا رغم بساطتها إلا أنه نظر لها الإنسان، بأنها رمز للقوة والسلطان. قال تعالي **{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى}*** ومن العصا السحرية عند عرائس، الجن وعكاز الراعي إلى عصا موسى والعصا العجائبية ، التي كان يمسك القنصل أيام دولة الرومان ثم العصا التي يلوح بها المنبئون بالغيب، ثم الصولجان لدى القاضي أو الملك ثم انقلبت العصا في الزراعة فأسا، وفي الحروب أصبحت حربة أو سهما أو سيفا. [2] ومع هذا كله راح واستغل الإنسان المعادن وصاغ الصخر أسلحة، فصنع منها المطارق والوعاء للطهي والسكاكين ورأس الرمح والصفائح والروافع والفؤوس وإلي جانب ذلك صنع من دنيا الحيوان المغارف والملاعق والأواني والأطباق والأقداح وصنع من أنياب وقرون الحيوانات وأسنانه وجلده وشعره وكان لجميع هذه المصنوعات، مقابض من خشب شدت إليها بطريقة تدل على المهارة صاحبها، ونستخلص على أن مهارة الإنسان البدائي. توازي على الأقل بل ربما تتعدى مهارة الإنسان العادي، المتوسط في وقتنا الحاضر ولا يعزى الفرق بيننا وبينهم إلى تفوق الفكري انفردت به طبائعنا،من دونهم[3] فالرجل البدائي يغتبط فرحا كلما سيطر على موقف اعترضه ونجد سكان الاسكيمو من أجل اللهو المحببة إليهم يذهبوا إلي أماكن وعرة مهجورة ثم يتسابقون هناك في ابتكار الوسائل التي يواجهون بها ضرورات الحياة التي لا يستعينون عليها بالأدوات.

وتبدأ مهارات الإنسان البدائي في فن النسيج على صورة جديرة منه بالفخر وهنا، نجده يهتدي بالحيوان، في ذلك فنسيج العنكبوت وعش الطائر وتشابك الألياف وأوراق الأشجار في الغابة.

كل ذلك أقام للإنسان، نموذجا بارزا يحدبه والنسيج هو من أول الفنون التي اصطنعها الجنس البشري لمواجهة غضب الطبيعة،وقسوتها وليواري سوأته. فنسيج اللحاء والأوراق والألياف والحشائش ليصنع منها ثيابا وبسطا وأغطية لجدرانه، ونجده تفوق على بني جنسه وأتقن صنعها في بعض المواضع، بحيث لانقارن ولا مجال للمقارنة بين صناعة النسيج على ما هو عليه اليوم، رغم الآلات.

ونضرب لذلك مثال نساء (الو شيا)*[4] قد يتفنن عاما كاملا في خياطة ثوب واحد، ونسجه والهنود الحمر في أمريكا الشمالية يتفننون في صنع البطاطين والأردية ويزخرفونها بالأهداب وبالشعر وخيوط القصب المصبوغ

---

1 ينظر Cowan A R master clues in Word hoslory p14 نقلا عن الحضارة و الإنسان البدائي د- زكي نجيب دار الطبع المصرية القاهرة سنة 1999الجزء الأول ص 24

2 عن قصة الحضارة Robinson j-h- art civilisation enaycio pediabrilannica p24

3 الحضارة و الإنسان البدائي د- زكي نجيب دار الطبع المصرية القاهرة سنة 1999الجزء الأول ص 24

4 * الشيون قبيلة 25-08عصر الحجري 109 منقولا عن قصة الحضارة ول واريل ديورانت الجزء الأول

بالألوان المأخوذة من الثوث حتى قال عنها الأب ثيودي (Feather the adit) 1(إنها من النصوع بحيث لا أظن أن ألوانها تدنو منها).

ونجد أن الفن بدأ حيث، انتهت الطبيعة فهذه عظام الحيوان والأسماك والقصب جعلها الإنسان إبرا، وجفف جلود الحيوان ليصنع بها رداء وحداء، وعرف الإنسان البدائي كذلك صناعة الخزف وهي قريبة الشبه بصناعة السلال، بل كانت مأخوذة عنه ربما، كانت الطريقة المتبعة في ذلك يصنعون العجينة على إطار أغصان الصفصاف، المجدولة حتى لا تحترق هذه الأغصان وبتلك الطريقة يتصلب الطين. غلافا لا يقبل الاشتعال وبأخذ شكل المراد المراد[1] وهيئته بإنزال عنه إطار الصفصاف، على ذلك إلي أن أخد فن الخزف القمة في الصناعة الخزفية المثلى،وجففت أشعة الشمس، قطعا من الطين ألقيت فيها، فكان ذلك منهال للإنسان إلى فن الخزف.

ونجده قد استبدل من شمس نارا، ثم أخد من تربة الأرض أنية مختلفة الأشكال والصور(استخدمنها للأكل والنقل والأبهة والزينة والأواني التي كان يزخرفها ويضع علىها أشكال بأظفاره وبالاته ، كانت إحدى صور الفن في أول نشأته ومن الطين التي جففته الشمس أخذت قبائل البدائية الأجر وشيدت الدور وبذلك كانت البيوت الخزفية، وهذه الأخيرة لم تعدوا أن تكون أول صورة.

من صور البناء حيث راحت تتطور عن الكوخ الطيني الذي سكنه الهمجي إلى أن بلغت أحجار البناء الراقية في مباني نينوى وبابل، وبعض الشعوب البدائية مثل (القيداويين في جزيرة سيلان). لم يكن لهم دور للسكن حيث، اكتفوا بالأرض وطاء والسماء غطاء، وآخرين من أهل تسما نيا أوو إلى جذوع الشجر الخاوية وبعض أحد الكهوف مسكنا وبعض القبائل البوشمن كانوا يواجهون، الرياح بحواجز يصنعونها، وكانوا أحيانا يغرزون في الأرض أحجارا ثم يغطونها بالطحلب وفروع الشجر وكان الكوخ مرً بمراحل مثلا عن سكان استراليا الأصليين كان يقام عندهم من الغصون والتراب و الأعشاب لا يتسع إلا لشخصيين أو ثلاثة. إلى الأكواخ الكبيرة التي تؤوى ثلاثين شخا أو يزيد أما البدوي صيادا كان راعيا فقد أتخذ لنفسه خيمة،وبعض القبائل الفطرية مثل الهنود، الأمريكيين استخدمت الخشب في بنائها. وكذلك كانت قبيلة(اراكوا) تبني من الحطب الذي كان مغطى بقشوره، أبنية فسيحة طولها خمسمائة قدم وتؤوى عددا كبيرا من الأسر،[1] ومع أهل(أوقيانوسيا) يشيدون أبنية كاملة من ألواح الخشب، حيث وصل أبنية الخشب إلي أعلى مراتبه[2].ولمك ليبقى للإنسان البدائي سوى ثلاث خطوات في مسار التطور ليكتمل له ضرورات المدنية الاقتصادية، كلها آلات وسائل النقل والتجارة وتبادل ووسائله، وكان النقل عند البدائي يحمل الأشياء بنفسه،اللهم إلا إذا تزوج فتكون الزوجة حاملة أثقاله، ونجده في آسيا الجنوبية والشرقية تراه في الأعم ينقل على عربة وحمار وكل شيء ابتكر الحبال، و الروافع وبكرات الجر سيطر على الحيوان وسخره للنقل، ثم ابتكر من الجرارات حين جعل ماشيته تجر على الأرض،غصون طويلة إلى أن ابتكر واهتدى إلي عجلات من جدع الأشجار،وبعد أعظم ابتكار آلي وهو العجلة لأنه وضع العجلة تحت الجرارة وصارت عربة. ومن الجذوع صنع

---

1 عبد العزيز الدوري أوراق في التاريخ الحضارة دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولي 2007م ص 208
2 عن قصة الحضارة 87 Ratzel ibid. 167
1 قصة الحضارة ومنه Muther-lyer social développent-288-9 renard p 158
2 قصة الحضارة ص 120

الأطواف يربط بعضها ببعض، وصنع الزوارق بحفر الجذوع وجعلها جوفاء وبي تحكمه في ذلك صارت طرق الماء أسهل طرق النقل، أما الأرض فشق لنفسه الطريق عبر المروج والتلال التي كانت ليس فيها الطريق، ثم عبد لنفسه سكة ثم رصف أخر الأمر طريقا ودرس النجوم وأخذ يسير بقوافله عبر الجبال و الصحارى، مهتديا.إلى طريقه بالنظر إلي السماء وبفضل آلة الزورق و الجواري عبر البحر في شجاعة من جزيرة إلي أخرى وعبر المحيطات نشر ثقافته المتواضعة؛من قارة إلى قارة، ومن أسباب التبادل التجاري عند الشعوب البدائية ولما كانت الكفايات البشرية والموارد الطبيعية موزعة على الأرض في غير مساواة، فقد نجد شعبا من الشعوب بفضل التطور الحاصل ليه، وبقربه من المواد المطلوبة تراه قادرا على إنتاج أشياء، معينة لا يكلفه إنتاجها مايكلف جيرانه، يصنع منها ما تفوق حاجته، عندئذ يقدم فائضة لجيرانه في مقابل ما ينتجونه هم وهذا التبادل هو أصل التجارة. فهنود (شبشا في كولومبيا)، كانوا يصدرون صخور الملح التي تكثر في بلادهم، ويستوردون مقابل ذلك الغلال التي لا تنتج في بلادهم القاحلة وبعض الأهالي الأمريكيين تخصصوا في صناعة رؤوس الرماح وبعض الأهالي غانا الجديدة تخصصوا في صنع الأواني الخزفية وبعض قبائل في إفريقيا جعلت الحدادة صناعته ومنها من تفننوا في صناعة الزوارق و الرماح[1] وهناك أصبحت تطلق نوع الصناعة على القبائل قبيلة الحداد وقبيلة الخزاف والسماك....الخ؛ والتجارة بفائض الإنتاج كانت في أول أمرها تبادلا بالهدايا، وهذا مانجده في وقتنا اليوم مقدمة لصفقة تجارية أو خاتمة لها. ومما سهل تبادل التجاري الحروب والسرقات والغرامات والتعويض كلها ساعدت على الانتقال السلع من مكان إلي مكان أخر ومنذ ذلك الوقت ترعرع نظام التبادل رويدا رويدا، وأقيمت أماكن ومراكز التجارة والأسواق والمتاجر وكانت على غير نظام ثم أصبحت منظمة ودائمة حتى أصبح من له سلعة فائضة يعرضها في هذه المراكز مقابل، سلعة هو بحاجة إليها. وظلت على هذا الحال وقتا طويلا ويروي العلامة (ول وايريل ديورانت) صاحب كتاب (قصة الحضارة): في المجلد الأول أن رجل من قبيلة(دياك) يبقى جائلا في السوق وبيده كرة شمع العسل وباحثا عن زبون في مستطاعه، أن يقبلها منه شريطة أن يجد عنده شيئا أنفع له، وأول تبادل كانت سلعا يطلبها كل إنسان يقبلها كل بائع ثمنا لبضائعه كالبلح والملح والجلود والفراء، والحلي والآلات والأسلحة.

ومن التبادل كذلك مثلا زوجا من الجوارب والثلاثة معا تساوي بطانية والرابعة تساوي بندقية والخامسة تساوي جوادا....الخ، أيلان يساوي كذلك صغيرين مهرا وثمانية أمهر تساوي زوجة.

إذن التبادل التجاري مس كل أنواع الصناعة والزراعة والصيد ... الخ. من الفول السمك، القواقع واللؤلؤ والخرزة و جوزالهند والجوب والشاي والفلفل والقمح وكانت الماسية معيارا مناسبا لقياس القيمة و وسيلة للتبادل بين الصائدين والرعاة، فهي سهلة لأنها تنقل نفسها، ومربحة بالتربية. ونأخذ مثال في عهد هومر* يقومون بتبادلهم بالماشية فدرع ديومديز قيمتها تسعة ماشية، وعبد ماهر يساوى أربعة و اللفظتان اللتان استعملها الرومان للماشية وللمال متشابهتان.

---

1 أوراق في تاريخ الحضارة ص29

فالأولى استعملوا لفظة Pecus والثانية pecunia،وكذلك طبعوا صورة ثور على نقودهم، القديمة والكلمة التي استعملها الانجليزية لرأس المال هي capital ومعناها ملك وهي مشتقة من كلمة caput التي تعني الرأس والمقصود رأس من الماشية[1] فلما اكتشفت المعادن أصبحت تعوض شيئا فشيئا محل سائر الأشياء في استعمالها معيارا للقيمة (النحاس- البرونز- والحديد).

وأخيرا الذهب والفضة، أصبحا وسيلة التعامل للإنسان كافة وهذا التحول في مايخص العملة المعدنية، لم يتم على أيدي البدائيين في أرجح الظن، فهي تعد خطوة خطاها الناس عبر التاريخ المكتوب فأوجدوا العملة وأوجدوا الدين وتربت ثروة الإنسان وازدهاره حين سهلوا تبادل فيض إنتاجهم.[2] فيما بينهم

التنظيم الاقتصادي:(الشيوعية البدائية- أسباب زوالها –أصول الملكية الخاصة – والرق – الطبقات)

كانت التجارة من أعظم، مثير للعالم البدائي لأنه لم يوجد نظام وملك ينظم العملية قبل أن تلج في حياة الناس وينتج ورآها أموال وأرباح، ففي المرحلة الأولى من التطور الاقتصادي كانت الأشياء محصورة في الأمم الأغلب في

حدود الملكية التي يستعملها المالك، لشخصية حيت لازمت الأشياء المملوكة مالكها فغالبا مادفنت معه في قبره وكان هذا حال الزوجة نفسها، أما في مايخص الأشياء التي لا تتعلق بالمالك، فلم تكن الملكية عنده بهذا الفهم القوي [3] هذا يجعلنا نقول أن فكرة ملكية ليست فطرية في الإنسان بل أنها مثل الأشياء البعيدة عن شخصية المالك، وكانت من الضعف في أذهان الناس بحيث تحتاج إلى تقوية وتلقين مستمر. فتكاد تجد الأرض في كل الشعوب، البدائية ملكا للجميع، فالهنود في أمريكا وأهالي بيرو وأهل بورنيو وسكان الحجر في البحر الجنوبي كانوا يملكون البحر جماعة ويحرثونها أي الأرض جماعة ويقتسمون الثمار جماعة[4] ونجد من أقوال هنود (إن الأرض كالماء والهواء لا يمكن أن تباع).[5] وفي ساموا لم يكن بيع الأرض معروفا قبل قدوم الرجل الأبيض ووجد الأستاذ رقرز،

شيوعية الأرض مازالت في ماليزيا ويوليزيا.

أما شيوعية القوت نجدها أقل حدة من ذلك الانتشار والمعروف عند الهمج أنه من يملك الطعام فإنه يقسمه مع من لا يملك منه شيئا. وكما كان مألوف عند المسافرين، كانوا يقفوا عند أي دار يشاءون في طريقهم ،بل كان للجيران حق إعطاء الطعام للقبيلة التي نزل القحط بها، وكان من سلوكات الهمج إذا جلس في الغابة يأكل وجبته أن يصيح لمن أراد أن يشاطره الطعام، قبل أن يبدأ في تناوله وإذا أكله وحده يعد سلوك غير صائب عنده،[6] كان تيرنر قص على رجل من ساموا قصة،فقير من لندن،سأله الهمجي في دهشة وكيف هذا؟ أليس هناك طعام؟ أليس له أصدقاء؟ أليس له مسكن؟، أين نشأ هذا الفقير؟ أليس لأصدقائه بيوتا؟[7] والجائع من الهنود ماعداه إلى سؤال، يلبى طلبه. ومهما كان كمية الطعام عند المعطي وكان عادة عند الهمج أن يقتسم من يملك أكثر من سواه هذه الزيادة

---

1 لاروس فرنسي عربي

2 Muller lyer social develo pmentp288 -9renard p 158

3 -29 - تر د محمد عصفور وتحرير إشلي مونتاعيو البدائية عالم المعرفة الكويت عدد 53 سنة 1978 ص 85

4 قصة الحضارة ص31

5 Mead margaret 1932 the changing clture of an indian Columbia unv cotribution to P313

6 البدائية لإشلي مونتا غيو تر د- محمد عصفور ص90

7 KK قصة الحضارة ص32

حتى يتساوى، الجميع وهذا مسجله الرحالة البيض في إفريقيا قبل أن تدخلها المدنية وجدوا الرجل الأسود إذا قدمت له هدية أو طعام، ذات قيمة قسمها بين ذويه فورا[1]حتى البذلة، يرى معطى أنه لبس قبعة مثلا والآخر السروال وهكذا؛ وحتى قبائل الاسكيمو، لا يرون للصائد حقا في امتلاك صيده، بل يجب علىه تقاسم، على أهل القرية وكانت الآلات والمخزون من الطعام ملكا مشاعا،بين أفراد القبيلة ويقول (كاين كارفرCplain carverأن هنود أمريكا الشمالية لايعرفون من فوارق الملكية شيئا سوى الأدوات المتزلية.... وهم أسخياء فيما بينهم، ولبدا أن يسد صاحب الفائض حاجة الآخر[2] وكتب مبشر ديني،عن قوم- الهمج- (إن مايثير الدهشة عندهم، أنهم يعاملون بعضهم بعضا برقة ومجاملة قل أن تراها عند أكثر الأمم تحضرا.)[3] ويعلق على ذلك أن مرده إلى لفظة ملكي وملكك، إنها تحمل في قلوبنا شعلة الإحساس وتشعلان نار الجشع لا يعرفها هؤلاء الهمج.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، لماذا اختفت الشيوعية البدائية؟ حينما عرف الإنسان اسم المدنية يذهب (سنمر) sunmerعلى أنها ليست ضرورة، بيولوجية في اتجاهها وتعد عقبة في سبيل التنازع والبقاء. ولم تحفز الإنسان على الاختراع والجهد الاقتصادي، وأن عدم مكافأتها لمن هو أقل قدرة سوى بين الكافيات تسوية تعاندا لنمو وتعارض التنافس الناجح مع سائر الجماعات[4]ويرى لوسكيل*: loskielوهو عالم في التاريخ الشعوب والحضارات المنقرضة، أن بعض القبائل الهندية في الشمال الشرقي،(أنهم من الكسل لا يزرعون شيئا بأنفسهم بل يعتمدون كل الاعتماد على احتمال أن غيرهم لن يرفض على أن يقاسموه إنتاجه ولو كان النشيط لا يأخذ من ثمار الأرض أكثر مما يتمنع الخامل فإن إنتاجهم يقل عام بعد عام[5] ومن رأى أن المساواة التامة بين الفوجين تقضى على كل أمل في تحضرهم، والمدنية إذا ما أتتهم ستقضي على المساواة، القائمة بينهم، حقا أن الشيوعية عملت على تخليص هؤلاء من حوادث الفقر والجهل ونتائجهما من مرض في المجتمع البدائي ولكنهم لم تخلصهم من الفقر ولم ترحمهم من الجهل وإنعكساته،وأما الفردية فقد جاءت بالثراء ومع ذلك جلبت معها القلق والرق، لقد أخرجت الفردية من الرجال المميزين قواهم الكامنة. وكذلك نفخت نار التنافس في الحياة فأشعلتها، وجعلت الناس يتذوقون مرارة الفقر. رغم أن هذا الأخير، لم يكن يحس به أحد حين استوى فيه جميع وفي هذه نقطة بذات نجد الشيوعية ظهرت في بداية المدنية وأنها ازدهرت، ازدهارا في أوقات الجوع والخوف، والفقر الذي تجعل الفرد يندمج في جماعته مدفوعا بعامل الخطر المشترك، أما إذا عمت وكثرت الخيرات زال القلق والخوف والخطر وهذا يهدد تماسك الاجتماعي. بين الأفراد وفي جهة المقابلة تزداد الفردية وتنتهي الشيوعية حين يبدأ الترف ومع ازدياد حياة تعقدا ومن هنا نجد أن حلم الشيوعية كامنا في مجتمع لأنه بكل بساطه يمثل حياة أسلافهم الأولين حيث الحياة أبسط من حياة المدنية وأقرب إلى المساواة فعندما يجدون الناس أنفسهم في تفاوت فإنهم يحنون إلى الماضي، لأنه كان فيه المساواة.[6]

---

1 د-حسين محمد فهمي أدب الرحلات عالم المعرفة عدد 138 الكويت 1989ص 24
2 قصة الحضارة ص33
*عالم في تاريخ الشعوب والحضارات القديمة وهو رحالة
3 نفس المصدر ص33
4 نفس المصدر ص34
5 عن الحضارة ص33 ومنه ANaturapisls voyage ARound the Worid242in Briffault p494
6 هيكل فلسفة التاريخ الطبعة 1 دار الفارابي بيروت لبنان سنة 1987ص150

إذن تستطيع الشيوعية أن تعيش،في سهولة في مجتمعات دائمة الانتقال لا يزول عنها الخطر والعوز، فالرعاة الصائدون ليسوا بحاجة إلى ملك يحتطون به،ولما أصبحت الزراعة صورة الحياة المستقرة، تفطن الناس إلى أن العناية بالأرض تبلغ أقصاها من حيث غزارة الثمر إذا ماعدا الثمار إلى تلك الأسرة، التي قامت بها فنتج عن ذلك تحول في النظم الاجتماعية، الأفكار ونتج عن الانتقال من الصيد إلى الزراعةتحولا في الملكية القبلية. إلى الملكية الأسرية، وبالتالي تحول نظام الاجتماعي والاقتصادي وأخذت الأسرة شيئا فشيئا تتخذ الصورة الأبوية التي تهيمن على السلطة كلها في أكبر الذكور سنا[1]ومنه أصبحت يزداد تركيزها في أيدي الأفراد،ثم نشأ نظام الثوريث لشخص معين، وكذلك كثيرا مايحدث لفرد مغامر يغادر الأسرة ليضرب في الأرض خارج الحدود ثم ينتهي به العمل الشاق أن يقوم بالأشلاء على قطعة أرض من الغابة أو المستنقع والأحراش فيدافع عنها ويحرص علىها لايسمح لغيره بإستلاء علىها لأنه ملكه الخاص حتى لتضطر الجماعة في نهاية المطاف بالاعتراف بالأحقية له في ملكية لهذه الأرض وهذا الاتساع اتسع اتساعا حين أزداد عدد السكان واستنفدت قوة الأرض القديمة، حتى وصل الأمر في المجتمعات الأكثر تعقدا من سواها إلى أن باتت الملكية الفردية هي النظام السائد.[2] ثم جاء اختراع المال،فكان وراء ومن العوامل لجمع الثروة، ونقلها وتحويلها وتحولت حقوق ونظم القبيلة القديمة وعرفها وتقاليدها صورة الملكية بمعناها الدقيق، ومن يملك عندئذ هم أهل القرية أو الملك ثم راحت الملكية تتوزع حينا بعد حين وراح أمر الملكية يتذبذب بين النظام القديم والجديد. وبعدئذ استقر وأصبح هو نظام الاقتصادي الأساس بين المجتمعات في العصور التي نقل التاريخ عنها وتم تدوين أخبارها.

لكن بينما كانت الزراعة تحدث المدنية إنشاء، وانتهائها إلي نظام الملكية، أوجدت نظام الرق الذي لم يكن يعرفه النظام الهمجي والبدائي القائم، على الصيد الخالص لأن زوجة الصائد وأبنائها كانوا يقومون بالأعمال الدنية[3] وكانوا فيهم الكفاية في ذلك أما الرجال فكانت حياتهم فيها اضطراب بنشاط الصيد أو القتال تعقبها مرحلة،من الاسترخاء وراحة بعد العناء وتطبعت الشعوب البدائية من كسل قد بدأ –فيما تظن– من هذه العادة الاستجمام البطئ بعد عناء القتال والصيد.ولو أنه لم يكن كسل يقدر ماهو راحة الاستجمام، ولكي يصير هذا العمل إلي نشاط متقطع منه إلى عمل مطرد لابد من خاصيتين الأولى العناية بالأرض، تتكرر كل يوم وتنظيم العمل. وهذا التنظيم للعمل نتج عنه طبقة الأقوياء اجتماعيا التي أرغمت أو استخدمت الضعفاء اجتماعيا، إذن تنظيم انتهي على القوة والإرغام. وذلك أن نشأة الزراعة وحصلت الطبقية، والتفاوت بين الناس وكان القتال بين الشعوب ينتج عنه الأسر ويستخدم الأسرى في العمل. وبذلك قلت المجازر وقل أكل الناس بعضهم لحوم بعض، [4] وهذا ماجعل نظام الرق

---

1 قصة الحضارة ص35
2 نفس المصدر ص 36
3 تحرير أملى مونتاعيو تر/ د/ محمد عصفور البدائية عالم المعرفة سنة 1978ص91
3 قصة الحضارة ص37
4 Hb houise.LTMorais in Evalution 244 cowan A RQuideTAWarld H ISTORY 22 sumner and keller Ip 58

يتسع[1] ونستخلص من ذلك أن الإنسان تقدم أخلاقيا تقدما عظيما حين أحجم عن قتل زميله أو أكله، واكتفى من أعدائه باسترقاقهم،وهذا السلوك الأخلاقي الذي اكتفت به تلك الشعوب؛ ونجده اليوم في الحروب إذا أقلعت الأمم الظافرة بالعدو وبأخذ الأسرى، واسترقاقهم عن طريق التعويض الذي تحدده إياه. وهذا التحول إلى النظام الرق برهن علىه نتائجه النافعة مما جعله يزداد نطاقه بأن أضيف إلى الرقيق طوائف أخرى غير الأسرى مثل المدنيون الذين لا يوفون بالدىن، والمجرمون الذين يعاودون الإجرام وكان عمدا لاجتلاب الرقيق، دافع إلى شن غارات وإغارات عمدا إذن نلاحظ أن الحرب في بادئ الأمر كانت عاملا على نشأة الرق؛ ثم صار الرق عاملا على شن الرق ثم صار الرق مع القرون له تقاليده وعاداته،من حيت العمل،فلن تجد بيننا أحدا يقدم على عمل شاق، عسير إذا كان في مقدوره أن يتخلص منه بغير أن يتعرض لشيء من العقاب البدني والاقتصادي. إذن الرق عدا جزءا من النظام الذي ساعد على ظهور المدنية لأن خلق الثروة وخلق، الفراغ لمجموعة من الناس ومرت علىه قرون،جعل بعض الناس ينظرون إليه كنظام فطري، لا غنى عنه[2] وهذا النظام أصبح له مؤطرون،ومفكرون يدعون إليه في الفكر والنظام الاجتماعي اليوناني. يقول أرسطو وأفلاطون وكذلك بارك القديس بولس: (هذا النظام الاجتماعي الذي لابد أن يكون قد بدا لعينه في عصره نظاما قضى به الله)[3] هكذا أخدت الزراعة وأخذ نظام الرق كما أحد نظام العمل، وتقسيماته وما يفرضه من اختلاف بين الناس، أخد كل هذا يستبدل بالمساواة شيئا فشيئا، إلى كانت قائمة في الجماعة الطبيعية ففي الجماعة البدائية على وجه العموم لاترى، فارقا بين العبد والحر ولا تجد فيها، رقا ولا طبقات. [4] ولا تدرك بين الرئيس وتابعيه إلى جزءا ضئيلا[5] ورويدا شيئا فشيئا؛ كثرت الآلات والصناعات فخلق ذلك على إخضاع الضعيف العاجز إلى مشيئة القوي وكان كلما ظهر اختراع جديد أصبح سلاحا في يد القوى فزادت سطوتهم وسلطانهم على الضعفاء،وعمل نظام الثوريث الهوة بين الفئتين وقسمت المجتمعات التي كانت موجودة إلى عدد لا يحصى من طبقات، وأوساط وأخذت حرب الطبقات تسري خلال عصور التاريخ ونجم عنه أي هذا الصراع،إلى قيام الدولة من أجل تنظيم تلك الطبقات ولحماية الأملاك ولشن الحروب والسلام.[6] وكذلك في عصرنا أدى سبل الاختراعات الذي يسمى بالثورة الصناعية إلي توسيع التفاوت الطبيعي بين الناس والاستعمار والغزو الفكري،والعسكري والأدبي والأخلاقي، ولعب فيه الاستشراق دورا مهما بين العالم الغربي والشرق،كله.(الشرق الأوسط والأدنى .... الخ)؛ بما فيها الشعوب العربية والإسلامية والجنس الأبيض والأسود.

الأســـس السياســـة فـــــي الحضارة:

Hb houise.LTMorais in Evalution 244 cowan A RQuideTAWarld H ISTORY 22 sumner and keller Ip 58 1

2 قصة الحضارة ص 37

3 ينظر أفلاطون كتاب الجمهورية دار الحكمة بيروت لطبع والنشر ط 2سنة 1982ص 156تر/ د/ أحمد ماهر قسم الفلسفة جامعة عين شمس

4 ينظر قصة الحضارة ص 88

5 نفس المصدر ص88

6 جون لوك عقد الاجتماعي دار الحكمة بيروت لبنان طبعة 2تر/للعربية د/ شوقي أحمد قسم علوم الإنسانية سنة 197 أفلاطون كتاب الجمهورية دار الحكمة بيروت لطبع والنشر ط 2سنة 1982ص 156تر/ د/ أحمد ماهر قسم الفلسفة جامعة عين شمس 9ص 131

أســـس الحكومـــة:ليس الإنسان حيوانا سياسيا عن طواعية، فالإنسان لايتضامن مع زملائه برغبته بقدر ماتجبره العادة والتقاليد والظروف القاهرة. فهو ينفر من المجتمع لأنه لا يجيبه ذلك راجع إلى خشيته من العزلة ولهذا السبب نجده يتحد معه غيره، لأن في غزلته خطر علىه وعلى بقائه لأنه قوى بجماعته ضعيف وحده لأن بعض الأشياء لا تتم إلى بالتعاون، ولا تجود بالإنفراد. وعلى ذلك فإن الرجل من الناس وحشي في طبعه يتحدى العالم كله تحدى العدو لأعدائه بكل مايتطلب ذلك من بطولة، فلو جرت الأمور على مايشتهي الإنسان المتوسط لما قامت للدولة قائمة[1]، وهذا ما نجده اليوم أنه يمقت الدولة مقتا، ولا يميز بين الموت وجباية الضرائب،ويتمني أن تحكمه حكومة تكون سلطتها تحكم من أموره إلا أقلها فهو يرى أن القوانين هو في غنى عنها،إلا أنه جاره لا بدا له من تلك القوانين،أما هو يتمنى أن يترك لهواه، فيميل إلى الفوضى التي لاترجع إلي تفكير فليس يضبطها ولو نظرنا إلى أبسط المجتمعات تشكلا لاتلاحظ فيها الحكومة على أية صورة من صوره،[2] فالبدائيون الذين يعتمدون على الصيد أو الصائدين لايحبذون التقنين إلى إذا تجمعوا في جماعة الصيد ويقبلون لدور النشاط ، أما في غير هذا تجد بعض القبائل من قبيلة اليوشمن تعيش منعزلة عادة تكون أسرات منعزلة بعضها عن بعض وكذلك أقزام إفريقيا، وأهل استراليا الفطريين لا يقبلون التنظيم السياسي إلا مؤقتا.[3]ينتهون من مهمتهم، انتشروا من جديد في أسرات كل منها قائم بذاته،أي ليس لهم رؤساء وقوانين ولا حكومة دائمة وبعض سكان سيلان انقسموا جماعات على أساس الروابط العائلية[4]، و لم يعرفوا حكومة،والكوبين في سومطرة يعشون بغير سلطان لكل أسرة حكمها الخاص بنفسها ولا يتعدى الفوج أثني عشر ولا يزيد الحشد في القبائل استراليا عن ستين شخصا. إلا قليلا[5] ولتتكاتف هذه الجماعة، وتتعاون إلا لأغراض التي تتطلب التعاون مثل الصيد، دونما اتحاد سياسي دائم، إذن كانت القبيلة أول صورة للنظام الاجتماعي الدائم ويراد بالقبيلة مجموعة من الأسر يجمعها رابط القربى وتشغل بقعة من الأرض على سبيل الشيوع ولها طوطم مشترك وتحكمها حكومة بعينها تحت قوانين معينة. وإذا ما تحدت مجموعة من الأسر في ظل حاكم واحد أو رئيس تكونت العشيرة فالعشيرة هم الخطوة الثانية في تكوين الدولة. وهذا التطور كان بطيئا لأن، بعض الجماعات لم يكن لها رئيس[6] وجماعة أخرى لم تقبل نظام الرئاسة إلا في ظروف استثنائية مثل الحروب، فالدىمقراطية لم يكن يزها بها على العصور السوالف والخوالي. لأنها تظهر في أبها وجوهها في كثير من الجماعات البدائية[7] حيت لم تكن الحكومة القائمة علىها سوى مايشير به رؤساء الأسر في العشيرة، و لم يسمح قط، بقيام السلطة جزافا وبعض القبائل، مثل أراكوا ودلا وير وهم من الهنود، لم يقبلوا بشيء من الضوابط والقوانين خارج نطاق نظام الأسرة والعشيرة[8]و لم يكن رؤساؤهم يتمتعون إلا بسلطة متواضعة، في مستطاع رؤساء القبائل وشيوخها أن يسغوها في أي وقت شاءوا، وبعض القبائل مثل مايو جد عند الهنود أوماما لهم مجلس مكون من أعضاء يسمي مجلس السبعة، هم بمثابة نواب عن العشيرة

---

1 نورمان فكتور/تر/ د/ قاسم عبده قاسم التاريخ الوسيط قصة الحضارة البداية والنهاية ط1 ج 1 1997ص332
2 ينظر- كريمة دوز الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية دار الكتاب للنشر والتوزيع مصر ط1 2012 ص 122
3 قصة الحضارة ص40
4 ينظر نفس المصدر ص 42
5 نفس المصدر ص42
6 سيغمود فرويد والطوطم والحرام /تر/ جورج طرابيشي دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ط 2 1987 ص 100
7 د/ علي محمد الصلابي الدولة الفاطمية ط1 2006 – 1427ه مؤسسة إقرا للنشر والتوزيع القاهرة ص 48
8 ينظر قصة الحضارة ص 40-41

يتشاورون في الأمر حتى يصلوا إلى رأي موحد، فيه إجماع فإذا أضفت إلى هذا جمعية الأراكوا المشهورة التي تم فيها الاتفاق بين القبائل فوق اتفاقهم، من عهود في حفظ السلام لم يكن فارقا سحيقا في الأمم تعهدا قد يخلون به.

وبمأن الحروب هي سبب، في وجود الملك و الرئيس والدولة، وهم نفسهم يعدون ويصنعون الحروب، ففي بعض القبائل مثلا كان للرئيس سلطة في إعلان الحرب، أما في غير ذلك لم يكن يأبه له الناس كثيرا بعض القبائل لم تعرف الحكومة، إلا ما ترأس على أسرته من سلطان، فإن نشبت الحرب يختارون أشجع مقاتليهم [1] فيعطونه الولاء والطاعة العمياء حتى إذا هدأت الحرب عزل، وفي فترة السلم كانت السلطة للكاهن أو رئيس السحرة لأنه كان ينظر إليه على أنه له قوى تساعده على السحر فله قوة خارقة ، وبالتالي يكون متميزا علىهم، فلما تطور النظام الحكم وأصبحت الملكية هي الصورة، المألوفة لدى أغلب القبائل واخترعت الملكية ونظامها من وظائف، هؤلاء وجمعت تلك الوظائف كلها في يدها وظائف المحارب ورئيس الوالد والكاهن[2]وهكذا أصبح الحكم في الجماعة يحكمها نوعان، الكلمة في أيام السلم و السيف في وقت الحرب.

ولقد مشى القانون والعقائد الأسطورية جنبا إلي جنب خلال العصور يتعاونان في حكم البشر.

إذن كيف خمدت الحرب إلى قيام الدولة؟ لم يكن الإنسان شريرا بطبعه ومنحاز للحروب، لم تستطع قبائل الاسكيمو أن يستوعبوا مطاردة الأوربيين بعضهم بعض مع أنهم لهم نفس العقيدة سلم واحدة. ولماذا ينهب بعضهم بعض لذا قالوا: (الأجمل مافي أرضنا ثلجا وجليدا، ماأجمل أن يكون الذهب والفضة موجودين في صخورنا هذين المعدنين الذين يتنافسون علىه المسيحيون تكالبا جشعا حتى لا يستطعون الوصول إليها)[3]، ورغم ذلك فحياة البدائيين قد تتخللها حروب، فالصائدون كانت تقوم بينهم قتالا من أجل الصيد وكذلك الرعاة من أجل المراعي والزراع من أجل الاستيلاء على الأرض والتربة وكلهم تقوم ليثأروا لقتل أو لينشئوا ناشئهم على الصلابة والنظام، وقليل مانجدهم يحاربون من أجل الدىن وجعلوا للقتال نظاما يحتكمون إليه ولا يجوز للهمجي أن يقتل عشوائيا، لأنهم حددوا ساعات أو أيام أو أسابيع، أو أشهر للحرب والقتال إذن نتج عن الحروب اقتلاع الشعوب الضعيفة،وإبادتها ورفعت مستوى الإنسان من حيث الشجاعة والعنف والقسوة والذكاء والمهارة[4] وجعلت الإنسان يخترع وصنع الآلات تحولت إلى أدوات نافعة وفنونا للحرب انقلبت فنون للسلم، فكم من السكك الحديدية اليوم تبدأ على أنها جزء من خطة القتال[5] ثم صارت وسيلة من وسائل التجارة وكان أثر الحرب على انحلال الشيوعية و الفوضى التي عرفها المجتمع البدائي وجاءت بالنظام والقانون وظهر الاسترقاق وإخضاع الطبقات وقيام الحكومات إذن الدولة أمها الملكية وأبوها القتال.

وباعتبارها تنظيما للقوة، يقول نتشيه: (إن جماعة من الوحوش الكواسر، شقراء البشرة جماعة من الغزاة السادة بكل مالها من أنظمة حربية وقوة منظمة تنقض بمخالبها المخيفة على طائفة من الناس، ربما فاقتها من حيث

---

1 نفس المصدر ص41
2 نفس المصدر ص 41
3 البدائية لي أشلي مونتاغيو تر محمد عصفورص105
4 قصة الحضارة ص 43
5 نفس المصدر ص43

العدد إلى حد بعيد،لكنها لم تتخذ بعد نظاما يحدد أوضاعها ذلك هو أصل الدولة.)[1] ويرى كذلك لستر وورد lesterwardتبدأ الدولة باعتبارها مختلفة عن النظام القبلي بحيث يغزو جنس من الناس جنس آخر[2] ويتوصل بعض المؤرخين على أننا عندما نقرأ التاريخ بتمعن نجد أن قبيلة مقاتلة تعتدي على حدود، قبيلة أخرى أقل منها استعداد للقتال، ثم تستقر في أرضها مكونة جماعة الأشراف، فيها ومؤسسة لها الدولة.[3] إذن العنف هو الأداة التي خلقت الدولة وهي نتيجة الغزو على رأى جميلوكش Gumplawiczوهذا الإخضاع العنيف تتم من جماعة زراعية مستقرة لها أسباب القوة من قبيلة من الصائدين والرعاة،لأن الزراعة تعلم الناس الأساليب المسالمة وتنهكهم من عمل مجهد وينسون فنون القتال، أما الصائدون والرعاة قد ألف الخطر ومهارة القتل، ويجد في الحرب ضرب من ضروب الصيد و المطاردة وعندما ينضب معين الغابات لم يعد لهم سوى غزو أهل القرية وبما تحوى من ثمار وهذا مايجعلهم ينتحلون تبريرا للهجوم ثم يغزون فيغلبون فيستقرون فيحكمون الدولة إذن مرحلة متأخرة في سلم تطور لأن قيام الدولة يقتضي تغيرا في مبدأ التنظيم الاجتماعي وعلىه فيكون المبدأ، هو أن يكون الحكم لمن يسيطر بدل أن يكون لذوي القربى. كما كانت العادة سائدة في المجتمعات البدائية وإنما يكون نظام القوة في أنجح حالاته إذ مرابط عدة جماعات طبيعية مختلفة بعضها ببعض برباط يفيدها من نظام وتجارة [4] وحتى هو في هذه الحالة تراه لا يدوم طويلا إلا في القليل النادر، اللهم إلا إذا زاد التقدم في الاختراع من قوة القوى حيت يمتلك أسلحة تمكنه كبت الثورة إذا اشتعلت وفي حالة السيطرة المستمرة نجد مبدأ التسلط يميل إلى تخفي حتى ليكاد يدس نفسه في مساحة اللاشعور فلما ثار الفرنسيون سنة 1789م أوشكوا ألا يتبينوا حتى نبههم بالحقيقة كإميل ديمولان Camille- Desmoulins أن طبقة الأشراف كانت تحكمهم منذ ألف عام جاءهم من ألمانيا وأخضعتهم بالقوة، هذا القانون ينطبق على الجماعة الأولى وحدها لأنه حين تتعقد ظروف الحياة الاجتماعية يتدخل في الأمر عوامل أخرى تحدد الموقف كالثروة،وجودة السلاح والتفوق في الذكاء فمصر مثلا لم يغزها الهلكوس،و الأثيوبيون والعرب و الأتراك فحسب وكلهم، من البدو بل غازتها مدنيات مستقرة من أشور وفارس واليونان وروما وانجلترا. وأنه الأمم لم تغزها إلي حين انقلبت صائدة بدوية على نطاق الاستعمار الواسع إن كل دولة تبدأ بالقهر لكن، سرعان ما تصبح عادات الطاعة هي مضمون الضمير ثم سرعان مايهتز كل مواطن بشعور الولاء للعلم، وهذا الأخير في ذلك على الصواب، فمهما تكن بداية الدولة فسرعان، ما تصبح دعامة لا غنى عنها من أجل النظام.[5] لأن التجارة عندما تكون بين قبائل، وشعوب تنشأ بين الناس علاقات لا تعتمد على القرابة بل تعتمد على مابين الناس من اتصال. وهذا ما يستدعي وجود نظام وعلاقات من الأنظمة يصطنع لها اصطناعا، وخير دليل على ذلك مجتمع القرية مثلا حلت محل القبيلة والعشيرة[6] وأصبحت هي صورة التنظيم الاجتماعي المحلي، و انتخبت لنفسها حكومة بسيطة تكاد تكون ديمقراطية حكومة قوامها، رقعة جغرافية، صغيرة يرأسها رؤساء الأسر وعندما وجدت هذه الجماعات وكثرة عددها استلزم، تدخل قوة

---

1 نتشيه تكوين الدولة وأركانها دار الحكمة للتوزيع والنشر سنة 1999 الجزائر ص 113
2 قصة الحضارة ص44
3 نفس المصدر ص 45
4 أوراق في علم التاريخ عبد الغزيز البدوي الجزء الأول الطبعة الأولي 2007 م1468ه دار الغرب الإسلامي ص 85
5 قصة الحضارة ص 46

[6] اسلي مونتاغيو تر:/ د: محمد عصفور البدائية ص 16

خارجية تنظم ما بينها من علاقات ونتج عنها شبكة اقتصادية. أوسع ونظام الدولة هو الذي سد هذه الحاجة.رغم في أول الأمر، وجودها مفزع و لم تعد قوة منظمة بل أصبحت، أداة توائم بين مصالح مئات الجماعات، المتضاربة التي عن طريقها يتألف المجتمع في صورته المركبة، ولما ثم ذلك للدولة راحت تبسط سلطانها والقانون، وتوسعت شيئا فشيئا، ورغم أنها صيرت الحرب الخارجية. بسطة في المقابل السلام الداخلي، وتبث أركانه إذن الدولة سلام في الداخل استعداد للحرب في الخارج، وعرف الناس أن دفع الضرائب، للدولة خير لهم من التقاتل بغضهم مع بعض [1] وخير لهم أن يدفعوا الجزية للص ويذهب بعض العلماء في التاريخ. تبرير لهذا بأنه يحثوننا، نظر للمجتمع إذا خلا من الحاكم بفترة من الزمن (المجتمع البدائي طبعا). مثل جماعة (الباحندا) التي اضطرا كل رجل فيها حين مات الملك أن يسلح نفسه لأن الخارجين على القانون أنشبوا أظفار الفوضى والقتل والنهب[2] أرجاء البلاد وقد صدق سبنسر حين قال: (إنه بغير حكم أو توقراطي كان يستحيل على تطور المجتمع، أن يبدأ مراحله)[3] لأن الدولة لا تعتمد على السلطان،و القوة وحدها سرعان ما يتهدم بناؤها لأن الناس رغم أنهم بطبعهم، أحرارا فهم كذلك ذو عناد، والقوة مثلها مثل الضرائب، تبلغ النجاح.إذاماكانت خفية غير مباشرة ومن هنا اصطنعت الدولة لنفسها أدوات ووسائل يستخدمها في بث تعاليمها، (كالأسرة و المدرسة والمؤسسات الدينية (الكنيسة) ودور العبادة.) حتى تعد المواطن على عادة الولاء للوطن وللدولة، والفخربه، وجعلت الوسائل أو بل أخرى أغناها هذا التنشيئ عن مئات من رجال الشرطة، وبث ثقافة الانصياع والطاعة وخاصة في حالات الحرب وراحت الأقلية الحاكمة تفرض قوتها وسلطانها بحفنة من القوانين، تعزز سلطانها من جهة، وتقدم للناس الأمن من جهة أخرى حقوق الرعية*اعترافا تستمليها به إلى قبول القانون ومناصرة الدولة .

القانون والحـــضارة:

يأتي القانون مصاحبا للملكية والزواج والحكومة فالمجتمعات تدير شؤونها بالعرف أو القانون المعترف به من طرف المجتمع ، لأن أحط المجتمعات هي التي تدير أمرها بغير قانون، يقول ألفرد رسل ولاس: ((لقد عشت مع جماعات من الهمج في أمريكا الجنوبية، وفي الشرق و لم أجد بينهم قانون ولا محاكم سوى الرأى العام الذي يعبر عنه أهل القرية تعبيرا حرا، فكل إنسان يحترم حقوق زملائه احتراما دقيقا فالاعتداء على هذه الحقوق يستحيل وقوعه أو يندر فجميع الأفراد متساوون))[4] وكذلك كتب، هرمان ملكيل(Herman Melville) ((شيئا كهذا عن أهل جزيرة ماركساس فقال((أثناء وجودي بين قبيلة التايبي لم يقدم أحد قط للمحاكمة بتهمة الاعتداء على غيره من الناس)) [5] ونجد في روسيا القديمة من خلال الحكومة التي أقامتها دورا للمحاكم، في جزر ألوشيا رغم ذلك لم تقدم شيئا قط. ويرى بعض العلماء في الحضارات، أمثال برينتن Printon كانت الجرائم في قبيلة إراكوا من القلة في

---

[1] العقد الاجتماعي جون لوك ص 95
[2] قصة الحضارة ص 47
[3] قصة الحضارة / ومنه spencer sociologie ilf 316
* الكلمة بالإنجليزية(subject) وفيها معنى الخضوع ولذلك قال المؤلف هامتل يقول (لاحظ تكشف هذه الكلمة عن أصل الدولة)

[4] American journal of sociology march 1905 n 12
[5] Melville types 222 in briffault ii 356ومنه قصة الحضارة ص 48

ظل نظامهم الاجتماعي، بحيث لتكاد تجد لهم نظام للعقوبات. فالجماعات الفطرية تتمتع بحرية نسبية من قيود القانون، لأنها محكومة بعادات تعد في صرامتها و احترمها حيث لا يمكن على أي شخص الخروج علىها كأي قانون يحترم، وكذلك جرائم العنف تعد مسائل خاصة يحتكم فيها بالثأر الشخصي التي تسفك فيه الدماء.

فالتقاليد هي بمثابة، الصخرة الراسخة في أسس بناء الظواهر الاجتماعية حيث تعود إلى أنواع الفكر، وطرق الفعل التي عمل على خلع فيها الزمن مكانة التقديس وهي تعمل في المجتمع بشئ من التبات والنظام، في حالة اختفاء القانون أو تغير أو كان هناك اضطراب. فالتقاليد ماتمده من استقرار تحاكي الوراثة و الغرائز فيما تعطيانه من الحفاظ على النوع البشري، وهي أي التقاليد الاطراد المكرور، الذي يحفظ للناس عقولهم،في رؤوسهم لأنه إذا لم تكن لدى الإنسان هذه المسالك التي يترلق فيها التفكير والوعي والعمل انزلاقا في اللاوعي يسيرا، لا كان ضروري على العقل أن يتردد إزاء كل شيء، والغرائز والعادات والتقاليد والأوضاع الاجتماعية كلها مرتبطة وفق قانون اقتصادي. يستغني بالقليل عن الكثير لأن العمل، فوق العادة الآلية،هوالأصلح وسيلة وطريقة يستجيب بها الإنسان للمثير الخارجي.

فإذا أضيف إلى هذا الأساس الطبيعي وهو التقاليد تأمين يأتيه من السماء عن طريق الدىن وأصبحت[1] تقاليد الأجداد أو السلف هي كذلك ماتريده لنا الآلهة من سلوك عندئذ تصبح التقاليد أقوى من القانون يبعد الإنسان عن حريته البدائية بعدا جوهريا وأول مراحل في تطور القانون أخد الإنسان لنفسه بالثأر، فيقول الرجل البدائي: (إن الثأر ثأري وسأرد عن نفسي مالحق بي)[2]وكل فرد من القبائل الهندية التي تسكن كاليفورنيا السفلي، هو لنفسه الشرطي وهو الذي يقيم لنفسه، الشرطي وهو نفسه القاضي وميزان العدل. نما يتمتع بالقوة من الثأر [3] ففي التجمعات البدائية، إذا قتل شخص شخصا أخر، كانت النتيجة أن يقتل على يد ابن أو صديقه ولقد امتد الثأر عبر كل العصور التاريخ حتى القرآن نوها بذلك {**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**}[4] ونجده أي القصاص في القانون الروماني ، ولعب دورا مهما في تشريع حمو رابي ونكتشفه في أمر موسي، بأن تكون (العين بالعين، والسن بالسن) وهو مازال موجودا وراء الكثرة الغالبة من العقوبات القضائية، حتى يومنا هذا.

والخطوة الثانية، نحو المدنية و القانون إزاء الجريمة، هي الأخذ بالمقابل بدل الثأر فنجد أن الرئيس غالبا مايستعمل نفوذه من أجل حفاظ على العلاقات بين أفراد جماعته،ليحمل الأسرة الراغبة في الثأر على أن يستبدل بالدم المقتول ذهبا أو مالا أو متاعا حتى تطور الأمر إلى أن أوجد الناس أو المشرع، تعريفة قانونية تحدد كم من التعويض المالي كم العين والسن والذراع...الخ وقد توسع حمو رابي في هذا الأساس[5]، وقد كان أهل الحبشة غاية في الدقة في العقوبة، وحتى العقوبات التي تقدر في حال التعويض، قد تتباين على حسب جنس المعتدي والمعتدي علىه، وفي حالات كثيرة كان البث في أمر الخصومات يتم في صورة عراك يجري على أمر من الناس بين المتخاصمين.وهذا

---

[1] ينظر لقصة الحضارة ص49

[2] نفس المصدر ص49 -

[3] تر د محمد عصفور وتحرير إشلي مونتاعيو البدائية عالم المعرفة الكويت عدد 53 سنة 1978 ص 101

[4] سورة التوبة الآية رقم 179

[5] تاريخ النظم د/ غزالدين محمد الأحمد (كلية القانون والحقوق جامعة عين شمس مصر) تشريع عند حمو رابي دار الفكر بيروت الجزء الأول سنة 2001ص 203

العراك يختلف من مدى إراقته للدماء [1] ونجد هذا الحال، عند قبائل الإسكيمو الحكماء، يرتبون مباراة حتى الموت. وكثيرا ما لجأ البدائيون،إلى اصطناع المحنة في فض مشكلاتهم، غير أنهم لم يتعملوا معها على أساس النظرية التي سادت القرون الوسطي بأن الله سيكشف المجرم عن طريق المحنة وهكذا نزل عنصر ومبدأ المحنة،من خلال العصور بادئا من تلك الصور الهمجية البدائية،إلى قوانين موسى وحمو رابي. ثم العصور الوسطى. والمبارزة تعد صورة من صور المحنة وقد فهم المؤرخين، أنها طمست معالمها ولكن هي في طريقها الرجوع،رويدا رويدا في أيامنا هذه. ورابع خطوة التي صار على دربها القانون في تطوره، هي أنا الرئيس التزم باعتباره يمثل الدولة أن يكون ضد الاعتداء و يطبق القانون على المعتدي، وليس بين فض التراع و العقوبة ومحاصرة التراع كي لا يقع،واتقاء وقوعه ماهي لا خطوة واحدة. وبهذا لم يصر الرئيس قاضيا، بل أصبح مقننا للقوانين،إلى جانب القوانين شائعة بين الناس والتي أخدت من تقاليد أخرى،من القوانين الوضعية التي منبعها مراسم الحكومية. ففي الحالة الأولى تعرج القوانين من الأسفل.

والثانية تهبط من الأعلى[2] وفي كلتا الوضعين نلمس أن القوانين فيه مسحة السلف الغابر.نلحظ فيها قانون الأخذ بالثأر، الذي جاءت تلك القوانين بديلا له. لقد كان الجزاء في المجتمعات البدائية صعبا وقاسيا[3] ونستطيع القول بصورة عامة: إن حقوق الفرد في المجتمع الفطري أقل منها في حالة المدنية، عندما تنظر في أي تجاه تجد الفرد مكبلا بالقيود الوراثة،و البيئة والتقاليد والقانون، والفرد في وسط الجماعة البدائية يتنقل في ضوء جملة من القوانين، التي تبلغ بقصاوتها وبصرامتها،حدا يتعدي المعقول وكافت الحدود،فآلاف سلوكيات المحرمة يحددها سلوكات وألف إرهاب يشل إرادته. إن أهل زيلنده جديدة كانت يبدو للعين أنهم يعيشون بدون قانون يحكمهم، ولكنهم في حقيقة الأمر تربطهم تقاليد تتحكم فيهم كمظهر من مظاهر حياتهم وكذلك أهل البنغال [4] إن الحقوق و القانون لايأتي من الطبيعة، لأن الطبيعة لا تعرف إلي الدهاء والقوة، إنما الحقوق هي مكاسب ومزايا أعطتها الجماعة بعتبارها تعمل على نشر الخير العام ولهذا فالحرية الترف ونتيجة اطمئنان الحياة، والإنسان الحر ثمرة أوجدتها المدنية، وعلامة تميزها

الأســـرة و الحـــضارة: لما كانت الأمور الأساسية للإنسان هي الجوع و الحب والغرائز المكنونة،كانت الأمور الأساسية والرئيسية للتنظيم الاجتماعي هي توفير الموارد الاقتصادية والعمل على بقاء الجنس البشري،من الوجهة البيولوجية.فاتصال النسل في إطار من الأبناء، رئيسي كالعامل واتصال الطعام، لذلك تجد المجتمع الإنساني. يضيف إلى الأنظمة الاجتماعية التي تقدم من جهتها الراحة المادية. والنظام السياسي، أنشطة وأنظمة أخرى من شأنها أن تعمل على بقاء الإنسان في نسله، ولقد عمرت القبيلة حتى ثم قيام الدولة، قرب بزوغ المدنية،التاريخية حتى ذلك العهد ظلت القبيلة تتحكم في هذه المهمة الدقيقة، وعملت على ربط وتنظيم العلاقة بين الجنسين وبين الأجيال المتوارثة. بعد حتى قيام مؤسسة الدولة، ظلت إلى أمد بعيد وإلى حد الساعة مقاليد الحكومة في يد، تلك الجماعة التي هي ضاربة في جذورها في أعماق الأنظمة التاريخية،- وهي الأسرة- وفي أقصى الاحتمال، يكون الإنسان الأول قد

---

[1] قصة الحضارة ص52

[2] وديا كوف س كرفاليف/ تر/ نسيم وكيم اليازجي الحضارات القديمة الجزء 2 منشورات دار علاء الدين دمشق الطبعة الأولى سنة 2000 نسخة 100ص 132

[3] تحرير إشلي مونتاغيو / تر/د: محمد عصفور: البدائية عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية يصدرها مجلس الوطني الفنون والآداب-الكويت عدد53 مايو 1982 ص 90

[4] قصة الحضارة ص 53

تقلب عيشا في أسرات متعددة حتى في مرحلة الصيد،لأن ضعف الإنسان فسيولوجيا جعل منه غرضة الكواسر وهذا ما جعل الإنسان ضعيف كفرد يتقوى بلجوئه إلى الاعتصام بأفراد من نوعه،[1] وتستعين من أجل البقاء والتعاون على مخاطر الطبيعة.

وفي أغلب الظن قد كانت هذه أول خطوة الإنسان في أول أمره فأنقد نفسه بالتماسك في جماعة الصيد الأولى، ثم حمى نفسه في إطار القبيلة، فلما حلت العلاقات الاقتصادية والسياسية محل القربى كمبدأ للتنظيم الاجتماعي فقدت القبيلة مكانتها وتراجعت لتحل الأسرة محلها كماحلت الدولة، إلى جنب الأسرة فأخذت الدولة محلها في قمته وتولت مهمة استتباب النظام والأمن،وأخذت الأسرة على نفسها إعادة تنظيم الصناعة وبقاء ومحافظة على الجنس البشري[2] لأن الفرق بين البشر وطبيعة الحيوانات، الدنيا لا تعنى بنسلها لذلك كانت إناثها تضع بيضها في كميات كثيرة. فيعيش بعضها وينقرض البعض الآخر وهذا ينطبق على الحيوانات التي تبيض أو التي تلد رغم الثكاتر إلى أنها تعاني من الانقراض،عكس الإنسان فالقاعدة عنده من أول نشأته، هي أن متوسط الوفيات يتزلان معا كلما زادت المدنية صعودا إذن عناية الأسرة، بأبنائها إذا ماحسنت، جعلت النشء من مدة أطول يقيمون تحت سقف الأسرة.يأخذ النمو وتدريب قبل أن يواجهوا صعاب الحياة ويعتمدون على أنفسهم.وكانت الأم تعهد بأداء أهم العناية بالأبناء،لإن تنظيم الأسرة في أول أمرها،قائما على أساس أن منزلة الرجل في الأسرة كانت عارضة بينما مهمة الأم أساسية لا تضاهيها مهمة أخرى[3]، بينما شأن الرجل هو دور الذكر في سائر الحيوانات وهو التناسل وهذا ما نجده عند قبائل، سكان جزائر (تروبرياند). Trobriandيرجعون حمل النساء لاتصال الجنسين بل يرجعونه بدخول شبح في جوف المرأة يقال عادة أن هذا الشبح يدخل المرأة وهي تستحم إما في النهر أو البحر كما يري مالينوكسكى (Malinowski) ،nفتقول الفتاة عضتني سمكة. ويعتقد أن الولد ولد بدون والد كما يرى مالينوكسكى وعندما سألهم من اتصل بالفتاة اتصال فسيولوجي لم يفهموا سأله وقالوا الشبح، وهكذا كان لهذه العقيدة، رواجا عند كثير من القبائل الهمج، وبعض القبائل تفسر. الحمل نتيجة اتصال الرجل بالمرأة مثل ماهو عند بعض القبائل في ماليزيا وبعض الفتيات، يفسرنا حملهن بنوع من الطعام أكلنه[4] حتى وإن عرفوا وظيفة الرجل التناسلية،بحيث لم يكن يسيرا علىهم أن يحددوا لكل طفل أباه وحتى المرأة البدائية قلما كانت تكترف عمن يكون والد الطفل يكفي أنها هي أمه. أن العلاقة الأب و الأبناء في المجتمع البدائي هي من الضعف، بحيث يعيش كل الجنسين منفصلين في عدد كبير من القبائل[5]. ويذهب بعض العلماء الذين بحثوا في عدد كبير من القبائل، في استراليا و البريطانية الجديدة وفي إفريقيا ومكرونيزيا و في أسام وبروما بين الألوشيين و الإسكيمو و والسا مودين وهنا وهناك من أرجاء الأرض قد تشاهد قبائل ينعزل الرجال فيها عن النساء ولا يتزاورون إلى لماما، حتى الطعام تلاحظ كل فريق يأكل بعيد عن الآخر. يرى بعض العلماء أن هذا نمط نتج عنه العلاقة المثلية نجدها في المجتمعات البدائية وهذه العلاقات السرية، لها شبيه في حياتنا المعاصرة إذن فأبسط، صور العائلة، هي الأم وأبنائها تعيش معهم في كنف القبيلة

---

[1] قصة الحضارة ص 55

[2] تر: نسيم واكيم اليازجي الحضارات القديمة ج 2 ص 201

[3] سغموند فرويد تر/جورج طرابشي الطوطم والحرام المكتبة الصغيرة بيوت باريس سنة1965 ص 122 إعادة الطبعة مترجمة دار الطباعة بيروت

[4] قصة الحضارة ص 57

[5] سيغموند فريد الطوطم والحرام جزء زني المحارم ص 19 المكتبة الصغيرة بيوت باريس سنة1965 إعادة الطبعة مترجمة دار الطباعة بيروت

مثل ذلك تشابه الحيوان وهذا راجع إلى الجهل البيولوجي الذي يتصف، الإنسان البدائي وجاء نظام يعد أكثر تطور وهو نظام الزواج، الذي يضيف الزوج إلى أسرة زوجته. بحيث يهجر الزوج قبيلته ليعيش في قبيلة زوجته.إذن الأنساب يقتفي الإناث، والتوريث يكون بواسطة الأم،[1] على أن هذا المكسب الذي للأم،ليس معناه هيمنة المرأة على الرجل [2] لأن الأم حتى وإن ملكت وورثت،فسلطتها قليلة،من سلطان،وكل ما في الأمر تعد الأم وسيلة تعقب الأنساب لأن لولا الأم لاثم إهمال الناس إذن المرأة لها نفوذ في أي، نظام اجتماعي كائنا ما كان ولو إلى حد محدود، وهذا يعكس بضرورة. مكانتها الطبيعية لخطر مكانتها في المترل ودورها في التصرف في الطعام وشهد التاريخ أحيانا، حاكمات من النساء في بعض قبائل أفريقيا الجنوبية، وحتى عندنا في شمال إفريقيا (كهينة زعيمة قبائل زواوا)[3]، وبعض القبائل مثل (بليو) و(إراكوا)،على رئيس أن ينجز شيئا،هاما إلا إذا استشار مجلسا من عجائز النساء والقرائن تأكد ذلك ونجد في القرآن الكريم يخبرنا عن ملكة سبأ (كانت تحكم قوم ألوا بئس وألوا قوة شديد). وكان للنساء في الهند قوة عظيمة، قد تبلغ بهن حق اختيار الرئيس[4] هذا ما شهده التاريخ ولكنه وقع في حالات نادرة وأما في أكثر الحالات جاءت مترلة المرأة في المجتمع البدائي، مترلة الخاضع التي تدنو من الرق وكانت في مرحلة الصيد، تقوم بكل الأعمال ماعدا الصيد عكس الرجل الذي كان يزهو بنفسه مستريحا مسترخيا، معظم العام في شيء من الراحة لقاء مايجده من مخاطر في الصيد وإذا كانت النساء يحملن الأثقال والتفاوت بين الرجال والنساء في المجتمعات، البدائية لم يكن له وجود كماهو موجود عندنا إذن معظم التقدم، الذي أصاب الحياة الاقتصادية في المجتمع كان للمرأة نصيب، الأوفر لأن الرجل كان مشغولا بالصيد والمطاردة وهي عملت على تطوير الزراعة واكتشافها إلى جانب بعض الصناعات، مثل فنون الحياكة والنسيج والسلاسل والخزف وأشغال الخشب والبناء، .....الخ. وتربية الماشية وازديادها وجاء الرجل بعض أن استولى على نشاط، المرأة من زراعة وصناعة وتربية المواشي، انتقلت السيادة من أسرة أموسيه إلى أسرة أبوسية،[5] وراحت الملكية تزول عن المرأة إلى الرجل واعترف للأبوة عن الأسرة، وكان للأكبر في الأسرة السيادة.حتى الحياة الدنيا كانوا، الآلهة إناثا صارت الآلهة رجالا وانقلبوا رجالا ذوى اللحى هم للناس بمثابة اللأباء يحيط بهم من النساء (حريم).

كان هذا الانتقال إلى الأسرة الأبوسية،ضربة قاضية على مترلة المرأة وصارت ملكا هي وأبناؤها، لأبيها وأخيها الأكبر. ثم ملكا لزوجها، بل اشتريت في الزواج كما تشتري كما كان العبد يشترى.[6] إذن خضوع المرأة كان موجودا في مرحلة الصيد، وصورة أخف خلال الفترة التي ساد فيها، حق الأمومة في الأسرة أزداد الآن صراحة

---

[1] حمو رابي تاريخ النظم (الأسرة الأموسية -الأم + سلطة) الطبعة 1 جزء2 دار الفكر بيروت ص132 بدن سنة النشر

reported. Similer cuitom in the fifth century b.c and Burckhardt (1.196)Ibid 1619Herodolus-89
[1]د found itin Arabian the nine teenth centery Muller lyer Moden Marmage p 127

[3] صالح فركوس تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلي غاية الاستقلال المراحل الكبري دار العلوم للنشر والتوزيع سنة2005ص 24

[4] العلامة محمد الغزالي (رحمه الله) المرأة في الإسلام دار الشهاب الطبعة 2 منقحة سنة 1986 ص19

[5] ينظر قصة الحضارة ص 62

[6] ينظر قصة الحضارة ص 62

وغلظة ففي روسيا القديمة، كان الأب إذا زوج ابنته، يضربها ضربا غير مبرح رقيق، بسوط ثم يسلم ذلك سياط. إلى زوجها بل نجد عند بعض القبائل، أن المرأة كانت تعامل معاملة خشنة وكانت حياة المرأة،في كل مكان على وجه الأرض،تقوم من التقويم بثمن بخص وأرخص من ثمن الرجل في سوق النخاسة وإذا ولدت الأمهات بنات، فلا تقام الأفراح عكس المولود إذا كان ذكرا وهذه الحقيقة، أقرها القرآن يقول الله تعالي **{وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى}**[1]حتى العرب كان لهم هذا المعيار في التعامل مع الأنثى يقول الله تعالي **{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}**.[2] وفي بعض المجتمعات البدائية تصرفها مع البنات المولودات نفس ماكان موجودا في المجتمع القبلي العربي والقتل على أيادي الأمهات والزوجات، في (فيجي) مثلا يشتريهن الرجال كما يشاءون وغالبا ما يكون ثمنهن بندقية،حتى جاء الإسلام وحررها من الظلم. الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والمكاني والفكري وصارت المرأة إلي جانب أخيها الرجل تبني الحضارة ومصنع الرجال وتطور الفكر البشري وتعد نصف الآخر للرجل منها الأديبة والشاعرة والمفكرة.....الخ يقول الشاعر: الأم مدرسة إذا أعددتها ******** أعددت شعبا طيب الأعراق[3]

العناصر الخلقية في الحضارة:

لما كان استحالت قيام المجتمع بغير نظام، وهذا الأخيرلايكون إلا بغير قانون فسير التاريخ يمشي على هذا القانون، لأن قوة التقاليد تتماشا تناسبا عكسيا مع كثرة القوانين، كما أن قوة الغريزة تتناسب تناسبا عكسيا مع كثرة الأفكار وبعض القواعد أن تتواجد من أجل تعايش الناس مع بعضهم وقد نجد اختلاف في هذه القواعد في الجماعة الواحدة، ولكن لابدا أن تكون في ثناياها واحدة في الجماعة الواحدة، وقد تكون هذه القواعد موضوعات أجمع علىها الناس أو تقاليد أو قوانين أو أخلاق، فهذه الموضوعات وجد الناس فيها مصلحتهم وأنها نافعة لحياتهم[4]وهذه التقاليد والأخلاق قابلتها الأجيال المتعاقبة،والأخلاق هي التقاليد التي ترى الجماعة أنها لاغنى عنها من أجل السعادة الجميع،وفهمت أن الانتخاب الطبيعي هو الذي يبقي على الصالح ويزيح الفاسد من خلال ما يواجه الناس من تجارب، في الحياة من هنا وهناك والأخلاق والقوانين في المجتمعات البدائية لم تكن مكتوبة، رغم ذلك كانت تنظم كل جانب من جوانب الحياة الإنسانية وتضفي على النظام الاجتماعي ثباتا واطرادا ومع مرور الزمن جعلت هذه الأخلاق والتقاليد ينخلع علىها بريق سحره شيئا فشيئا. تكرارها صارت عند الفرد الطبيعة الثانية مايسمى الطبعة المطبوعة، أن تعتدى حدودها شعر با لخوف والاضطراب والقلق والخوف أو العار ذلك هو أصل الضمير أو الحس الأخلاقي[5] الذي يميز بين الإنسان والحيوان، وهذا الضمير مع تطوره يصبح وعيا اجتماعيا وهو شعور الفرد بالانتماء إلى جماعة بعينها، وهو مدين لها بالولاء والاحترام إذن المدنية تستحيل أن تكون بغير أخلاق، [6]

---

[1] الآية رقم 36من سورة مريم
[2] الآية رقم 09سورة التكوير
[3] الشاعر:حافظ إبراهيم قصيدة العلم والخلاق من ديوان الشاعر عدد القصائد موجودة فيه 67قصيدة دار الفكر بيروت ط 2 سنة 2005

[4] ينظر كانط كتاب قضايا فلسفية الأخلاق العقلية عند كانط دار الباحث دار البيضاء المغرب سنة 1988ص123
[5]ينظر إميل دوركايم التربية و الأخلاق دار الطباعة والنشر الوافر للكتاب بيروت سنة 1989 ص 120
[6] محمد حسين هيكل علي هامش صراع الحضارات دار الشروق مصر سنة 2009ط 1 ص 62

1. الزواج

أول مهمة تفعلها التقاليد التي هي أساس التشريع الخلقي للمجتمع من المجتمعات هي أن تنظم العلاقة بين الجنسين الصورة الأساسية لهذا التنظيم الجنسي هي الزواج الذي يمكن أن نسميه اتحاد العشرين للمحافظة والعناية بالنسل، وهو أركانون يختلف من مكان إلى مكان ومن زمان إلي زمان، ومن الاهتمام الذي كان يعطيه البدائيون، بالنسل دون ما يكون للعشرين اتحاد في المعيشة إلي ماناراه في عصرنا الحديث اتحاد العشرين في المعيشة بغير نسل يعنيان به.[1] كان الزواج من طرف أجدادنا يقلدون فيه الحيوانات [2] فشاهدوا الطيور فيما يلاحظ تعيش معيشة الأزواج يقول تعالي { **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** }[3]**38** وكذلك لاحظوا حيوان الغوريلا والأورانجوتان يدوم اتصال الوالدين حتى نهاية فصل الإنسال، ولاتصالها هذا يشبه كثيرا الإنسان. وكل محاولة أن تتصل الأنثى بعشير آخر تعاقبها العشيرة عقابا صارما[4]، إذن الملاحظة التي توسل إليها العلماء أن الحيوانات،أعمق في الزواج من بني الإنسان والإنسان راح يقلد الحيوانات في بعض السلوك منها التناسل،والمجتمعات لا تخلوا من الزواج والتي تخلو نجدها نادرة وكن الباحثين وجدوا منها عددا يكفي ليصور به مرحلة انتقالية،من الفوضى الجنسية التي تميز الحيوان الأدنى إلي مرحلة صنوف الزواج التي أخد بها الإنسان البدائي[5] ففي قبيلة فوتوناوهواي –Futunaمعظم الناس لم يتزوجوا إطلاقا[6] وأهل لبو Lubu تعاشروا في إباحية و بدون اختيار و تحديد الزوجة وبعض القبائل كانت تعاشر دونما يكون في رؤوسهم فكرة الزواج، ولقد وصف بعض العلماء الباحثين أقزام إفريقيا بأنهم لا يهتمون بالزواج ولا يشرعون أنظمة الزواج بل يعيشون فوضى ويشبعون غرائزهم الحيوانية إشباعا وفي روسيا القديمة البدائية، (كان الرجال يستعملون النساء، بغير تميز بحيث لا يكون للمرأة زوج معلوم.)

وفي شعور كثير من البدائيين، ومن الشعوب الفطرية بأن وحدانية الزوجة– التي يعرفونها، تعد استعبادا واحتكار رجل للمرأة الواحدة.[7] ولا يمثل وينافي الطبيعة التي هي عكس ذلك ويجافي الأخلاق ويلاحظ في الأعياد، التي نحتفل بها على فترات نتحلل فيها من قيود الجنسية مؤقتا ولا يزال هذا العمل والشعور قابعا بصورة ضعيفة في بعض أعيادنا. يقول تعالي {**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ *الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ* هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ... يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخيط الأبيض مِنَ الخيط الأسود مِنَ الفجر**}[8] الآية 187 من سورة البقرة وفي بعض التقاليد عند بعض القبائل المرأة تسلم نفسها إلى أي رجل يطلبها قبل سماح لها بالزواج،كم نجد هذا في بابل في معبد مايلتا Mylitta وعند الفراعنة المرأة سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة لبدا لها أن تتزوج الآلهة أو ممثل الآلهة في معد أمون، وكذلك نجد إعارة

---

[1] قصة الحضارة ص 66
[2] نفس المصدر ص66
[3] سورة الأنعام الآية رقم 38
[4] قصة الحضارة ص 66
[5] تحرير أملى مونتاعيو تر/ د/ محمد عصفور البدائية عالم المعرفة سنة1978ص 102
[6] قصة الحضارة الجزء الأول ص 67
[7] قصة الحضارة ص68
[8] سورة البقرة الآية 187

الزوجة وهي كثيرا من عادة الكرم التي يتحلى بها البدائيون وهده الصورة كانت موجودة عند كذلك وأوائل العهد الإقطاعي في أوروبا وخاصة في الليلة الأولي بفض الشريف أو رئيس القبيلة التي يمثل الشخص الشريف بفض بكارة العروس للمباركة وأخذ السلالة الشريفة والعمل على المحافظة علىها، وهذا معروف عند الملوك والسلاطين مايسمى، بحريم السلطان ثم حلت بالتدريج محل هذه العلاقات، التي لم تحدد ألوان من اتحاد الرجل والمرأة كانت بمثابة التجريب[1] ونجد عند قبيلة (أور انج ساكاى – Orang Sakai) في ملقا المرأة تعاشر كل رجل من رجال القبيلة حينا، حتى إذا أتمت الدورة بدأت من جديد.وفي بعض القبائل مثل التبت من طبقات الدنيا وفي جنوب إفريقيا (بوتوكودو-Botocudos) (ويا كوت Yakuts)، كان الزواج تجريبيا خالصا، حيث كل من الزوجين له الحق في فض العلاقة إذا شاء وبغير ماهنالك من سبب ومطالبة بتبرير السبب، وهناك في بعض القبائل مثل بوشمن يكفي أقل الخلاف لانحلال الزوجية.

ويقول العالم الذي هو متخصص في عالم الشعوب القديمة (لترنو Letourneau)*:((لقد جرب كل صورة من صور الزواج، مما يتفق مع طول بقاء المجتمعات الهمجية والمتوحشة...)). لكن السؤال المطروح: هو ما الذي حدا بالناس أن ينتقلوا من زواج في الحالة البدائية إلى الزواج الفردي؟، لأنه من غير شك فيه أن الشهوة الجنسية أو الجسدية كانت هي الدافع لتنظيم الزواج لأن نجد رغم الشيوعية الجنسية في المجتمع الفطري البدائي إلى أنهم كانوا قليلا ذلك إن وجدت شيئا على الإطلاق من القيود المفروضة على العلاقات الجنسية قبل الزواج، لأن الزواج بكل مايسببه من مضايقات نفسه مافيه، من قيود من المحال أن ينافس الزواج الشيوعي من المشاعية إذن فلابد أن يكون الدافع إلى الزواج عوامل اقتصادية قوية الأثر، لأننا مهما تقسينا الأمور لا نصل إلى الشيء حيث لا نعرف من بدايات الأشياء إلى قليل، و ان هذه العوامل التي دفعت إلي تنظيم الزواج كانت ومازالت مرتبطة، بنشأة الحكم ونظام الملكية[2] جاء الزواج الفردي نتيجة لرغبة الرجل في أن يسترق لنفسه رقيقا، بأرخص الأثمان ورغبة في توريث لملكه لأبناء غيره من الرجال وظهر صورة تبيح للعشير أن يتعدد عشراؤه، فاتخذت صورة تعدد الأزواج للزوجة الواحدة، وجاء كذلك تعدد زوجات للرجل الواحد، يضع بعد ذلك النساء أمام اختيار بين حالتين، إما تعدد وإما عزوبة عقيمة وهذه العزوبة لا ينظر إليها بعين الرضى شعوب تريد نسبة عالية من الولادة يقابلها نسبة كبيرة من الوفاة،لعدة أسباب الحروب الأمراض الفتاكة مثل الطاعون....الخ.

فالزواج عند الرجل البدائي كان ينظر إليه ليس على أساس التنظيم الجنسي، بل على تعاون اقتصادي ولذلك كانت المرأة تريد من نفسها أن تكون نافعة نشيطة أكثر منها رشيقة، جميلة ومحبوبة ولوأنه يقدر هذه الصفات فيها إذ لا بد أن يكون له فائدة اقتصادية لا إفلاس فيه و إلا مافكر الهمجي قي الزواج أصلا لأنه كان يعمل على إشباع غرائزه الجنسية بالمعاشرة مع نساء قبيلة وبطريقة سهلة من أن يكون مقيد الحرية في إشباع، إذن الزواج عنده شركة

---

[1] قصة الحضارة ص 68

*عالم إيطالي متخصص في الشعوب البدائية (الهمج- والمتوحشة) له كتاب الحياة الاجتماعية عند الجماعة الهمج

[2] ينظر قصة الحضارة ص70

ينتج عنها ربحا تجعل الرجل والمرأة يتعاونان في العمل فحيثما وجدت، في تاريخ المدنية مرحلة لاتكون المرأة جزءاً منها فاعلم أن الزواج قد انهار بناؤه و منه تنهار المدنية.[1]

2. أخـــلاق الجنس:

كثيراً ما كان الجنس وراء انهيار أمم وشعوب ولكن ماهو دور الأخلاق في الجنس إذ أن أهم مهمة تقوم بها الأخلاق هي دائما تنظيم العلاقات الجنسية، عدم التنظيم يؤدي إلى انحلال ذلك المجتمع،ويكون فيه اختلاط الأنساب والأمراض المبيدة والوراثية مما يتسبب في زيادة في نسبة الوفيات لذلك جاء الإسلام ينظم الحياة الجنسية للمحافظة على الجنس البشري لأنه هو أساس عملية بناء الحضاري.يقول الله تعالي*{ **حُرِّمَتْ عليكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عليكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا** }[2] قلنا إذن الأخلاق تنظم العلاقات الجنسية، لأن الغريزة الجنسية تخلق مشكلات قبل الزواج وبعد الزواج وإبان الزواج وهي تعرض النظام الاجتماعي إلى الانهيار في أي لحظة لي لإلحاحها وازدرائها للقانون وخروجها عن جادة الطبيعة،[3] فالإنسان يختلف عن الحيوان كما يقول:

(بوما رشيه- Beaumarchais)؛ في أنه يأكل بغير جوع، ويشرب بغير ظمأ، ويتصل بالجنس الآخر في كل الفصول السنة [4] ولقد نجد بين الشعوب البدائية ما يشبه الحيوان أو مايضادها، في الاتصال بالنساء في أيام الحيض، وإذا استثنيت هذا القيد العام وجدت الاتصال الجنسي قبل الزواج طليقا إلى حد كبير في الجماعات البدائية الأولى،وفي هذه الظروف لا يمكن أن نتحدث عن عهرا،كثيرا في المجتمع البدائي لأن هذه الظاهرة هي مهنة من أقدم المهن حديثة نسبيا لأنها لم تنشأ إلا مع المدنية مع ظهور الملكية،واندثار الحياة الجنسية قبل الزواج نعم يخبرنا التاريخ أنه تم فتيات بعهن أنفسهن حينا ليجمعن مهورهن أو الحصول على مبلغ لتقديمه إلى المعبد،وهذا لم يحدث إلى إذا حدث توافق مع التشريع الموجود في الإقليم التي يتواجد فهن الفتيات. على اعتبار أنه تضحية من أجل الأبوين أو إطعام الآلهة الجائعة،وأما العفة فهي، الآخرى مرحلة جاءت متأخرة فسير التقدم الحضاري لان ماكانت تخشاه العذراء البدائية ليس فقدان لبكارتها بل أن يشاع عنها أنها عقيم [5]فحمل المرأة قبل الزواج ليس لها عائق بل يعينها على الزواج لأنها امرأة تعد خصبة للإنجاب ومساعدة العشيرة على تواصل وعدم الانقراض الجنس البشري لأن المجتمعات البدائية كانت تنظر

---

[1] ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود/ ول واريل ديورات نفس المصدر قصة الحضارة ص 78

111*سورة النساء الآية رقم 23 رواية ورش عن نافع تاريخ 2007/4/22 الموافق 1434هـ سورية - دمشق

112سقموند فوريد الحياة النفسية عند البشر تأليف جورج الطربيشي دار النشر والطباعة الطليعة بيروت الطبعة الرابعة سنة 1986ص 120

113 ترجمة الدكتور زكي نجيب/ ول واريل نفس المصدر قصة الحضارة ص 79

[4] نفس المصدر ص 80

[5] تحرير أملى مونتاعيو تر/ د/ محمد عصفور البدائية عالم المعرفة سنة1978ص 133

إلى بكارة الفتاة على أنها شيء غير جميل وتنظر له نظرة ازدراء معناه عدم الإقبال الرجال علىها فما الذي غير نظرة ازدراء للبكارة لي تعدو فضيلة، بعد أن كانت خطيئة؟فأصبحت اهتمام كل التشريعات العالمية وحتى الدينية، لاشك أنها الملكية حين أصبحت نظام قائم بين الناس هي التي أدت إلي هذا التحول فالعفة والطهارة أحس بها البنات امتداد للشعور بالملك الذي شعر به الرجل تجاه زوجته بعد أن تحولت الأسرة من أسرة أموسيه إلى أسرة أبوسية،يرأسها الأب أو الزوج وازدادت قيمة البكارة عند الفتاة لأن العروس في ظل نظام الزواج صارت تشترى بثمن أغلى إذا كانت بكرا.

إذ البكر يبشر ماضيها بالأمانة الزوجية التي أصبحت ذات قيمة،كبرى في أعين الرجال والمجتمع الذين أصبحوا تؤرقهم الأموال لمن تورث حتى لا يورثوها إلى أبناء السفاح[1] وعكس ذلك بالنسبة للرجال لم يقيدوا أنفسهم بالعفة عبر كل التاريخ الذي مرا وخاصة في المجتمع البدائي، حتى أنه لا تجد في أي اللغات الرجل البكر وبهذا صارت البنات الوحيدات يعانين الخوف على بكارتهن، فبعض القبائل تعاقب الفتات التي بفض بكارتها والتي حادت بالموت قبيلة (توارج)ونتج نوع من الغزل البنات حيت أصبح الرجل يغرم بالبنات ويحافظ علىهن بالزواج،لما تطورت الملكية صار الزنا من الكبائر بعد أن كان يدرج من الصغائر التي لا حاجة فيه إن فعل أو ترك.

لذلك رتبت الشعوب البدائية التي سمعنا عنها لا تعلق على الزنا أهمية كبرى،لذلك نجد دور الملكية لا يقتصر على دعوة النساء بالوفاء والعفة، بل ولدت عند الرجل شعور ورح المسؤولية إزاء زوجته أنها ملكه لا يحق التلاعب بجسدها وإعطائه للغير إذ يعد خيانة للملكية الرجل[2]حتى وإن يعيرها إلى ضيفه فهو في هذه الحالة تعد ملكه ينصرف فيها كيف يشاء يملكها جسد وروحا حتى أنها أجبرت عند وفاة زوجها أن تدخل معه إلي القبر مع لوازمه و أغراضه،وعد الزنا في الأسرة الأبوسية يعدل السرقة التي كانت من أشنع الجرائم لأنه اعتداء على الامتلاك وكان الوفاء الزوجي عند الرجل في الشعوب البدائية أيسر بحيث لا يضعوا له عراقيل إذا ما أراد تسريح زوجته.[3] ويقول:(سكولكرافت-Schoolcraft)((أن نسبة كبيرة من الرجال الكهول،أو الشيوخ قد اتصلوا بزوجات كثيرة حتى أنم لا يعرفوا بل يجهلون أبنائهم المنتشرين في أرجاء إقليمهم... وإنهم يسخرون من الأوربيين لاكتفاء الرجل أنهم بزوجة واحدة مدى حياته.))[4]، ويمكن الحديث بصفة عامة على أن الرجال من خلال تتبع وقراءة للعصور،التاريخ كلها أحبوا كثرة الأطفال لذا جعلوا الأمومة شيء مقدسة وكانوا يحتفلون إذا ما ولدت لهم المرأة الذكر أحسن من المولودة البنت، لأنه يساعدهم في أيام وقسوتها إلى عند بعض القبائل نجد أنهم لا يكترفون بالمواليد بل كان في أعين بعضهم وأد الأطفال لا يشبه، بشاعة ولا يستتبع تأنيبا للضمير لأن الولدين فيما يظهر لا يحسون بالحب الغريزي تجاه المولود، عن الولادة مباشرة.

---

[1] قصة الحضارة ص 81

[2] ينظر عبد العزيز الدوري:أوراق في التاريخ والحضارة الجزء الثاني دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى سنة2007-1428ه ص269

[3] ينظر قصة الحضارة ص85

[4] عن قصة الحضارة ومنه Hbhouse 29 Spencer solelogyi69Kropotin90i

أما إذا ما سمح له العيش أياما فقد نجح من القتل، لأنه سرعان ما تظهر وتثور عاطفة الأبوة و الأمومة لما يلاحظوه من بساطة وضعف والطفولة في الجماعة البدائية تتعرض لكثير من الأخطار والأمراض مما يكنون عرضة للوفاة

والشباب في تلك الجماعة قصير الأمد[1] لأن الزواج يبدأ في سن مبكر ويبدأ معه المخاطر الزوجية مع الأمراض وتبعات الزوجية إذن الفردية كالحرية ترف جاءت به الحضارة والمدنية إذ لم يظهر إلى في فجر التاريخ بيتحرر الإنسانية من ربقة الجوع والنسل والقتال من أجل سد القيم الروحية، للفراغ والثقافة والفن.

3. الأخـــلاق الاجتـــماعيـــة:

الفضيلة والرذيلة: من مهمة الآباء أن يلقنوا أبنائهم الأخلاق إذن هم المدرسة الأولى في الحياة مؤسسة اجتماعية، تعطي الأبناء الدروس في المجلات الحياة وخاصة الأخلاق ويقول الرسول صل الله عليه وسلم:(العرق دساس)[2] في حديث طويل.

وفي علم النفس يجمع العلماء على أن طفل أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان ويكتسب إنسنياته شيئا فشيئا، عندما يكتسب الثرات الخلقي والفكري الذي خلفه الأجداد،[3] والطفل من جانب البيولوجي،لا يصلح للمدنية لأن ميوله وغرائزه الأساسية القديمة لا تحتوي إلا على ميول للميرات التي تتلاءم مع حياة الغاب، أكثر من موافقتها للمدنية كل رذيلة تتواجد معها فضيلة حتمية في صراع البقاء تشاكل وتدافع بين رذيلة وفضيلة،جعل الحياة تستمر وجعلت الإنسان يخطو خطوة مهمة نحو الحضارة،ولا نسمى الرذيلة بهذا اللأسم إلا لأنها تكأت على الظروف التي زالت وكانت حتمية وجودها إذن هي ليست سلوك راق بل تمثل ارتداد الإنسان، إلى سلوكه القديم المتأصل فيه الذي شغل في مكانه سلوك جديد[4] فمن الأهداف التي يصبوا إليها التشريع الأخلاقي، أن يوافق بين طبيعة البشرية (نزوات ورغبات.)التي هي متأصلة وكامنة داخل البشر مع حاجات الحياة الاجتماعية وعناصرها المتغيرة،

الـــجـــــــشـــــــع: ظل الجشع وحب التملك والسيطرة والقسوة والعنف أمورا نافعة للإنسان مدى أجيال بلغت ذروة قصوى تغدر معه كل ما نكسب من قوانين وتربية وأخلاق ودين أن تمحوها محوا تاما. وقلق من ظروف المستقبل هو منشأ ومصدرالجشع، لدى الإنسان وحتى الحيوان[5]، فالرجل كما يروى من قبائل ياقوت يتناول أربعين رطلا من اللحم في يوم واحد وليلة وكذلك قبيلة الإسكيمو وسكان الأصليين في أستراليا[6]، إذن القلق مرتبط بالبدائية واطمئنان مرتبط بالمدنية، واطمئنان الاقتصادي أول خطوة نحو المدنية ورغم ذلك الاطمئنان بقي الجشع متأصلا في الإنسان ليظهر فيه الوجه الآخر للإنسان وهي البدائية، لأن الإنسان البدائي كما مرى بنا أنه عندما يصطاد يدعو، أفراد القبيلة لتقاسم الطعام فيما بينهم وللأكل من عطايا يده إذن نفهم من ذلك أنه من غير المعقول أن

---

[1] ينظر قصة الحضارة ص89

[2] محمود مهدي الإستانبولي الزواج الإسلامي السعيد المكتبة الإسلامية عمان الأردن 1410ه جزء الأسرة والعرق ص361

[3] د / سعيد الأفندي بن أحمدا لغامدي الفكر الأخلاقي في الحضارة خوارزم العلمية للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية ط 1433-2012ه ص99

[4] تر وتعليق د: قاسم عبده قاسم التاريخ الوسيط الجزء الأول ط 5 ناشر عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية جامعة الزقازيق مصر سنة 1997ص 147

[5] ينظر قصة الحضارة ص 91

[6] قصة الحضارة ومنه ibid.-i-290 Spencer Sociologie 40

يزيله، لأنه طبعي في الإنسان ونلحظ أن الجشع للشراب ليس كالجشع الطعام، لأن معظم الجماعات الإنسانية عسكرة عند منابع المياه والأنهار والوديان.

ونجد بعض القبائل جمعت بين جشع الطعام والشراب مثل العرب، ظلوا في ترحال بحثا عن الكلأ و المياه بل وخاضوا حروب من أجل المياه والمراعي الأغنام.[1]

الـــــــخـــــــيـــــــانـــــــة: لم تكن عريقة القدم كالجشع: بحيث الجوع أسبق إلى الوجود من الملكية ولعل الهمج البدائيين في أبسط صورهم أكثر الناس أمانة كلمة عندهم مقدسة صادقة كما أكتشفها عندهم كولبن kOLBEN عن قبيلة الهوتنتوت وهم لا يصطنعون شيئا من وسائل الخيانة والفساد[2]، لكن هذه الأمانة ساذجة اندثرت بتقدم الذي حصل قي وسائل المواصلات التي ربطت أصقاع الأرض بعضها ببعض، لأن أوروبا عملت على نشر وتعليم هذا الفن الدقيق لقبيلة الهوتنتوت إذن الخيانة كمفهوم ظهرت مع المدنية، لأنها تتطلب دهاء سياسة والمحافظة على الملكية يتطلب المكر والخداع، وتزداد الأشياء التي تغري الإنسان السرقة وتمرير للأشياء عن طريق تربيتنا من خلال المجتمع، على المهارة في ذلك إذن تقدم الملكية جاء على إثرها الكذب والسرقة[3]

الـــــــقـــــــتـــــــل:

أما جرائم الاعتداء والقتل فهي قديمة قدم الوجود الإنسان وقدم الجشع تقاتل الناس على الطعام والأرض، والمرأة ورويت الأرض بدماء البشر، و لم يسلم جيل من هذا وجاءت المدنية وكثر القتل.

رغم النور الذي اتسمت به كان القتل بطريقة أخرى، لأن البدائي ذراعه على استعداد الضرب دائما فرجل البدائي كان دائما، على أهبة القتال وكانوا من في قبيلة واحدة في ما بينهم سالمين ولكن متوحشين مع غيرهم من القبائل، إذا اعتدوا على مناطقهم وعلى الحمى وصيدهم وهم كانت لهم طريقةفي القتل مايعرف بالقصاص أو العدالة وكانت لهم قصوى وهي من لوازم الحرب بحيث لايرون في فض النزاع إلا أن مات أحد المتنازعين، وحتى العرب ورثوا هذا السلوك وتحكي قصص كثيرة،عن الحرب عند العرب سببها كثير من النزاع في ديات القتلى والحيد عن القصاص الحق، حتى جاء القرآن يقر هذه الحقيقة في قوله تعالي{**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** }[4] { **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ**}[5].

وكثر القتل في المجتمعات البدائية، لي لأتفه الأسباب وكثير من القبائل لايرتاع أبناؤهم إذا اغتال إنسان إنسانا وفي بعض القبائل ترفض المرأة زواج من رجل لم يقتل أحد في قتال، تدل على همجية السلوك لأنها ترى فيه لا يستطيع العيش وحميتها من المخاطر، لأنه في نظرها لا يملك الشجاعة، في مواجهة المخاطر والصعاب، لأن القتل يظهر مدى

---

[1] احمد أزهر تعليق(تأليف الحافظ شيخ الإسلام البخاري) –التاريخ الكبير- جزء الأول دار القارئ للكتاب ونشر سنة 2001 ص231

[2] ينظر قصة الحضارة ص 91

[3] Westermerck.Moral ideasKi 883p112نقلا عن كتاب قصة الحضارة

[4] سورة البقرة الآية رقم 179

[5] سورة المائدة الاية رقم 45

استعداد الرجل وقوة وصلابته ومن هنا نشأت عادة اصطياد الرؤوس التي لا تزال باقية في الفلبين حتى اليوم لأن الرجل الذي من هذا الصيد بأكبر عدد من الرؤوس[1] أن يختار من يشاء من بنات القرية وترضى به النساء

لأنهن يدركن أنهن قد يصبحن بلقاء مثل هذا الزوج، أمهات لرجال شجعان أقوياء[2]، وبعض القبائل مثل الإسكيمو قد يتجرؤون قتل الآباء إذا ما صبح هؤلاء من الشيخوخة، بحيث ليقوون على شيء بسبب نظرة الطعام، فترخص عندهم الحياة وحياة الرجل البدائي رخيصة، على نفسه لأنه يقتل نفسه في اندفاع.

ثم جاءت المدنية وحملت على نفسها أن تحول الجشع إلى اقتصاد والاعتداء إلى حجاج والاغتيال إلى محاكمة والانتحار إلى فلسفة، وماكان أخطر من تقدم الإنسان حتى رضي القوى أن يأكل الضعيف بواسطة القانون،[3]لأن الجماعة تفني وتنتظر إذا سمحت لأبنائها بالقتل والحروب وأن يقفوا جماعة، إزاء غيرها من الجماعات فالتعاون الداخلي هو أول قانون للتنافس الخارجي وتنازع البقاء لاينته بتعاون الأفراد بعضهم مع بعض،ولقد كان البدائي عنيفا شجعا وفي نفس الوقت رحيما كريما، مستعدا لاقتسام مامنعه من زاد حتى مع الغرباء وتقديم الهدايا للضيوف[4]، فكل قارئ للتاريخ يعي كرم البدائي حتى وصل به الأمر، ابنته وزوجته إلى ضيفه وهذا السلوك عندهم غاية في الكرم ورفض المضيف هذه التحية لأنه يضر بالشعور صاحب البيت، وشعور المرأة كذلك، لأن رجل البدائي على حسب الباحثين كان يغار على زوجته غيرة الملكية وليس غيرة الجنسية.

المجاملة:من قواعد المعاملة لدى شعوب القديمة والشعوب الساذجة تشبه ماهي عليه لذى الأمم الراقية فكل جماعة لها طرائقها في توديع الضيوف واستقبالهم فإذا القى شخصان التحية كان بالأنوف أو التبسم أحدهما للأخر[5] ويضرب كل واحد منهما ضربا خفيفا ورقيقا، ورغم سلوك القتل والاغتيال التي عرفت بها هذه القبائل، إلا أنه بعض القبائل، الغليظة كانت أحسن أدبا من متوسط الإنسان الحديث.

فصياد الرؤوس البشرية من قبائل(وياك) يقال عنهم: أنهم وديعون مسالمون في حياتهم المترلية وبعض قبائل أمريكا، الوسطي يعتبرون حديث الرجل الأبيض بصوت عال، الغليظ من علامات سوء التربية في الثقافة البدائية.[6]

المملة- المعتقدات: كان كل الجامعات البشرية متفقة في عقيدتها بأن كل قبيلة أحط منها، فالهنود الأمريكيون يزعمون أنهم شعب الله المختار خلقه الروح الأعظم وأنه مثل يرتفع إليه البشر.[7] وهناك قبيلة من قبائل الهند تسمي نفسها (الناس لا ناس سواهم). وأخرى تطلق على نفسها (الناس بين الناس)، وقال الكاربيون Carbisنحن وحدنا الناس، والاسكيمو زعموا أن الأوربيين أنما رحلوا إلى جرينلنده لينقلوا عنهم

---

[1] عبد السلام الترمانيني الرق ماضيه وحاضره دار عالم المعرفة الكويت سنة 1979 ص 179
[2] قصة الحضارة ص 93
[3] تأليف : جون كولور ترجمة كامل يوسف حسين مراجعة د:إمام عبد الفتاح إمام الفكر الشرقي القديم عالم المعرفة الكويت سنة 1995ص42
*- تكون هذه الفكرة نصف موضوع المسرحية التي ألفها سنج Synge وعنوانها في الغرب
[4] ينظر البدائية ص 123
[5] قصة الحضارة ص 95
[6] ينظر كتاب البدائية ص 165 وينظر قصة الحضارة ص 96
[7] Ttotem et tabo par SIGUMEND FERUD PETITE BIBLIOTHEQUE PAYOT PARIS 1965p 231

سبل العيش الصحيحة والفضائل[1] إن الرجل البدائي لم يكن في باله وتفكيره أن يعامل القبائل الآخرى،متقيدا بنفس القيود الخلقية التي كانت موجودة في نفس قبيلته فهو يرى صراحة أن وظيفة الأخلاق هي تقوية جماعته وربط أزرها تجاه سائر الجماعات فالأوامر الخلقية والمحرمات لا تجري الأعلى أهل قبيلة، أما الآخرون فمباح لهم أن يمارسوا تقاليدهم وطقوسهم إلى حد المستطاع، إذن ليس التقدم الدينى والخلقي في الزمن متمثلا في تطوير وتحسين التشريع بمقدار مدى تطبيقه، فأخلاق الإنسان الحديث ليست أجمل وأرفع من الإنسان البدائي،ولو أن التشريع الخلقي بينهما اختلاف شكل و مضمون وحتى الآراء والتطبيق إلا أن الأخلاق الحديثة، في الأيام العادية تشمل عددا أكبر من الناس من ذي قبل، ومع ذلك فحدود تطبيق التشريع الخلقي قد أخد ينحصر منذ العصور الوسطى[2] نتيجة قيام القوميات، لأن الجماعات البدائية لم تتكتل في وحدات في وحدات أكبر تسمى دولا[3] فاضت قواعد الأخلاق خارج حدود قبيلة ثم لما ارتبطت الدول،بوسائل النقل والمواصلات أو بالخطر والمصير المشترك تسربت الأخلاق من قطر إلى قطر من خلال الحدود وصارت أخلاق تطبق على الأوربيين ثم الجنس الأبيض واخيرا لتشمل البشرية جمعاء[4]وتسللت الأخلاق مع وجود أنشطة الإنسان اقتصادية، وتجارية واجتماعية إلى داخل الأنشطة لأنهم رأوه يستحيل قيامها بغير، شيء من القيود والقانون والثقة.

ذلك أن الجامعات الإنسانية قد ارتضت أن تقيم تشريعاتها، الخلقية على أساس من المنفعة الاقتصادية والسياسية الصريحة حيث نجد أن الفرد ثم إخضاع ميوله نحو مصالحه الشخصية لمصالح المجتمع، [5] العبادات لكي تجعل المجتمعات حارس غير منظور وترسخ الدوافع الذاتية من أمال قوية، ومخاوف قوية فإنها استخدمت الدينانة وإن لم تخترعها[6]، ويدعم هذا الرأي العالم الجغرافي القديم (سترابو)، عندما تجتمع على أقل تقدير مع جماعة أو تصرفاتك مع أي مجموعة، من الناس اجتمعت كما أتفق لا تستطيع بالفلسفة أن تؤثر فيهم ولا بالعقل تؤثر وتقنعهم بالوقار والإيمان، كلا بل لابدا لهم من الورع الدينى أيضا[7]،وهذا لا يتم أي الخوف في نفوسهم بغير الأساطير والأعاجيب، فالصواعق والصولجانات والمشاعل ورماح الآلهة كل هذه من الأساطير وكذلك من اللاهوت القديم من أوله إلى آخره ولكن أصحاب مؤسسي الدول،حرصوا على هذه الأشياء باعتبارها دعم لفكرتهم يفزعون بها السذج ثم تطورت واحتلت هذه الأساطير والمتولوجيا[8] مكان في اطار الحياة الاجتماعية والمدنية،إلى جانب مكانتها في تاريخ الوقائع الملموسة واعتمدوا القدماء تنظمهم في تربية أطفالهم وطبقوها حتى سن النضوج وتأكدوا أنهم يستطعون بوساطة الشعر أن يهذبوا حياة الناشئ،أما اليوم ومع مر هذا الزمن الطويل أصبح التاريخ والفلسفة في طليعة مايربى به النشء رغم تباين بين الفلسفة والشعر الفلسفة القليل والشعر للعامة.[9]

---

[1] أساطير العالم القديم د/ كارم محمود عزيز مكتبة النافذة الطبعة الأولي سنة 2007ص 112
[2] د/ محمود سعيد عمران حضارة أوروبا في العصور الوسطى دار المعارف الجامعية سنة 1998 ص239
[3] هيكل نشأة الدولة ص 120
[4] قصة الحضارة ص96
140 نفس المصدر ص 96

[6] نفس المصدر ص 97
[7] قصة الحضارة ص 97
[8] د/ كرم محمود عزيز أساطير العالم القديم مكتبة النافذة الطبعة الأولي سنة 2007 ص109
[9] د/ علي الخطيب اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي دار المعارف 1404ه القاهرة ص 67

إذن فسرعان ما تسبغ العقيدة الدينية على الأخلاق لونا من التقديس، لأن ماهو فوق الطبيعة يضفي أهمية من غير الممكن أن تكتسبها من تلقاء نفسها، المسلمات التي ندركها بالتجربة الحسية ونعقلها بردها إلى أصولها فالمجرد أيسر وسيلة من العالم في حكم الناس وسؤال المطروح هل هذه الخصلة الخلقية هي أصل العقيدة الدينية وأساسها؟

الديـــــــــــــــــــــن: الجانب الإلحادي عند البدائيين القدامى:

إذ علمنا أن الدين هو عبادة القوي فوق الطبيعة، مما يجعلنا منذ البداية أن نلاحظ أن بعض الشعوب. فيما يبدو ليس لهم عقيدة على الإطلاق وبعض قبائل الأقزام في إفريقيا لم يعرف عنهم أنهم أصحاب عقيدة أو دين، ولم يكن لهم طوطم،[1] ولا أصنام ولا آلهة يدفنون موتاهم بغير احتفال، ولايكترفوا لهم إذا فرغوا من ذلك وهذا ماسجله بعض الرحالة.[2]أما بعض القبائل مثل أقزام الكاميرون لم يعترفوا بالآلهة إلا بآلهة الشر وإرضاء الآلهة عبث لا يجدي، وهناك بعض القبائل مثل قبيلة (كيدا) في سيلان كان تظن وجود الآلهة وخلود الروح، لكنهم لم يجاوزوا ذلك الحد، بحيث يؤدون الصلاة أو يقدمون القرابين وسأل أحدهم عن الله فأجاب في حيرةفيلسوف حديث، (أيكون على الصخرة أم على تلال النمل الأبيض أم على شجرة ؟ إني لم أر قط إلاها[3]).إذن كل قبيلة من قبائل البدائية كان لها تصور عن الآلهة، أو الإله ولم يكترفوا لعالم الميتفزيقا إذ كانوا يعتقدون في لهجة كونفوشيه، إن أبائنا وأجدادنا تعنيهم هذه الأرض وحدها لا يرجون شيئا سوى أن ينبت لهم السهل كلأ ويجدون المياه لتشرب أنعامهم وجيادهم، وأهم لا يشغلوا أنفسهم بما يجري في السماء. وسئل رجل من قبيلة الزولو، إذا رأيت الشمس تشرق وتغيب والشجر ينمو، فهل تعرف مصدرها وخالقها ومن حاكمها؟. أجاب ببساطة بقوله كلا فنحن نراها ولا نفقه أنى جاءت ومن تلقاء نفسها جاءت،[4] ويعتقد أن الدين ظاهرة تعم البشر جميعا.

مـــــــــــــــصادر الديـــــــــــــــــــن:الفزع أو الخوف- الدهشة- الأحلام – النفس- الروحانية أو القوى الخفية

الخوف كما يرى بعض ومنهم لوكريش أول أمهات الآلهة وخاصة الموت، لأن الحياة البدائية كانت محاطة، بمئات الأخطار وقليل ما جاءت الموت عن طريق، الشيخوخة[5]، حيث كانت الأمراض والأخطار والاعتداء العنيف، يفتك بالبعض قبل الهرم وهنا لم يستوعب الإنسان البدائي أن الموت شيء طبيعي وفسره بقوة خفية وخارقة للطبيعة ففي أساطير سكان بريطانيا الجديدة جاءت الموت نتيجة خطاء أخطأته الآلهة.[6] فقد قال إله الخير (كامبينانا) إلى أخيه

---

[1] سيغموند فوريد الطوطم والحرام تر: جورج طرا بشي مكتبة صغيرة بايون باريس سنة الطبع 1965ص 22

[2] عباس محمود العقاد إبليس بحث في تاريخ الخير والشر وتميز الإنسان بينهما من مطلع التاريخ إلى اليوم دار النهضة القاهرة ص83

[3] قصة الحضارة ص98

[4] نفس المصدر ص 99

[5] ينظر قصة الحضارة ص 99

[6] نفس المصدر ص 99

الأحمق (بورقوقا)، اهبط إلى الناس وقل لهم يسلخوا جلودهم حتى يتخلصوا، من الموت ثم أنبأ الثعابين أن موتها منذ اليوم أمر محتوم فخلط (كورقوقا)، بين شطري الرسالة بلغ سر الخلود للثعابين وقضاء الموت للإنسان[1] وهكذا فسر كثير من قبائل أن الموت مرجعية إلى تقليص الجلد، وأن الإنسان يخلد لو استطاع أن يبدل جلده بجلد آخر[2] وتظافرت عدة عوامل في إنتاج العقيدة الدينية فمنها الخوف من الموت، وكذلك الدهشة لما يسبب الحوادث التي تأتي مصادفة أو الأحداث التي ليس في مقدور الإنسان فهمها،ومنها الأمل في معونة الآلهة والشكر على مايصيب الإنسان من حظ سعيد، وأهم ماكان يصيبهم بالدهشة استوقف أنظارهم بنظرة العجيب هما الجنس والأحلام والأثر الغريب التي تحدثه أجرام السماء في الأرض والإنسان،[3] لقد اندهش الإنسان البدائي. لهذه الأعاجيب التي يراها في نومه وكذلك الأشخاص،الذين فارقوا الحياة لأن دفن موتاه بيديه ليحول دون عودتهم،ودفن معهم الطعام وسائر الحجات حتى لايعود الميت من جديد وتقع علىهم لعنة الميت. وكل هذه الأحداث التي تصادف الإنسان البدائي في حياته، أقنعته بأن كل كائن حي له نفس وحياة دفينة في جوفه، يمكن أن تنفصل عن الجسد إبان المرض والنوم والموت.[4]

ويرى بعض الفلاسفة في كتبهم القديمة (الهند) لا يوقظن أحد نائما إيقاظا مفاجئا عنيفا، يعد من أصعب الأمور علاجا لأن الروح تضل فلا تعرف طريقها إلى الجسد.[5] والروح لا تقتصر على الإنسان، لأن كل كائن وشيء روحا، والعالم الخارجي ليس ماتا ولا خلوا من الإحساس بل هو كائن حي رافق الحياة، هذا فهم الفلاسفة القدامى الهنود[6] ولكن العالم يوجد فيه أحداث التي يستحيل تعلىلها مثل حركة الشمس، البرق آوتها مس الشجر لأن الناس نظر إليها مشخصة قبل أن يتصورها جوامد أو مجردة لأن الدينانة سبقت الفلسفة.

الروحانية في نظر إلى الأشياء هي ما في الدين من شعر وما في الشعر من دين، وقد نلاحظها في أبسط صورها وفي عين الشخص دهشتين إذ يرقب بهما ورقة حملتها الرياح أمامه لأنه ظن إزاءها أن لها روحا تحركها من داخلها،وهذا الشعور نجده في أعلى درجاته عند الشاعر في كل العصور، لأن الأشياء كلها مقدسة لأنها العلامات الخارجية المرئية للنفوس الباطنية الخفية[7]وكذلك الحال مع اليونان الأقدمى، إذ جعلوا السماء عن الاله (أورانوس) والقمر هو الإله (سلين) والأرض هي الإلهة (جى) والبحر الإله (بوزدين)، وأما الإله (بان)ففي كل أرجاء الغابات[8] وعند الأقدمين في رأي الجرمان، أن الغابات مواطن الجن والشياطين والسحرة والمردة وعرائس الجن ونجد هذه الكائنات الجنية مبثوثة في الموسيقى فانجر وفي مسرحيات (إبسن) الشعرية في بعض المجتمعات، وفلاحيها مثل ايرلندة لا يزال يؤمن بوجود الجنيات ولايعترف بشاعر أو كاتب مسرحي على أنه رجال النهضة الأدبية هناك إلا إذا أدخل

---

[1] قصة الحضارة ومنه Briffault ii508ص 100
[2] قصة الحضارة ومنه Ibid. p657 ص 101
[3] ينظرقزويني خواص القمر ص 122
[4] قصة الحضارة ص100
[5] د/ محمود كارم عزيز أساطير العالم القديم مكتبة النافدة مصر الطبعة الأولي سنة 2007 م ص 92
[6] نفس المصدر ص 99
[7] أرسطو فن الشعر تر/ د: خديجة زتيلي الجزء الثالث سنة 2016أكاديمية وكابنة جزائرية ص115
[8] تأليف نيهاردت تر/ هاشم حمادي الآلهة والأبطال في اليونان دار النشر الأهلي للطباعة والنشر الطبعة الأولي ص 100

الجنيات في أدبه وهذا سر جمال الفكر والأدب أنه ينظر إليه نظرة روحانية، لأن يتعامل مع الأشياء معاملته للأحياء والنفس الحساسة.

وكذلك العرب نجد عندهم هذا حيث لكل شاعر جن أو جنية تساعده في قول الشعر وما قصة واد عبقر إلى مثال على ذلك [1]

مصـــــــــادر الديـــــــــن في الحـضـــــارة الـــــــبـــــــدائـــــية:

الشمس لما كان لكل شيء روح أو اله خفي، إذن هي لا تقع نقصد المعبودات الدينية تحث الحصر ونجدها في ستة أقسام.

ماهو سماوي وأرضي وماهو جنسي وحيواني وماهو بشري وماهو إلهي وكان أول معبود هو القمر*[2] وكما اليوم أننا نتحدث في أعانينا عن الرجل الذي يسكن القمر نجد الأساطير الأولى القمر رجلا شجاعا أغوى النساء وسبب لهن الحيض مرة كلما ظهر إذ يعد الاها محبوبا من النساء حتى الشعراء يصف النساء وجمالهن بالقمر وعبدناه، لأنه حامهن بين الآلهة والقمر الشاحب مقياس للزمن فهو يهيمن على الجو ويتسبب في المطر والثلوج.

ولسنا ندرى ماهو تراجع القمر وأخذت محله الشمس وصارت دولة السماء في الدىانة البدائية ويرى البعض ثم هذا التحول، عندما انتقل الإنسان من مرحلة الصيد إلى الزراعة، فكان للشمس أثر محدود الفصول، البذر والحصاد، ومع إدراك الإنسان علة الشمس (حررها) فيما تقدمه الأرض من خيرات، عندئذ انقلبت الأرض في أعين البدائيين اله تخصبها الأشعة الحارة.

وأقبل الناس في عبادة الشمس، لأنها بمثابة الوالد الذي نفخ الحياة، في كل شيء[3]، ومن هذا الفهم الساذج صارت عبادة الشمس من العقائد الوثنية عند الأقدمين ولم يكن كثير من الآلهة فيما بعد سوى تشخيص للشمس وتجسيدها ونجد أن اليونان قضوا أنا كسجوراس بالنفي خارج الحدود، لأنه قال: بأن الشمس ليست إلاها، بل هي كرة من النار تقرب في حجمها من بليونيز وكان الناس يصورونها حول رؤوس القديسين[4] وحتى إمبراطور اليابان في أيامنا هذه معدود عند معظم شعبه بأنه يجسد إله الشمس[5]، إذن نستطيع أن نجزم أن كل خرافة من خرافات العصر القديم إلاها لون من الحياة القائمة، بيننا اليوم[6] وكل نجم شأنه شأن الشمس والقمر تحتوي إلاها أو بذاته اله تحركه روح كامنة في جوفه وهذه الأرواح في ظل المسيحية أصبحت ملائكة تهدي سواء السبيل[7]والسماء نفسها كانت عند البدائيين إلاها عظيما تقام لها العبادة في خشوع، لأنها مصدر الغيث وتحبسه إذن لفظ الله عندهم نعني السماء وكذلك عند (اللوجازي) و (الدنكا) لفظة الله معناها المطر.

---

[1] د/ شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي دار المعارف بمصر الطبعة السادسة بدون سنة الطبع ص 176

[2] * وهذه الحقيقة أقرها القرآن علي لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه وعبادتهم النجوم والكواكب في قصته مع القوم ودخول معهم في جدال من أجل أن يبين لهم زيف اعتقادهم وعبادتهم للقمر والشمس.....الخ.(فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ولما أفل قال لا أحب الآفلين). سورة إبراهيم.

[3] فرانسوا ديماس آلهة مصر تر/ زكي سوس دار النيل للنشر مصر الجزء الأول بدون سنة الطبع ص 132

[4] قصة الحضارة ص 103

[5] تر/ محمد عقيمة كوجيكي الكتاب الياباني المقدس دار النشر النيل مصر سنة الطبع 2001ص 23

[6] قصة الحضارة ص 103

[7] نيهاردت / تر هاشم حمادي الآلهة والأبطال في اليونان دار الأهلي لطباعة والنشر ط الأولي مصر سنة 1994ص200

وكانت السماء عند المغوليين هي الإله الأعظم وكذلك الحال عند الصينيين وفي الهند الفيدية أيضا معنى كلمة الله هو السماء الوالدة[1] -38-

وعند اليونان كذلك هو ديوس أو السماء مزعمة السحاب وأهورا عند الفرس أي السماء الزرقاء[2] ولا تزال في أيامنا هذه نضرع إلى السماء أن تقينا الشرور، وجل الأساطير الأولى تدور حول محور واحد، هو الخصب الذي نتج عن تزاوج الأرض والسماء، لأن الأرض هي الآخرى كانت إلاها وكل مظهر من مظاهرها كان يقوم على أمره إله وكان اعتقاد الهنود عند هزيمتهم ضد البيض، أن البيض قد قطعوا الأشجار وأقدموا في الأرض لأن الأشجار هي أرواح كانت تحمي الحمر من الأذى. إذن الأصول التاريخية تدل على أن البدائي كان يقدس الأشجار وينابيع، الماء والأنهار والجبال[3]، فكثير من الجبال كانت أماكن مقدسة وخاصة الجبال التي فيها البراكين (الزلازل) هو إله الأرض يتقلب في نومه[4] وبعض القبائل عندما يقع الزلزال أخذوا، يقرضون الأرض بأسنانهم ويبتهلون إلى إله (مافوى) Mafuieأن يسكن خشية أن تتمزق الأرض، والأرض في شيء نواحي المعمورة هي الأم الكبرى فاللغة الإنجليزية كثيرا، ماتكون بمثابة الرواسب التي تجمعت العقائد، البدائية أو اللاشعورية تقريبا إلى حد اليوم بصلة القربى بين المادة والأمومة مادة معناها Matteوالأم معناها Mother[5]ومع ظهور الخيرات وجفاف الزرع ثم ولادته ماهي إلا رمز للأم الذي يخرج من داخلها البشر الأطفال، إذن الإنسان البدائي ربط بين الزراعة والمرأة فلما أصبحت الزراعة هي سائدة كانت ألهة النبات هي سيدة الإلهات جميعا، ثم حل محلهن الآلهة الذكور حين ظهرت الأسرة الأبوسية[6] فوق الأرض وظهرت التجارة والصناعة والمبادلة، إذن الرجل البدائي كان يفسر الآلهة بنوع النشاط وطبيعة العمل الاقتصادي.

حتى العرب يحكى عنهم بل نجدهم يقولون: أن الهتهم عبادة وتجارة رحلة الشتاء والصيف،وكانوا يحجون إلى مكة من أجل التجارة والعبادة، إلى أن جاء الإسلام وغير هذا السلوك ويرى العقل البدائي فيما يقول من شعر سرا إلهيا في نمو الشجرة، كذلك يرى يدا إلهية في حمل الجنين[7] أو ولادته، لأن الرجل البدائي لا يعرف عن خلق الجنين والبويضة والحيوان المنوي، لكنه يرى الأعضاء البارزة أمام عينيه التي تشترك معا في هذه العملية فهي، كذلك تكمن في جوفها الأرواح ولابد من عبادتها ويرى أنها قوى الخلاقة العجيبة في سرها، ففيها تظهر معجزة الخصوبة والنمو أشمل مما تظهر في تربة الأرض، إن الآلهة تجسد قوتها فيها،إذن شعوب البدائية توشك عبارة الجنس على صورة أو شعيرة من شعائر لم يلاحظ في أدناها ونجد هذا عند اليونان والرومان ومصر وبابل والهند ولأشور كان الناس يجلون الوظيفة الجنسية والجانب الجنسي من ألهتهم البدائية إجلالا عظيما[8] لأنهم يربطون ذلك بخصوبة الأرض لذلك

---

[1] قصة الحضارة ص 104
[2] وليد فكري قصص خلق الكون في حضارات الشرق القديمة دار المعرفة للنشر وطباعة جزء 1 ص 65
[3] قصة الحضارة ص104
[4] نيهاردت / تر هاشم حمادي الآلهة والأبطال في اليونان دار الأهلي لطباعة والنشر ط الأولي مصر سنة 1994ص 201
[5] قصة الحضارة ص 105
[6] د/ سنهوري تاريخ النظم تشريع عند حمو ربي دار الحرية مصر ط 3سنة 1985 ص 63
[7] قصة الحضارة ص 105
[8] قصة الحضارة ص 106

نجدهم عبدوا بعض الحيوانات أمثال العجل والثعبان، لأن لهم قدرة على الإنسال ورمز الثعبان جنسي في قصة عدن يمثل العلاقة الجنسية باعتبارها أساس الشر كله وأن اليقظة الجنسية هي بداية الخير والشر وأنها تعد مضرب الأمثال وسذاجة العقل ونعيم الفردوس[1] ولم تكاد تخلو منطقة من مصر إلى الهندوس من حيوان يعبد وقبيلة (أوجبوا- Ojibwa) أطلقوا اسم طوطم على حيوانهم الخاص الذي يعبدونه ثم تطور ذلك وجاء علماء الأجناس البشرية، فأخذوا هذه الكلمة وجعلوا اسمها على مذهب الطوطمية الذي يدل على أي شيء معين يعبد وقد يكون حيوانا أو نباتا وتعددت الأنواع من الطوطم في أصقاع الأرض وعد الطوطم شعارا دينيا[2] وقام بتوحيد القبيلة الذين ظنوا أنهم مرتبطون معا، برباطه وبعض القبائل أمثال(إراكوا) تعتقد على أنهم سلالة التزاوج بين النساء والدببة على حسب رأي داروين[3] و الذئاب والغزلان وأصبح الطوطم شعارا ورمزا يفيد على مابين البدائيين من قربى وتفرق بعضهم من بعض[4] ثم أصبح يتطور حتى صار من التمائم و الشعارات العلمانية، كالأسد أو النسر والإبل والثعبان..... الخ.

والجمعيات والفرق والأحزاب السياسية حتى اليوم أسطورة الدولة الرومانية تربيتها للطفلين يرضعون من ثديها، ومع تطور عبادة الحيوان أصبح للحيوان رمزية العقيدة المسيحية (ريتشارد قلب الأسد)، إن نشوئها بقايا القديم في تمجيد الطوطم[5] حتى أن الخنزير كان طوطم لليهود السابقين وفي كل الحالات، كان طوطم محرما لا يجوز لمسه وفي نفس الوقت يجوز أكله في بعض الظروف، على أن يكون من قبيل الشعائر الدينية إذ يعد فعل تعبدي.[6]

ولاحظ أحد المبشرين بالإنجيل لقبيلة (غالا) أن وجدوا بين هؤلاء السذج شعيرة شديدة الشبيه بالقداس عند المسحيين، إذن تطور عبادة الحيوان والخوف أساس الطوطمية، كما أنه أساس كثير من العبادات،[7] ولما ظهر صيد الغابة من وحشها مهد الطريق للطمأنينة التي تتوفر في الحياة الزراعية قلت عبادة الحيوان، نقول قلت لم تزول زوالا تاما إلا أنه أخذت الآلهة البشرية، الأولى طبيعتها من الآلهة الحيوانية لأنها أخذت مكانها في التقديس ورغم ذلك فإن معظم الآلهة البشرية كانوا في البداية رجالا، من الموتى ضخموا بفعل الخيال ظهور الموتى في المنام، كان وحده كائنا للتمكين من عبادتهم، لأن العبادة لم تكن وليدة الخوف فهي على الأقل زميلته[8] وخاصة الأقوياء، في الحياة بقية رهبتهم حتى اليوم ترى كلمة Spiritفي الإنجليزية وكلمة Oeistفي الألمانية، معناها إما روح وإما شبح، حتى أن العقيدة بلغت بها استمرار حياة الموتى وهذه العقيدة تولدت في بدايتها مع الأحلام[9]، ثم تدرجت عبادة الأشباح، حتى أصبحت عبادة للأسلاف، فقد بات الناس يخافون موتاهم جميعا ويعملون،على استرضائهم خشية أن يصبوا لعناتهم على الأحياء، فيتسببوا في شقائهم نستخلص أن عبادة للأسلاف أرضية ملائمة لتدعيم المجتمع، من حيث سلطانه

---

[1] حسين مؤنس حضارة الشرق الأدنى عالم المعرفة الكويت سنة 1990 ص 112
[2] فوريد سيغموند الطوطم والتابو/ تر: بوعلي ياسين دار الحوار للنشر والتوزيع الطبعة الأولي سوريا 1983ص7
[3] ينظر قصة الحضارة ص 106
[4] فوريد سيغموند الطوطم والتابو/ تر: بوعلي ياسين دار الحوار للنشر والتوزيع الطبعة الأولي سوريا 1983 ص 10
[5] سيغموند فوريد الطوطم والحرام تر/ جورج طرابيشي دار مكتبة باريس الصغيرة بيون باريس 1965 ص 52
[6] فوريد سيغموند الطوطم والتابو/ تر: بوعلي ياسين دار الحوار للنشر والتوزيع الطبعة الأولي سوريا 1983 ص 122
[7] نفس المصدر ص 123 -
[8] قصة الحضارة ص 108
[9] كاترين كليمان سلسلة ضفاف تحليل النفسي تعريب د- محمد سبيلا – د- حسن أحجيج مطبعة النجاح الجديدة دار البيضاء الطبعة 2004 الناشر جريدة الزمن ص 31

ودوامه[1] من أجل صيانة القديم والاحتفاظ بالنظام، وازدهرت عبادة الأسلاف للأشباح والموتى في مصر واليونان وروما[2] ومازالت مهيمنة على النفوس بقوة في اليابان والصين، حتى الآن[3] وباقيا عبادة الأسلاف لاتزال قائمة بيننا متمثلة في عنايتنا بالقبور والأولياء وزيارتهم وفي قداسنا وصلاتنا من أجل الميت.

إذن الخوف من لعنات الموتى تحول هذا الخوف إلى حب، لأن في البداية أثارت شعائر الرهبة ثم صارت إلى ورع وتقوى، إذن الاتجاه في الآلهة أن يبدءوا في صورة الغيلان المفترسة، ثم ينتهون في صورة الآباء المحبون للأبناء وهذا التحول صار تجاه الصنم المعبود إلى رمز أعلى منشود، أن فكرة إله البشري لم تظهر في مراحل التطور الطويلة إلا أخيرا وقد تمثلت في صورة جلية بعد اجتياز مراحل كثيرة،[4] وقد تمثلت في جلية بعد اجتيازها لمراحل كثيرة، أبرزها من تصور الإنسان، لجو خضم وبروز عدد كبير من الأرواح والأشباح، تحيط بكل شيء[5]وهذا جعل الناس تنتقل من خوف وتمجيد الأرواح الغامضة وعبادتها إلى تمجيد وعبادة القوى السماوية، والنباتية والجنسية، ثم ورعه من الحيوان وعبادة الأسلاف[6]، لأن الناس قد هبوا من الآلهة بأجسامهم لا بأرواحهم فقط، لذلك نشاهد اللاهوت البدائي حدا فاصلا متميزا من حيث النوع بين الآلهة والناس، عند اليونان كان الأسلاف آلهة والآلهة أسلافا وتعد تميز بين الأسلاف الخليط رجال ونساء خطوة من التطور، وكان لهم امتياز خاص دون سائر الأسلاف فاستبغوا علىهم لونا أوضح من الربوبية ولذلك أصبحوا أعلام الملوك آلهة حتى قيل موتهم أحيانا[7].

وســـــــــــائـــــــــــل الديـــــــــــن:

لما ظن الإنسان البدائي عالما من الأرواح لا يفهم طبيعتها وأصلها وغاياتها فقد عمل على استرضائهم وجعلها من صفة لمعونته، ومن هنا أصل وإضافة إلى الروحانية التي هي جوهر الدىانة البدائية، إذن السحر هو بمثابة الروح ومن قداس وشعائر العبادة البدائية.

راح اليولينيز خصما حقيقيا مليئا بقوة السحر، وأطلقوا علىه اسم مانا والساحر في تصورهم يقطر لهم قطرات ضئيلة من هذا المورد الذي لا ينتهي[8] والذي يأخذ منه قدرته على السحر ويسمى بالسحر التمثيلي، وهي الطريق الوحيد الذي،كسب الإنسان به معونته الأرواح أولا والآلهة ثانيا.

وهو إن يؤدى الإنسان أفعالا تشبه ماتقوم بها الآلهة مثلا، إذا أراد الناس هطول المطر صب الساحر ماء على الأرض، ومن الأحسن أن يصبه من أعلى الشجرة.

وبعض القبائل في شعوب البدائية (الكفير) حين يهددها الجفاف تذهب إلى كاهن ويطلبون منه أن يذهب إلى الحقول ويفتح مظلته كي تمطر وفي أحدى قبائل سومطرة تصنع المرأة بالعجين طفلا وتضعه على حجرها راجية أن ترزق بعد ذلك بالجنين[9] وفي أرخبيل بابار تصنع المرأة إذاما أرادت لنفسها الأمومة عروسا من قطن أحمر وتقوم بدور

---

[1] قصة الحضارة ص 109
[2] نيهاردت تر/ هاشم حمادي الآلهة والأبطال في اليونان الاهلى للطباعة والنشر والتوزيع ط 1994 ص 132
[3] الأب صبري المقدسي الموجز في المذاهب والأديان الجزء الأول المطبعة ميديا الطبعة 2007 ص 231
[4] ينظر قصة الحضارة ص110
[5] قصة الحضارة ص 110
[6] نفس المصدر ص 110
[7] هاشم حمدي- كتاب واد الآلهة- الأهلي للطباعة والنشر والتوزيع مصر سنة 2001ص 356
[8] قصة الحضارة ص 110
[9] نفس المصدر ص 111

المرأة الأم من إرضاع ويقوم إلى جانب دور الأم،إلى صبغة سحرية معروفة ومعلومة ثم ترسل في القرية بأنها حامل وتأتيها التهنئة وكذلك بعض، القبائل نجد الساحر إذا أراد أن يخفف عن المرأة الأم الوضع هو نفسه يمثل بحركات الوضع معتقدا أنه يعطي للجنين قوة من أجل الظهور أو يقوم بدحرجة الحجر على بطن المرأة ويسقطه في الأرض لعل الجنين يقلد الحجر فيخرج.

وكانت طريقة الإيحاء، بالتمثيل تستخدم بطريقة خاصة لإخصاب الأرض (التربة)، فكان أصحاب الأمر والعلم في زولو إذا مات الرجل يأخذون أعضائه التناسلية ثم يطحنوها وتسحق رمادا ويذرونها في الحقول، وبعض الشعوب تختار للربيع ملكا أو ملكة من بين رجالها ونسائها وتزوجهما في حقل علني، لعل التربة تصغي إلي الحقل وتعمل على إسراع في إزهار النبات، وحتى الزوجين يتصلوا مع نسائهم في حقول الأرز من أجل ضمان وفرة المحصول، لأن البدائيين لم يفهموا نموا النبات بلغة النتروجين، بل افقهوه بالطبع دون أن يعلموا أن للنبات ذكورا وإناثا على نفس الأسس الذي يعللون به إثمار المرأة،وتقام الأعياد يختلط الجنسان اختلاطا بغير ضابط، وتقام في أغلب الأحيان في مواسم البذر والغاية من الأعياد إخصاب زوجات من بهم عقم وإلى جانب ذلك إخصاب الحقول بالمنتوج وكي تقبل مابذروه من بذور[1] ويقول(د HRowiey) / ه رولي (إن أعياد الحصاد شبيهة في خصائصها بأعياد باخوس عند اليونان فإن أي إنسان يستحيل أن يشاهدها دون أن يصاب بالخجل، فهم لايكتفون في الانغماس في الإباحية بل يغرون كل زائر وقف ليشاهد حفلهم بالانغماس معهم في إباحيتهم).[2]

إذن نلحظ أن المدنية أو الحضارة الحالية حافظت على بعض الأعياد تحت مسميات أخرى فاحتفالات باخي عند اليونان وأمثالها، في روما[3] أبان العصور الوسطى وفي انجلترا وسائر الاحتفالات التهريجية التي نشاهدها في عصرنا وموسم واحتفال بالطماطم، في إسبانيا كل هذه من قبيل الأعياد الإباحية القديمة،[4] وهذه شعائر الزراعية نجدها، بأقل صورة في بعض البلاد هنا وهناك، كما هو الحال عند البونيين(Pawnees) وعند الهنود جوايا كيل فرجل يضحى به في وقت البذر حتى تخصب الأرض بدمائه وتطور الأمر وأصبح أقل حدة وعوض الإنسان بالحيوان، ومن هذا الفعل نشأت الأسطورة التي تروي في، ألف صورة مختلفة كيف يموت الله في سبيل شعبه، ثم يعود إلى الحياة بعدئد ظافرا وقام الشعر على زخرفة السحر، حتى حوله نوع من اللاهوت وراحت الأساطير تحكي عن الشمس بشعائر الزراعة اختلاطا فيه تناسق وانسجام وراحت الأسطورة، تحكي موت الإله ثم عودة ولادته ومدلوله موت الشتاء وعودة الحياة إلى الأرض في الربيع وظاهرة التضحية بالإنسان في أنواع صنوفها أخد بها الإنسان في كل الأزمنة والشعوب ورغم، ذلك نجدها تختلف من يوم إلى يوم [5]، وجد في جزيرة كارولينا في خليج المكسيك تمثالا كبيرا معدنيا أبوف لإله مكسيكي قديم كان فيه رفات كائنات بشرية يظن، أنها ماتت بالحرق قربان[6]، وتروي بعض كتب التاريخ أن ملخ

---

[1] قصة الحضارة ص112
[2] نفس المصدر ص 112
[3] نيهاردت تر/ هاشم حمادي الآلهة والأبطال في اليونان الاهلى للطباعة والنشر والتوزيع ط1994ص135
[4] نفس المصدر ص 136
[5] الأب صبري المقدسي- الموجز في المذاهب والأديان الجزء الأول الطبعة الأولى سنة 2007 المطبعة ميديا ص 356
[6] قصة الحضارة ص 114

إلاه الفينيقيين والقرطاجيون وغيره من الشعوب السامية، تقدم له القاربين من بني، الإنسان[1]، وقد عرف عصرنا هذا السلوك والعادة

في روديسيا ويعود منشأ هذه العادة أكل البدائيين للحوم البشر ظنا منهم أن الآلهة تستمرئ من الطعام مايستمرؤون والعقيدة الدينية أبطأ تحول من سائر العقائد، أحجم الإنسان من أكل اللحم الإنسان وبقي التقليد قائما بالنسبة للآلهة[2] ومس هذه الشعائر الدينية تغيير بسبب تطور الأخلاق واقتنعوا أي الآلهة بمحاكاة عبادهم من اصطناع الرقة، ورضوا بأكل لحم الحيوان بدل لحم الإنسان، فضحى بغزال بدل التضحية بافجينيا في أسياطير اليونان، كما ضحى بكبش بدل تضحية بابن إبراهيم عليه صلاة وسلام.

وراح الزمن في تطور ومعه الأخلاق،فحرمت الآلهة حتى هذا الحيوان لأن القائمين على المعابد (الكهنة) أشاروا أنفسهم بالطعام الشهي، أخذوا يأكلون كل ماطاب وألذ من الأكل ويقدمون الأمعاء والعظام إلى الآلهة قربان ومعبد أمون وعشتار خير دليل على ذلك ومع كثرة الطعام عكس ماكان عليه العهد الأول، صار فؤاده يمتلكه الرحمة وأبتعد عن أكل لحم الإنسان واستبدل بالتضحية الإلهية رموزا على هيئتها، ثم يأكلونه على أنه بديل عقائدي، لأكل الله نفسه، وهذه الاحتفالات العقائدية وجدناها كثيرا وبكثرة في القبائل البدائية وكانت، الطقوس دعوة الناس أن يصوموا أو يمسكوا عن الطعام، فترة قبل أكل التمثال المقدس ويعمد الكاهن بقول بعض العبارات السحرية ليحول بها الصنم التماثلي إلى إله حقيقي[3]والسحر بدأ بالخرافة وينتهي بالعلوم فعدة عقائد ظهرت، نتيجة للفكرة الروحانية القديمة ثم ظهرت عنها صلوات وطقوس عجيبة،وكانت بعض العقائد والاعتقاد عند بعض القبائل تثير الاستغراب فقبيلة(كوكي Kukës) كان أبناؤها تلهب لديهم الحماسة، في الحرب لقتل الأعداء لأنهم أي القتلى سيكونون عبيدا في الحياة الآخرى لهم وكان الرجل في قبيلة،(يانتو Bantu) إذا فتك بعدوه حلق رأسه وطلي رأسه بروث الماعز حتى يمنع روح الميت من العودة إليه، والفتك به؛ وكل القبائل الشعوب البدائية تجمع على فعل اللعنات، وشر العين الحاسدة[4] وبعض القبائل تؤم على أن اللعنة يتلفظ بها الساحر القوى تفضي على اللعين ولو كان على مسيرة مائة ميل وظلت العقيدة في السحر، في أوائل مراحل التاريخ الإنساني و لم تزل عن الإنسان قط، زوالا تاما وعبادة الأصنام وغيرها.

ومن بين الوسائل التي لها قوة هي التمائم نجد الشعوب، البدائية تثقل كاهلها بأحمال منها حتى ترفع عنهم كل الطارئ والأحجبة إن هي إلا صورة متأخرة، في الظهور وهي مثال من الأمثلة تعاصرنا، فنصف سكان أوروبا يرتدون الميداليات والتمائم ليأخذوا بواسطتها وقاية ومعونة من وراء الطبيعة.

إذن تاريخ الحضارة يعلمنا أن المدنية تخطو من خطوات قدما، كم تبلغ قشرة الحضارة من الرقة والوهن وكيف تقوم على شفا جرف هاري فوق قمة، بركان لا يخمد سعيره[5] تحمل مقابلة، أو بالأحرى تباين وفي نفس الوقت

---

[1] نيهاردت تر/ هاشم حمادي الآلهة والأبطال في اليونان الاهلى للطباعة والنشر والتوزيع ط1994ص155
[2] قصة الحضارة ص 114

[3] قصة الحضارة ص 115
[4] نفس المصدر ص 115
[5] ينظر نفس المصدر ص116

تشاكل بين بدائية موحشة وخرافة وجهل ومكبوت، وبين المدنية العصرية تحمل سوى غطاء وضع وضعا على قمة العصور الوسطى ولن تزال تلك العصور باقية ولا يسع أهل الفلسفة والفكر، إلا أن يقبل راضيا هذا العوز من الإنسان إلى معونة مما فوق الطبيعة، تبعت في نفسه الطمأنينة وتجد لنفسه العزاء في علمه، بأن الأدب المسرحي والعلوم نشأ عن السحر، كما نشأ الشعر عن مذهب الروحانية ويذهب(فريزرFrazer): على أن أمجاد العلم هو ضارب بجذوره إلى سخافات السحر، لأن إخفاق الساحر في سحره ماهو إلى اكتشاف لقانون من قوانين الطبيعة،وكان الساحر يخفي الظواهر الطبيعية ليبقى مسيطرا على الناس رغم ذلك أصبحت الوسائل الطبيعية تسود وتترجح كفتها سيئا فشيئا، والسحر هو سبب في إنشاء أو خرج منه علوم شتى أنشأ لنا الطب والصيدلة، وعالم المعادن والفلك...الخ[1].

وكان اعتقاد البدائي أن الساحر والذي هو الكاهن بماله قدرة على الذهول الروحي، وتلقي الوحي وتوجيه الدعاء تمثل صلة بإرادة الأرواح، والآلهة، بحيث يستطيع توجيه تلك الإرادة إلى ماتنفع الناس وهذا يعد ضرب من ضروب العلم والمهارة، ولما اعتقدوا إن الأشياء الخارقة للطبيعة لها أثر في حياة الإنسان عن كل مفترق الطرق تحول كل رجل الدين مساويا لقوة الدولة ، وأصبح رجل الدين(الكاهن) له نفس سلطة الجندي المقاتل ويقابل بكل احترام لدى الدولة في نفوس الناس.[2] أن الكاهن لم يبتكر الدين ابتكارا، بل أستعمله لأغراضه فقط كما يستعمل السياسي مالإنسان من دوافع فطرية وعادات إذن العقيدة لم تنشأ من تلفيقات أو حيل كهنوتية نقصد ألاعيب إنما ظهرت عن فطرة الإنسان بما فيها حيرته وتساؤله، الذي ما انفك لا يتقطع وخوف وقلق وأمل وشعور بالعزلة.

ومنه فإن الكاهن أضر بالناس عندما أبقى على الخرافة وتسلطه على ضروب معينة، من المعرفة ولكن في جهة أخرى جعل الخرافة في نطاق معين وحصرها في جانب معين، وكثيرا ماكان يجعل الناس على إهمالها وفي نفس الوقت لقن الناس بداية التعليم والتهذيب[3] وكان حلقة وصل للتراث الثقافي الإنساني المتزايد.

كما أصبح الفعل الحيوي الذي أعان الدين على تطعيم الفنون وبناء صرح الأخلاق الإنسانية المتوج بدعامة من القوة العليا والحقيقة أن الكاهن أوجده الناس بقوة لأنهم كانوا يخلقونه لأنفسهم خلقا.

مهـــــــــمةالديـــــــــن الخـــــــلقـــــــــية:

الدين دعامة أساسية للأخلاق بوسيلتين مهمتين هما الأساطير والمحرمات، لأن الأساطير تخلق العقيدة فيها وراء الطبيعة ودور العقيدة العمل على بقاء أنواع السلوك المقبول من طرف المجتمع فما يريده الإنسان في السماء من جزاء وثواب وما يخشاه لديها من عقاب يجعله يرضخ إلى القيود التي يصنعها سادته أو جماعته.[4] الإنسان ليس بطبعه مطيعا طاهرا، ومن خلال القهر الذي خضع له الفرد قديما فأنشأ في نفسه الضمير أخضع الإنسان لهذه الفضائل التي تتفق وضميره فنظام الملكية، والزواج تتحكم فيها العقوبات الدينية وتتدهور في الزمن الذي يسود فيها الشك الديني.

---

[1] قصة الحضارة ص 116
[2] نفس المصدر ص 116
[3] ينظر نفس المصدر ص117
[4] د/كارم محمود عبد عزيز أساطير العالم القديم مكتبة النافذة الطبعة الأولى سنة 2007 ص253

حتى أن الحكومة كتنظيم اجتماعي وسياسي أوجدها الإنسان كثيرا مااستعانت بالتقوى وبالكاهن ورجال الدين كما فعل فطناء الهراطقة، مثل نابليون- وموسوليني ومن ثم راح قيام الدولة الدينية كلما نشأت الدساتير [1]، وهذا مانجده عند رئيس البدائي، الذي كان يستمد قوته من السحر والعرافة، فإن حكومتنا يقص المؤرخ الولايات المتحدة نفسها تعتمد على بعض القوة من اعترافها السنوي (بالاه المهاجرين)[2]. فلما تطورت وتقدمت المجتمعات البدائية بعض الشيء وضعت الحرمات الدنية مكانة التي أصبحت في ظل المدنية مكانة القوانين والدين ليس أساس الأخلاق لكنه عون لها،لأننا لايمكن تصور الأخلاق بغير دين إنما وجد الدين كارها ويوفق بين نفسه والأخلاق الجديدة لأن المهمة الخلقية للدين هي أن يحافظ على القيم الموجودة ومن هنا كانت مراحل العلىا، في كل حضارة أن يحدث تقارب بين الدين والمجتمع فيعمل الدين بمدد من السحر من خلال حيرة الناس وارتباكهم ثم يصعد إلى قمة مجده بمدد من وحدة الأخلاق والعقيدة مثال ذلك : ضبط النسل الذي أحدثه الانقلاب الصناعي في المدن،ثم قبول الكنيسة لهذا الضبط في الخطوات[3] ، وينتهي هذا كله بصدام يفنى فيه فناء المنتحر دفاعا عن قضية الماضي الخاسرة ذلك لأنه كلما تطورت المعرفة، أوتحولت تحولا متصلا اصطدمت بالأساطير واللاهوت الذين يتغيران تغيرا بطيئا لا يحتمل وحينها يشعر الناس برقابة الدين ورجاله على الفنون والأدب كأنها أغلال ثقيله وحائل مقرف[4] ويدخل التاريخ الفكري في هذه المرحلة صراع بين العلم والدين والأنظمة التي تصير في أيدي رجال الدين مثل القانون والعقاب والتربية والأخلاق والزواج والطلاق تنفلت من سلطة الدين لتصبح من أجندة دنيوية، تطرح معها التشريع الخلقي ومنه تصبح الفلسفة والأدب مناهضة لرجال الدين وتنتشر حركة التحرير،وهذا ماجعل بعض يقول: أن الدين أفيون الشعوب.

الأســـــس العـــــقـــليـــــــــةفـــــــي الحـــــــــضـــــــــــارة:

الأدب: كانت الكلمة- اللغة – بداية الإنسان، لأنه بواسطتها أصبح إنسانا، فلولا هذه الأصوات التي نطلق عليها أسماء الكلية لبقي الفكر في اطار الجزئيات أو المهارات الجزئية التي يدركها الإنسان عن طريق الحس وخاصة النظر، ولولا هذه المعرفة الكلية يعني الأسماء الكلية لما أدرك الفكر الأنواع باعتبارها متميزة عن الأشياء الجزئية و إدرك الأشياء المتميزة عن الأشياء التي تتصف بها ولا المجردة عن صفاتها، إنه لولا الكلمات التي هي أسماء لأنواع لا ستطاع الإنسان أن يفكر في هذا الإنسان وهذا وذاك، إلا أنه ليستطيع أن يفكر في الإنسان بصفة عامة، لأن النظر أو العين لاترى الإنسان العام بل تلاحظ أفرادا من الإنسان، فحسب العين لاترى الأنواع بل الأشياء الجزئية[5]، والإنسانية ظهرت حين جلس مسخ نصفه إنسان ونصفه حيوان متربعا في كهف يشحذ رأسه ليخلف أول أسم، من الأسماء متشابهة كاسم مترل الذي يماثل المنازل كلها، وإنسان الذي يدل على أفراد الإنسان، والضوء و الماء...الخ. وماذهب

---

[1] عن قصة الحضارة ومنه Ibid. p 139ص 118

[2] صمويل نوح كريمر أساطير العالم القديم ترجمة د-أحمد عبد الحميد يوسف الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974 ص 231

[3] قصة الحضارة ص 119

[4] رندك كلارك الرمز والأسطورة في مصر القديمة ترجمة د-أحمد صليحة الهيئة العامة للكتاب القاهرة 1988 ص 123

[5] ينظر قصة الحضارة ص 123

إليه أنصار اللغة بين الإلهام والاصطلاح يقول الله تعالي:{ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا**}[1]، ومن ذلك الحين فتح أمام التطور العقلي للإنسان طريق جديد ليست له نهاية يقف عندها حيث أن الكلمات في الفكر بمثابة الآلات للعمل.

لما أصبح تصويرنا لأوائل الأشياء لايتعدى الحدس والتخمين أضحى يطلق العنان في تصور بداية الكلام،إذن تعد أول هيئة وصورة بدت فيها اللغة، ونستطيع القول: أن اللغة إتصال عن طريق الرموز[2] صيحة غريزة وحب بين الحيوان والحيوان وصيحة النذير والفزع ومناداة الأم لصغارها، وزقزقة والنقنقة التي يفصح بها الحيوان عن فرحة أو اتصال بعشيرة من الجنس الآخر،وإنك لا تجد في هذا كله المؤشرات الأولية والتمهيدية التي يجهد الحيوان نفسه في تخطيها لكي يصل الإنسان إلي الذروة العلىا ذروة الكلام، ويحكى أنه وجدت فتاة حوشيه تعيش مع الحيوان في غابة بالقرب من شالون فرنسا[3] لم يكن لها من كلام سوى صرخات ودمدمات أثقل على السمع وهذا يجعلنا نفهم أنا كل الأصوات المنبعة من الغابات لاتكون لها معنى لأسماعنا التي تحضرت، فنحن هنا نحاكي الكلب المتفلسف (ريكيه- Requet) الذي يتحدث عن السيد (برجريه- Bergeret)؛ إن كل مايصدر عن الصوت له معنى أما سيدي فيجري من فمه هراء[4]وعلماء السلوك الحيواني استطاعوا أن يميزوا أصوات الحيوانات هذا (ديبون- Dupont):ميز بين أثنى عشرة صوتا مختلفا بين الدجاج والحمام، وخمسة عشرة صوتا تقوم بها الكلاب واثنين وعشرين صوتا تستعملها الماشية ذوات القرون إلى جانب أصناف أخرى،من الحيوانات مثل القردة ومن هذه اللغات المتواضعة نشأت بعد تطور قصير المراحل الثلاثمائة كلمة التي تكفي بعض القبائل البشرية المتواضعة، إذن الإشارات كانت ذات أهمية أولى والتلفظ ذو منزلة ثانية في تبادل الفكر في العصور الأوىي، إذن كلما أخفق التحدث يعني الكلام في الأداء تظهر الإشارات من جديد إلى الطليعة. في بعض القبائل الهندية في أمريكا الشمالية التي تتكلم بلهجات مالا تقع تحت الحصر، يجيء العروسان من قبلتين مختلفتين يتبدلان الفكر ويتفاهمان بالإشارات أكثر من الكلام، ووجد (لويس مورجان-Lewis Morgan) عروسين ظل يستخدمان إشارات

صامتة أكثر من ثلاثة أعوام.[5]

كما يتعذر على بعض الشعوب الحديثة أن يتحدثوا في ظلام، ونجد أول ألفاظ الإنسانية الصراخ تعبيرا عن العواطف كما هو الحال عند الحيوان، ثم اخترع الإنسان ألفاظ الإشارات مصاحبة للإشارة بالجسم لتدل على الاتجاه، ثم قلد بعض الأصوات في أوانها المناسب لتفصح عن الأشياء والأفعال التي يمكن محاكاة أصواتها،مثل هذه المحاكاة اللفظية لاتزال ملجأ تلوذ به اللغات ما واجهها معنى جديد طارئ، فالإنجليزي الذي أكل أول وجبة له في الصين وأراد أن يفسر عن نوع اللحم الذي أكله سأل في وقار وتحفظ تعهدهما في الانجلوساكسون (كواك ، كوالا؟)، فهر له الصيني رأسه مجيبا في مرح: (بو ،، وو) [6]، ولتحسين لغة الشعوب الفطرية البدائية بالضرورة، لأن

---

[1] سورة البقرة الآية رقم 31 رواية ورش عن نافع
[2] كتاب قضايا فلسفية مطبوعات الجامعية باب الزوار العاصمة طبعة الأولى سنة ص1988 ص 231
[3] ينظر قصة الحضارة ص 123
[4] محمود سعيد عمران حضارة أوروبا في العصور الوسطي دار المعرفة الجامعية القاهرة سنة1998ص221
[5] قصة الحضارة ص 124
[6] نفس المصدر ص 124

كل كلمة بائية في هذا السياق يحمل معنى البساطة في التركيب، لأنه كثير منها بسيط في بنائه وألفاظه وبعض منه معقد في البناء، رغم ذلك نجد أن للغات البدائية كلها تحدد نفسها في حدود الحسي والجزئي وهي غير غنية في الأسماء الكلية المجردة، فبعض القبائل من سكان استراليا مثلا يسمون ذيل الكلب باسما غير اسم الذي يطلقونه على اسم ذيل البقرة...الخ.

ولا ريب أن أجيالا من الناس تعاقبت قبل أن يستطيع الإنسان أن ينتهي من اسم العلم إلى الاسم الكلي وبعض القبائل لا تجد عندها الألفاظ تدل على الألوان مجردة عن الأشياء الملونة كلا ولا تجد عندها الفاظا، تدل على مجردات مثل نغمة ،جنس نوع، مكان روح، غريزة، عقل، أمل، خوف، و شعور ...الخ لأن هذه الكلمات تتزايد فيما يتجلى مع تقدم الفكر، لأنها ذات علاقة بالفكر سببية ومسببيه، وهي بعد تكوينها تصبح أدوات نعيش على دقة التفكير، ورموزا تدل على الحضارة ولما كانت الألفاظ ذات أثر على الناس بهذه المزايا فقد حسبوها نغمة إلهية وشيئا مقدسا وراحت مادة تصاغ، منها صيغ السحر، وتصبح في نظر الناس مقدسة كلها زادت فراغا في المعني.[1]

وحتى في يومنا هذا تبقى مقدسة إذا استعملت في الأسرار الخفية، لأن الألفاظ لم تكن وسيلة التفكير الواضح فحسب بل كانت طريقا لإصلاح التنظيم الاجتماعي معا، لأنها أحكمت الاتصال بين الأجيال المتعاقبة ربطا عقليا وثيق العرى بأن هيأت لهم وسيلة أصلح للتربية من جهة ونقل المعارف والفنون من جهة أخرى، فبظهور ألفاظ و كلمات اللغة ظهرت أداة جديدة تربط الأفراد بعضهم ببغض،بحيث وجدت بين الذهب الواحد والعقيدة الواحدة أن تصب أفراد الشعب في قالب واحد متجانس ولنقل الآراء وتبادلها، وطورت الحياة ووسعت نطاقها ومضمونها، وأكبر النعم للألفاظ، اللغة بعد توسيعها للفكر هي التربية.

فالحضارة والمدنية ثروة زاخرة تجمعت على مر الأيام من الفنون والحكمة والألوان والسلوك والأخلاق، ومنها ينهل الفرد غذاءه لحياته العقلية ولولا توارث هذا التراث البشرى جيلا من بعد جيل لماتت هذه الحضارة، موتا مفاجئا فهي مرتبطة بالتربية.

بدأت التربية بدايات محتشمة من الشعوب البدائية لأنها عندهم كما هي عند الحيوان، فهي قبل كل شيء محاكاة ونقل لمهارات وتدريب الناشئ بصقل له شخصيته، في إطار علاقته المفيدة بين العلم والتعلم في تلقين طرائق، العيش والتكيف مع الواقع وهذا التعلم المباشر لطفل البدائي شجعه على الصلابة ونموه سريعا حيث نجده في بعض القبائل يكون الولد وهو في العاشرة تقريبا قد تعلم معظم فنون أبيه وأحيانا، يختار زوجته وهو في السن ونتيجة الخبرة والتعلىم مباشرة يكون الطفل في هذه السن يبني أكواخا لنفسه ويستقل بمفرده معتمدين على أنفسهم في كل شيء[2]،ولما كان نضجهم مبكرا كان خمودهم يأتي مبكرا، كذلك نضجه يكون في الثانية عشرة وخموده في الخامس والعشرين، هذا لا يعني أن الطفل البدائي لم يكن له عقل الطفل بل لم يكن له حاجات الطفل الحديث ولا فرصه، و لم يكن يستمتع كما نجد الطفل الحديث بالمراهقة طويلة وآمنة يسمح بنقل التراث الثقافي نقلا يكاد يكون كاملا،

---

[1] بيار ف زيما ترجمة أنطوان أبو زيد مراجعة أبو الناظر النص والمجتمع مكتبة مؤمن قريش توزيع مركز الدراسات العربية الطبعة الأولى بيروت 2013ص 51

[2] ينظر قصة الحضارة ص126

وتعلىمه يكون وفق الاستجابة للبيئة التي بعدت من الصورة الفطرية والتي عملت على تغير عوالمه.[1] لم تكن التربية البدائية تنفع بالكتابة إلا قليلا، رغم أن بعض القبائل تعلمت الكتابة بالمحاكاة، لمن جاءوا لاستغلالها من المتحضرين، في المقابل نجدهم تقويت ذاكرتهم بسبب انعدام المخطوطات. عندهم والتي تساعدهم على حفظ مايريدون الاحتفاظ به وكانت ثقافتهم تعمل على تلقين أبنائهم ماحفظوه مشافهة والمشافهة كانت منتشرة انتشارا واسعا ويعتمد علىها في نقل التاريخ والإرث الثقافي ويجوز الأدب قد بدأ حين تدوين هذا المحفوظ وتدوين الأغاني الشعبية ولاشك أن اختراع الكتابة قد صادف معارضة طويلة من قبل رجال الدىن على اعتبار أنها ستؤدي، هدم الأخلاق وتدهور الإنسان، فتروى أسطورة مصرية أنه لما كشف الإله تخوت للملك تخمانوس عن فن الكتابة أبى الملك الطيب أن يتلقى هذا الفن، لأنه يهدم المدنية هدما وقال على الناس اللذين كانوا حتى الساعة يجتهدون في جهدهم كله في حفظ مايتعلمون ووعيه: لن يجتهدوا كل هذا الجهد في ما دخلت الكتابة إلى حياتهم وتنقص ذاكرتهم إذا ماهي تعد نقطة القوة لدى الإنسان.[2]

وظهرت أول الكتابة فيما يذهب إليه(ويل وايريل) إلى مرحلة الصناعة وخاصة صناعة الخزف حيث أبدى الناس رغبة في صناعة الخزف في إتيان العلامة التجارية على مايصنعونه من أنية خزفية وتطور تجارة في زيادة العلامات التجارية المكتوبة والقبائل كان لها لغات مختلفة وكان لابد من وسيلة للتدوين وللتفاهم، يفهمها الطرفان فكانت الأرقام والرموز المكتوبة وكانت تأخذ خطوطا متوازنة تمثل الأصابع،وكانت الكتابة في بدايتها عند أهل الصين واليابان ضربا من الرسم، أي نوع من الفن، إلى جانب استعمال الإنسان البدائي الإشارات حين تخونه الكلمات.

نجده يستخدم الصور ليعبر عن أفكاره عين المكان وخلال الزمان فكل كلمة وكل حرف مانستعمله اليوم كان فيما سبق صورة كما هو الحال الآن في العلامة التجارية وفي تعبير عن أبراج السماء والصور الصينية البدائية التي سبقت الكتابة، كانت تسمي وكروان ومعناها حرفي كتابة التصويرية، وكان رؤساء القبائل والكهان يحتفظوا لأنفسهم بكل معرفة تتصل بالكتابة وكان الناس يتجمعون مرة في كل عام ليسمعوا المدونات وهي تقرأ علىهم إذن الكتابة كانت في بدايتها شيئا غامضا ومقدسا ووصايا حمو ربي الإثناعشر خير دليل على ذلك ولفظة هيرو غليف معناها نقش مقدس[3]، إذن الكتابة في وجه العموم علامة تدل على الحضارة، وهي من الأشياء التي تميز بين أهل المدنية وأبناء العصور البدائية، إذن الأدب في مراحله الأولى كلمات تقال أكثر منه حروفا تكتب، على رغم من أن الكلمة في الإنجليزية تنتمي، في أصلها اللغوي إلى مايدل على الكتابة، وهو ينشأ في ترانيم دينية وطلاسم سحرية يتغنى بها الكهنة عادة وتنتقل بالرواية من ذاكرة إلى ذاكرة والكلمة عند الرومان، تعني الشعر وهي (carmina) تدل على الشعر. والسحر في آن واحد، وفي مفهوم الألمانية(Lied) تعني أنغام الشعر وأوزانه[4] ثم انتقل الشاعر والخطيب والمؤرخ من الاتجاه الدىني اللاهوتي وصار يتميز شيئا فشيئا، ويتوجهون توجها دنيويا في فنونهم عن الآلهة والمؤرخ مسجلا لا عامل الملك والشاعر مغنيا لأناشيد كانت في الأصل مقدسة وهكذا أظهر خطباء ومؤرخون

---

[1] ينظر نفس المصدر ص127

[2] فرانسوا ديماس آلهة مصر تر/ زكي سوس دار النيل للنشر مصر الجزء الأول بدون سنة الطبع ص 122

[3] ينظر قصة الحضارة ص 131

[4] قصة الحضارة ص 132

رسميون وشعراء محترفون من قرية إلى قرية ينشدون الأشعار والشعراء المنشدون والطوافون في عصور الوسطي وكان ينشدون في كل الأعراض ونأخذ مثالا عن تلك الشعر: وهو من الآثار القديمة في جزيرة إيستر وهر عرضه رثاء أب لابنته قتلت في الحرب

إن ركوب ابنتي لمتون البحار
لم تفسده علىها قط قبائل الأعداء
إن ركوب ابنتي لمتون البحار
لم تفسده علىها التآمر من أهل هونيتي
فما فتئت ظافرة في كل حروبها
هل أغروها بشرب الماء المسموم
من الزجاجة الحجرية السوداء؟ هذا مستحيل
هل يمكن لأحزاني أن يقل سعيرها
بينما يفصلني عن ابنتي خضم البحار؟
أواه ياابنتي، أواه ياابنتي
إنه لطريق مائي فسيح
ذلك الذي أمد بصري خلاله تجاه الأفق
ياابنتي، أواه ياابنتي[1]

العـــــــلـــــــم: يري سبنسر المختص في تجميع الشواهد من أجل الحقيقة، أن العلم كالأدب بدأ بالكهنة،وأخذ أصوله من المشاهدات الفلكية التي كانت تحدد زمن الاحتفالات الدينية، ثم بقي في كنف المعابد ونقل عبر الأجيال على أنه أرث ديني، وهذا التفسير على حسب رأي سبنسر.

ولا تستطيع الجزم بذلك، لأن بدايته تعد مجرد تخمينات يجوز أن يكون العلم شأنه شأن المدنية قد بدأ مع الزراعة بالهندسة، كانت في مراحلها، الأولى عبارة عن قياس الأرض المزروعة، وعلم الفلك نشأ،من حساب المحصول والفصول الذي يستوجب ملاحظة النجوم وإنشاء التقويم ثم تقدم بالملاحظة، وطورت التجارة علم الرياضة، كما وضعت فنون الصناعة أسس الطبيعة والكيمياء[2]، وبعد العد من أول ماشهد الإنسان من صور الكلام ولا يزال العد في كثير من القبائل يتم على صورة تبعت على الاتسام ببساطتها، مثلا عند التسمانيين،إلى العدد اثنين لم يجاوزوه (

[1] قصة الحضارة ص 133

[2] جون ماكليش- ترجمة د- خضر الأحمد- د موفق دعبول- مراجعة د- عطية عاشور- العدد من العصور القديمة حتى عصر الكمبيوتر- دار عالم المعرفة الكويت العدد 251سنة 1999 ص 271

بامرى، كالاباوا، كرديا). يعني (واحدا، اثنين، كثير)[1] ولقد كان العد وسيلة الأصابع ومن هنا نشأ النظام العشري ولما اكتشف الإنسان فكرة العدد أثني عشر ويكون إدراكه هذا بعد فترة من زمنفرح به، لأنه مريحا للنفس بقبوله القسمة على خمسة من الأعداد الستة الأولى وهنا ولد نظام الإثنا عشر في الحساب وهو نظام لا يزال قائما، ثم تعلم القياس والكتلة، لأنه استخدم أجزاء من الجسم كوحدة للقياس مثل الذراع والشبر والإبهام للبوصة.[2]

ومازالت لفظة(calculate)بالإنجليزية للعد تشير إلى أصلها (حجر صغير) مما يدل على صغر المسافة[3] والفلك كان بقياس في اللغة الإنجليزية (measure) وكلمة شهر (month) وكلمة إنسان man هو أيضا الذي يقوم بالقياس، وكل هذه الكلمات ترد إلى أصلها لغوى معناه القمر(Moon)، يقول الله تعالى في سورة يونس **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ}**[4]، والإنسان البدائي لا يصوغ قوانين الطبيعة، بل يكتفي بممارستها من الوجهة العملية وكان يستطيع تميز بلمحة سريعة، أي النباتات سام أيها طعام، بل ستخدم النبات في شفاء بعض الأمراض البدن وأول من احترف مهنة الطب هن النساء.

والشيء الذي يجعلك تصاب بدهشة حين نعلم أن كم من الأمراض كان يشفيها هؤلاء البدائيون على رغم من قصورهم على معرفة الأمراض، وكان البدائيون يعالجون بطريقة نفسها التي يقيم عليه أحداث الطب بطريقة ألا هوالشفاء بقوة الإيحاد، إلى جانب الأعشاب الطبية نجد بين الأساليب الصيدلة الكثيرة التي يلجأ إليها الإنسان البدائي صوفا[5] من المخدرات المسمومة من نبات القنب الأفيون والكافور،أما الكسور كانت تلف بمهارة والجروح تضمد بواسطة مدى من الحجر الزجاجي الأسود وأسنان السمك وقد مارس البدائيون ترنيبة وكان الجراحة تنجح وغالبية العمليات تنتهي بالموت. إننا نبتسم لجهل البدائيين، في كل الحالات بينما نستسلم جادين للأساليب الطبية الكثيرة، التكاليف في أيامنا، على رأي الطبيب أو لقر وندل هولمز.[6] Oliver Wendell Holmesقضى حياته مطولا في علاج المرضى.

الفن: بعد ما أفنى الفن من حياته خمسين ألف سنة أضحى الناس مختلفين في تعيين مصادره من فطرة الإنسان، أي غريزته ومبادؤه في عصور التاريخ فما هو الجمال؟ لماذا نسحربه؟ لماذا نحاول أن نبدعه؟ لماذا لا نرد أسبابه إلى جانب نفسي ونقول قطعا أنه هو الشيء الذي عندما نلاحظه هو الجمال في أية صفة يكون مريحا مشاهدته[7]، ولكن الرائي من حيث الصواب يقول عن شيء جميل لأنه، يمتعه ومرتبط بإشباع رغبة الإنسان.

---

[1] نفس المصدر ص 271
[2] نفس المصدر ص 274
[3] نفس المصدر ص 277
[4] سورة يونس الآية رقم 4-5-6 رواية حفص عن عاصم
[5] د عبد المحسن صالح –الإنسان الحائر بين العلم والخرافة دار المعرفة الكويت سنة 1979ص 69
[6] ينظر قصة الحضارة ص 139
[7] نفس المصدر ص140

مثال الطعام جميل لمن يتضور جوعا في أعماقنا، لانرى شيئا جميلا من أشكالنا، إذا يبدأ الفن من تقديس البشر لأجسامهم الرائعة، وقد يكون الممتع والجميل الجنس الآخر بالنسبة للعيش الذي يرغب في رؤيته، وعندئذ يصطنع شعورنا بالجمال شدة وقوة إبداع، هما شدة الشهوة الجنسية وقوة إبداعها، ثم تتسع لتشمل كل شيء، يخص الحبيب من بعيد وقريب فتشمل كل صورته والتي تشبهه وكل ألوان التي تزينها أو تسرها وتتكلم عنها وهي إشاراتها وحركاتها وهمساتها...الخ، وقد يكون الجمال في قوة الجاذبية التي تحرك ضعف الإنسان نحو عبادة القوة يأتي شعورنا ببهاء الفخامة فترتاح نفسنا في حضرة القوة[1]، وهو إحساس يرفع آيات الفن جميعا وفي الأخير تصبح الطبيعة ذاتها – بمعونة منا– فخمة وجميلة في آن واحد.لأنها تشبه رقة المرأة، وصلابة الرجل فحسب بل لأننا نترع همومنا وإحساسنا وماكان لنا من خطوط وحينا لغيرنا ولذواتنا، ونتذكر صبانا ويركن إلى العزلة الهادئة لأنها ملجأ من زخم الحياة ومشاكلها ونتمتع خصوصيتها وأحوالها من نضج وإثمار وانحلال بارد وهي إما أعطتنا الحياة وتستقبلنا عند الموت.

إذن الفن هو إبداع الجمال بكل بساطة، وهو تعبير عن الفكر والشعور في هيئة تصير جميلة وفخمة[2]، فتثير في نفسنا هزة هي هزة الفرح الطبيعي التي يثيرها أي شيء جميل، كالرجل والمرأة والمرأة والرجل أو إدراك الفكر لأحواله ولمعاني الحياة كائنا ماكان ويكون شعور إثارة أو استرخاء، لوثر مشدود من أوثار الحياة كائنا من كان، ترسل الصورة الفنية في ذواتنا السرور لأنه يتجاوب مع طبائعنا ويرسل، الرضا لما فيها من تشابه هو يحاكي الوزن في الشعر ويمثل القوة أمام أبصارنا ويمتعنا بالتنظيم في الكائنات الحية، إذن هي تبعث في أنفسنا الرضا، لأنها فيها الصدق.[3] الصورة الفنية هي تأخذ أو تتشكل من مصادر كثيرة، ما في الحياة من ألوان الكلمات والفنون السامية، الغناء والرقص، الموسيقي و المسرحية و الخزف والتصوير النحت والعمارة والأدب والفلسفة،[4] إذن الفن هو جملة من المعارف التي تجعلك تشعر بالجمال والفلسفة هي محاولة أخرى، تضاف إلى محاولات سائر الفنون، لأن الإحساس بالجمال نوع من أنواع الطرح الفلسفي جعله أفلاطون يكمن في محاكاة المثل العلىا عالم الميتافيزيقا[5]، أما أرسطو جعله في المحاكاة الفكر للواقع، إذن ومن هنا نقول أن فلسفة الإنسان البدائي نحو الجمال تحددها المنفعة، لأن الإحساس بالجمال ضعيفا في الجماعة البدائية، مثال نجد الفارق الزماني بين الشعور بالشهوة الجنسية وبين ممارستها لايكون دور للخيال أن يصور الشهوة[6] من عنده، تضفي جمالا كبـــيـــــرا لأنه البدائي قلما يفكر في اختبار النساء على أساس الجمال، بل ينظر إلى أساس نفعي مـــــحـــــــض ولا يستطيع أن يرفض عروسا مفتولة العضلات بسبب قبحها وسئل رجل بدائي عن جمال زوجاته، فاعتذر عن الإجابة، لأنه لايفكر قط في هذا الموضوع فقال على طريقة فراكلين وحكمته: (قد تكون الوجوه أكثر جمالا أو أقل لكن النساء في جوانبهن الآخرى لا يختلف بعضهن عن بعض).[7] إذن الرجل البدائي له إحساس بالجمال، لكنه يفلت منا فلا نراه شدة اختلافه عن إحساسنا نحن،

---

[1] -أحمد عيسى- الإبداع في الفن والعلم دار عالم المعرفة الكويت سنة 1979 ص174
[2] -شاكر عبد الحميد التفضيل الجمالي دراسة في سيكولوجية التذوق الفني دار عالم المعرفة الكويت 2001مارس ص 13
[3] - رياض العلمي الفن من فجر التاريخ إلي يوم دار المعرفة الكويت 1988ص 23
[4] قصة الحضارة ص 142
[5] أفلاطون جمهورية
[6] قصة الحضارة ص 142
[7] نفس المصدر ص 143

ويذهب رتشارد يتحدث عن أجناس الزنوج يعين المرأة الجميلة بشروطهم التي حيرته عندنا تخرجها أي المرأة من دائرة الجمال السمنة، أذنان كأذني الفيل...الخ.[1] لكن الرجل الطبيعي في أغلب الظن، يقيس الجمال بمقياس نفسه هو أكثر مما يقيسه بمعيار الشكل، المرأة والمتخصصون في الفن قد لا يصدق النساء ما نزعمه لهن من أن الرجال البدائيين، والمحدثين يأخذهم العجب بأنفسهم سواء بسواء،[2] فالذكر لا الأنثى في الشعوب الهمج والساذجة كما هو الحال في الحيوانات هو الذي يتزين ويتزل بجسده الجروح، سعيا وراء الجمال يقول (نبوك- Bonwik): أن التزين في أستراليا يكاد يكون كله احتكار للرجل وهذا نجده في جميع القبائل سواء بسواء حتى في بعض القبائل يأخذ تجميل الجسم وقتا أكثر من أي مهمة أخرى، إذن واضح أن أول صورة الفن هي الاهتمام بالجسم وتلوينه وتزينه بالصبغة صناعية لجذب النساء حينا ولإخافة الأعداء حينا أخر، والرجل البدائي من أهل استراليا كأحدث فاتنة من فاتنات أمريكا اليوم يحمل معه جزءا من الصبغة من كل الألوان البيضاء والحمراء والصفراء خاصة ليصلح من شكله ليبقى، على قدر من الجمال حتى أنه يعرض نفسه للخطر للحصول على صبغة.

وحتى النساء رغم احتكار الرجال لأنفسهم حق صبغ الجسم نجد في قبائل أخرى النساء المتزوجات يحرم علىهن أن يصبغن أعناقهن[3]، حتى ظفرن لأنفسهن بفن التجميل بالأصباغ وهو أغرق الفنون جميعا، وصار تزيين بالأصباغ يمس الرجال والنساء معا، أصبح يميل إلى النساء مع تطور الحياة والوضع حتى صارت المرأة البدائية تحمل حقيبة أو سلة أدوات التجميل الخاصة بها وصارت تهتم بالرموش والحواجب ومتشابك الشعر وترتدي الخواتم وأجراسا والسذج الأولين مثل الأغر يق أيام بركليز ضاقوا صدرا بسرعة نفاذ الأصباغ، فيكثروا الوشم والوصم والثياب وأدوات للتزين أدوم بقاء وكانت الثياب في بدايتها ضرب من الزينة قال داروين: لما رأى رجلا يزحف على الثلج عاريا أشفق، علىه وأعطاه قطعة قماش أحمر ليتقي البرد لكن كانت ردة فعل الرجل وهو من قبيلة(كمبري- Cinbri)؛ بتمزيقها إلى أشرطة ووزعها على زملائه فاستعملوها للزينة[4] وحتى النساء يستعملن القماش أشرطة للزينة وليس لستر العورة لأنهم ما زالوا يطعمون في الجمال لأنفسهم بالعرى.

إذن البدائي حصر أثار الزينة في مواد الزينة من القواقع و أسنان الحيوانات معقودة ومن المبالغة أنها بلغت هذه الأشكال من الحلي ضخامة الحجم، أما الثياب لم تكن من الضروريات، إذن أول مصادر الفن الشبه يزهو الحيوان الذكر بألوانه وريشه أيام التزاوج والدافع إلية الرغبة وتجميل الجسم، وراح التزين يتطور وخرج من العالم الخاص إلى الدنيا الخارجية واهتمت باللون والشكل وبدأ بتجميل الأشياء عند البدائيين وأول ماخرج على فن التجميل الخزف، الخزافة عند البدائيين ارتفعت بها إلى مرحلة الفن وراح يبدعن خاصة النساء ويخرجن من الطين والماء صورا لها اتساق يبعث على الدهشة، والخزاف بخزفه عند بعض القبائل يأخذ منحى آخر استخدموا الألوان وزخرفة الأسلحة[5] و الآلات والمباني والآنية، وحتى على جدران الكهوف والصخور لم تسلم من الرسم، حيث نجد تصاوير ناصعة لأنواع الحيوان التي أرادت صيدها، ويجوز أن يكون الخزف وصناعته أصل النحت وكانت ضرب على الكوخ علامة لتميزه

---

[1] نفس المصدر ص 143
[2] نفس المصدر ص 143
[3] قصة الحضارة ص 144
[4] نفس المصدر ص 146
[5] نفس المصدر ص 148

وكان يميز عور الطوطم أو قبره من القبور بتمثال صغير يدل على معبدوه أو على ميتته و من هنا أصبح النحت فنا.ثم ظهر فن العمارة أولا بناء الكوخ البدائي، لأنها ليست مجرد بناء بل بناء جميل، وكان أول عمارة بدأت ليست على المنازل، بل على القبور ثم أتجه إلى الدور،[1] وبينما تطور العمود التذكاري الذي أقيم عند المقبرة إلى فن التماثيل ثم صار قبر نفسه إلى المعبد لأن الموتى البدائيين كانوا أهم من الأحياء،وأقوى فضلا عن أن الموتى مستقرون في مكان واحد أما الأحياء كثيروا الترحال والتنقل لايحتاجون إلى دور غالبا إذن أول عمارة هي عمارة المقابر وتفحيمها حتى عرف الإنسان الاستقرار وراح يبنني، الدور والمدن والقرى والمرافق ويبني علىها بصور يحميه من الأعداء والوحوش وظهرت القلاع والحامية وصار التفنن، في العمارة إلى درجة أنهم كرهوا الدور وراحوا يشيدون المنازل على الجبال ومن بين هذه الأقوام قوم أصاحب الحجر وهم ثمود الذين كذبوا صالحا يقول ابن كثير: لدرجة تفننهم في العمارة أتخدوا من الجبال دور للسكنى، يقول تعالى(كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنيين)[2] وهذا من الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم، حدثا عن حضارات لم يكن للأحد العلم بها زمن نزول القرآن وقد اكتشفت حديثا، وعندما تجمع الإنسان في القرية أو المجمع وجد لذة في الإيقاع من خلال صياح الحيوانات والطيور، فظهر الرقص الجماعي وابتكروالأناشيد الجماعية في المحافل الدىنية و الأعياد من خلال الرقص نشأ عزف الموسيقي على الآلات[3]، كما نشأت المسرحية لأن العزف جعل رغبة لدى الإنسان في، توقيع الرقص ذو فواصل تحدده وتصاحبه أصوات، وبذل الإنسان كل ما أعطته الطبيعة من أجل الإختراع و أخترع الطبول والآلات الموسيقية ونشأ بين القبائل منشدون محترفون والراقصون المحترفون.[4] طور سلم حتى صار ما هو علىه الآن من الموسيقي والغناء والرقص مجتمعة، خلق أو أبدع لنا الهمجي المسرحية والأوبرا، ذلك أن الرقص كان كثيرا من الأحيان يختص بالمحاكاة وتحركات الأشياء المحيطة به ثم إلى أداء يحاكي من خلاله الأفعال والحوادث وبهذه الوسائل خلق لنا البدائيون السابقون لعصر الحضارة صور الحضارة وأسسها، فإذا نظرنا إلي الوراء وجدنا هناك كل عنصر من عناصر المدنية إلا عنصرين هما الكتابة والدولة[5]، فكل أوضاع الحياة الاقتصادية، أسست لنا أصولها في هذه المرحلة، الصيد والسماكة و الرعي و الزراعة و النقل و البناء و الصناعة و التجارة وشؤن المال وكذلك الأنظمة السياسية البسيطة من العشيرة ...إلى القبيلة .[6]

وتلك الحرية والنظام المحوران المتضادان ترتكز علىهم المدنية، إذن نستطيع القول: أن البدائية أسست إلى ما نحن علىه الآن، إذن البدائي هو السابق ونحن اللاحق وهو من قعّد الأرضية، للمدنية حيث نجد عنده سلوكيات وأخلاق عجز الإنسان المتحضر بلوغها مثل التكافل القبلي و الإيثار، بصراحة الإنسان البدائي هو معلم للبشرية لأنه يوجد أشخاص في العصر الحديث ولكنه بدائي التفكير ومتخلف ويعيش على فتات من التاريخ السحيق.

---

[1] عبد العزيز الدوري أوراق في التاريخ الحضارة الجزء الأول دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولي 2007ص 231
[2] تفسير الطبري: سورة الحجر الآية رقم 80-87
[3] قصة الحضارة ص 150
[4] نفس المصدر 150
[5] نفس المصدر ص 150
[6] ينظر قصة الحضارة ص

الفصل الثاني

الحضارة الإسلامية

(الأصول و المقومات)

الحضارة الإسلامية (الأصول و المقومات)

توطـــئة: امتدت الحضارة الإسلامية جغرافيا إلى ما وراء جبال زعروس شرقا، والأندلس غربا، وتسربت عبر الصحارى والجبال ووصلت حتى أقاليم الصين، و سيبريا، وفرنسا الجنوبية، والغربية. وانتقل الإسلام إلى بلاد متباعدة أخرى كإندونيسيا، و الفلبين، والصين، ومناطق من إفريقيا، وكان نتيجة ذلك اختلاط مع شعوب كثيرة مع اختلاف لغاتها، وعاداتها وعقائدها، ورغم ذلك نجدها جميعا ارتضت بغلبة اللغة العربية، على إنتاجها الفكري والأدبي .فنتجت حضارة خاصة سداها العروبة ولحمتها الإسلام، وتشوبها التأثيرات الفكرية والفنية والاجتماعية والاقتصادية.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه وبقوة هل الحضارة الإسلامية ماهي إلا حلقة من حلقات الحضارات الآخرى فوق قانون التأثير والتأثر؟ وماهي إلا امتداد إلى سبقتها؟ أم أنها بدعة عن الحضارات الآخرى. لها أسسها وقواعدها وسلوكياتها المادية والمعنوية و الفكرية تميزها عن الحضارات السابقة؟

وفي هذا الصدد ننقل قول د/ طارق السويدان الذي قال (بحث في الحضارات والحضارة الإسلامية مدة عشرين عاما ووجدت الحضارة الإسلامية تتميز عن الحضارات الآخرى أنها تسوى بين الجانب المادي والجانب المعنوي الفكري مع الأولوية للجانب الأخلاقي، لهذا نجدها ورغم موت زعيمها محمد صل الله عليه وسلم ظلت من بعده إلى يومنا هذا أما الحضارات الآخرى نقرأ عليها في الكتب وكتاريخ.)*[1] ولأنها جمعت بين الجانب الفكري والمادي راحت الحضارات الآخرى تتهاوى في حضرتها مما جعل الحاقدين يشعلوا الصراع واتخذوا الاستشراق وسيلة من بين الوسائل لضرب هذه الحضارة العظيمة وزعموا أنها مجرد نقل للحضارات اليونانية و الفارسية وحتى القرآن أكد هذا الزعم في قوله تعالى{**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**}[2] وهناك من قال إن الحضارة الإسلامية لم تكن صنوه أو بدعة إلا أنها تتميز أن لها أسس تختلف ومصادر تتباين عن بقياتها، وقد نتطرق إلى هذا بنوع من التفصيل من خلال هذا الفصل وبما أن الحضارة الإسلامية مرتبطة بالجنس العربي لابدا أن نرى حالة العرب قبل الإسلام هل كان لهم حضارة على غرار الأمم الآخرى أم أنهم كانوا، بلا هوية وماهم إلا شعب انصهر في ثقافة والحضارة اليونانية وهنا يجدر تنويه ماجاء في كتاب "العقاد" بعنوان "حضارة الإسلام" المجلد العاشر يفند كل إدعاء بأسبقية الحضارات الآخرى ويرى أن الحضارة العربية لها أثر واضح على الحضارات الآخرى وأوربا حيث يتكلم في مثن كتابه عن أمرين، وهو أن الأقوام والشعوب يعودوا إلى أصلهم القديم في الجزيرة العربية، وهو القول أن جزيرة العرب هي أصل السامين أجمعين، ومنهم الكلدان والسريان والكنعانيون والعبريون[3] والأمر الثاني أننا رجعنا بالفضل في النهضة الأمم العربية والإسلامية إلى الجو الأدبي، الذي ساد في جوها وامتزج ببواعث النهضة فيها فالفرس ليسوا، من سلالة السامية أو العربية ولكنهم لم ينجبوا فلاسفة أو شعراء كبارا إلى بعد ما امتزجوا بالدعوة الروحية التي أشعّت، من قلب البلاد الجزيرة العربية، فمن الحق أن يقال إنّ الجو الأدبي الجديد، الذي أحاط بهم بعد قيام الدولة الإسلامية كان له الفضل، معدود وينسب إلى تلك الدولة العربية.

---

[1] * حصة تلفزيونية (البينة) قناة أقرأ سنة 2009الساعة 12:30 مع الدكتور طارق السويدان

[2] سورة الفرقان الآية 05

[3] عباس محمود العقاد حضارة الإسلام المجلد العاشر المجموعة الكاملة دار الكتاب بيروت الطبعة الأولى سنة 1978ص 10

أما الكلدان والسريان كانوا في دولة العرب، رواد البحث والترجمة والدراسات العلمية والطبية على التخصيص، ولكن هؤلاء الكلدان والسريان كانوا يقطنون بثقافتهم، اليونانية هذه في ظل الدولة الرومانية الشرقية، ولم تظهر من مؤلفاتهم ولا معلوماتهم نهضة فكرية، كالنهضة التي جاشت بها اسم الشرق[1] بعد فتوحات العرب وانتشار الدعوة إلى النظام الحضاري الجديد.

من العرب الأقدمين تعلم اليونان صناعات الحضارة:

يقول هيرودوت في الكتاب الخامس:((أن الفنقيين الذين جاءوا مع قدموس وأليهم ينسب الجفريون، قد أدخلوا معهم إلى اليونان بعد قدومهم إلي بلادهم صناعات كثيرة منوعة منها صناعة الكتابة التي كانوا، يجهلونها على ماأظن قبل ذلك فنقلوا حروفهم أولا على مثال الحروف الفينيقية بغير تصرف، ثم تغيرت عبر الزمن لهجاتهم، فتغيرت معها رسوم حروفها، وفد كان الأيونيون، أكثر الأغريق الذين كانوا يقيمون في تلك البلاد حيث الفينيقيون.فأخذوا الحروف الفينيقية، مع التعديل في بعض رسومها وحتى الحين مازالوا يطلقون علىها الحروف الفينيقية من باب الإنصاف لمن نقلوها إليهم،وقد كان الايونيون يطلقون على الورق بالقديد لأنهم كانوا يكتبون على الجلود عند ندرة صحائف الكتابة[2] وحتى البرابرة يدونون، علىها إلى هذه الأيام. ونجد كتابة الحروف القدموسية منحوتة،على بعض القوائم المثلثة في معبد(أبولون أسمنيان)، بيئة البوطية رسومها تحكي الرسوم الأيونية، وعلى إحدى عبارتها أقامني أمقتزيون من عهد مقدم التلبوية[3] فهي قريبة جدا من عهد لايوس ابن بداكوس وفي كتابة أخرى نقشت عبارة من الشعر العروضي السداسي وهبني سكاوس الملاكم للشمس الساطعة بعد فقده هبة جميلة معجبة وهناك كتابات كثيرة في الشعر العروض وهنا نقف وندرك قول هيرودوت إن الأيوبيين أي اليونان نقلوا الكتابة بغير تصرف بطريقتها ومادة صحفها، وبالرسوم حروفها وألفاظها ونعلم، أن الكتابة شرط من شروط الحضارة لأن المشافهة لاتؤدي إلى الحضارة وتجعل بعض أوكثير من العلوم تندثر والعلم قيد والحضارة تصنع بالعلم. وظلوا يكتبون السطور من اليمين إلى الشمال كما تكتب العربية اليوم، ووجدت لهم طريقة كتابة العربية، على الآنية المزخرفة إلى مابعد اقتباس الكتابة بعد قرون، ولا مجال للشك والريب أن اليونان عبروا زمنا طويلا، وهم يتلقون ثقافتهم وصناعتهم من القدموسين وهذا الزمن متجدر في القدم عدة قرون، كي تختلط الأخبار التاريخية بروايات الأساطير.[4] متناقلة على ألسنة الجماهير، ومن هذه الأخبار التي تلحق إلى قدموس فضل تعلىمهم، الكتابة وبنائه لمدينة بوطيه وهذا الأخير كان من أصحاب المعجزات الذين تعينهم الآلهة،•* ويقول العجم الثرى إنهم كانوا يعبدون هرمز رب الحكمة،و المعرفة عندهم باسم قدموس وإنه كان يقال عنه أنه مخترع الزراعة، والحدادة و الصناعات الحضارة على التعميم.[5] والشعراء الأقدميون لم

---

[1] نفس المصدر ص 11-12
[2] نفس المصدر ص 152
[3] نفس المصدر ص152
[4] ينظر إلى نفس المصدر ص 153
• *تقول الأسطورة أن أقدموس قتل الثنين الحارس ليعص الينابيع في بطوية ونثر أسنانه على الأرض فنبتت منها مجموعة من المردة المسلحين أحاطوا به ليقتلوه، فأوحى إليه ربهة أتينا أن يلقى إليهم بجوهرة كريمة بهرهم فتركوه واقتتلوا عليها حتى أفنى بعضهم بعضا، وبقي إلى خمس أيام ولم يقدروا عليه لأنهم خرجوا منهكين منهزمين إنها نضرة قدموسيه وهي التغيرات المحدثين من الامورين
[5] عباس محمود العقاد حضارة الإسلام ص 154

يكن لهم دراية بمقدمه أكان من الشرق أم من مصر أم من فينيقية، ولما أجمعوا أخيرا إنه من فينيقية، قرنوا اسمه باختراع حروف الأبجدية التي يعرف الإغريق جيدا أنهم أخذوها من الفينيقيين[1] والشاهد من هذا كله أن الحروف اليونانية القديمة كالحروف العربية، بل عربية وطريقة كتابتها من اليمين إلى الشمال توحي، أثر العرب على الحضارة اليونانية. وأنها بأشكالها كان مقرونا بانتقال صناعات الكتابة وأدواتها وما يتصل بالصناعات الآخرى واليونان تعلموا الملاحة، وفنونها ممن سبقوهم أي من أمم البحر الأبيض الشرقية والقرائن،من نقوش وأسماء الأماكن في البلاد، اليونانية ترجح وصول، العرب بحضارتهم إلى تلك البلاد في زمن قديم سابق على الأقل لشيوع أسماء لاريسا أي العريش وعسكر أي العسكرو فندس Pendus أي الجبل العظيم وأخذ اليونان من العرب يتجلى في تشابه الكلمات في اللغتين ولا سيما التي تدل على أصل متشعب في العربية فالبرج في اليونانية، برجوس ومادة الباء والراء وماشباهها، أصلية في الدلالة على الظهور والعلو كبر وبرض وبرع وبرق ومعنى البرج والتبرج والأبراج شائع في مادة العربية، والقناة أخذوها وأخذوا منها كلمة قانون، بمعنى المقياس ولا تخفي علاقة القناة والقصبة بالمقياس، في كل اللغة ومنها الرول، Rule بمعنى القاعدة،و الرولر بمعنى المسطرة في الإنجليزية.

وهناك بعض الألفاظ كثيرة أخدها اليونان من اللغة العربية مثل كلمتي قلم وقصبة وبين المصدر العربي إلي جانب مما تقدم في الدلالة، على اقتباس اليونان دائما من العرب مثل الألفاظ، التي تعود إلى المعاملات وشؤون المعيشة أنهم، حوّلوا أسماء أيام الأسبوع إلى الترتيب العددي أسوة بأسمائها العربية، وغيروا منها اسم السبت والأحد بعد ظهور المسيحية.

أحـــــــوال الـــعالـــم والـــعـــــرب قبـــــــل الإســـــــــــلام:

قد يجدر بنا قبل التكلم عن الحضارة الإسلامية، والفكر الاستشراقي أن نعود على جناح السرعة لنلم إلمامة خفيفة وسريعة، بحال العالم والعرب قبل الإسلام من أجل أخد فكرة بحال العالم الذي يحيط بمهد الحضارة الإسلامية لأنه أمر ضروري إذ يكشف عن الظروف والأحوال التي سبقت ميلاد هذه الحضارة[2] كانت بلاد العرب قبل الإسلام محصورة بين أكبر دولتين في العالم أنداك هما الفرس والروم، وكانتا تتنازعان عليه وتتحكمان فيه أي العالم وخاصته العرب. وبلغتا شأوا في الحضارة عظما، إلا أن عوامل الفساد، والاضطراب كانت متفشية فيها وخاصة الناحية الدينية، والاجتماعية.

الـــــــــفـــــرس: الفرس من أقدم دول العالم وأشدها بأسا في الأرض وكانوا في بادئهم صائبة، من عبدة الشمس والقمر وغيرها من الكواكب ثم صاروا يعبدون النار وهي عبادة المجوس ثم فشت فيهم نحلة الثنوية على مزدك الإياحي والمجوسية،ظهرت على يد زرادشت وديانة الثنوية على يد، ماني زنديق. وبهذا تعددت فيهم النحل، والأديان وكانت المعتقدات الفاسدة في صراع حتى انشغلوا، على مايجب عليهم لمجتمعهم.[3]

---

[1] سيفرت/ من معجم الآثار السلفية دار الحكمة بيروت طبعة منقحة 1443ه-2005م ص 106
[2] ينظر تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي دكتور أبوزيد شلبي مكتبة وهيبة القاهرة سنة 1433-2012م ص 15
[3] نفس المصدر ص20

أما الحالة السياسية لم تكن بأحسن من حالتهم الدينية، فكانت الحرب سجال بينهم وبين الهياطلة في الشرق والترك، في الشمال ومع الرومان وقائع متوالية،وحتى العرب كانوا معهم يدخلون في مناوشات معهم، وخاصة قبيلة بكر بن وائل ووقعة ذي قار سنة 604-611م وكان الصراع عن السلطة موجودا وما يدل على ذلك تعاقب قبل الفتح الإسلامي اثنا عشر ملكا بين رجل وامرأة وصبي صغير[1] إلى جانب انهيار هذه الدولة التي كان لها حضارة وشغلت الدنيا بسطوتها.

الـــــــــــروم: لقد استطاعت دولة الروم أن تكون قوة ذات سلطان ما لم تبلغه دولة أخرى، رغم وجود الفرس كقوة موازية لها، حيث أنها بسطت نفوذها على جل المعمورة وكانت تدين بالوثنية ثم دخلت المسيحية سارت هي دين الدولة الرسمي في عهد قسطنطين الأكبر-324ه-337م ثم صارت الدين الأوحد في عهد الأمير تيودسيوس، 394ه-449م ومن خلال ه المنازعات انقسم المسيحيون على أنفسهم، في شأن عقيدتهم حتى حارب بعضهم البعض.[2] وكان الجانب الديني يقوى ويضعف من خلال أو تبعا لأهواء، الأباطرة وميولهم مما جعل الأحوال السياسية والاجتماعية، تفسد والفوضى جميع أطراف الإمبراطورية.

تلك هي حالة الدول التي سادت معظم العالم في زمانها، وبلغت شأوا عظيما في حضارة وكان ولا شك أثر يعتد به في الحضارة الإسلامية، لأنها بلغت قمت المجد قبل الإسلام، وكان لبدا لهما أن تنحدر، بسبب العوامل التي سبق ذكرها ويرى أرباب البصر بسنن الكون وأحوال العمران الإنساني والحضاري[3] إن الارتقاء الحضاري والمدنية دور من أدوار كل أمة تبلغ أعلى قمة المجد والرقي ثم تنحدر من ذلك الرقي هذا ماجعل الغرب عامة والمستشرقين خاصة يستغربون من الحضارة الإسلامية، مازالت باقية ومصادرها مسيطرة حيث يقول القائل:

إذا ثـــم شـــــيء بـــــدا نقصـــــــــه ** تـــــرقب زوالا إذا قـــــــيل ثـــم[4]**

ورغم كل ذلك نجد أن الحضارة الإسلامية استعادت من هاتين الدولتين بعض الأمور التي ساعدت في بلورة نظرة مستشرفة في الحضارة الإسلامية.

أحـــوال الـــعرب قبـــــل الإســـــلام:الـــوصف البيـــــــئي لجـــزيـــرة الـــعرب:

هي طبيعة كثيرة الجبال الجرداء والصحارى المترامية الأطراف يتخللها كثير من الوديان، والأرض القريبة من هذه الأودية، خصبة يجد المقيمون فيها مايعشون عليه وأنعامهم ونعلم إن من عناصر الحضارة الأرض -التربة والمياه- وما بعد عنها قفر لايصلح للعيش وسرعان ما ينتجع عنها من يترل فيها*[5] ومن هنا قلما كان العرب في بواديهم يبقون في مكان واحد يتحسسون مواقع القطر، ولهذا نجد أن العرب كانوا كثيري ترحال وهدا سبب عدم تقدمهم في الركب الحضاري، لأن كلما وجد استقرار كان هناك حضارة ووجود ترحال تنعدم الحضارة.

---

[1] نفس المصدر ص 20-21
[2] ينظر ماذكره العلامة ابن خلدون بشأن العقيدة التي يسمونها الأمانة المتعلقة بالثالوث كتابة المقدمة ص 334
[3] د/ أبوزيد شلبي تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي مكتبة وهيبة القاهرة 1433ه-2012م ص12
[4] نفس المصدر ص21
[5] * انتجع طلب الكلأ في موضعه لسان العرب والقاموس المحيط

ورغم وجود مياه، الأودية إلا أنها لا تسد حاجاتهم، وتميزت الطبيعة في بلاد العرب بالجدب مما أطر العرب الاعتماد على أنعامهم ولا سيما الإبل، يقول صاعد الأندلسي:(وما أهل الوبر فهم قطان الصحارى، وعمار الفلوات وكانوا يعيشون من ألبان الإبل ولحومها وكانوا زمان النجعة ووقت التبدي[1] يراعون جهات إيماض[2] البرق ومنشأ السحاب وجلجلة الرعد، فيؤمون منتجعين لمنابت الكلأ مرتادين لمواقع، القطر ويخيمون وهناك ما ساعدهم الخصب، وأمكنهم الرعي ثم يرتحلوا ابتغاء المياه، وهذا ماصوره المثقب العبدى في ناقته .

تقـــول إذا درأت لـــها وضـــيني ** أهـــذا ديـــــنه أبـــدا وديـــني**

أكـــل الدهر حـــل وارتـــحـــال ** أمـــا تـــــبـــقى على ولا تقيـــــني[3]**

ولما كان اليمن أكثر بلاد العرب أمطارا كثر فيها الوديان ومن أعظم، وديانها ميزاب اليمن الشرقي وهو يصب فيه كثير من الوديان، يقضي إلى سد مأرب ويبقي أرض الجنتين. وعرفوا صناعة السدود وكان أعظم سد هو سد مأرب، وهذا السد جعل اليمن تعرف باسم بلاد العرب السعيدة، حتى القرآن ذكرها في قوله تعالى{**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**}[4] لأن سد مأرب تصدع، بسبب السيل العرم وكان له اثر على العمران، وهذا مذكره الدكتور جوستاف لوبن في كتابه حضارة العرب[5] ووصف هيروديس قبل المسيح بنحو، أربعمائة سنة بلاد اليمن، أي بلاد العرب السعيدة بأنها،من أغنى بقاع العالم، وأنه كان في سبأ قصور نضرة وسرر مرصعة، بالجواهر[6] إذن نجد العرب في اليمن أبدعوا وكان لهم حضارة بشهادة مفكرين، يونان وغيرهم.

حـــالـــة الـــعرب الديـــنـــية:

تعددت ديانة العرب وأربابهم، ولكن الديانة التي كانت مهيمنة بينهم هي الوثنية، وهي عبادة الأوثان. والأصنام، قال ابن اثير الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ماله جثة، معمول من جواهر الأرض أو خشب والحجارة كصورة أدامي تعمل وتنصب فتعبد والصنم بلا جثة، ومنهم من لم يفرق، بينهما[7] ومكة كانت معقل الوثنية، وقد وجد حول الكعبة يوم الفتح من طرف المسلمين، 360صنم وقد بلغ من هوسهم بالوثنية أنهم يقيمون صنم وإذا طرأ علىهم شيء رجعوا إليه وأكلوه مثل قبيلة بني حنيفة صنمهم كان من جيس وهو خليط ومنه سمي الجيس وهو تمر

يخلط بسمن وإقط مخيض غنمي[8] وصور لنا الشاعر بنفسه هذه الواقعة ونعلم أن الشعر يومها كان دوان العرب يخلد المآثر ويسجل الوقائع بحق صورها لنا الحياة العربية من جميع النواحي.

---

[1] الإقامة في البادية لسان العرب والقاموس
[2] ايماض البرق لمعانه القاموس
[3] ينظر كتاب طبقات الأمم لأبي القاسم صاعد الأندلسي ص66
[4] سورة سبأ الآية 15-16
[5] حضارة العرب ص65
[6] د/ جوستاف لوبون هل حضارة العرب ترجمة أسعد داغر مطبعة هندية بالموسكى بمصر مارس 1918- 1336هـ ص 105
[7] ينظر لسان العرب مادة صنم ووثن
[8] أبي صاعد الأندلسي طبقات الأمم بدون سنة طبع دار المرشد ص 67

أكـــــلـــت حـــنـــيـــفة ربـــها *** عـــام التقـــحم والمـــــجاعة**

لـــــم يحـــتـــذروا مـــــن ربـــــهم*** ســـــوء العواقـــب والتباعـــة**

وقال أخر:

أكلـــت ربـــها حـــنـــيفة مـــن جو *** ع قـــديـــــم بـــها ومـــن إعـــــــواز[1]**

كما كانت هناك طائفة في اليمن تعبد الشمس والكواكب وهم الصائبة، وذكر القرآن الكريم هذا في سورة النمل:{ نِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ}[2] إلى جانب هذا كانت اليهودية في يثرب والأماكن القريبة منها مثل خيبر وفدك و وادي القرى و وتيما و مناطق كثيرة[3] وفي بعض المناطق من بلاد اليمن والنصرانية في الحيرة وغسان ونجران وغيرها وبلاد الحجاز، عرفت ديانة الوثنية والحنفية وكان ورقة بن نوفل يمثلها.

حـــــالـــةالـــــعـــرب الاجـــتـــماعـــيـــة:

ونعني بها هنا تلك العلاقة الرجل بزوجته وأولاده وبني عمه، دنيا وعلاقة القبائل أي المجتمع القبلي. كان العربي يكرم زوجته ويجلها ونسمع له وهو يخاطبها:

يـــــــة البيت قـــــومـــي غـــيـــر صاغـــرة*** ضمي إلـــيك رحـــال القوم والقربـــــا[4]**

وعرف الزواج عندهم بان يخطب الزوج إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها أي يسمي لها صداقها مهرها ثم ينكحها وهناك نكاح الاستبضاع ونكاح الضماد ونكاح الخدن ونكاح البدل وغير ذلك من أنواع الأنكحة التي عرفها المجتمع العربي الجاهلي.

وكانوا لا يتقيدون بالزواج بعدد معين، وكانوا يطلقون لا يتقيدون بعدد في الطلاق.[5] وكانت علاقة الرجل بأولاده علاقة محبة وإشفاق يقول قائلهم:

وإنـــما أولادنـــا بيـــننـــا* أكـــبادنـــا تمشي على الأرض**

لوهبـــت الريـــح على بعضهم* لا امـــتـــنعـــتت عـــيني من الغض[6]**

وكانوا يفرحون إذا أنجبوا، البنين ويحزنون إذا رزقوا البنات، و قد وصف الله حالهم بقوله: **{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُون}**[7]وكانت علاقة، الواحد منهم بأبناء عمه دنيا علاقة محبة ومودة أما علاقة القبيلة بقبيلة أخرى تتنوع بين الحلف والعداوة والكرامة تنشب بينهم الحروب لأتفه الأسباب داحس وغبراء وناقة البسوس، مثلا.

---

[1] ينظر تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص 25
[2] سورة النمل الآية 23 رواية ورش عن نافع
[3] ينظر تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص 25
[4] نفس المصدر ص 25
[5] نفس المصدر ص26
[6] نفس المصدر ص26
[7] سورة النحل الآية 58-59 رواية ورش عن نافع

علـــوم الـــــــــعـــــرب ومعارفـــــــــــــهم:

وهذا العنصر أجده مهما لأنه، من أسس بناء الحضارة العلم والمعرفة.وللعلم والمعرفة مكانة وأثر في أرقى الأمم ودليل تقدمها، في جميع مناحي الحياة ورغم انتشار بعض المعارف، والعلوم إلا أنه كان للعلم، التعاليم عند العرب شيئ غير مألوف، ومن يعرف القراءة والكتابة، منهم أقل من أن يذكر وكان في قريش كلها قبل مجيء الإسلام إلا سبعة عشر رجلا يقرءون ويكتبون. وهم عمرو وعثمان وعلى وأبو عبيدة بن الجراح. وعمر بن العاص..الخ[1] واعتمادهم في نقل العلم والعلوم والمعرفة مشافهة وكانوا حقا أمة أمية لاتقرأ ولاتكتب. حتى جاء الإسلام ورغبهم في ذلك فأخذوا منها بحظ غير منذور[2] وغاية ماكانوا عليه من معرفة وعلم مادعت إليه الضرورة، مثل أمراض الأنعام وغزل الصوف، والوبر وصنع الألبسة والخيام، ومعرفة بعض الأمراض التي يتعرض إليها سكان الصحارى والكي هو الغالب عندهم.

وكانوا على دراية بأوقات مطالع النجوم، ومغاربها وعلم بأنواء*، الكواكب وأمطارها يعرفون العارض من الأمطار والعقيم وكانوا يجدون علم القافية والفراسة والريافة.

ومن هذا كله نجد أن مترلة العلوم والمعارف كانت متواضعة عند العرب ورغم ذلك كان هناك معارف وعلوم فرضهم الحياة والمواقف، من أجل التكيف مع الصعاب.

تـــجـــــــــــارة الـــعرب: من الأكيد أن البيئة والطبيعة بلاد العرب، لاتكفي حاجة أهلها وهذا ما جعلهم يقومون بتبادل، التجارات مع غيرهم، لسد حاجتهم.

وظهرت عندهم أسواق نافقة يجتمعون، فيها لشراء ما تمس إليه الحاجة من جميع الأغراض،[3]وكانت أرض اليمن لموقعها الاستراتيجي ووفرة معادنها وخصب، أراضيها صلات تجارية، مع الحبشة والهند والفرس، ومصر وشمال الجزيرة استمرت حقبة من الزمن الطويل. وكانت التجارة تتم في المواد صمغ وأعطار، وجلود ومنتجات كما كانت تتجر في حاصلات الشرق الأقصى التي كانت تدخل إليها بحرا[4] وكان لقريش رحلتان تجاريتان، رحلة الشتاء إلى اليمن والرحلة الصيف إلى الشام، ورجعت علىها هاتين الرحلتين من الفوائد المادية والثقافية مالا يعد ولا يحصى، و لم يكن لهم نقود يتعاملون بها، وإنما كان تعاملهم أما بطريقة مبادلة، الأعيان بالأعيان، وإما بنقود الدولتين المجاورتين، لهما وهما الفرس والروم، والدىنار من الروم والدرهم من الفرس.

إلا أن اليمن تستثني من هذا الحكم لأنها تعاملهم يتم بنقود وخاصة بهم ولقد اشترى مسيوشلومير حرفي القسطنطينية حديثا مائتي قطعة من نقود ملوك اليمن، التي اكتشفها غربي في صنعاء والتي تعود، إلى ماقبل ولادة المسيح.

---

[1] قصة الحضارة الجزء المجلد الرابع ص21 وذكرهم البلاذري في كتابه فتوح البلدان ص 477

[2] ينظر تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي ص 27

[3] نفس المصدر ص 28

[4] جو ستاف لو بن حضارة العرب تجارة اليمن في العصور القديمة والوسطى ص 106

*الأنواء ج- نوء وهو نجم كان العرب يقولون مطرنا بنوء كذا وكانت تمارس طقوس ينتظرون بسببها نزول المطرونهى عنها الإسلام بعد.

صـــنـــــاعة الـــــــــــعرب: كان العرب أبعد الأمم عن الصناعة لأن عامتهم، بدو يعتمدون على الترحال، في أغلب أوقاتهم والصناعة تستلزم الإقامة في المدن حيث يسهل وجود المواد الأولية اللازمة للصناعة، وتصريفها ورغم ذلك نجد بعض الصناعات عند أهل المدن مثل الحدادة والبناء.....الخ. وأهل المدن منهم لا يستحكم فيهم ملكة كثير من الصناعات، لإعواز*[1] المواد الأولية، للصناعات المختلفة في بلاد العرب، وهذا باستثناء اليمن لاختصاص أرضها بالخصب، ووجود مقومات الصناعة ووجود ملك فيهم واستحكامه فيهم مدة من الزمن، ولهذا لم يكن غريبا أن يكون احتراف الصناعة عندهم أمرا غير معروف ولا مرغوب فيه، ولقد عاب جرير على الفرزدق أكثر ماعاب، أن يكون أحد أبائه قينا يصقل السيوف، ومن ذلك قوله:

فأخزيت ياابن القين أل مجاشع * فأصبح ما تحمى مباحا مدعثرا**

وقوله كذلك:

وفاز الفرزدق بالكبتين * وماعادل من الفحم الأسود**

فرقع لجدك اكياره * وأصلح متاعك لا يفسد**

وأذن العلاة* وأذن القو* م و وسع لكيرك في المقعد[2]**

وكان يعيبون على أهل اليمن دباغة، الجلود وحياكة الثياب، ويقول منهم الواحد معيبا على اليمنيين،(هم بين دابغ الجلد، وناسج البود)[3] وبعض الصناعات كانوا يرجعون فيها إلى عمال من الروم أو الفرس كما يعلم ذلك في بناء الكعبة أي ترميم، قبل الإسلام وبناء الخورنق في زمن النعمان[4] وكان نساء العرب يعملن في الغزل ومنهن من كانت تتخد وتكتفي بالمواهن*[5] ومن لا تعمل يدعونها خرقاء.

حـــالـــة الـــعـــرب السيـــــاسيـــة: إذا لا حظنا جزيرة العرب نجد، أن بلاد عمان والبحرين في الشرق مفصولة عن سائر الجزيرة بفاصلين طبعي وسياسي، فالبراري الواسعة والصحارى، المقفرة، فصلت بينها وبين سائر البلاد. كما تولي الفرس إدعائها لها ومنعها من الانفصال بغيرها[6] وكان للعرب ولاء كل من الفرس والروم، إلي بلاد الوسط الحجاز، كانت تعيش نوع من الاستقرار السياسي، يتمثل في نظام القبلي. أما بلاد اليمن وحضرموت كانت في كثير من الأحيان، ميدانا للحروب الداخلية والفتن الأهلية فهوت من قمة مجدها، وذهب ريح قوتها أي دولتها. التي بنت سد مأرب، وطمع فيها غيرها فاستولت علىها الحبشة في سنة 525م وطبع حكمها لها استبداديا[7] وطلبوا العون من الفرس فأزاحوا الأحباش في سنة 597م أي قبل ظهور الإسلام بقليل، وكما أشرنا إلى ذلك في

---

[1] * لسان العرب مادة إعز وأعوزني هذا الأمر إذ أشتد عليك وعسر وأعوزه الشيء، إذ احتاج إليه علم يقدر عليه.
* العلاة السندان آلة من آلات الحداد القاموس المحيط مادة ع ل ة ص 122

[2] كتاب نقائض جرير والفرزدق ص 130

[3] تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي ص 30

[4] نفس المصدر ص 30

[5] نفس المصدر ص 31
* لسان العرب المواهن جمع ماهنة وهي الخادمة

[6] تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي ص 30

[7] نفس المصدر ص 31

بداية العنصر، كان الحجاز في أحسن حال،وكان لمكة مكانة خاصة عند العرب قاطبة، لذلك عملوا على استقرار الحجاز، والعرب كانوا يجلونها ويعظمونها، وينفقوا، علىها لأنه كان صنم كل قبيلة موجودا في أصوار الكعبة.

ولعبت قريش دورا رئيسيا في ذلك فتخدت دار الندوة، دار للشورى عندهم يجتمع كبارها للتشاور في مهامهم ومنحوا شارات الشرف، فيما بينهم حتى لا يدب الخلاف بينهم[1] وعرب الشمال كانت لهم مملكتان صغيرتان، في الشام وولائهم للروم، وهي مملكة غسان ومملكة الحيرة في العراق يساندون الفرس وكان الخصام بينهم و بين العرب سجال[2]. وعلى العموم فإنّ النظام القبلي كان المهيمن على عامة الجزيرة العربية،إذن وضع سياسي لايحسد علىه وحروب قبلية وغرات على بعضهم البعض ما جعل توحدهم وقوتهم على العدو ضعيفة

خـــــلاصة الــقول فـــي حـــالة الــعرب:

بعد هذه الجولة القصيرة بحال العرب يمكننا أن نخلص إلى بعض النتائج ونعددها في نقاط التالية:

- أنهم كانوا بحال لا يحسدون علىها فقد عرفوا أديان مختلفة وعددوا الأرباب، وعقلوا عقولهم عن التفكير واستحبوا العمى عن الهدى.

- وحالتهم الاجتماعية لم تكن أحسن من حالتهم الدىنية، إذا محصنا جيدا حالتهم الاجتماعية وتركيبتها وما وراء أبناء العم دنيا وجدنا قرابة مهتوكة، الستر ورحما مقطعة الأسباب وقبائل متنافرة متدابرة يحيك بعضها البعض الدوائر إلي جانب وأد البنات، من أجل اتقاء العار،

- لم يكن من الصناعات شيء ذو عناء وتجارتهم كانت محصورة، في المدن وهي قليلة[3] وليس لهم حكومة تجمعهم، تحث راية واحدة وتفرق خصومهم بين الفرس والروم، والأغلبية منهم يدينون، لرؤساء قبائلهم ويجتمون بعبياتهم.

- وهذا ما جعلهم يقعون فريسة سهلة تحث الاستعمار، الروماني والفارسي والحبشي وتأثرهم بالعصبية القبلية.

وكانت هذه الحالة السيئة مدعاة لأن تشرئب تطلعاتهم، إلى منفد مما هم فيه علما جاء الإسلام تقبلوه وعملوا على نشرة. وإلى جانب حالتهم، المرذولة كانوا يتمتعون بصفات طيبة حميدة كالشجاعة والنجدة وإقراء الضيف،و الصبر على الشدائد إلى جانب الفصاحة والأدب النافق وهذا يعد أرضا خصبة، تظهر علىها الحضارة وتبقى راسخة حتى لو أنطفئت هذه الدولة الإسلامية، من الوجود، وثم نستطيع أن نقول إن بلاد العرب وحضارتها كانت عونا ورافدا هاما للحضارة الإسلامية، وهذا العرض عن حالة العالم والعرب قبل الإسلام يجعلنا نقعد ونمهد للكلام، عن الأصول الحضارة الإسلامية. ولكن قبل الحديث عن أصول الحضارة الإسلامية، لابد من الإشارة إلي شيء مهم ونتكلم ولو باختصار عن الحياة العقلية والفكرية التي ساهمت إلي جانب أصول الحضارة الإسلامية، في بناء حضارة إسلامية يعترف لها العدو قبل الصديق لأن الحضارة والأدب ملتزمان إذا اختل واحد منهما اختل الآخر فتطور الأدب معناه حضارة قوية وأصيلة. وأحسن ماكان يملك العرب هو اللغة التي أبدعوا بها وأفحموا أقوام و أمم

---

[1] سيرة ابن هشام الجزء الأول دار ابن تيمية الطبعة الرابعة سنة 1410هـ -1990 م ص 87-90

[2] تاريخ ابن عساكر مخطوط بدار الكتب الأزهرية ص 704

[3] ينظر حضارة العرب للأستاذ ي هل ص 11-12

كانت سباقة للقول وفنون الأدب حتى جاء القرآن الكريم، يتحداهم في أعز مايملكون وهي اللغة التي بها يعبر الإنسان عن أغراضه ومعارفه وتساعده على التكيف وبعبر بها عن آدابه، وتقاليده وإبداعه المادي والمعنوي وينهى طه حسين بقوله (إذا كان العرب، أصحاب علم ودين وأصحاب شرف وقوة وبأس وأصحاب سياسة متصلة بالسياسة العامة، وأصحاب اقتصاد داخلي وخارجي معقد، فما أخلفهم أن كونوا أمة متحضرة راقية، لا أمة جاهلة همجية).[1] وهذا مايذهب إليه رأى العلماء أن اسم الجاهلية أطلق على العصر الذي سبق الإسلام لايمعنى، الجهل ضد العلم.

حـــــضـــارة عـــرب الحـــــجـــــاز فـــــــي الـــجـــــــــاهـــــليـــــه:

ونقتصر بذكر الحياة الفكرية والأدبية حيث، لم يكن العرب في عزلة عن العالم المعاصر لهم فإن الدول التي كانت على تخوم العرب والدول العربية القديمة والقوافل التجارية، الغادية بين البوادي العرب وواحاتهم، من جهة وبين مناطق الحضارة الفارسية، والبيزنطية من جهة أخرى، ودخول كثير من اليهود والنصارى، مع كتبهم العلمية والأدبية والعقائدية إلى بلاد العرب، كافٍ في إخراج عرب جزيرة من العزلة الفكرية ويصل بين أفكارهم والعالم.

والقرآن الكريم يصور لنا جانب من الحياة العقلية حيث يصورهم يجادلون، ويخاصمون حول مسائل شائكة، كالروح والقدر{**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**}[2] والموت وصفات الله والمعجزات.....الخ[3] والاتصال بالأمم الآخرى رغم كثرة وسائله كان ضيقا بسبب الفرق الشاسع بين الأمم، في مجال العقبي والاجتماعي وعرب الصحراء والتقارب والاقتباس أكثر ما يكون حين تتقارب مستويات الفكر ولأن العرب اعتمدوا على المشافهة لنقل المعارف الأفكار هذا يعود بالسلب، على هذه الأفكار والمعارف وما يلحقها من تشويه وتحوير واجتزاء[4] وأولا ما يعتز به الإنسان العربي الجاهلي هو الشعر والذي يعد بحق، ديوان العرب وخاصة كان يعيش صفاءًا اجتماعيًا وفكريًا، رغم الاقتباس الذي كان حسب قابليتهم للاقتباس، وبتالي جاء شعرهم أحسن ما أنتجت البشرية، وخاصة المعلقات التي خلدت مآثرهم والوقائع وتاريخهم وكل صغيرة وكبيرة تخص العرب آنذاك.

الـــــــــشـــعـــــر: ما استطاعوا العرب أن يبنوا حضارة مادية خاصة عرب الشمال، على الرمال المتحركة فانعكست، حضارتهم في إتقان اللفظ الذي يحبونه، وكان طوعا لهم وهم متميزون بتفوقهم على الشعوب الأرض، جميعا باستحسانهم لهذا الشعر الحلال.[5] وهو أعظم ما أثر عنهم هو توطيد اللغة العربية وقول الشعر.

والشعر عند العرب يعد صنعة فطروا علىها وهذا راجع للغة العربية التي تمشي مع هذا الاتجاه، فهو مثله عند اليونان أول الأنواع الفنية التي ظهرت وهو سلعة العرب في الفيافي والبداوة وشعر الجاهلية، كالشعر العربي كله غنائي أي أنه يمثل نفسية قائله ثم إنه يعتمد على الموسيقى، ولعله اشتق من ضلعها، فكان في أول أمره يغنى وأخذ منها الأوزان، ثم تدرج في الانفصال عنها وبقي له منها اليوم سوى الإنشاد.[6]

---

[1] د/ طه حسين في الأدب الجاهلي فصل مرآة الحياة الجاهلية
[2] سورة الإسراء الآية رقم من84 إلى-85
[3] د/ أنور الرفاعي الإسلام في حضارته وأنظمته دار الفكر دمشق 2008 ص 42
[4] نفس المصدر ص 42
[5] نفس المصدر ص 43
[6] دكتور شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي الطبعة السادسة دار المعارف المصرية سنة 1960م ص 189

فإن الشعر الجاهلي كالشعر العربي الإسلامي من بعده يعتمد على سحر اللفظ لا على الحدث الزمني كما هو في الشعر اليوناني والغربي، فكل روائعه صور تجمدت ولحظات فقدت الزمن وتوقفت، ولا ترتبط بما قبلها ولا ما بعدها فالشعر الجاهلي قليل الابتكار والتنوع يصرح أصاحبه، أن ليس من جديد يأتون به، **هل غادر الشعراء من متردم**[1] .

فقد وجهت مواضيع الشعر الجاهلي على ما يشغل خاطر البدوي (المرأة- الناقة- الحصان- الفخر- المديح – الهجاء- الحكمة). ووصلنا من هذا الشعر نماذج كثيرة، لعل معظمها منحول[2] حمل على أصحابه لما ضاعت أقوالهم الأولى، وهذا الانتحال ليس مقصورا على العرب بل، نجده عند أمم جميعا كالرومان و اليونان واه أسبابه، كثيرة منها سياسي وديني، ومنها لتفسير القصص أو لهوى الرواة، أو الشعوبية والدين.[3] وكان للشعر مقام كبير فهو يرفع أقوامًا ويضع أقوامًا ويثير الحروب، والسلام ويرأب الصدع وفكرة. المعلقات وتعليقها في الكعبة بماء معطر وذهب يوحى لنا ماذا مكانة الشعر وعظمته عند العرب لأنه بمجرد أنه يعلق في الكعبة فهو شيء بمثابة عقيدة لأن الكعبة هي للتعبد وشعر يتميز عن الكلام الآخر أنه يوحى للشاعر من طرف ربة الشعر، هذا يوحى كذلك تعظيم العرب للشعر والشعراء وكان عندما يظهر شاعر في قبيلة تقام الأفراح وتقسم الحلوى، واعتزت به قبيلته اعتزاز المحارب لأنه لسان حال القبيلة يدود عنها ويرد العدى....الخ.

والقصائد الجاهلية في شكلها وتبويبها، تدل على وجود مدرسة طويلة العهد، بالمران والتنظيم تبدأ بالأطلال ثم الوصف ثم عرض الشاعر من فخر أو اعتذار، أو تشبيب أو مديح من هنا جاء اهتمام شعراء الجاهلية بعدم التنوع وقلة الابتكار[4]

الأمـــــــــــــثـــــــــال و الحـــــــــكـــم: هي أصدق دلالة على مستوى العقلي، من الشعر لأنها صوت الشعب العادي لم يختلط بصنعة الشاعر ولا بوزنه ولا قوافيه، ولغته[5] ونجد صعوبة في فصل بين أمثال الجاهليين عن أمثال الإسلامية، بعد أن جمعها الجامعون في كتب واحدة، دون تميز وكان بعضها واضح الأصل بموضوعه ولغته وروحه[6] ومن خلال دراسة، ما وجد من أمثال، الجاهلية يدل على إيثار الجاهلية النظرة الجزئية الموضعية لا البحث الكلي الشامل[7] ويلحق بالأمثال، ما عرف باسم الأحاجي، والألغاز وهي نوع، من اللعب الفكري وما ظهر من قصص على لسان الحيوان وهو كثير ضرب للعبرة، والعظة ونلحق كذلك بعض الحكم بالأمثال التي كثرة في خطب الخطباء.

الـــقـــــــــــــــص: وهو باب كبير من أبواب الأدب ووجه من وجوه العقل الجاهلي، وهي متنوعة الموضوع وهناك قصص المسامرة حول نار، القافلة مساء، ومنها المأخوذة من يونانية وفارسية.

---

[1] نفس المصدر شوقي ضيف ص 190
[2] أنور الرفاعي الإسلام في حضارته ونظمه ص 43
[3] نفس المصدر ص 42
[4] نفس المصدر ص 44
[5] شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ص 404
[6] نفس المصدر ص 405
[7] أنور الرفاعي الإسلام في حضارته ونظمه ص 45

الـــــــــــخـــــــــــطابـــــــــــــة: ليس بين أيدينا نصوص وثيقة، من الخطابة الجاهلية وهذا راجع إلى بعد المسافة بين العصر الذي قيلت فيه وتدوينها، وكذلك نجد في كتاب "الامالي" للقالي وصاحب العقد الفريد يقول أنها، قليلة أكثرها منحول، والخطابة تناولت أغراض مختلفة، منها المنافرة والمفاخرة. بالأحساب والأنساب وذكر المآثر والمناقب،[1] والخطابة تتصل بنشأتها، عادة بنشأة النثر الفني وهذا الأخير لا يستوي ألا متأخرا بسبب،الحاجة فيه، إلى الرؤية والفكر وإلى مستوى من الرؤية والفكر لا يتفق للبدوي البدائي[2]م إن الخطابة لا تظهر في المجتمع غفوا كما بقية الفنون، حيث أنها ظاهرة اجتماعية تحتاج على نوع خاص من الحياة، العامة المتطورة وحفظ الخطب تتطلب دراية بالكتابة، ليس كالشعر وهذا ما جعل الخطابة العربية، تتأخر كثيرا بمقارنة بالشعر، وقد وصلنا من خطب العرب شيء قليل، وهو على قلت ظاهرة الانتحال، كخطبة قيس بن ساعدة الأيادي وخطبة الوفد الذي قيل أن النعمان أوفد للكسرى. ومن خلال ما وصلنا من خطب نستخلص بعض الخصائص، أنهم كانوا يسجعون ويوجزون لتسهيل الحفظ ويملئون خطبيهم بالحكم والأمثال وأحيانا ببعض الشعر.[3] من اجل إعطائه صبغة جمالية

الـــــــــــــــمـــــعـــارف الـــــــــعـــربـــيـــــة: يمكن أن نعددها في مايلي:

عـــــلـــــــم الـــــــــــنـــجـــــــوم: ذكر القرآن بعض المعلومات عن العرب لهذا العلم، وفي الأخبار تثبت تسربه إلى عرب الشمال في الجاهلية بعض المعلومات العرب القدماء، مثل الكلدان وبابل من الشمال واليمن من الجنوب واستخدم العرب هذا العلم لسير بالليل وللتنجيم وعبدت لدىهم، بعض الأفلاك وأعطوا للنجوم أسماء فهناك المجرة والفرقدان والدبران، والصيوف والسهيل وثريا والزهرة.....الخ[4] وأبا الحسين عبد الرحمن الصوفي **376هـ/ 986م** أتبث نحو 520إسما لمختلف النجوم، عند العرب الجاهلية ونجد أن صور العرب الجاهلية متباينة لصور اليونانية، وأنها تجعل أسماء صوره في الحياة البادية يؤلف فيها البدوي، في السماوات العلى قصة حياته من جديد، وهذا العلم أخذه عرب الجزيرة من الكلدانيين، من العرب القدماء و خاصة من الصابئة عبدة الكواكب وهذا ما يدل تشابه أسماء الأبراج بين العرب والكلدانيين. وما يدل على أصل اللغتين واحد، ونعطى مثال أسماء البروج الثور، السرطان، والجدي يقابله في الكلدانية ثور و سرطان وكديا و وأسماء الكواكب المريخ يقابلها في الكلدانية، مرداخ ونجد في أشعار العرب أسماء الكواكب بكثرة مثل الجوزاء الزهرة والعيوق والسماكين والفر قدين....الخ[5]

عـــــــلم الأنـــــــــــــــواء: كانت لعرب الصحراء مخايل، في السماء والجو يستظهرون منها أوقات الخصب والمحل ونتاج الحيوان والحر والبرد وتفصيل الأزمنة وسقوط المطر وهبوب الرياح، وكانوا يحتاجون إلى هذه المعلومات فأخذوا يقننون هذا العلم.[6]

---

[1] د/ شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ص 410
[2] ينظر نفس المصدر ص 411
[3] أنور الرفاعي فصل حضارة عرب الحجاز في الجاهلية ص 46
[4] نفس المصدر ص 46
[5] شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي ص 191
[6] حضارة عرب الحجاز في الجاهلية أنور الرفاعي ص 46

الطـــــب و الـــبـــيـــــــطرة:

لا يكاد مجتمع أن يعيش مستغني عن الطب وكل الحضارات اهتمت، بالطب لأنه كانوا يحتجون إليه، من أجل بقائهم مدة طويلة ومحاربة الأمراض الفتاكة والطب عند العرب الشمال في الجاهلية، كبقية الأمم تقدموا في الطب والبيطرة وكان يقوم عندهم على مصدرين

- **التجربة العملية:** وكانت تتناقل بالثورات والمران والخبرة.

- **المعلومات العلمية:** وهذا عن طريق الاحتكاك بالعواصم العالم، المتمدن آنذاك فارس وبيزنطة لتلقي الطب ومن الأطباء المهرة العرب مثل الحارث ابن كلدة الثقفي، الذي قدم من اليمن وذهب إلى جند يسابور في فارس وتعلم الطب فيها[1]. والمعالجة عندهم تنوعت بين الرقى والعقاقير النباتية، واليت كانت تتم عن طريق خلطات وبمقادير على حسب نوع المرض، والحجامة والكي والبثر بالنسبة لمرض الأرضة والفصد.

وإذا عدنا إلى اللغة كدليل، وجدنا أن العرب الجاهلية عرفوا معظم الأمراض ووصفوا أعراضها، واستعملوا من الآلات الجراحية وهذا إذا نظرنا إلى معجمهم الغني بالمفردات وبالأسماء الطبية.[2] ومن أشهر الأطباء إلى جانب الحارث بن كلده ابنه النضر وهو ابن خالة الرسول صل الله عليه وسلم، إلى جانب الطب اهتم عرب الجاهلية بالبيطرة لأنهم كانوا يعتمدون على المواشي، في حياتهم وكانت لهم سند في كل شيء وبتالي اختبروا مهنة البيطرة من أجل الحفاظ على الثروة الحيوانية،ومن أشهر بياطرة الجاهليين العاص ابن وائل.

الأنـــــــــــســـــــــاب: كان عرب الجاهلي وحتى الآن جد مهتمون بالأنساب، وال نسب عند العرب شيء مهم وعظيم ونعكس هذا السلوك، حتى على حياتهم ومواشيهم وصاروا يتغنون بالأصيل، منها ويدربون الأمثال ويقولون خيل أصيلة لا يستحقها إلا فارس أصيل ذو نسب وشرف[3] ونجد العلم بهذه الظاهرة، يعرفها كل الشعوب وخاصة البدوي وقد عقد "ابن خلدون" في مقدمته فصلا عن الأنساب وخاصة العرب((في إن الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين، في القفر من العرب ومن في معناهم.)).[4]

ويرجع ذلك إلى العزلة الصحراوية، التي يكابدونها، واهتم العرب اهتمامًا خاصًا بالأنساب وتفاخروا بها، وهذا راجع على حسب رأى ابن خلدون إلي البداوة والبيئة، ومجتمع القائم على القبيلة، القائم على رابطة الدم والرحم[5] وكانت الأنساب القديمة ترمم، وتملأ فراغاتها عكس الأنساب الحديثة كانت تحفظ بتفاصيلها ويدعى الناس تعلمها ونذكر منها قصة عنترة بن شداد ومشكلة النسب عنده، التي وجد معانات في إفتكاكها وهذا ما جعل "عمر ابن الخطاب" يقول((**تعلموا النسب ولا تكونوا، كنبط السواد إذا سئل أحدهم ممن أنت؟ قال من قرية كذا**)).[6] ومن أشهر علماء النسب "دعفل بن حنظله الدوسي" فقيل أنسب من دغفل ومنهم "ابن لسان الحمرة" وأسمه "ورقاء

---

[1] نفس المصدر ص 48
[2] نفس المصدر ص 48
[3] نفس المصدر ينظر ص 49
[4] مقدمة ابن خلون مكتبة الرحمانية بمصر سنة 1355ه-1936م فصل الأنساب عند عرب الجاهلية ص 3-22
[5] نفس المصدر ص 20
[6] أنور الرفاعي الإسلام في حضارته ونظمه ص 49

الأشقر وعبد الله بن حصين" من تيم اللات والنخار بن أوس القضاعي وزيد بن الكيس النمرى، وصعصعة بن صوجان وأبو بكر الصديق.[1]

الفـــــــــــــراســـــــــــــة و الـــــــــقيـــــــــــافـــــــــة: الفراسة هي الخبرة بهيئة الشخص.و الاستدلال بهيئته، وكلامه وظاهرة أعضائه وعلى أخلاقه وصفاته وهذا ما نجده الآن في المدنية الحديثة، علم الإجرام وقسم تحريات عند رجال الأمن، والقيافة هي تتبع الأثر. مهما تكن قدما أو خفا أو حافرا وهذا العلم اكتسبه، العربي من خلال التجربة المران لأن البدوي معرض للغزو و قطاع الطرق ونجد من النوادر عند العرب ما لا يخطر على بال قالوا، إنهم كانوا يميزون بين قدم المرأة والرجل، البكر والثيب، والشيخ والشاب، والأعمى والبصير وأشهر القيافة من العرب "بنو مدلج من كنانة" و "بنو لهب من لأزد" وهذا لا يزل في البدو إلى الآن، ولدى عرب الجاهلية عدا هذه المعرف الريافة مكان الماء في الأرض.

الكـــــــــــــــهـــــــــانـــــة و الـــــعـــــــــــرافـــــة: يشتركان أنهما كلاهما بعني التطلع للغيب، والفرق بينهما المستقبل اختصت به، الكهانة والعرافة للماضي ونجد أن العربي يخاف ويجزع وخاصة البدوي من القدر وأخذ هذا العلم أو المعرفة من بابل وهي أرث من تلك الحضارة ونجد لها نظير في حضارة الإغريق هذا إن دل إنما يدل على أن الحضارة كانت تعتمد، على مثل هذه الأمور ونجدها، عند المصريين في معبد سيوه، وكذلك الرومان ونجد أن الكهانة العربية أمزجت، بكثير من الأساطير بحكم طبيعتها والكاهن يقال أنه يعد مرجع القبيلة، في كل معضل يستشار في الشدائد، والحوائج وستنبئونه في أمور الغد و الرؤيا وكان العراف يطلع على المخبآت، ويعالج المرضى وهي ذات صلة بالطب عندهم.

ويفسرون ذلك على أن العراف والكاهن له اتصال أو إطلاع بعالم الجن. وأنها تسترق السمع وتأتي بالخبر من السماء ولسؤال العراف وجوابهما مراسيم معينة[2] وكانت تعطى الأجوبة بسجع، مايعرف سجع الكهان حتى يبقى كلامه مميز عن غيره ويتجلى بنوع من القداسة.

ومن أشهر الكهان العرب سطيح بن مازن قيل إنه يدرج كما يدرج الثوب لا عظم فيه ألا جمجمته رأسه، وشق بن صعب وكان رجل أي ذا يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة،...الخ[3] ويقول الشاعر في عراق اليمامة الأبلق عراق نجد.

جعلت لعراف اليمامة حكمة **** وعراف نجد إن هما شفياني[4]**

ومن هنا نلاحظ أن حضارة العرب الجاهلية لم تكن تفتقر إلى مقومات بل ما كان ينقصها هو الاستقرار كانت هناك الموارد البشرية، والمعرفية والعلمية وأهم من ذلك اللغة التي تجعل الإنسان صانع الحضارة، عكس الحيوان الذي بقي في أيطار محيطه الدنيا، ونعود إلى ما توصلنا إليه أن بلاد العرب سواء في الشمال أو في اليمن كانت أرض خصبة لقيام حضارة عربية إسلامية أبهرت العالم بل ونجد أن العالم أعلن الحرب علىها ،و عادها وأخذ يدس لها الدسائس

[1] نفس المصدر ص 49
[2] نفس المصدر ص 50
[3] ينظر نفس المصدر ص 50
[4] نفس المصدر ص 50

ويشوه أصولها التي هي أساس، وسر بقائها شامخة إلي اليوم وتعد بحق العنصر المناعي تجاه التشويه والحرب من طرف أعدائها، وسؤال إذن ماهي أصول الحضارة الإسلامية؟ منها ما هو إسلامي، وعربي متصل بالبيئة العربية، ومنها ماهو من الإرث الإنساني.

أصـــــــول الـــــــحـــــــضـــــارة الإســـــلامـــــيـــــة:

لكل حضارة أسس وأصول ترتكز عليها، وتجعل منها حضارة إما أنها راقية أو حضارة تعتمد على شيء، وهذا ما جعل الإنسان منذ البداية لصنعه للحضارة يتحرى، أصول وأسس توافق عرائزة، وميوله ورغباته إلا أن الحضارة الإسلامية جاءت تجمع بين الإنسان وميوله المادية والمعنوية بنظرة توافقية، ولهذا نجد أن كل حضارة سواء كانت رومانية أو فارسية.

اشتغلت على أساس الذي يجسده المجتمع تلك الحضارة، وأهملوا أسسا قد تبدو مهمة، وهكذا دواليك إلا لأن جاء الإسلام، وأعطى فلسفة جديدة في بناء المجتمع البشرى في جو من العطاء ويقول الرسول صل الله عليه وسلم ((أنما بعثت لـــأتمم مكارم الأخلاق)).[1] إذن الشعوب البائدة، و الحضارات الآخرى كان لها أخلاقا أو جانب من الأخلاق وأهملت أخلاق كثيرة مما جعل هذا الإهمال يعود بسلب على ديمومتها، وبقائها مدة طويلة، مسيطرة على العالم. وأول هذه الأصول في الحضارة الإسلامية هو دستور المسلمين، وهو عبارة عن كتالوك للإنسان إن أراد التكيف والعيش في مجتمع، إنساني و الامتثال إلى تعاليمه وقوانينه وهذا الكتاب لا يأتيه، الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويعد معجزة من حيث لغته وأحكامه وتشريعاته، ونجده تناول قصص حضارات أمم. سابقة وهذا ماجعله يعطى أهمية للتاريخ وعلاقته بالحضارة، وأمم الحضارات الآخرى حضارتهم تفتقر إلى أصول الحضارة الإسلامية ما جعلها في منعة من مكائد التي كادوها لها، ومن أجل تقويض الحضارة الإسلامية، وتأخيرها وأهلها فسخروا كل جهودهم المادية والمعنوية وطاقات بشرية من مستشرقين ومنصرين و عسكريين واستعماريين وغيرهم، من أجل ربح الحرب التي هي سجال بين حضارة أرادت إخراج الإنسان من القلق والفوضى والطبقية، وعبادة المال والعباد إلي عبادة رب العباد أول هذا الأصل هو القرآن والسنة مما جعل الغرب وعلى رأسهم المستشرقين يفعلوا المستحيل من أجل ضرب هذا الأصل المتين.

القرآن و الســـــــــــــــنة: القرآن الكريم كتاب الله { **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** }[2] وجاءت أوامره هدى وحتى يتبين لنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما الأصل الأصيل للحضارة الإسلامية نتكلم عنهما من النواحي الآتية:

-الناحية الدينية: شرع لهم العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج ومتمعن في العبادات،نجد أن الله شرع العبادة من أجل أن يبقى المسلمون ينعمون بالإخاء والمحبة[3] والعطف، أي مجتمع صالح من أجل مجتمع متماسك كالبنيان المرصوص، يتضامن مع بعضه البعض عن طريق مثلا الزكاة والصدقات....الخ حتى تنكشف سلوكات

[1] سيرة ابن هشام الجزء الأول دار كتاب للنشر ص 123
[2] سورة فصلت الآية 42
[3] د/ أبوزيد شلبي تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي مكتبة وهيبة القاهرة سنة 1433هـ 2012م ص 37

البدائية ويحل محلها أمور وبوادر الحضارة والمدنية، على أساس القوى ضعيف والضعيف قوى في دولة لا فرق بين أفرادها حاكم ومحكوم غني وفقير.

-الناحية الاجتماعية و الأخلاقية: كل الحضارات عملت على تطوير، الجانب الاجتماعي والأخلاقي بل فلسفات العالم وكل الشعوب سواء كانت بدائية ومتحضرة اجتهدت من أجل المجتمع والأخلاق، لأنهما أساس مهم في تطوير البشرية وبناء الحضاري.

_وجاء في القرآن الكريم كثير من الشرائع، الاجتماعية و الأخلاقية

1 مايتعلق بمعاملات الناس بعضهم البعض

2 ما يتعلق بالحدود و القصاص وفيه حياة للناس

3 ما يتعلق بالآداب الاجتماعية

ومن المعاملات الوفاء بالعقود ونعني كلمة تشمل جميع الالتزامات بين بني البشر من بيع، وتجارة و وشراء وإجارة...الخ. نهى عن أكل أموال الناس بالباطل، وعن الربا وأجب أداة الشهادة على المؤمنين، ذلك لأن الشهادة تكفل أداء الحقوق إلى مستحقيها، وقد تكون السبيل الوحيد لإقرار العدل، في نصابه والعدل أساس الاستقرار ومن أوج وجوه المدنية، والحضارة[1] وأمر به وحث عليه أي العدل {**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**}[2]

الحدود والقصاص: لقد عرفت الحضارات الظلم والقتل ولأتفه الأسباب وسفك الدماء، و من أجل أمور واهية وجاء الإسلام والقرآن حرم القتل وسفك الدماء إلا بالحق وكذلك حتى في الحروب والإسراف في القتل،يقول الله تعالى{**فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا**}[3]

ومن أجل حياة تبتعد عن الكراهية والعنف ونظام العشوائي الهمجي شرع لنا القصاص في كل الأمور، وله فوائد تعود على المجتمع{**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}.[4] ندع إلى العفو بأسلوب يدعو إلى العفو[5] فقال سبحانه وتعال{**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ.**}،[6] أما الحدود أجمعها في أربع:

حد الزنا وتعلمون أن النساء والزنا والبغايا،هي من أسقطت الحضارات وهدمتها و اسألوا التاريخ والتاريخ شاهد، من الذي دمر الإمبراطورية الرومانية والفارسية والعثمانية إنها المرأة وتفشي اللهو والمجون، وأتذكر قول ديغول عندما كان قائد القوات الفرنسية عند هجوم هتلر على فرنسا واحتلال باريس، قال لقائد الشرطة آنذاك أغلق أوكار الخنافس وجحور الذئاب.أي منازل البغايا[7] وهناك حد القذف لأن الإشاعة تهدم دول وكانت وراء خراب حضارات وبها تعلن الحروب ،و كذلك حد قطاع الطرق والسطو وهم بهذا السلوك يفسدون في الأرض و المتأمل لهذه الحزمة

---

[1] نفس المصدر ص 38
[2] سورة النساء الآية 58
[3] سورة الإسراء الآية 33
[4] سورة البقرة الآية 179
[5] تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي ص 33
[6] سورة البقرة الآية 178
[7] جريدة لموند عدد 213سنة 1946

من العقوبات غرضها إصلاحي، أكثر منها ردعي وجاءت الحاجة إليها من أجل تأمين النظام وديمومته، وهو شرط ضروري في قيام الحضارة وتأمين الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

الآداب الاجتماعية والأخلاقية: جاء القرآن كله يدعو إلى الآداب الاجتماعية والأخلاقية، وهذا يدل على سمو هذا الدين، الإسلامي وحضارته وأنه دين اجتماعي هدفه سعادة المجتمع.

ومن بين هذه الآداب الإستئذان في الأسرة الواحدة وعند التزاور.[1] وينهى النساء أن يبدين زينتهن، إلا مظهر منها، وأمر بالتحية وهي من أسباب المحبة والسلام بين الناس يقول الرسول صل الله عليه وسلم ((**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**)).[2]

وأمر بالصبر وحض على العفو ونهى عن التجسس و الغيبة، وأمر بالاتحاد ونهى عن التفرق، وحض على الصلح في كل الأمور على غير ذلك من الآداب الاجتماعية السامية التي لا يمكن أن تكون إلا في المجتمع الإسلامي الفاضل.

وهذه الأخلاق الاجتماعية لم تتحقق بصورة جلية في بعض الحضارات وكانت عند الهمج المجتمعات البدائية، بعض منها تطور المجتمع البدائي إلى مدني بسبب وجود بعضها في هذا المجتمع، أما المجتمعات الآخرى سقطت حضارتهم لأنها في الحقيقة ابتعدت عن الأخلاق والآداب الاجتماعية فساد الظلم واللهو المجون، وتبددت القيم وانهارت الحضارات فأصبحت تدرس وقابعة في محافل التاريخ.

الناحية الاقتصادية: القصد خلاف الإفراط وهو مابين الإسراف والتقتير، وفي الحديث((ماعال مقتصد ولا يعيل)).[3] وعلم الاقتصاد علم يبحث في السلوك الظاهري، للفرد حال سعيه لتدبير معاشه،[4] ويهدف كما قال علماء الاقتصاد تحقيق الرفاهية للناس والفكر الاقتصادي، هو مجموعة الآراء والمفاهيم التي تؤثر في سلوك الإنسان تجاه الثروة وإنتاجها وتوزيعها[5] ونظرية الاقتصادية مفهوم متكامل، يقوم على دعامتين هما الإنتاج والتوزيع وكل منهما تكمل الآخرى.

كما يوجد نظرية ثالثة تتفرع على القيمة كانت النقود تعطى، الباحث في الدراسات الاقتصادية لمادة جديرة بالنظر العلمي إلا أنها، غير منفصلة عن قلب الاقتصاد وهو إنتاج وتوزيع، لذلك نستطيع القول بوجود نظرية ثلاث مترابطة، الأولى الإنتاج والثانية التوزيع والثالثة النقود تعطينا نظرية الاقتصادية.

ولكن السؤال المطروح بعد هذا التمهيد السريع هو هل جاء القرآن الكريم والسنة النبوية أو بصورة أعم الحضارة الإسلامية،بعناصر متكاملة تمد الفكر العلمي بتصور علمي يقوم على النشاط، الاقتصادي في كل من الإنتاج والتوزيع وفي ظل ما يعرف بالاقتصاد النقدي؟[6]

---

[1] تاريخ الحضارة الإسلامية ص 41
[2] سيرة ابن هشام ص 156
[3] ينظر محاضرة الأستاذ عيسى عبده إبراهيم (القرآن والدراسات الاقتصادية) التي ألقاها في قاعة الشيخ عبده بالقاهرة سنة 2011
[4] تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي ص 43
[5] نفس المصدر ص 43
[6] نفس المصدر ص 44

الجواب نعم لأن الاقتصاد به يعلو شأن الحضارة بل رأينا في الفصل الأول، أنه من أسس الحضارة وكيف أنتقل الإنسان من الفوضى إلى المدنية لما نظم الاقتصاد وكل مايتعلق به[1] وسنذكر بإلمامة، خفيفة في هذا الشأن أن القرآن الكريم أرسى قواعد الكلية للتنظيم الاقتصادي وجاء بعناصر متكاملة، يعطى الجانب العلمي حاجته[2]، تتضمن مبادئ وأسس تحفظ للجنس البشري أوضاعا اقتصادية، تكفل له مستويات، علىا من الرفاهية قبل أن يقوم على الاقتصاد وهذا ماتهدف له الحضارة في قمة مدنيتها الرفاهية.

مبدأ العمل: الحضارات كلها تقوم على مبدأ العمل لأنه ضرورة بيولوجية واجتماعية، وهو السبيل الوحيد لكسب المعاش وسبب قيام الحضارة وهو الدعامة، التي يقوم علىها المجتمع الإنساني فهذا التنوع،في العمل فرد يزرع وأخر يتجر وغيره يعالج أو يحافظ ويسهر على الأمن، وغيرها من الأعمال التي يقتضيها النظام الجماعة البشرية[3] لذلك نجد الإسلام حث على العمل والكسب المشروع، لأن الإتقان مع تحرى المشروعية يجعل أثره يعم بالفائدة على الجميع، بل يرى بعض خبراء في نشاط البشري على أن العمل في الفكر المعاصر هو المجهود الإرادي الواعي(**وهذا ما يجعل الحيوان يخرج من دائرة العمل)** الذي يحقق به الإنتاج السلع والخدمات لإشباع حاجاته، والعمل هو العنصر الفعال في كل حضارة وفي كسب، الذي أباحها الإسلام ولهذا نجد فلسفة الإسلام للعمل تختلف عن نظرة وفلسفة اليونان القديمة والفرس وغيرها من الأمم، من أنه من اختصاص العبيد بل جعله ذا مكانة عالية يعد من مصاف العبادات، وخير دليل على ذلك الأنبياء مارسوا المهن والعمل في حياتهم احترف أدم الزراعة، ونوح التجارة إلى جانب نجارة، وداود الحدادة، وإدريس الحياكة،وزكرياء[4] النجارة بل يقول الرسول صلى الله علىه وسلم ((**من بات كالا من يد عمله بات مغفورا له.**))[5] وترتيبا على ذلك نجد أن للعمل فائدة لا تعود على العامل وحده بل على المجتمع بأسره أيضا.

الزكـــــــاة: الزكاة من بين أهم الأسس التي يقوم علىها المجتمع، وجاء التشريع الإسلامي كبديل عما عرفته الحضارات، والأمم الآخرى وهي ضرائب وغرامات التي كانت تزيد شرخ المجتمع وتزيد الهوا والطبقية، والزكاة تنظم الاقتصاد لأنها من العوامل التي تقلل الفوارق بين الناس في حظوظ الدنيا ومنها تسود المحبة بين المجتمع وتقضى على الفقر.لأن الزكاة تعالج الفقر وتجعل الفقير عنصرًا فعالاً في المجتمع بحيث تجعله في المستقبل هو من يقوم بالزكاة وإخراجها، وتجعله يساهم في الركب الحضاري للأمة[6] والواقع أن الإسلام زود الثروة في المجتمع، بأسس تحقيق العدالة وحرصا على التكافل الاجتماعي حيث عرض الإسلام مشكلة الفقر، قبل أن تتطور إلى الأسوأ حتى لا تصبح عبئًا على الدولة والمجتمع، ومنها عدا المال زينة الحياة الدنيا فقال تعلى {**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** }[7] لأن الفقر يعد خطر على الحضارة وتطور لذلك نجد أن

---

[1] ينظر قصة الحضارة جزء الأول ص 9-10
[2] تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي ص 44
[3] نفس المصدر ص44
[4] د/ عبد الهادي النجار الإسلام والاقتصاد عالم المعرفة الكويت سنة 1983 ص 23
[5] سيرة ابن هشام الجزء الثاني ص 201
[6] تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي ص46
[7] سورة الكهف الآية رقم 44-45

الحضارات لما تفشى فيها داء الفقر دب فيها الفساد، والعقيدة والأخلاق خطر علىها كذلك، وخطر على المجتمع بأسره وكل الأشياء المذكورة خطر عن الحضارة لأن "ملك بن نبي" يري أن الحضارة لا تقوم إلا بعنصر المال والإنسان والتراب أي الرقعة التي تجمع المجتمع، وإذا فسد المال والإنسان والمجتمع فعلى التحضر سلام [1] ومن هنا قام الإسلام وحارب الفقر وحررالأنسان من براثنه، وفرض الزكاة وجعلها ركن من أركان الإسلام، وحتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء،ويستطيع الفقراء مشاركة في الحياة وصنعها ويصبح عضو، حساس في المجتمع وأن شعور الفقير بذلك يعتبر في حد ذاته ثروة كبيرة وموردا بشريا يساهم في تقدم مجتمعه وأمته.

تحريم الربا: الربا فيه مفاسد وأضرار على المجتمع الإنساني، من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية فهي ضد الأخلاق الكريمة، والمرؤة والتعطف والتعاون ويورث الحقد والبغضاء وهذا سبب معاناة الحضارات السابقة إذن هدا جانب من الناحية الاقتصادية، الذي أسست لحضارة إسلامية إنسانية بكل المقاييس، يتكيف معها كل أجناس البشر وأنواع الشعوب، وهذا سر قوتها جمعت بين الجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والدىني وفي ديباجة أبهرت العالم وقاومت كل الأعداء بمكرهم وإدعائهم ....الخ.

الناحية الأدبية و العلمية: العرب أفصح الناس لسانا، أبينهم بيانا كلمة طوع لسانهم ومخيلتهم لا تستعص علىهم، ولما جاء القرآن وهو كتاب عربي مبين يقول القاضي عياض((**إنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام، قد خصوا من البلاغة والحكم بما لا يخص به غيرهم من الأمم، وأتوا من ذراية اللسان سالم، يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب... فما راعهم، إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل قول...**)).[2] ولو سمعت آياته، لوجدت فيها حسن الدىباجة وأنها حققت إنجاز ووفرت المعاني، وحسن التأليف والنظم وحروفه مع كلامه وإن تحث كل لفظة جملا كثيرة، وفصولا جمة[3] سمع العرب القرآن واستظهروه، وعرفوا أهدافه ومراميه فاندفعوا، إلى الأخذ من أسلوبه وتفرقت ألفاظه وطرائقه في قبائلهم ومنتدياهم، وأسواقهم وظهر أثره، في خطبهم ورسائلهم وأشعارهم وانصرفوا، عن الافتخار بالأنساب التنابز بالألقاب والغزل في النساء، وما في ذلك من ميادين الكلام، إلى التحريض على الحرب والجهاد، ونشر الدعوة وهداية الناس إلى الإسلام.[4] وعرفوا كيف يخطون العهود والمواثيق، مع الآخرين وأن ينتقوا من العبارات ما يفي غايتهم وعرفوا مواقع الكلام وأن لكل مقام مقال، وكان لكلامهم عمل في النفوس مالا تعمله السيوف إن من البيان لسحر.

الناحية العلمية: أطلق الإسلام عقولهم بعد ما كانوا محاصرين، بين الوديان والصحاري لا يرون إلا بيئتهم الصحراوية وراحت عقولهم تتحرر من مربطها، ودعاهم إلى التفكير وأن يتأملوا في ملكوت السموات والأرض، وأمر

---

[1] ينظر دراسة في الفكر الاقتصادي العربي لمحمد عاشور(أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي) بدون دار للنشر سنة 1973-ص 134

[2] عن الشفاء الجزء الأول ص 217-222ومنه تاريخ الحضارة الإسلامية وفن الإسلامي ص 52

[3] تاريخ الحضارة الإسلامية ص 52

[4] نفس المصدر ص 52

الرسول صل الله عليه وسلم أن يتعلموا لغات الأمم الآخرى، وكذلك عنوا بالفنون المختلفة وطبعوها بالطابع العربي الأصيل وامتازوا في كثير منها و لم يمض قرنان من الزمن، حتى كان العرب أساتذة العالم في الثقافة والعلوم والفنون.[1]

الناحية السياسية: ساس النبي صلوات الله عليه أمته سياسة حكيمة رشيدة والسياسة من مقومات الحضارة، بل تعد من لبينة المدنية و إلا بقي الناس في همج وعدم النظام وقضية العقد الاجتماعي خير دليل على ذلك،وقد وضح الإسلام هذه القضية جيدا، و أعطاها اهتماما بالغ الأهمية. وكان الإسلام يحث على السياسي أن سياسة لا فرق بين الحاكم والمحكوم يقول عمر((**لقد وليت أمركم ولست بخيركم، وإذا رأيتم مني اعوجاجاً قوموني بجدالسيف**)).[2] ونعلم أن الأمم كيف كان الحاكم يسوس شعوبهم، بقوة والحيلة والطش أما معلم البشرية كان كالأب الرحيم، صبر على أذاهم واحتمل جفوتهم وصفح عن هفوتهم، وقبل معذرتهم ووصل من قطعه وأعطى من منعه، وكان يأخذ حق الضعيف من القوى ويرده إليه وكسب القلوب قبل الأرض، وكانت سياسته كلها تدعو إلى التآخي فقد آخ بين المهاجرين والأنصار، وهذا الإخاء كان له أفضل الثمرات هذا على المستوى المحلى أما على مستوى الجواري أو الخارجي، أبرم عقد بين المسلمين واليهود أودعهم فيه، على دينهم وأموالهم وقام بصلح الحديبية، رغم أن شروط قريش كانت إزتفزازية وظالمة، ولم يمض وقت طويل حتى كان الفتح المبين.[3] ثم جاء الفتح ولا تندهش من عفوه وصفحة حينها تمكن من قريش ولكنه قال: مقولته المشهورة التي حطمت وأسست للأسرى الحروب دروسا في القمة، **أذهبوا فأنتم الطلقاء**،[4] كيف لا والله يقول{**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**}[5]. أتت هذه السياسة الرشيدة والتشريع الحكيم، والأخلاق السامية تمرثها، وعرفه واستجاب من كان متأتيا،عليه[6] وهذا يتضح أن المجتمع، العربي والإسلامي صار يتميز بسمات شريفة وصفات حميدة نلخصها فيما يلي:

1- إيمان برب واحد وابتعدوا عن عبادة الأرباب

2- القضاء على المنازعات والمشاحنات فانتهت الحروب والغارات بينهم {**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**}.[7]

3- هذب أخلاقهم وقضى عن العادات السيئة كالثأر ووأد البنات.

4- بث فيهم روح المحبة وألف بين قلوبهم فصارت الوحدة الدينية بدل القبيلة.

5- نادى إلى الإخاء والمساواة.

6- دعاهم إلي الجهاد و الدفاع عن الدعوة الجديدة، ومنها كانت الفتوحات العظيمة.

7- أوجد لهم تشريعا وافيا كافيا، بكل مطالب الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والأدبية متميزًا عن باقي التشريعات السابقة.

---

[1] أنور الرفاعي كتاب سيف خالد بن الوليد دار الفكر دمشق سنة 2010ص 53
[2] خالد محمد خالد رجال حول الرسول دار الإفتاء مصر الجزء الأول طبعة الثانية سنة 1998 ص 132
[3] المقريزي إمتاع الإمتاع الجزء الأول دار الهدى لبنان سنة 2001 طبعة جديدة ص 499-500
[4] نفس المصدر ص 550
[5] سورة القلم الآية 04 رواية ورش عن نافع
[6] تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي ص 56
[7] سورة الانفال رقم الآية 46

وفي الختام نجده وحد العرب وأشعرهم، لأول مرة في حياتهم وتاريخهم لأنهم سيبقون في ظل حكومة واحدة لها دستور يحتكمون إليه ورئيس مطاع تجمعهم علاقة المحبة والطاعة والإخاء والوفاء.[1] وقد انتهى لهم باستقرار الرسول صل الله علىه وسلم، في المدينة، وإتخادها مقرا دائما إقامة دولة لها كل الأركان ومقومات الدولة الحديثة، بعد أن كانت القبيلة هي السيدة، وهذه الأركان التي حددها رجال القانون هي الشعب يعيش في رقعة، معينة من الأرض وشخصية المعنوية يمثلها صاحب السلطان، ونظام تخضع له واستقلال سياسي يجعل الشعب ذا سيادة قائما بذاته لا تابعا لدولة أخرى، مثل الغساسنة والمناذرة الذين كانوا تحت إمرة الفرس والروم.[2] هذه جملة من النظم بيناها ليتضح للناس والقارئ، أن الإسلام لم ينس عنصرا من عناصر الحضارة، و لم يهمل شيئًا من قوام الحياة.

والذي يلاحظ وضع العرب قبل الإسلام وبعده ويقارن بين الوضعيين،يستخلص أن الشيء الوحيد الذي جد علىهم هو ما جاء به سيد الخلق محمد صل الله علىه وسلم، حيث قّوم أخلاقهم وهذّب نفوسهم ووحّد كلمتهم، وأصلح مجتمعهم وأصبحوا أمة عالمية وهذا ما جعل كثيرًا من المستشرقين، المنصفين وغيرهم يقروا بهذا، وهذا ما ذكره الدكتور "محمد يوسف موسي" بأن التشريع الإسلامي لم يأخذ، شيئا عن التشريع الروماني، فهل الروم أخذوا عن المسلمين في فترة ما؟[3] ويقول كا من سير وليم موبر وكارليل((**على أن محمدًا فعلا قائد متميز لم يشهد التاريخ مثله، حيث أيقظ نفوسًا وأحيا الأخلاق وبفضله أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والعرفان.**)) ويقول الدكتور "فتزا جيرالد" ((**ليس الإسلام دينا فحسب، بل نظام سياسي أيضا**)).[4] والدكتورة "شاخت" ((**أنه نظام كامل من الثقافة، يشمل الدين والدنيا معا**)).[5]

ويقول "برنارد شو" ((**الإسلام دين الدىمقراطية، وحرية الفكر ودين البيع والشراء، وفوق فهو دين السلام.**))[6] ويقول المؤرخ المعاصر "ه/ ج/ ويلز" ((**إن الإسلام ساد لأنه كان خير نظام اجتماعي، وسياسي.... كان أوسع وأحدث وأنطق فكرة سياسية، اتخذت سمة النشاط العقلي في العالم حتى اليوم....**)).[7] وأخيرا يقول صاحب قصة الحضارة، ((**لقد ظل الإسلام، خمسة قرون على الأقل من 700م– 1200م يتزعم العالم كله، في القوة والنظام وبسط ملكه وجميل الطباع والأخلاق وفي ارتفاع مستوى، الحياة وفي التشريع الإنساني الرحيم، والعلوم، والطب، والفلسفة...**)).[8] ونقول وبفخر إن هذه الأسس العظيمة، وتلك الأصول المستمدة من وحي السماء قد أوجدت المجتمع المثالي الفاضل عكس المدينة الفاضلة على طريقة أفلاطون، ونقول كذلك في وشوق إن أسس الحضارة الإسلامية وأصولها الأولى أخذت من الفران والسنة وإنها كثيرة الاختلاف، والتباين عن الحضارات

---

[1] مصدر السابق ص 57
[2] د/ محمد ضياء الدين : النظريات السياسية الإسلامية طبعة الثالثة دار الوفاء القاهرة بدون سنة طبع ص 14-15
[3] د/ محمد يوسف موسي الفقه الإسلامي دار الحكمة لبنان بيروت سنة 1999 ص 65
[4] تاريخ الحضارة الإسلامية ص 58
[5] نفس المصدر ص 58
[6] مجلة الأزهر الجزء السابع مجلد 28 ص 231
[7] تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي ص 58
[8] د/ مصطفي السباعي اشتراكية الإسلام دار المعارف سنة 1998م ص 173-176

السابقة وهذا بشاهدة المنصفين، من الغرب يقول جو ستاف لوبان: ((**إن العرب أنشأوا وبسرعة حضارة جديدة كثيرة الاختلاف عن الحضارات التي، ظهرت قبلها.**))[1]

الحضارة العربية: لم يذكر المؤرخون شيئا كثيرا، عن الحضارة العربية قبل الإسلام رغم ذلك نجدها من الأطلال في اليمن، من عمران النقوش التي أكتشفها الباحثون والنقود اليمنية والآثار الموجودة، في شمال الجزيرة العربية والعلاقة الموجودة مع اليمن وما ذكره القرآن الكريم عن ملك بلقيس ملكة سبأ وسليمان، عليه السلام[2] وهذا يمدنا على أن اليمن كانت على قدر من المدنية والحضارة.[3] وفي مكة كانت فيها معالم الحضارة من خلال التجارة التي مكنت أهلها ، على اكتساب بعض المعارف وشؤون الحياة ودراية بأحوال الآخرين.

وكان فيها دار الندوة تعد بمثابة برلمان يحل ويناقش أمر القرية أي المدينة وإلى جانب الخلاف مثل حلف الشريف[4] وهو في الحقيقة يشبه النظام القضائي تلجأ إليه قريش للفصل، في الخصومات والديات وكان هناك جانب أخر ومهم وهي الحياة الفكرية والأدبية، إبداع أدبي ولغوى ومن خلال الاستقرار التي كانت تتمتع به قريش و احتكوا مع غيرهم اكتسبوا خبرة ومعرفة ودراية، وكان لهم حظ وافر من الأمثال والحكم الجامعة، ولهم ثقافة انفردوا، بها واشتغلوا بالكتابة والتدوين وقام عندهم علم يسمي علم الأنساب، كما نبغوا في الشعر، يقول "أبو القاسم صاعد الأندلسي" ((**وأما علمها الذي كانت تتفاخر به، تتبارى به، فعلم لسانها وإحكام لغتها، ونظم الأشعار وتأليف الخطب ومع ذلك أصل علم الأخبار ومعدن معرفة السير والأمصار.**))[5] ويقول أيضا ((**والعرب الذين استطاعوا في أقل من قرن أن يقيموا، دولة عظيمة ويبدعوا حضارة عالية جديدة، هو لا ريب من ذوى القرائح** التي[6] **لا تتم إلا بتوالي الوراثة، وبثقافة سابقة مستمرة....**)). وهذا القول يفند قول أن الحضارة الإسلامية ماهي إلا خليط من الحضارة اليونانية والفارسية.

ومن هنا يتبين لنا أنهم أسهموا بحظ وافر في تقدم الحضارة الإسلامية ومن هنا كان العرب عنصرًا مهمًا في الحضارة الإسلامية.

الحضارة الفارسية: الفرس دولة غريقة في الحضارة وتطورت حضارتهم في ظل الدولة الساسانية، وظهرت في السياسة والإدارة والحروب ومظاهر الترف، والرفاهية وكان دينها الرسمي الزرادشتي، ولغة ذات آداب وحكمة هي اللغة الفهلوية، ولما فتح المسلمين أرض الفرس عرفوا منهم الكثير من محاسن، الدين الإسلامي وسماحته فدخلوا فيه أفواجا وصاروا سوالى للمسلمين، وأقبلوا على اللغة العربية يدرسونها فهي لغة دينهم الجديد، وكان اهتمامهم باللغة والدين، مدعاة للعناية بهما.[7] وأسهموا في الحركة العلمية، وفي التأليف وأفادت الحضارة الإسلامية من ذلك فوائد جمة

---

[1] تاريخ الحضارة الإسلامية وفن الإسلامي ص 59
[2] نفس المصدر ص60
[3] ينظر حضارة العرب للأستاذ جوستاف لوبان ص 108
[4] تاريخ الحضارة الإسلامية ص 61
[5] نفس المصدر ص 62
[6] أبو القاسم صاعد الأندلسي طبقات الأمم ص 68
[7] تاريخ الحضارة الإسلامية ص 63

تواجد بعض الألفاظ التي تشير عن مظاهر الحضارة، وليس لها مقابل في اللغة العربية فنقلت بذاتها إلي اللغة العربية وصارت في بنيتها مثل كلمة إستبرق شيوع كثير من موالي الفرس في مختلف العلوم العربية الإسلامية.

وانتقلت إلى الحضارة الإسلامية عن طريق هذه النقلة العلمية، بعض معارف الهنود لها أثر واضح في الحضارة الإسلامية.[1]

الحضارة اليونانية والرومانية: الأغر يق هم أصحاب حضارة أصيلة وعريقة، وقد نبغت في الفلسفة والعلوم، والفنون والآداب وظهر فيها قامات في الفكر، مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو وعرفت ثقافتهم، في الشرق على أثر فتوح الإسكندر وأسر حاكمة في الشام ومصر خاصة.[2] وفي القرون البائدة على الإسلام نقل سريان الشام والعراق إلى لغتهم السريانية كثرا من التأليف اليونان في الفلسفة، والطب، والرياضيات، والكيمياء، والفلك والجغرافيا، وأنشئوا المدارس في العواصم الكبرى، مثل أنطاكيا وقيصرية والرها والنصيين وبذلك انتشرت، الحضارة اليونانية في الشرقيين، الأدنى والأوسط ولما ظهرت الدولة الرومانية، في العصر اختلطت حضارتها ولاسيما في التشريع القوانين وهندسة الطرق بالحضارة اليونانية، وفي العصر العباسي قام هارون الرشيد بترجمة كثيرًا من كتب اليونان، وبذلك انتقلت الثقافة اليونانية إلى المسلمين، وأصبحت من أهم الأسس الفلسفية والطب والكيمياء....الخ عند العرب[3] إذن هذه أصول الحضارة الإسلامية، القرآن الكريم والسنة والحضارة العربية ثم الفارسية واليونانية، والرومانية وهذا ما اكسبها القوة والمناعة هو هذه الأصول وخاصة القرآن الدستور القرآن المعجز في بيانه وعلومه وآدابه وقوانينه وفي ديباجته وفي نظمه وفي لغته بل تحدى الجن والإنس وكل الناس عجمهم وعربهم أدناهم وأرفعهم جاهليهم وعالمهم أن يأتوا بسورة من مثله.و الحضارة الإسلامية أخدت بالحظ الوفير أصلين تبثين وتجارب أمم أخرى وحضارات سابقة.

وبهذا نالت الغز مقاما يطاول النجوم ويزحم منكب الجوزاء، وامتدت من دوحتها، زروع زهت بثمار الفضل، وأزهار العلم ففاح شداها، في الأفاق وكان منها للعلم دولة فيها رفيع العماد وارفة الظلال حافلة بالألوان من الدارسين والباحثين والمصنفين، والمستكشفين والمخترعين والضاربين في أنحاء الأرض، بحثا عمًا أودعتها الطبيعية من الآثار والمتطفلين إلى السماء استكشافا لما فيها من أثار وأسرار، لم يدعو عالما إلا ولهم فيه يد ثابتة ولا بحثا إلا ولهم فيه قدم راسخة، فضلا عن علو كعبهم في العلوم الفلسفة والدينية واللسانية.....الخ[4] في هذا الفصل سوف نتطرق إلى الحياة الأدبية والفكرية والفنية في الحضارة الإسلامية بنوع من الشرح والتحليل لان أهم ماميز الحضارة الإسلامية هو الجانب الفكري والأدبي والفني إلى جوانب أخرى مثل طرق الحكم ونظامه الاقتصادي، والاجتماعي وهذه الأخيرة لا نركز عليها لأننا نريد التقيد بالمشروع وهو الأدب والحضارة ثانيا أن المستشرقين، صبوا جل جهدهم، على الجانب الأدبي والفكري والفني والعلوم في الحضارة الإسلامية. قصد ضرب الهوية وطمس الشخصية من أجل استغلال خيرات البلاد الإسلامية وجعل الأمة تعود إلى سابق عهدها يتخطفها الناس من كل جانب، إنها حرب تحث مايسمى

---

[1] نفس المصدر ص 64
[2] نفس المصدر ص 65
[3] نفس المصدر ص 65
[4] أسعد داغر حضارة العرب مطبعة هندية بالموسكي بمصر سنة 1918م- 1336ه ص 5

صراع حضاري وصراع الحق والباطل وصراع وجود وثقافي وبالأساس صراع ديني بامتياز وضرب اللغة والأدب ضرب للفكر و وجود الأمة العربية والإسلاميةوعليه هو ضرب لأصول الحضارة الإسلامية ومنها القرآن والسنة وسوف نتكلم في هذا الموضوع في الفصل الثالث.

جوهر الحضارة الإســـلامية: لا شك أن جوهر الحضارة الإسلامية هو الدين الإسلامي، والقرآن والسنة والدين كما هو معلوم أصل ومقوم من مقومات الحضارة بل جل الصراعات القائمة في العالم محركها العقيدة والدين، لهذا نجد تحرك المستشرقين يغذيه جانب الديني محض، ودارس للحضارة الإسلامية يكتشف جواهر أخرى لا تقل أهمية عن الجوهر الرئيس بل هي نتاج له وخرجت من رحمه بصقل وتهذيب وإحاطة وترشيد تحت ما يسمى الأدب الإسلامي و الفكر الإسلامي منحت، الحضارة الإسلامية القوة والديمومة والغلبة بغض النظر عن وضع المسلمين والعرب الآن، وهذا لم يتعرضا للشك، إلا عند المنصرين والمستشرقين وغيرهم ممن فسر الإسلام ودرس الحضارة الإسلامية، مهما يكن مستوى ثقافتهم وهم على ثقة مطلقة بأن الحضارة الإسلامية تنطوي على جوهر بل جواهر خرجت من رحم الجوهر الأم، وهذا قابل للمعرفة وتحليل ومن بين الجواهر الآخرى، يكمن في تجليات حركة الحياة الفكرية، ونشأة العلوم والحياة الأدبية والفنية، ومظاهر العمران، لأنه يستند ذلك إلى خبرة وثقافة تعد أصيلة وذات جوهر أصيل[1]

تجليات الحضارة الإسلامية في نشأة العلوم الإسلامية وبدء الحياة العلمية والأدبية:

الـــــعلـــــــــــوم الديـــنـــــيـــة:

السنة أوعلم الحديث:إن ترجمة حقائق الوحي إلى قواعد و قوانين للسلوك هي عبء ثقيل جدا ألقاه التنزيل الإسلامي، على كاهل الإنسان[2] ففي طريق الإدراك الديني السامي على الأقل هي المرة الأولى في تراجع مكانة القانون، وقدسيته بفعل الدين نفسه ومنذ ذلك الوقت أعلن القانون مسؤولية إنسانية يمكن للبشر أن يحققوا في ممارستها وأحسن تطبيق للقانون يعد أكبر انجاز للإنسان و إن أخفق في تطبيقه كان أكبر فشل وسقوط حر. ومهما يكن فإنه راح بين القوانين، سلوكا بشريا و الخطأ يجعل الإنسان يكتشف موضع الخطأ ويصلحه وفق المبادئ الإلهية، ومن نعمة الله تعالى أن قدر مساعدة الإنسان، في القيام بهذا التكليف عندما يسر له مثلا وتوضيحا وتفسير مبادئ الوحي العامة وهذا بضبط هو مفهوم السنة.[3] أو الحديث بمفهومها الخاص هي مجموعة من أقوال الرسولصلى الله عليه وسلم،وأعماله وإقراره، أي تشمل آراءه حول الأمور الطيبة أو الخبيثة المرغوب فيها أو غيرها إضافة إلى الممارسات،

---

[1] ينظر إسماعيل راجي الفاروقي و د/ لوس لمياء الفاروقي -ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة (أطلس الحضارة الإسلامية) مكتبة العبيكان الرياض الطبعة الأولى 1419ه- 1998م ص 131

[2] نفس المصدر ص 183

[3] نفس المصدر 183

التي رضي عنها صل الله عليه وسلم بوصفها تليق بمسلك المسلمين، والسنة أو الحديث نعني بها الكلمات، والعبارات والإشارات والإيماءات ورضي وسكوت أو رفض المنسوبة مباشرة، إلى الرسول صل الله عليه وسلم أو إلى صحابته الكرام الذين شهدوا مواقفه وأفعاله ورووها عنه، وكل مادة في السنة تنقل رواية عنه يسمى حديثا[1]وهي تعد في المرتبة الثانية، بعد القرآن ودورها توضيح أحكام القرآن، يقول الرسول صل الله عليه وسلم في كيفية الصلاة لأنها جاءت في القرآن عامة والقرآن بينت كيفية الصلاة ((**صلوا كما رأيتموني أصلي.**)) [2] ولقد أدرك المسلمون في كل مكان، أهمية السنة والحديث وعلاقتها القوية بالإسلام، فظهر علم الحديث من أجل دراسة السنة لأنها فيها متطلبات دينهم من مسائل شعائرية، وقانونية وأخلاقية واجتماعية، واقتصادية وسياسية ودولية، وكل هذه الأمور من مقومات الحضارة تساهم في بنائها.

ولذلك أصبحت مرجعا ثانيا، وأصلا من أصول الحضارة الإسلامية، وأحكامها ملزمة للجميع وأمر القرآن بطاعة الرسول صل الله عليه وسلم، بالرجوع إليه في أمور دينهم ودنياهم، لأنها معيارية يقول الله تعالى في هذا الصدد**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}**.[3] وبعض العلماء المتخصصين في علم الحديث قالوا ليس كل ما فعله الرسول صل الله عليه وسلم، أو قبله أو رفضه يعد معياريا،و يجب القيام به وهذا من خصائص البشر أنه يقبل ويرفض ويحب لأن لم يكن فوق مستوى البشر وكان منفذا أوامر القرآن وأخلاقه قالت عائشة رضي الله عنها كان((**قرآنا يمشي على الأرض**))[4] ومجسدا أسلوب الحياة الإسلامية وهنا يفرق العلماء الحديث بين أمور تصدر عن محمد صل الله عليه وسلم. النبي والإنسان، فالأولى قالوا تقبل المعيارية دون تردد، والثانية ينظر إليها هل لها دليل في القرآن وإن غاب الدليل فهي تخص رسول مثل صيام الوصال فهي تصدر من رسول صل الله عليه وسلم الزوج والتاجر و الفلاح والعسكري و ورجل الدولة....الخ.[5]

وهذا التقسيم في المعيارية، عند أهل الحديث جعل السنة تنقسم إلى قسمين كبيرين قسم يضم وهو الأول جميع المواد التي يصدر منها قانون أو تكليف وهي السنة الحكمية والثانية المواد، التي لا يصدر عنها مثل ذلك في هي غير الحكمية.

عـــلم الـــتـــفـــســـير: لغة التبيين والإيضاح ومنه قوله تعالى**{وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}**.[6] أي تبيينا وإيضاحا[7]

---

[1] نفس المصدر ص 184
[2] صحيح البخاري دار الهدي السعودية طبعة الثانية باب الصلاة ص 324
[3] سورة النساء الآية 9 رواية ورش عن نافع
[4] محمد حسين هيكل(حياة محمد)ترجمة بالانجليزية إسماعيل راجي الفاروقي نشر Trust Pubs 1976 pp510-511 chicagoAmirican
[5] أطلس الحضارة الإسلامية ص 184
[6] سورة الفرقان الآية 33 عن رواية ورش عن نافع
[7] لسان العرب الفسر البيان والتفسير مثله والتفسير والتأويل والمعنى واحد الفسر كسف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل.

واصطلاحا: علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث الدلالة، على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية[1]

أهمية التفسير والحاجة إليه: فضله وحاجته عظيمة لأن الناس لا يصلون إلى غايتهم من السعادة في جميع مناحي الحياة إلا بالاسترشاد بالقرآن والعمل بتعاليمه وهبه ونظمه الحكيمة والعمل بهذه التعاليم السامية والإفادة منها[2] لأن القرآن جاء بأخبار الأمم التي خلت وأخبرنا حتى بخبر المستقبل ومنه نأخذ العبر ونختصر للوصول إلى الحداثة بعدم تكرار أخطاء الغير و أخذ بالأحوط والحاجة إليه وفضله بينه السيوطي: ((**أن القرآن أنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه أما دقائق باطنه فإنما، كان يظهر لهم بعد البحث والنظر**)).[3]

حـــــــكـــــــمـــــــه: أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات

أقـــســـام الـــتـــفســـير:

التفسير بالرواية ويسمى المأثور- التفسير بالدراية يسمى التفسير بالرأي – التفسير بالإشارة يسمى الإشاري[4] المأثور هو بيان معنى القرآن بما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة، لأنهم شاهدوا الوحي يترل وعاينوا أسباب الترول، التفسير بالرأي والاجتهاد مثل فقه النوازل، ومن المفسرين بالرأي تفيسر الجلالين. أما التفسير الإشاري وهو تفسير الفرق المختلفة كل طائفة تفسر كتاب الله، بما ارتضته لنفسها وهو نوعان الإشاري صوفي والثاني تفسير أهل الكلام.[5]

عـــــلـــــم الـــفـــقـــه: لغة هو العلم بالشيء والفهم له واصطلاحا العلم الدين، والفهم له إذن هو تبحر في الدين الإسلامي واستنباط أحكامه الشرعية، من مصادرها الشرعية القرآن والحديث والسنة والقياس والإجماع.[6] القرآن والسنة سبق الحديث عنهما، أما القياس ما كاد الرسول ينتقل إلى الرفيق الأعلى، حتى واجهت المسلمين مشاكل وحوادث لم يترل فيها نص و لم تحدث في عهد الرسول صل الله عليه وسلم، حتى ترد فيها السنة مثل من يخلف الرسول صل الله عليه وسلم بعد وفاته.

وقضية المرتدين وقصة جمع القرآن التي هي أكبر تدوين وقعت في العالم، ومشاكل معقدة فيجتمع لها أهل الحل والعقد وقاسوا الأمور بأمثالها وبهذا عرفت طريقتهم بالقياس أو الرأي.

والإجماع ويكون في القضايا التي يحتمل فيها وجهان، أو أكثر كان المسلمون والخلفاء يأخذون رأي علماء عصرهم فأقروا ما وصلوا إليه، واعتبروه تشريعا.[7]

---

[1] الشيخ محمد سلامة منهج الفرقان الجزء الثاني دار الإيمان للنشر والتوزيع القاهرة ص 6
[2] د/ أبوزيد شلبي تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي مكتبة وهبة القاهرة سنة 2012م-1433ه ص 176-177
[3] نفس المصدر ص 176-177
[4] مقدمة ابن خلدون الجزء الأول ص 998
[5] تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص 177
[6] أنور الرفاعي الإسلام في حضارته ونظمه ص 569
[7] نفس المصدر ص 580

ملاحظة في كل من القياس والإجماع هو مكانة العلم والعلماء في عين الحضارة الإسلامية، عكس بعض الحضارات التي كانت مكانة الحاكم هو الذي يقرر، ويحل بواسطة أعيان يعينهم وقالها فرعون((**ما أريكم إلا ما أرى**))؛ مايسمى بالنظام الدىكتاتوري.

الـــمـــــذاهـــــب الفـــــقـــهـــيـــة: قبل التطرق إلى المذاهب الفقهية فإن ظهورها هو ناتج عن تطور الحاصل في علوم العقل والمنطق والرأي أي الجانب العقلي، بما أن مصادر التشريع الإسلامي، أربع القرآن والسنة و القياس والإجماع فإن أغلبية الناس لا يقدرون استنباط، الأحكام الشرعية من هذه المصادر لابد من اتخاذ مرجعية فقهية من أجل فهم أمور الدىن يرجعون إليهم في أمور دينهم ودنياهم وكان هناك أربع مذاهب فقهية معروفة.

الإمام أبو حنيفة 80– 150ه وهو فارسي الأصل من موطن الكوفة أخذ العلم على يد علماء الكوفة من علوم اللغة والأدب والفقه، وكان تصوره مبني على المصلحة العامة حجته أن الدىن لتنظيم حياة العامة تنظيما ساميا.[1] و كان أول مصدر له القرآن والحديث ويرفض الموضوعة منها، و لم يترك لنا كتابا بل وصلتنا أراؤه الفقهية فقط بواسطة تلاميذه.

الإمام مالك 96–179ه: عربي الأصل ولد في المدينة وعاش بها، لم يغادرها إلاّ مكة حاجا، وتأثر بها وأعتبر إجماع أهل المدينة عمل من أعمال، من السنة لأن الرسول عاش بينهم وترك لنا كتابه الموطأ وهو كتاب حديث أكثر منه فقه.

الإمام الشافعي 150-204ه عربي من قريش يلتقي نسبه من جهة أبيه مع نسب رسول صل الله علىه وسلم كان مذهبه، وسطا بين مذهب أبي حنيفة و مالك، ورأى مبالغة كل منهما، في طريقته.

الإمام أحمد بن حنبل 164–241ه: عربي الأصل ولد ومات في بغداد وكان كثير الترحال، كما كان الشافعي وعاصر المأمون، وحركته العلمية و لم يقل بقول المعتزلة بخلق القرآن، وكان بينه وبين المعتزلة نقاشات (عقلية- ودينية- وفقهية)؛ نقض حجج المعتزلة، ينحو ابن حنبل منحى أستاذه الشافعي إلا أنه أنكر علىه أخذه بالرأي وأعتبر الحديث أفضل من الرأي.

انتشار المذاهب الأربعة:انتشرت المذاهب الفقهية، في العالم الإسلامي السني فالحجاز نجد مذهب الحنبلي والحنفي في العراق والشام والأناضول وآسيا الوسطى و باكستان وكان مذهب الحكومة العثمانية، والشافعي عرف القطر المصري وأندونسية والمغرب العربي مذهب المالكي. وقد يسأل السائل لماذا تنوع في المذاهب مع أن أصل الدىن واحد الكتاب و السنة فنقول أن تنوع في المذاهب وانتشارها، على حسب كل قطر جاء لخدمة الدىن والحضارة الإسلامية، ووحد بين القوميات والأقطار لأن اتساع رقعة الإسلام، جعل يدخل فيها شعوب وأقوام متنوعة المشارب والأفكار ولها طابع خاص وحياة خاصة وتقاليد خاصة وثقافة خاصة فالأيمة الأربعة بفقههم سهلوا على الأقوام أخذ بالأحكام الشرعية وفق خصوصية الأرض والعادات مثلا العراق والهند والصين تميزت الحياة الفكرية

[1] نفس المصدر 572

عندهم بالجدال والرأي فأخذوا بالمذهب، الشافعي وأهل المغرب أقرب إلي أهل المدينة أخذوا بالمذهب المالكي لأنه عرف قيام دول مثل الدولة الفاطمية....

العلوم العربية:

اللغة العربية: لغة عرب هي اللغة العربية السليمة، لغة جميع العرب رغم وجود لهجات مختلفة باختلاف القبائل ومعاني لبعض الكلمات، تختلف من لهجة إلى أخرى. وأوجه للصرف والنحو مختلفة إلا أن القبيلة الواحدة تتحدث بلهجة، واحدة مع أسلوبٍ واحدٍ منهم من يستعمل للفعل فاعلىن كأصحاب، لغة ((**أكلوني البراغيث.**))[1] و لم يعد ذلك خطأ وعرف في الجاهلية على ما يظهر لغة راقية فصحى، هي لغة الشعر التي تجمع ويفهمها الجميع، وبعد الإسلام امتزج العرب الفاتحون بسكان البلاد المفتوحة،في كل شيء و لم تعد الإمبراطورية العربية الإسلامية، مكونة من أمة واحدة، بل هناك أمم أخرى دخلت في تركيبتها وإذا كان قد شعروا أنهم دون هذه الأمم، علما وفلسفة ونظما سياسية واجتماعية، واقتصادية فإنهم أخضعوا هذه الأمم حربيا، ونشروا دينهم ولغتهم حتى صار الدىن الإسلامي، ذا الغالبية العظمة حتى طغت العربية عن سائر اللغات وأصبحت الوسيلة لنشر الثقافة، والحضارة في ربوع تلك الأمم.[2]

وبعد أن قويت مادة لغتها وأساليبها، جعل الحضارة ترتقي وأصبحت اللغة العربية هي أداة كل إبداع سواء إبداع علمي أو أدبي، وهذا ما يؤيده ابن خلدون عندما قال ((**ولما هجر الدىن اللغات الأعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية، عربيا هجرت كلها في جميع ممالكها، لأن الناس تتبع للسلطان على دينه فصار استعمال اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك في جميع الأقطار والأمصار وصارت الألسنة الأعجمية دخيلة فيها وغريبة**)).[3] ولكن هذه الأقوام الأعجمية التي أضحت تتكلم اللغة العربية أوجدت نوع من اللكنة، وصار من الخطأ والحن والتصحيف والتحريف في سكان الموالي، والمدن ظاهرا، وجليا فخاف العلماء ضياع اللغة فوضعوا للغتهم قواعد وعروضا لشعرهم وأوزان.[4]

علم النحو وقواعد اللغة: قال السيوطي قدم أعرابي في زمن عمر ابن الخطاب فقال؛ من يقرئني قوله تعالى ما أوحى إلى محمد صلى الله علىه وسلم فأقرأه رجل براءة فقال؛ إن الله برئ من المشركين ورسوله بالجر فقال الأعرابي: " أو قد برئ الله من رسوله أن يكن كذلك فأنا أبرأ منه" فسمع ذلك عمر فاستدعي الأعرابي وسمع مقالته فقال ليس كذلك يا أعرابي" { **أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ** }[5] بضم فقال أنا والله أبرأ مما يبرئ منه الله ورسوله[6] فأصدر عمر أمرا ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة وأمر أبو أسود الدؤلي، فوضع النحو،

---

[1] الإسلام في حضارته ونظمه باب حضارة العرب المسلمين ص 576
[2] نفس المصدر ص 576
[3] مقدمة ابن خلدون ص 577
[4] الإسلام في حضارته ونظمه ص578
[5] سورة التوبة الآية 9-3
[6] رسالة جلال السيوطي الأخبار المروية في سبب وضع علم العربية ص 250

هذا تفسير وهناك عدد تفسير لوضع علم النحو، يحكى أن أبا الأسود الدؤلي دخل على أمير المؤمنين على رضي الله عنه، فوجد في يده رقعة فقال له ما هذا يا أمير، المؤمنين؟ فقال إني أملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة الحمراء أي الأعاجم فأردت أن أضع شيئا، يرجعون إليه ويعتمدون عليه ثم ألقى إلي رقعة وفيها مكتوب أن الكلام اسم وحرف وفعل. والاسم ما أنبأ على المسمى والفعل ما أنبأ به والحرف ما أفاد معنى وأمره أن انح هذا المنحى وقال أعلم أن الأسماء ثلاث: ظاهر، ومضمر، اسم لا ظاهر ولا مضمر، وهو الاسم المبهم، قال ثم وضعت بابي العطف والنعت ثم باب التعجب والاستفهام، حتى وصلت إلى إن وأخواتها ما خلا لكن فلما عرضتها على الأمير أمرني بضم لكن إليها، وكنت قال أبو الأسود كلما أنهيت بابًا عرضته، عليه فقال ما أجمل وأحسن هذا النحو الذي قد نحوت فلذلك سمي النحو[1].

ويروي آخرون أنه لما فشا اللحن بكثرة إثر توافد الرقيق إلى المدينة عاصمة المسلمين الأولى، أذهلت أولي الأمر، ففكر على بوضع قواعد اللغة للسير على هداها من أجل الأعاجم، فلا يخطئون وكان أبو أسود الدؤلي واضع هذا العلم وظهرت مدرستان الأولى في البصرة والثانية في الكوفة وجعل الجدال العلمي يحتدم بينهما لأن أهل البصرة أتبعوا الأساليب المنطقية في أبحاثهم أما الكوفة خالفوهم واعتمدوا على السماع[2]

وأشهر علماء البصرة أبو الأسود الدؤلي واضع الحجر الأساس لعلم النحو، وأبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض، ومؤلف كتاب العين أول معجم لغوي في العربية وسيبويه صاحب كتاب سيبويه الذي نظم النحو ورتبه وبوبه وجمع فيه خلاصة أبحاث من تقدمه من علماء البصرة والكوفة، والأصمعي وأبو عبيدة تألق نجميهما في عهد الرشيد.[3]

مـــــــــــــنزلـــــــــــــــــــتـــــــــــــــــه: النحو هو قانون واركانون اللغة العربية وميزان تقويمها وهو كما قال: أبو سعيد البصري

النـــحو يبسط من لسان الألكن **** **والمرء تكرمه إذا لم يلحن**
وإذا طلبت من العلوم أجلها **** **فأجلها عندي مقيم الألسن**[4]

أطواره:

طور النشوء والتكوين: واختصت به مدرسة البصرة من عصر أبي الأسود إلى عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي.
طور الترقي والنمو: وتظافرت فيه جهود كل من مدرسة البصرة والكوفة، ويبدأ من عصر الخليل إلى أبي جعفر الرؤاس الكوفي.

طور النضج والكمال: اشتركت فيه كل من مدرستا البصرة والكوفة، ويبدأ من عهد عثمان المازني البصري ويعقوب بن السكيت الكوفي.

---

[1] الإسلام في حضارته ونظمه ص 578
[2] نفس المصدر ص 589
[3] نفس المصدر ص 580
[4] صحيح الأعشى تأليف د/ أبوزيد شلبي أستاذ حضارة الإسلامية كلية الآداب واللغة الجزء الأول طبعة المكتبة الحسينية المغرب سنة 1999ص 179

طور الترجيح والبسط: وهو عهد بغداد إلى وقتنا هذا وكان المشتركون فيه البغداديون و الشاميون و المصريون و الأندلسيون.[1]

الشكـــــــــل والتـــــــــنـــــــقـــــــيـــــــــط: الكتابة العربية قبل الإسلام كانت قليلة الممارسة لايعرفها إلا القليل وأحرفها من دون، تنقيط فالجيم مثلا تكتب كالحاء والخاء و الباء كذلك تكتب مثل التاء والثاء، كلمة خبر يمكن أن تكتب حبر خبر جبر جير ختر والأحرف كذلك كانت من دون شكل أي ليس لها علامات نشير إلى الفتحة والضمة الكسرة والسكون. والشدة والمدة[2] وفي أول العصر الأموي وضعت أدوات الشكل.

لتساعد على القراءة الصحيحة وأمر الحجاج، الثقفي تلاميذه أن يضعوا النقاط علىها وبذلك صارت الأبجدية العربية، كما نعرفها اليوم.

الـــــــــــــخـــــــــــــــط: الخط رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في نفس،[3] وهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة إذا الكتابة من خاصية الإنسان التي تميزه عن الحيوان، وهي تكشف أيضا على ما في الضمائر ويطلع بها على العلوم والأغراض، والمعارف وصحف الأولين، وما كتبوه من علومهم وأخبارهم.[4]

واختلفوا من نقل الخط الكوفي إلى البلاد العربية، وهناك من يعتقد أنهم أهل الأنبار وذلك أن بشر بن عبد الملك الكندي وأخو أكيدر بن عبد الله صاحب دومة الجندل، تعلم الخط من الأنبار، وخرج إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، فعلم جماعة من أهل مكة.[5] يقول الشاعر في هذا الشأن

لاتجحدوا نعماء بشر حتى علىكمو ** فقد كان ميمون النقيبة أزهرا**

إياكم بخط الجزم حتى حفظتمو ** من المال ما قد كان شتى مبعثرا**

فأجرتم الأقلام عودا وبدأة ** وضاهيتمو كتاب كسرى وقيصرا**

وأغنيتمو عن مسند الحي حمير ** وما زبرت في الصحف أقلام حميرا[6]**

وخلاصة القول أن العرب تعلموا الخط النبطي من حوران من حلال، تجارتهم مع الشام والكوفي من العراق قبيل الإسلام وبقي حتى بعد الإسلام،[7] وأن يوجد أكثر من عشرين خطًا إذن الخط والكتابة هي من أساسيات الحضارة لأن العلم قيد.

---

[1] محمد طنطاوي نشأة النحو دار مطبوعات لجامع الأزهر الشريف مصر القاهرة سنة 2001ص 139
[2] الإسلام في حضارته ونظمه ص 580
[3] تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص 226
[4] مقدمة ابن خلون الجزء الجزء الثاني ص 949
[5] تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص 228
[6] د/ إبراهيم جمعة قصة كتابة العربية دار المزهر القاهرة الجزء الثاني ص 215-218
[7] تاريخ تمدن الإسلامي جورجي زيدان وكذلك تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الأول ص 422-167

المـــــعاجم وفـــــقـــــه الـــــلغـــــة: خوفا من ضياع اللغة رغب بعض العلماء في عصر التدوين، جمع كلمات اللغة ومفرداتها وتفسير معانيها المختلفة، فرحل أكثرهم إلى البادية حاضنة الفصحى، يستمعون إلى الأعراب ويدونون ما يسمعون.

من معانيها[1] وكان أول أمر جمع المفردات دون ترتيبها ثم كلمات ذات الموضوع الواحد، يرتبونها ويجعلونها في باب واحد مثال كتاب الإبل و كتاب الأنواء للأصمعي ثم ظهرت المعاجم المرتبة ترتيبا هجائيا.[2] أول كتاب هو كتاب العين للفراهيدي قد جعله يبدأ، بكلمات التي تنتهي بحرف العين ثم الكلمات المنتهية بالأحرف الحلقية ثم الشفوية ثم الهوائية، وكذلك كتاب الجمهرة في اللغة لأبي بكر بن دريد، والصحاح للجوهري وأساس البلاغة للزمخشري، ولسان العرب لابن منظور، والمحيط للفيروز أبادي.

الــــــــــبــــــــــلاغـــــــــــة: اللغة مقياس حضارة الأمة وميزان رقيها وأجمل مظاهر عظمتها، ومن ينظر إلي لغة العرب في الجاهلية والإسلام يجد ما كانت عليه هذه الأمة من أعرق الأمم في المدنية لأن ألفاظها وأساليبها وتراكيبها عرفت الجودة والرقة والمثانة.[3]

ويكفي ما نقرأ من أشعار وأمثال وحكم وخطب، فهي شاهدة على ما بلغوا منتهي الكمال والإبداع ومرت اللغة بعدة أدوار كثيرة باختلاط، بعد الفتوحات بالأعاجم ظهر اللحن والقلب والإبدال مما استدعي إلى ظهور علماء للحفاظ على اللغة العربية باعتبارها لغة الدين والقرآن وصار القرآن مرجع للبلاغيين والبلاغة العربية لأن هذه الأخيرة ارتبطت كثيرا بالقرآن لأنه معجز في نظمه وأساليبه، و في فونام ومونام وحدة الصوتية الأصغر والأكبر وجل الدراسات البلاغية كان مصدرها القرآن ولأن كما قلنا الملكة اللغوية عند العرب، فسدت ودب فيها اللحن والعامية الأعجمية وهذا راجع لكثرة اختلاطهم بالأعاجم، إضافة استعمالهم الكلمات والتعبير العامية فعمل العلماء إلى وضع أسس تكشف روائع وأساليب القرآن وفصاحته، وبلاغته من أجل محاكاته في إبداعاتهم والمحافظة على اللغة القرآن من اللحن.[4]

ومن أشهر كتب في ذلك أبو عبيدة معمر بن المثني 206ه كتابه مجاز القرآن.

الجاحظ 255ه إعجاز القرآن وكتابه البيان والتبيين.

أبو الهلال العسكري 395ه الصناعتين وكتابه الشعر والكتابة.

الجرجاني 471ه وكتابيه دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة.

الـــعـــــــــــــــــروض: ظهر الخليل صاحب كتاب العين ومن اخترع علم العرض في عصر هارون الرشيد وكان على دراية ومعرفة في الإيقاع والنغم[5] ومن خلال دراسته أشعار العرب فوجد أوزانها محدودة فحصرها في خمسة عشر وزنا سماها بحورا ثم جاء من بعده الأخفش تلميذه، وزاد بحر المتدارك فأصبح ستة

[1] الإسلام في حضارته ونظمه ص 581
[2] نفس المصدر ص 581
[3] أسعد ذاغر حضارة العرب وعلومهم وآدابهم ص 127
[4] أنور الرفاعي الإسلام في حضارته ونظمه ص 582
[5] ينظر حضارة العرب وعلومهم وآدابهم ص 132

عشر بحرا[1] ووضع العلماء الفراهيدي والأخفش ومن جاء بعد هم، مصطلحات خاصة بالشعر وصارت علما خاصة بالعروض، وهو علم يعرف من خلاله صحيح الشعر من فاسده. ووضع علم القوافي وهو يبحث في تناسب الأعجاز وعيوبها في الشعر.

الشـــــــــــــعـــــــــــــر: ديوان العرب وهو عندهم ترجمان الخيال المصور لأشجان يقول شوقي:

الشعر دمع ووجدان وعاطفة ** ياليت شعري هل قلت الذي أجد**[2]

و لم تعرف أمة بقول الشعر اشتهار العرب، فإن ما عرف عن ولوعهم به ومقدرتهم عليه يجعلنا نبعث على الظن بأن كلا منهم شاعر أو على الأقل خبير بالشعر، وحتى أحاديثهم المتداولة بينهم، كانت شعرا. فقد كان الشعر في زمن الجاهلية يمشي معهم في كل فج وأعمالهم ويظهر في كل تحركاتهم وسكناتهم، ويعبرون به عما يجول ويخامرهم من خلجاتهم نفسية[3] وكان المعين على ذلك صفاء جوهم واعتدال أقاليمهم، ونبل صفاتهم وحدة تصورهم إلى غير ذلك مما امتازوا به، من أخلاق طيبة والخلال الطيبة التي تبعث على شدة التأثر، وإطلاق الخيال والفكر في جو ساحر[4] أما كيف أصبحوا يقولون الشعر وينظمونه، يحكى على غالب الظن أنه لما كان الإنسان مطبوعا على إيثار لإيقاع الأصوات وتردد نغمه، لذة بها أدنه فقد جعل يحاكي مايقع تحث حسه من حركات إلى نسق كلمات متتابعة منتظمة، يغنى بها وجاء في قصص مروج الذهب أن ابن مضر بن نزار بن معد سقط عل بعيره فانكسرت يده فجعل يقول ((**يايداه، يايداه**)). وكان من أحسن الناس صوتا، فاستوسقت الإبل وطاب لها السير وقيل ولعل الهزات الأربع، المتتابعة في سير الناقة أرشدته، إلى إيقاع حدائه على أجزاء رباعية فكان من الحداء بحر الرجز وهو أول بحور الشعر.[5] ومازالت الأوزان تتطور شيئا فشيئا، حتى بلغت نهضة العرب أشدها، في الجاهلية في أيام المهلهل وابن أخته امرؤ القيس وهذا الأخير أول من تفنن في نظم الشعر، على طريقة ابن جدام يقول ابن خلدون ((**كان للعرب أولا فن الشعر يؤلفون، فيه الكلام أجزاء متساوية على تناسب بينها، في عدة حروفها المتحركة والساكنة، ويفصلون الكلام في تلك الجزاء تفصيلا يكون كل جزء منها، مستقلا بالإفادة لا ينعطف على الآخر ويسمونه البيت فتلاؤم الطبع بالتجربة، أولا ثم بتناسب الأجزاء في المقاطع والمبادئ ثم بتأدية المعني المقصود فطبق الكلام عليه**.)).[6] هكذا كان نظم الشعر عند العرب، ولا يخفي أن الشعر من الأمور الكمالية التي لا تبلغها أمة إلا إذا اجتازت، شوطا في المدنية لأن الشعر هو من أتقن الفنون الأدبية، قوله لا يكون إلا بحضور العقل والوجدان معا قوله، يتطلب التحكم في اللغة وخباياها، قوله أو نظمه يتطلب حضور قوي للأذن التي هي موقع الأصوات

[1] الإسلام في حضارته ونظمه ص 582

[2] د/ جهاد المجالي مقال صدق التجربة الشعرية و صدق الواقع جامعة مؤتة الأردن قسم اللغة العربية ج 15ع 27جمادة الثانية 1424ه ص 11

[3] حضارة العرب ص 133

[4] نفس المصدر ص133

[5] نفس المصدر ص 134

[6] مقدمة ابن خلدون الجزء الثاني ص 969

والنغم وحتى يكون الشعر معبرًا لبدا له من توافق وحضور العقل والوجدان والصوت والعاطفة والصوت والموسيقى في نفس المتلقي والقائل معا.

وقولنا شوطا في المدنية كما لوحظ عند اليونان والرومانيين، والأوربيين فإن الشعر لم يحاك قرائحهم إلا بعد ما أنضجتها العلوم، وشحذتها الحضارة، أما العرب فقد أبدعوا في نظم الشعر، وهم في حالة البداوة وكان يمثلون به الشجاعة، والفروسية والوفاء بصورة أعم الأخلاق،[1] ولما جاء الإسلام أنصرف العرب إلى الفتوحات والسياسة والتجارة، فحدثت هدنة، مع الشعر وبذالك تراجع دوره وكانت حافظة الرواة كثيرة للشعر الجاهلي، قال الحطيئة لماذا ضعف نظمك للشعر في الإسلام قال أبدلني الله خيرًا منه وأشارا إلى سورة البقرة[2] ولما تم الفتح والسؤدد ورسخت أقدامهم في الحضارة والرفاهية، راحوا يتنافسون في نظم الشعر متبعين خطة الجاهلية وأسلوبها، وبروح الحضارة الجديدة[3] وعرف الشعر فترات حسب النظام القائم صدر الإسلام والعصر الأموي و العباسي والأندلسي.

الشعر في صدر الإسلام: عندما نزل القرآن على العرب بلغة عربية فصحى، لا هي شعر ألفه العرب ولا نثر عرفوه، بهرهم جماله وأخذ الألباب وقهرهم قوته وبلاغته.

فانصرفوا عن الشعر واشتغلوا بقراءته وتدبر آياته، وراح الشعر متأثر بالقرآن وجاء بنفس التعاليم التي يدعوا إليها القرآن ويحذر من الجنة والنار ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأبر شعراء الإسلام حسان ابن ثابت، وعبد الله ابن رواحه....[4]

الشعر في العصر الأموي: عاد الشعر على مكان علىه في العصر الجاهلي إلا أنه حافظ على الطابع الإسلامي وهذا لأسباب، مختلفة:

- تشجيع الخلفاء والأمراء للشعر و الشعراء للأغراض سياسية وقومية وإغداق الأموال علىهم وتقريبهم مثل الأخطل وجرير والفرزدق.
- النزاع الحربي بين العلويين، والأمويين ،و والخوارج،و الزبيريين فاتخذ كل فريق شاعرا يؤيد دعوته.
- الترف عمد معاوية بعد أن نقل العاصمة إلي الشام إغداق الحجاز بالأموال حتى يحيلهم عن أمور السياسة والحكم.

إلي جانب الشعر السياسي هناك شعر مس كل الأعراض من غزل عفيف وماجن....الخ

الشعر في العصر العباسي: مافتئ العصر العباسي يبدأ، حتى ظهرت آثار الحضارة الإسلامية الزاهرة والتي نضجت في هذا العصر وفي كل فن من فنون وكل جوانب الحياة الاجتماعية والفكرية، والاقتصادية وظهر ذلك واضحا وجليا في الشعر.[5]

---

[1] حضارة العرب ص 135

[2] د/ سالم عطية نقد في صدر الإسلام والعصر الأموي دار هومة للتوزيع والنشر الأبيار الجزائر طبعة الأولي جزء الأول سنة 2007ص 52

[3] حضارة العرب ص 135

[4] الإسلام في حضارته ونظمه ص583

[5] ينظر الإسلام في حضارته ونظمه ص 584

فظهر كل من الترف والبذخ وقصف وكثر في مجالس الأمراء والخلفاء شراب و قيان ومغنيين والمغنيات و استبغ الشعر بهذه المظاهر وظهر شعر الحكمة والزهد هذا يدل على تغير في الحياة العقلية وظهر شعر الفلسفة وكذلك أهم ما طرأ على الشعر العربي تنوع الشعر الوصفي وصف أحوال النفس وانفعالاتها، ووصفوا المعارك، وجسدوا صور الحياة المجون والخمر واللهو، ظهرت الشعوبية في أشعار الأعاجم، رقت ألفاظ الشعر، وأتسع خيال الشعراء، واهتم بعضهم بالبديع، كما تنوع الأسلوب فظهر الشعر الغزلي الرقيق والماجن، و كذلك ظهر التشبيب بالغلمان. [1] والإشادة بالخمر ووصف تطور إلى وصف أنية الخمر وشرابها وقصف والقصور والمدن، والحالة الاجتماعية من فقر وبؤس، فوصفوا حتى القصص على لسان الحيوانات، كقصائد لا فونتين.[2] فقد نظم مثلها شعراء العرب كأبان آلا حقي الذي نظم كتاب كليلة ودمنة[3]

شـــعـــــــــر الأنـــــــــــدلـــــــــس: نافس حكام الأندلس نظرائهم خلفاء المشرق في الإغداق على الشعراء ورعايتهم ومناصرتهم، وامتاز الشعر الأندلسي باتساع الخيال وسار على هدي نظيره في المشرق في الأغراض في الدقة تصوير، لمجالس الشراب والحدائق والطبيعة والقصور، أبدعوا نوعين من الشعر شعر الموشحات والزجل وهو شعر عامي وأشهر الشعراء الأندلس لسان الدين الخطيب وأبو بكر بن قزمان القرطبي واشتهر في الزجل.[4]

ثم بعد سقوط بغداد على يد المغول والتتار دخل العالم العربي والإسلامي في سبات عميق وسمي ذلك العصر بعصر الضعف ثم عصر الحديث ثم المعاصر وسوف نتكلم عليهم في الفصل الثالث إنشاء الله لأنه يوجد كلام وخاصة مع الإستشراق وكيف سمي عصر الضعف وخاصة كارل بلوكرمان في كتابه تاريخ الأدب العربي ويقول النقاد العرب تسمية عصر الضعف تسمية غير حقيقية وفيها نوع من الإجحاف، ووراءها سموم الإستشراق لأنه عصر الموسوعات لو أخذنا فقط كتاب ابن خلدون وحده لا وسع العصر الضعف وحده وهو مؤسس علم الاجتماع الأول.

الـــــــنـــــــثـــــــــر و الـــــــــخـــــطابـــــــة: طغى الشعر على جميع الفنون الأدبية الآخرى، في العصر الجاهلي وقد وصلنا نماذج محدودة من سجع الكهان، وخطب بعض الجاهليين،مثل أكثم بن صيفي وقس بن ساعدة.[5]

في صدر الإسلام: تراجع الشعر ليحل محله، النثر وخاصة الخطابة وشجع ذلك مواسم ومواعيد كثيرة منها، الحج والجمعة والعيدين وإضافة إلى ذلك نزل القرآن نثرا لا شعرا، فأرتفع شأن الكتابة والخطابة، واقتبس الكتاب والخطباء من أسلوب القرآن والحديث وتميز النثر في صدر الإسلام تأثره ببلاغة القرآن والإيجاز وهجر سجع الكهان.[6]

---

[1] نفس المصدر ص 585
[2] نفس المصدر ص 585
[3] ينظر على نفس المصدر ص 585
[4] نفس المصدر ص 586
[5] نفس المصدر ص 587
[6] نفس المصدر نفس الصحة

في العصر الأموي: كان النثر إلى جانب الشعر في هذا العصر سواء لأنه رغم رجوع فن الشعر بقوة إلى أنه لم يستغنوا عن النثر فأوجد معاوية ديوان الرسائل وأوكله إلى موظفين المختصين، وعرب عبد الملك الدواوين، وشجع الكتابة العربية وبلغت الكتابة في أواخر العصر أي الكتابة، صناعة لها أهلها وأسلوبها ونظمها وتحولت من بساطة والإيجاز، على التوسع في الأسلوب والأغراض والمبالغة ومن أهم الكتاب عبد الحميد الكاتب، وواصلت الخطابة في هذا العصر طريقها إلى القمة، للحاجة الماسة إليها، في الدعاية للموقف السياسي، ((الشيعة و الزبيريين وخوارج)).[1]

في العصر العباسي: العصر العباسي هو أزهى العصور العربية عرف تطور كل أنواع الفنون الأدبية، وكثرت الترجمة وراجت سياسة التعريب وراح المترجمون يجدون المصطلحات، والكلمات الأعجمية في جميع ميادين العلوم والفنون وظهرت الفلسفة والطب والمنطق والفلك والكيمياء والرياضيات تأليفا و ترجمة ونجحوا في ذلك نجاحا منقطع النظير لمرونة اللغة العربية، وظهرت المقامات والكتب الأدبية والعلمية ورسائل الإخوانية والدىوانية، أما الخطابة لم ترتقي إلى مرتبة الشعر و النثر لأن الدولة قامت على أكتاف الأعاجم، ورغم ذلك كانت تستخدم من أجل القتال العدو والخطب الدىنية في المساجد.[2]

الـــــــــعـــــــــلوم الاجـــتـــماعـــــــية:

التاريخ: يقول مارغوليوت– العرب أمة اشتهرت بالتاريخ–[3]

–العرب أول من أرخوا حوادثهم باليوم والشهر والسنة–.[4]

التاريخ لغة التعرف بالوقت، يقال أرخ الكتاب وورخه، أي بين وقت كتابته كما جاء في لسان العرب، وتاريخ الشيء وقت حدوثه وعلم التاريخ يعنى العلم الذي ذكر الوقائع وأوقاتها وأساليبها، ومظاهر الحضارة ونظرها وعوامل تفرقها واضمحلالها والمؤرخ هو كاتب التاريخ.[5]

لم يصل إلينا من مؤلفات العرب التاريخية إلا، ما كان منها بعد الإسلام لأن عرب الفيافي لم تهتم بضبط، أخبارها وتدوينها في الجاهلية وما دونه العرب المتحضرون الذين أقاموا، الممالك العظيمة، كعمالقة والنبط و حمير والتدمورين، لا يزال تحت الركام[6] فلما وحد الإسلام بين العرب وفتحت الجيوش الإسلامية بلاد فارس والروم، أهتم العرب إلى ضبط الأخبار الأمم الآخرى حبا بخلود الذكر والمباهاة.

وقد استخرج العرب دفائن تاريخهم، القديم من مصدرين عظميين الشعر الجاهلي ديوان العرب، والثاني رواية النساب.[7] فراحوا يجمعون ما هو قريب من الصواب وضبطوه في كتبهم، وبقي تاريخ الجاهلية لا يزال غامضا وسيبقى كذلك، إلى أن تتطور النهضة العرب الجديدة، ويبحثون علماء الغد والبحث في تاريخ أجدادهم.[8]

---

[1] نفس المصدر ص 587-588
[2] نفس المصدر ص588-589
[3] لإسلام في حضارته ونظمه ص590
[4] نفس المصدر ونفس الصفحة
[5] نفس المصدر ص 590
[6] حضارة العرب ص 164
[7] نفس المصدر ص 164
[8] نفس المصدر ص 165

تحت أنقاد اليمن ونجد والكرك والعراق، وقد عرف العرب مؤرخي وعدد الإفرنج منهم 1200مؤرخا، واقتصروا على مجرد نقل الحوادث مجردة عن كل رأي إلا ابن خلدون ومن سلك طريقه فإنهم كتبوا بروح فلسفية والتمحيص والانتقاد فعللوا الوقائع والمسببات إلى أسبابها، وبالقياس الصحيح وحملوا المتشابهات وذكروا القرائن.[1]

والمؤرخون العرب أقسام فمنهم من كتب في التاريخ العام، ومن كتب في تاريخ المملكة أو الدولة ومن تخصص في المشاهير والأعلام.

وأول من كتب في التاريخ، من العرب بعد الإسلام أبو جعفر الطبري القرن الثالث للهجري، والمسعودي أبو الحسن على ابن الحسين، واليعقوبي المعروف بابن واضح، والمسعودي كان يحب السفر وكتب تاريخ مشاهير الرحالة وفي الإسلام كذلك تعرض القرآن الكريم لأخبار، الأمم القديمة وأحوالها فزادت مادتهم في معرفة التاريخ.

وكان الخبر في القرآن مقتضبا دون تفصيل،[2] واهتم العرب بتدوين تاريخهم أو التاريخ بصورة عامة لأسباب:

- رغبة العرب في معرفة تاريخهم السياسي وسيرة زعمائهم.
- رغبة المسلمين معرفة سيرة النبي وحياته سيرة ابن هشام من أجل معرفة دينهم
- الرغبة في معرفة أنساب القبائل والأسر العريقة خاصة مع ظهور الشعوبية.
- ميل المؤرخين على الفرق و التأصيل و التأريخ لتلك الفرق.
- إقبال علماء اللغة على تدوين الأدب العربي.
- الرغبة العلمية التي سيطرت على العلماء من أجل العلم.

ومن كتب التاريخية القصص التاريخية وأيام العرب كتب المغازي والسير كتب الطبقات كتب الفتوح و كتب تواريخ البلدان والتراجم وتواريخ العامة.[3]

الجغرافية والرحلات: كلمة جغرافية يونانية الأصل، معناها علم وصف الأرض

وأطلق العرب على هذا العلم أسماء عديدة، منها علم تقويم البلدان علم المسالك والممالك

علم مسالك البلدان والأمصار.[4]

تطور علم الجغرافية:

–أ– في الجاهلية: كان في الجاهلية كثير من المعارف الجغرافية، مثل الأنواء والهداية بالنجوم ((**وبالنجم يهتدون**)). من أجل معرفو الاتجاه وطرق في الصحراء أو البحر وإنتاج الممالك المجاورة، وما يصلح منها للتجارة لأن العرب ذو موقع في وسط للتجارة ونقل.[5]

–ب– في الإسلام: في الإسلام خرجو العرب من أجل نشر الإسلام، و لفتح الأمصار وكونوا إمبراطورية واسعة تكونت من معظم بلاد العالم، فاكتشفوا الأرض والعالم واطلعوا على الجغرافية من طبيعة أرض وإنتاج وإقليم

---

[1] ينظر نفس المصدر ص 165
[2] الإسلام في حضارته ونظمه ص 591
[3] نفس المصدر ص 594
[4] نفس المصدر ص 598
[5] ينظر نفس المصدر ص 598

ونشاط بشري[1] فبرعوا في هذا العلم، وزادت معارفهم فيه، ولكنهم قاموا بجعل الجغرافية علم قائم بذاته بنوع من الأهمية و لم يقتصروا على ترجمة، أبحاث اليونانيين مثل كتاب المجسطي لبطليموس بل درسوها ونقحوها وقاموا بتجارب عديدة،[2] وقاسوا محيط الأرض، ورحلوا برا وبحرا[3] ودونوا ملاحظاتهم، وباعتراف الغرب أن علم الجغرافية عرف خطوات مهمة نحو التأصيل ولهم الفضل في ذلك ولعل ما دفع تطور علم الجغرافية عند العرب.

الفتوح: يتطلب ذلك معرفة ودراسة الطرق والمسالك، وأماكن المياه والمسافات بين المناطق، ومن أجل احتلال أو فتح مدينة يتطلب معرفة الطبيعة والتضاريس والسكان وكل ما صادف العرب في الفتوحات ألف العرب عنه الكتب.[4]

الحج: من أجل أداء مناسك كانوا يأتون من كل فج عميق إلى مكة، ويطلعون على طرق والمسالك الوصلة ويتعرفون على المجتمعات التي يمرون علىها وقد سجل الكثيرون ذلك.[5]

تدوين الأدب والتاريخ: شدوا العلماء والأدباء إلى البادية يتقصون أخبار القبائل وأقوالهم فدونوا ذلك من خلال مشاهدتهم الجغرافية، كما فعل الهمذاني في كتاب ((**صفة جزيرة العرب**)).

الرحلات: شهد العصر الإسلامي كثرت الرحالات وعرف عدد لبـــأس به من الرحالة وقاموا بتدوين كل ما صادفهم وما شهدوه حتى صارت كتبهم أحسن، مصادر يعتمد علىها في شتى العلوم والمعارف، ومن أشهر الرحالة العرب ابن بطوطة، وابن جبير.

الترجمة: لعبت الترجمة دورا مهم في أخد العرب بالعلم، وخاصة الجغرافية وذلك بإطلاع على هذا العلم من مصادر اليونان ومن خلال ترجمة كتاب المجسطي لبطليموس ومن أشهر الجغرافيين هم:

ابن خرذابه 231ه مؤلف كتاب المسالك والممالك وذكر فيه بيان حدود الأرض ومسالكها وممالكها.

ابن حوقل 381ه وصف في كتابه المسالك والممالك والمفاوز والمهالك وهو عبارة عن رحلته من العراق إلى الشام وجزيرة العرب ومصر.

المقدسي 380ه كتابه أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم وهو مزين بالخرائط وفيه وصف للعالم الإسلامي الذي زاره.

الإدريسي أشهر جغرافي العرب في أوربة، يقول عنه المؤرخ والمستشرق غوتيه:

إن الشريف الإدريسي الجغرافي كان أستاذ الجغرافية، الذي علم أوربا هذا العلم ودام معلم لها مدة ثلاثة قرون و لم يكن لأوربا مصور إلا ما صوره الإدريسي ويقول دوسلان: إن كتاب الإدريسي لم يوازيه أي كتاب سابق له، إن أجزاء من هذه المعمورة لا يزال في هذا الكتاب.[6]

---

[1] نفس المصدر ص598

[2] د/ رمضان الصباغ العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوربية دار الوفاء للنشر والطباعة والتوزيع ط1 سنة 1998 ص176

[3] المقدسي: (أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم) تحقيق د/ أحمد فؤاد محمود دار اشبيليا للنشر والتوزيع المملكة السعودية 2000م-1424ه الطبعة الأولي ص 23

[4] ينظر الإسلام في حضارته ونظمه ص 599

[5] ينظر نفس المصدر ص نفسها

[6] نفس المصدر ص 600-601

الـــــعـــــــلـــوم الـــــــــكـــونية:

العلوم الطبية:

الطب: الطب والدين هما أول من أهتم بالإنسان القديم عندما اخذ ينتقل من حالته الهمجية إلى المدنية، وكان الطب محتكر عند رجال الدين والكهنة، واختلط الطب بالشعوذة.

وحتى الآن مازال هذا الاعتقاد سائد، وعرف العرب التداوي وأمور الصحة والتطبيب واشتهرا الكثير منهم وحتى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كان الطبيب العربي يذهب إلى مدرسة جند ياسبور الطبية لدراسة الطب، وبعد الفتح أعتمد الخلفاء على أطباء من الأعاجم، ومن غير المسلمين، وأكثرهم أطباء من النصارى.[1]

ومن أشهر الأطباء المسلمين، أبو بكر الرازي- 850-932ه و ابن سينا 980-1037ه ابن زهر 1094-1162ه وهو من أسرة زهرا العربية توطنت اشبيلية، في الأندلس منذ أواخر القرن العاشر الميلادي.[2] وابن النفيس والزهراوي وكان هناك من هو متخصص مثل الكحالة في علاج العيون و طب الأسنان حتى قال الشاعر فيه:

لحى الله الطبيب فقد تعدى ** وجاء لقلع ضرسك بالمحال**

أعاف عن كلتا يديه الظبي ** وسلط كلبتين على غزال[3]**

مما يدل على استعمال كلبة على آلة الطبيب التي يقلع بها الأضراس قديم[4] وكان هناك الجراحون، وكان للعرب مستشفيات وكان هناك مشفى الجذام أخر للمجانين ومستشفى السجون ومأوى العجزة والعميان والأيتام، والمستشفيات المتنقلة ومحطات الإسعاف وهذا كله كان بإيعاز من أمراء الأمويين والعباسيين.

ووصف ابن جبير الأندلسي المستشفى الذي بناه صلاح الدين في القاهرة بأنه قصر من القصور الرائعة حسنا واتساعا وكان فيه جميع متطلبات التطبيب في ذلك العصر.[5]

الكيمياء والصيدلة: كان علماء العصور القديمة يعتقدون و الوسطى أنه يمكن، تحويل المعادن الخسيسة إلى معدن ثمينة،[6] وهي التي دفعت خالد بن يزيد بن معاوية استدعاء الراهب مريانوسمن الإسكندرية، بترجمة الكتب القديمة كتب الكيمياء اليونانية إلى العربية،[7] وكان المبادرات والغاية المادية تحمس العلماء والمختصين إلى التجارب المادية، أو علم الصنعة كما يسمونها، والعناية بالطب جعل الكيمياء تعرف تطورا ملحوظا لأن جل الأطباء العصر كانوا على دراية بالكيمياء، من أجل تحضير الأدوية وتجهيزها، ولذلك بقي اسم جابر بن حيان يلمع في السماء الفكر العلمي، ويرفرف وحيدا عالم الكيمياء[8] ومن أشهر علماء الكيمياء العرب جابر بن حيان 112أو 195ه للموافق

---

[1] نفس المصدر ص 605
[2] نفس المصدر ص 612
[3] نفس المصدر ص 616
[4] نفس المصدر ص 617
[5] رمضان الصباغ العلم عند العرب وأثره علي حضارة الأوربية دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ط1 سنة 1998ص199
[6] رمضان الصباغ/ العلم عند العرب أثره على الحضارة الأوربية دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ط1 سنة 1998 ص 196
[7] الإسلام في حضارته ونظمه ص 622
[8] نفس المصدر ص 622

730أو 740-810م يسميه الأوربيون Geber وأشهر كتبه في اللاتينية summa Perfections وهو ترجمة كتاب خالص وكذلك هناك الرازي أبو بكر.

وكان العرب أول من أشتغل، في تحضير الأدوية فضلا كما كشفوا من العقاقير الجديدة وأطلق على العقاقير أسم عجائب المخلوقات وهي أن للعقاقير أثرًا على الإنسان بالنفع والخير إذن كشفوا العقاقير وخاصة عقاقير البيطرية،[1] وأول من ألف الأقرباذين. على الصورة التي وصلت إلينا وكان صيادلة العرب يعتمدون على أقرباذين، ألفه سابور بن سهل المتوفى 255ه حتى ظهر قرباذين أمين الدولة المتوفى 560ه وأخترع العرب جملة من أدوية لم تزل مستعملة إلى الآن كالكحول واللعوق، والجلات والشراب والكافور وزيت النفط والعطر واخترعوا السوافات لتذويب الأصول الفعالة في الأدوية سواء كانت نباتية أو حيوانية أو معدنية وكذلك اخترعوا الأنبيق والتقطير[2]

عـــــــــلم الـــــــــنـــــــــبـــــــــات: نعلم أن الحضارة هي الاهتمام أو كل أثر نافع قام به العقل البشري وفي كل الميادين والمجالات، يعود أثره بالنفع على حياة الإنسان والإنسان نفس والله خلق للإنسان كل شيء، من حيوان ونبات، وحتى الجماد من أجل هذا الإنسان، حتى تكون له مسخرة بالعلم والمعرفة ودراية، من أجل راحته وتكيف مع الوضع ولذلك نجد أن الحضارات الأولى والأوربية الآن أعطت أهمية كبيرة للنبات وتزين العمران والدور والبنايات بالغرس والأشجار والنبات المختلف ألوانه، وحتى أنه قال بعض علماء البيئة على أن المجتمع المتحضر و الذي له حضارة هو الذي يعطي أهمية للغرس والنبات في تزين المحيط لأن التوازن البيئي والحفاظ علىة من أمرات التحضر.

وكان العرب واسعي الإطلاع في علم النبات، ويعود الفضل بالاهتمام كما مرّ بنا في مقوم الحضارة الزراعة للمرأة عندما كانت تلاحظ بفطنتها للبذور كيف كانت تسقط وتنمو فاهتدت إلى ذلك وراحت هي بدورها تهتم بالغرس والنبات[3] حتى أصبحت عادة اليوم عندنا أن المرأة تهتم بالنبات في بيتها حتى اليوم.

إذن العرب نشئوا في الغابات بين الرياحين والنباتات عد إلى ذلك عن شئت إلى تاريخ اليمن أرض العرب السعيدة كما سميت من قبل، فعرفوا أنواعها وفصائلها ومزاياها ثم نقلوا ما كتبه ديسقوريدس وجالينوس عنها،[4] ويعد أول كتاب ترجمه العرب إلى العربية ملاحظة العرب عرفوا النباتات ولكن هم مارسوها و لم يقيدوا ذلك في كتاب.

ومن خلال تلك تعريب كتابين أدخلوا علىها الطب، ما جهله اليونان كرواندة والثمر الهندي، والخيار شنبر وورق السامكي والكافور وعرفوا أنواع الطب كجوز والطيب والقرنفل، وذكر ابن سينا، شجرة الأرز المسماة ديودقارة، النباتية في جبال الهمالايا.

وجعلها، نوع من الشجر وفي كتاب ديسقوريس في النبات أول كتاب نقل إلى العربية نقله المترجم اصطفان بن باسيل، في عهد المتوكل.[5]

---

[1] حضارة العرب ص 196-197
[2] حضارة العرب ص 197
[3] قصة الحضارة ص105
[4] حضارة العرب ص 215
[5] حضارة العرب ص 216

وأشهر علماء النبات من العرب ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار446ه وقد أحب النبات منذ نعومة أظافره، درس كتاب المترجم ثم سافر غلي الشام والروم لمعاينة، النباتات، في منبتها ودرسها دراسة علمية وألف كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، في أربعة أجزاء مرتبة على حروف المعجم.[1]

وكذلك من أشهر علماء النبات،أبوزكريا الاشبيلي صنف مؤلفا في الزراعة والحراثة، وقام عبد الرحمن الأول ملك قرطبة بستانا، جمع فيه عددا لايحص من النيات، وقام بإرسالية إلى كل من الشام ومصر والعراق وسائر بلاد الشرق لجمع البذور النادرة.[2] ويقول أحد المستشرقين، أن الحضارة الإسلامية وخاصة في العصر العباسي والأندلس بالخصوص توحي بأن الإنسان العربي المسلم، ذواق إلى كل ما هو جميل والزخرفة، النباتية التي رسمها في طرقات وقصور الأندلس وأفنية البيوت في الأندلس خير دليل على ذلك، والإنسان الأوروبي تعلم من العرب الأندلس تلك الثقافة تزين المحيط بالاخضرار و الأزهار.[3]

علـــــــوم البـــــــيـــــئـــة: نظر العرب على العلوم اليونان، كما أطلعوا على علومهم الطبيعية، والكيماوية وفلسفتهم وترجموا هذه الكتب ودرسوها ثم انتقدوها، وراحوا يجربون النظريات ويلاحظون التجارب يزيدون أو يعدلون وينتقدون، الأخطاء ويصوبونها. ثم يضعون ملاحظاتهم[4] وبذلك يقول وايلدمان أسدوا إلى العالم خدمات لا تقل عن خدمات التي جاءت عن طريق نيوتن، وفرادى وروتنجن[5] بحيث عندما درسوا، وانتقدوا وجربوا النظريات اليونانية اهتدوا إلى نظريات جديدة. وقامت عبقريتهم وعقولهم على خمس دعائم:

-1- نفي الأساطير والخرافات القديمة من العلم

-2- سعة الإطلاع على العلوم القديمة للأقدمين

-3- رحلاتهم من أجل البحث والتجريب والمعرفة

-4- موازنتهم بين مختلف مظاهر الطبيعة، دراسة أوجه التشابه والخلاف بينهما حيوان وإنسان وجماد ونبات[6] وأهم علوم الطبيعية كانت عندهم.

عـــــــلم الميـــــكانـــــيك أو الحـــــــيـــــل وعـــــــلم الفيزياء:

علم الميكانيك أو الحيل كما سموه العرب وبدورهم قسموه إلى قسمين:

-1- قسم يبحث في آلات الحركات وصناعة الأواني العجيبة.

-2- قسم جر الأثقال بالقوة اليسيرة.

---

[1] نفس المصدر ص 216

[2] نفس المصدر ص 217

[3] د/ خليل إبراهيم السمرائي ود/ عبد الواحد دنون طه ود/ ناطق صالح مطلوب تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس دار الكتاب جديدة المتحدة بيروت لبنان الطبعة الأولي سنة 2000ص 13-14

[4] لإسلام في حضارته ونظمه ص 641

[5] لإسلام في حضارته ونظمه ص 641

[6] محمود عبد الوهاب الإسلام وأثره في نهضة الشعوب مكتبة دار الفضيلة دبي دولة الإمارات العربية المتحدة الطبعة الثانية 1407ه-1987م ص 54

واخترعوا ودرسوا أدوات الميكانيكية كالرافعة والمخل واللولب، والإسفين وغيرها[1] واعتمدوا في ذلك على بعض الكتب المترجمة، مثل كتاب أرسطو((القيزكس)).

والحيل الروحانية، وكتاب رفع الأثقال[2] وكتاب الآلات وكتب المصونة وكتب قطيز نيوس وهيرون، الإسكندري كتاب الآلات المفرغة للهواء والرافعة للمياه.[3]

وأشهر علما العرب في هذا المجال أبناء موسى بن شاكر ورزق بثلاثة أولاد هم:

محمد وأحمد وحسين وتلقوا رعاية من طرف المأمون بتربيتهم وتعلموا في الأكاديمية كل أنواع المعرفة الأكاديمية التي أقامها المأمون كل أنواع العلم والمعرفة.

حتى أصبحوا علماء في الفلك و الرياضيات، والميكانيكا والهندسة والموسيقي والطب والحكمة وعلم الهيئة والفلسفة[4] إلى جانب ذلك ألف هؤلاء الأخوة عدة كتب مشتركين في كتاب يحوي، قياسات المساحات المسطحة والمستديرة، ويعرف هذا الكتاب في أوربة باسم كتاب الأخوة الثلاثة في الهندسة بعدما ترجمه جيرارد الأكوني.[5]

ويذكر ابن نديم في الفهرست عن تجاربهم الخاصة خاصة في كتاب حيل نبي موسى وأحمد تفرغ للاختراعات، العلمية ذات قيمة وفوائد منزلية، ولعب الأطفال والأثقال [6] وألف محمد كتابه حركة الفلك الأولى والحسين كتاب الشكل المدور والمستطيل[7] وغيروا أبناء الثلاثة أراء كثيرون ممن اشتغلوا بهذا العلم، ودرسوا جوانب عديدة وشرحوا صعود المياه الفوارات والمياه الجوفية إلى الأعلى.[8]

وكذلك حساب الوزن النوعي، كان من الأبحاث المهمة عندهم فاخترع الخازن آلة لمعرفة الوزن النوعي لأي سائل، كما كان للبيروني، استخراج الثقل النوعي بوزن الجسم في الهواء أولا أما الوزن النوعي اليوم يؤخذ بالنسبة للماء المقطر[9] وفكرة الأوزان النوعية هي التي حدت بالعالم الإسلامي عباس بن فرناس إلى التفكير بالطيران، حيث لاحظ طيران الطيور في الفضاء.[10]

ونمثل في ذلك بجدول للأوزان النوعية التي تحصل عليها كا من البيروني والخازن والعلم الحديث لنأخذ فكرة عن ماذا تطور العرب في العلوم مادية وأخرى معنوية أي الفكرية والأخلاقية ودينية وفلسفية

المادة	أرقام البيروني	أرقام الخازن	الأرقام الحديثة
الذهب	19.26 / 19.05	19.05	19.26
الزئبق	13.74 / 13.59	13.56	13.56

[1] الإسلام في حضارته ونظمه ص 643
[2] نفس المصدر ص 643
[3] ينظر الإسلام في حضارته ونظمه ص644
[4] ابن نديم الفهرست إعداد أنور الرفاعي دار الحكمة بيروت لبنان سنة 2001 ص 378-379
[5] الإسلام في حضارته ونظمه ص 644
[6] نفس المصدر ص645
[7] نفس المصدر ص 645
[8] أبو الغز إسماعيل بن الزرار الجزري الحيل الجامع بين العلم والعمل دار الفكر دمشق الطبعة الثالثة سنة 2008 ص 564
[9] ينظر لعبد القادر صبري عيون المسائل من أعيان المسائل دار الفكر بيروت لبنان 1982 ص198
[10] الإسلام في حضارته ونظمه ص 646

النحاس	8.83 / 8.92	8.66	8.85

وانتقدوا العرب قول أرسطو في سقوط الأجسام، التي بقيت أوربة تتبعه حتى القرن السابع عشر عندما برهن كاليلو 1642م بتجربة فساد رأي أرسطو في قضية جاذبية الأرض.[1]

عـــــــــــــلـــم الفيزياء: تطرقوا العرب في أبحاثهم، إلى جميع العلوم الفيزيائية ولكن للأسف أبحاثهم لم تصلنا جميعها، لأن أكثرها ترجمت إلى اللغات الآخرى وأسقطوا أسماء المؤلفين العرب[2] ونسبت إلى أسماء أوربية عديدة لولا تحلي بعض أهل أوربا بالروح العلمية، وإنصاف العرب[3] لظلينا نجهل الكثير من النظريات التي وضعت من طرف علماء العرب، وكل كتاب يعثر علىه في زوايا المكتبات العامة، يظهر لنا جليا اهتمام عظيم من طرف العرب بهذا العلم.[4] ولو أن الميكانيك لها صلة قوية بالفيزياء فلأن العرب وضعوها إلى علم الحيل، وهي حسب العلم الحديث تدخل في العلوم الفيزيائية وأهم الأبحاث العرب في هذا الإطار.

-1- الـــــــضـــــــوء: يسمى عند العرب علم البصريات أو المناظر وكان العرب يهتموا به منذ اهتمامهم بالعلوم وبالفلسفة، ولا نبالغ إذا قلنا أن لولا البصريات ونتائج العرب فيها ما تقدم علم الفلك والطبيعة كل هذا التقدم فيما بعد[5] وكذلك ابن سينا المتوفى 428ه- 1027م وهو طبيب وفيلسوف ورياضي وفزيائي،[6] اشتغل في هذا الباب كثيرا حيث قال إن المرآة يتشبح فيها خيال المبصر بفتح الصاد ما دام يجاذبه...الخ من النظرية وأتبث أن الشبح الجسم الملون هو الذي ينعكس على العين رسم من علىه بالهندسة.[7]

ابن الهيثم ظهر في البصرة وكان قامة في علم الحيل والبصريات وسمع عن النيل وفيضانه، فابتكر طريقة لخزن مائه.[8] وأهم كتابه المناظر قال فيه ابن أبي أصبعه لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي، وجاء في دائرة المعارف البريطانية (الإستشراقية) إن ابن الهيثم أول من اكتشف ظهر بعد بطليموس في علوم البصريات، وهو أعظم عالم ظهر في العرب في علم الطبيعة بل في القرون الوسطى.[9]

وكذلك نجد كمال الين الفارسي أواخر القرن السادس عشر أكمل ما قام به، ابن الهيثم لأنه كان معجب به ثم البيروني وعنده، كتابه الفهرست وهو بحق كتاب موسوعة.

الـــــــــــصـــــــــــوت: درسوا العرب الصوت ومن أين نسأ وقوته، وأعاهم في ذلك الموسيقى، والآلات الموسيقية وأنواع الأنغام. ففي رسائل إخوان الصفا مثلا نجد تعلىلا، لحدوث الصوت المنبعث

---

[1] راجع لإسلام في حضارته ونظمه ص 650
[2] الإسلام في حضارته ونظمه ص 650-651
[3] نفس المصدر ص 651
[4] د/ رمضان الصباغ العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوربية دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1998 ص 40-41
[5] الكندي اختلاف المناظر إعداد وتحقيق د/ محمود سعيد عمران دار المعرفة الجامعية الإسكندرية سنة 1998 ص 258
[6] ينظر الإسلام في حضاريه ونظمه ص 651
[7] نفس المصدر ص 652
[8] نفس المصدر ص 652
[9] مصطفي نظيف علم البصريات عند ابن الهيثم دار الوفاء دبي الإمارات العربية المتحدة طبعة الأولى سنة 2004 ص 200

من حركة الأجسام المصوتة في الهواء[1] وفصل العرب الأصوات إلى أقسام منها الخفيف والجهير والحاد والغليظ، وأوضحوا العلاقة بين طول الوتر وغلظه وقوة توتر وشدة النقر من جهة ونوع الصوت الذي يحدث من جهة أخرى،[2] وشرح القزويني سبب رؤية البرق قبل سماع الرعد، في قوله اعلم أن الرعد والبرق يحدثان معا، لكن يرى البرق قبل أن يسمع الرعد لأن الرؤية تحصل بمراعاة البصر، أما السمع مرهون على وصول الصوت إلى الصماخ وذلك بتوقف، على تموج الهواء وسير الضوء أسرع وصول الصوت.[3]

المغناطيس وبيت الإبرة: تعلم العرب المغناطيسة، عن اليونان وهم أول من تعرف على الجذب في المغناطيس وخاصيته وكذلك أخذوا عن الصينيين، أول من عرفوا خاصية الاتجاه فيه، وتأكدوا أنهم مارسوا الإبرة المغناطيسية لتحديد الاتجاه وجاء في كتاب كتر البحار:- من مهام المغناطيس أن رؤساء، السفن الشامي إذا أطبق علىهم الظلام ولم يعتروا ولم يجدوا ما يهتدون به من نجوم إلى الجهات الأربعة يأخذون إناء مملوءا، ويحترزون، علىه من الريح ويترلونه على بطن السفينة، ثم يأخذون إبرة ويلقونها في الإناء ويدخلونها في قشة حتى، لتبقي فيها معرضة كالصليب ويرمونها في الماء الذي في الإناء، فتطفوا عل جهة ثم يأخذون حجر المغناطيس كبير ملء كف اليد ويدنونه من وجه الماء ويحركون أيديهم، دورة اليمين ولما تدور على صفحة الماء ثم يرفعون أيديهم على غفلة وسرعة فإنّ الإبرة وحدها تتجه إلى الجنوب أو الشمال وشاهده هذا الفعل منهم عيانا سنة 640م ويختلفون عن العرب أهم من استعملوها أم الصينيين.[4]

واستعملوا بيت الإبرة من أنهم لم يزالوا في عام 1850م يظنون أن القطب الجنوبي من الكرة الأرضية سعير يتلظي وهو الحك بكسر الحاء.

الـــــــــــــــــــرقـــــــــــاص: أطلق علىه العرب اسم الموار ومخترعه ابن موسى المصري 399ه-1009م فلاحظ تذبذب الرقاص وحرف كثيرا من قوانينه، وكان الفلكيون العرب يستعملونه، لحساب الفترات الزمنية أثناء رصد النجوم، ونسبه إلى غليليو 1524ه-1642م وفي الحقيقة شيء مجحف في حق العرب، لأن العرب استعملوه قبله بستة قرون واستعملوه في الساعات الدقائق.[5] وكان العرب سباقون في ذلك من غاليليو،

الـــــــعـــــــلوم الرياضـــــــــة: يقول أفلاطون من لم يكن رياضيا لن يدخل أكاديميتنا[6] و الرياضيات يتميز بها الإنسان لأنها عقلية بامتياز، وجل الإبداعات سواء كانت في الفن، أو الأدب، والعلوم الكونية أو الفكرية، تحتوي على الحساب والجبر و الهندسة، أي كم المتصل والمنفصل، والمثلثات كما يدخل في علم الفلك وكلها تحتوي على قوة التجريد، ورقي عقلي ولم يعرف العرب قبل الإسلام هذه العلوم، ((الجبر والهندسة و المثلثات)).كعلم بل مارسوه بالبديهة في إبداعاتهم وحياتهم اليومية، ولكن بعد الإسلام، كذلك لم يهتموا كثيرا

---

[1] الإسلام في حضارته ونظمه ص 659
[2] نفس المصدر ص660
[3] ينظر نفس المصدر ص660
[4] نفس المصدر ص 661
[5] سميث تاريخ الرياضيات دار الحكمة مصر الطبعة الثانية ص 213
[6] قضايا فلسفية عن كتاب جمهورية أفلاطون الفكر الرياضي ص 314

بالرياضيات لأنهم تركوا أمر الجباية للموالى والذميين، وعندما عرب عبد الملك بن مروان الدواوين، حتى وظف العرب فيها أنكبوا على تعلم الكتابة والحساب.

قال ابن التوأم: ((**علم ابنك الحساب قبل الكتابة**)).[1] حتى تفوقوا في هذا العلم وتخطوا جميع الفروع الآخرى.

عـــــــلـــــم الـــــحـــــســـــاب: كان العرب منذ عصر الجاهلي وفي الإسلام وبداية العصر العباسي يستخدمون العد والحساب في أمورهم العملية من بيع وشراء، وتقسيم الغنائم والإرث الذي فيه تتجلى الرياضيات في أعلى صورها، وقياس الأراضي والكيل والوزن ودفع قياس الأراضي العرب، على الحاجة إلى الأعداد من أجل ضبط الحساب وينظمون بيوت المال والتجارة[2] وأخذ العرب عن الهنود الأرقام بعد أن كانوا، يستعملون حساب الجمل عل منح كل حرف من الحروف الأبجدية قيمة عددية على نحو تالي:

أ =1 ب= 2 ج= 3.. وهكذا ض= 800 ظ= 900 غ= 1000

ثم ضموا حرفين وثلاثة أو أكثر على بعضهما، مثل العدد 14 = يد والعدد 17 يز والعدد801=أظ و كان هذا زمن المنصور 154ه عندما تواجد الفلكي الهندي كانكا Kanka حضر معه كتاب سند ها نتآ ومنه اكتشف العرب الأرقام الهندية التي يستعملها جميع الأقطار الإسلامية[3]

الجبر والهندسة: الجبر كلمة عربية يعود الفضل في إيجادها إلى أبي عبد الله محمد بن موسى، الخوارزمي صاحب كتاب حساب الجبر والمقابلة، وعنه أخذ الأوربيون، فسموا الجبر Algeber والخوارزمي لم ينشأ هذا العلم كله بل رتبه ورقي به إلى درجة العلم[4] وتطرق إلي كثير من شؤونه، والمصريين القدماء كانوا قد عرفوا حل المعادلات من الدرجة الأولى والثانية، وكذلك الجذر المربع ووضعوا له علامة.[5]وكل هذه الأمم لم تعرف الجبر كما شرحه وعرفه الخوارزمي، ونجد الشاعر لخص علم الجبر بقوله:

على ثلاثة يدور الجبر * المال والأعداد والجذر**

بالمال كل عدد ربع * وجذره واحد تلك الأضلع**

والعدد المطلق مالم ينسب * للمال أو للجذر فافهم تصب** [6]

وترجم كتاب الخوارزمي إلى اللغات الأوربية، وظل مرجعًا لسنيين عديدة حتى الفترة الأخيرة.

---

[1] الإسلام في حضارته ونظمه ص 665

[2] ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان طبقاه الأطباء والحكماء تحقيق وإعداد فؤاد سعيد دار الحكمة دمشق 1990ص 128

[3] أبو علي الحسن بن عبد الله ابن سينا ضمن كتاب عبقرية الحضارة العربية ترجمة عبد الكريم محفوظ دار الجماهيرية للطبع والنشر والتوزيع والإعلان طرابلس 1990 ص 182

[4] أبو زيد شلبي تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص 316

[5] الإسلام في حضارته ونظمه ص668

[6] نفس المصدر نفس الصفحة

وقد استخدمت أوربا في حسابها أعداد الذي يعود الفضل فيها للعرب والطرق الحساب المستعملة في حياة اليومية للعرب أيضا،[1] ومرجع أن الأوربيون أو الغرب لم يعرف الصفر قبل القرن الثاني عشر الميلادي، بينما العرب تخبرنا المصادر أنهم يعرفونه في القرن الثامن وكانوا يرسمونه حلقة[2] والصفر يعد من أهم النظريات، التي ابتكرها العقل البشري في الرياضيات وفضل العرب فيه عظيم، يقول المؤرخ((أير)) (إن فكرة الصفر تعتبر من أعظم الهدايا العلمية التي قدمها المسلمون إلى غرب أوربا). [3] وتعد خطوة هامة، في تصويب الحساب واستعمله العرب للدلالة على لاشيء كما يلاحظ من بيت الشعري، الذي جاء قصيدة لحاتم:

ترى أن ما أهلكت لم يك ضرني * وأن يدي مما نجلت به صفر [4]**

وكما ساعدهم نظام الأعداد العربية على إدراك الكمال في الطرق الأولية، للحساب فإن معرفتهم خصائص الأعداد الفردية والزوجية وما بينهما، من العلاقات ساعد على استخراج الجذور التربيعية والتكعيبية[5] وكذلك كان أمرهم في الهندسة، فإنهم لكم يقتصروا على معلومات اليونان بل جددوا ونقحوا وابتكروا، زيادات لم تعرف من قبلهم فهم الذين أدخلوا المماس إلى علم الحساب المثلثات، وكان لهذه الخطوة المهمة، في علم الرياضيات. حتى اعتبروها علماء الرياضيات أنها ثورة خطيرة وأقاموا الجيوب مقام الأوتار، وحللوا المعادلات المكعبة وبحثوا في المخروطات، وتطرقوا إلى أغوص المسائل الهندسية كقسمة الدائرة إلى سبعة أقسام.[6] وأول كتاب ترجم في عهد أبو جعفر المنصور كتاب اقليدس اليوناني في الهندسة وسيرة الأصول، وكذلك يسمى الأركان وقسموا الهندسة إلى قسمين الهندسة العلمية وهو الهندسة الحسية والهندسة، النظرية اسم الهندسة العقلية ولما جاء ابن الهيثم وألف كتاب سماه في نسق الأصول[7]وإذا كانت الهندسة علما يونانيا فإن المثلثات كالجبر، علم عربي بحث، فاليونان لم يهتموا بالمثلثات لذاته، والهنود لم يتقدموا في هذا العلم[8]، واشتعلوا العرب في المثلثات المستوية والكروية، وشرحوا المثلثات الكروية القائمة. يقول العلامة هل صاحب كتاب الحضارة العربية (ومن تراث العرب علم الحساب المثلثات ونظريات الزوايا، والتماس و لم يكن في استطاعته بيورباخ و رجيونانوس وكوبر نيف أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه دون أساس من علوم العرب.).[9]

العلوم الفلسفية والفرق الدينية: و لم تنقل العرب كتب الفلاسفة إلى العربية إلا في عصر المأمون على وجه العموم، و لم يكن للعرب الجاهلية فلسفة شبيهة، بفلسفة الإغريق أن طبيعة بلادهم كانت تدعوهم إلى الكفاح في سبيل الحياة[10] ويشير الفلاسفة عل أن الإنسان لابدا أن يعيش قبل أن يتفلسف،ولكن عند مجيء الإسلام دعاهم إلى

---

[1] جورج يعقوب أثر علوم الشرق في الغرب دار الفكر دمشق سنة 2004 ص 22-24
[2] الإسلام في حضارته ونظمه ص 667
[3] أبوزيد شلبي تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص 316
[4] جورج يعقوب أثر الشرق في الغرب دار الفكر دمشق سنة 2004 ص 22-24
[5] ي هل الحضارة العربية ترجمة الدكتور إبراهيم العدوى ص 108
[6] تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص317
[7] الإسلام في حضارته ونظمه ص 671
[8] نفس المصدر ص 671
[9] هل حضارة العرب ص 108
[10] الإسلام في حضارته ونظمه ص 691

التأمل والتفكر في ملكوت الله، ودخل أجناس كثر في الإسلام وكانوا أصحاب ملل ونحل وبدؤوا ينقل بعض الفلسفة الإغريقية، إلى المسلمين ولما راحوا يترجمون، ويدرسون كتبهم أكثر ما جدبهم الفلسفة الأفلاطونية، وكان هناك فريقان فريق اشتغل بالكيمياء والرياضيات، والفلك والتنجيم والآخر كانوا أطباء واشتغلوا في الفلسفة[1] وكان الشخص يعد من الموسوعات، لأنه كان يتخصص في أكثر من علم لأن الرجل لا يعتبر عالما وفيلسوفا إلا إذا أحاط بأكثر من علم.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نعتبر كثيرا من علماء العرب فلاسفة، وخاصة أول نشأة الفلسفة ولكن المؤرخين المتأخرين يفصلون بين الفيلسوف، وبين المشتغل بغيره من العلوم.[2]

لذلك لا يلقبون الغزالي بالفيلسوف وهو قد اعتمد على كثير من الفلسفة في برهانه، التي يسلكه في برهانه المنطقي، والإثبات العقلي بتعاليم الدين. والفلسفة اسم يوناني كما عرفها الفارابي معناه إثارة الحكمة ومن أشهر الفلاسفة في الإسلام فهو "الكندي" وهو عربي الأصل من قبيلة كندة، نشأ في الكوفة وأورد ابن نديم أسماء وكتب الكندي في ثماني صفحات وعدها سارتون فوجدها مأتيين وسبعين كتابا[3]

الفارابي : وهو فارس الأصل من خراسان تناول جميع كتب "أرسطو" ومن كتبه رسالة العقل ويأخذ منهج "أرسطو" فيه وكذلك جماعة إخوان الصفا وهم جماعة سرية ذات نزعة شيعية وكان شعارهم صلاح الدين ودنيا، والإقتداء بالحكماء وبالفيثاغورثيين وأن مذهبهم في جميع العلوم الطبيعة والدين والرياضة والإلهية[4] وابن سينا أشتهر في الفلسفة والطب وابن باجة فيلسوف أندلسي عاش في منتصف القرن الخامس الهجري في عصر دولة المرابطين.

ابن طفيل: وهو من قرطبة الاشبيلي في مدينة كراديش غرب غرناطة أوائل القرن الثاني عشر الميلادي وكتاب الوحيد الذي نعرفه له كتاب اسمه حي ابن يقظان وابن رشد: أشهر فلاسفة الأندلس كان تلميذ ابن طفيل وشرح كتاب أرسطو، ورد على الغزالي في كتاب تهافت التهافت وانتقد الفارابي ومنطقه.

ملحوظة: عن الفلسفة الإسلامية أنها اعتمدت على الفلسفة الإغريقية وخاصة فلسفة أرسطو، وأفلاطون وانتشر هذا المذهب في الإسكندرية حتى أصبحت من أملاك العرب[5]

عـــــــــــلم الكـــــــــلام: يعرف أنه علم يبحث في العقائد، وفي الرد على المخالفين بالأدلة العقلية فهو يقوم على أن أتباعه، يؤمنون بالعقائد الدينية وبصواب هذه العقائد، الإسلامية ثم يجادلون بالجدل والإقناع، والمنطق والفلسفة برهان صحة هذه العقائد، وإقناع المخالفين أو غير المؤمنين بصحتها إقناعا عقليا، كما أقنعوهم بالقرآن وتعاليمه وجدانيا لذلك كان بحثهم يخالف منهج الفلاسفة الذي يكون صاحبه صافي وخالي الذهن، من أي فكرة خاصة يتطلب الحقيقة.[6]

---

[1] ينظر الإسلام في حضارته ونظمه ص 691
[2] نفس المصدر ص 691
[3] نفس المصدر ص 693
[4] نفس المصدر ص693
[5] نفس المصدر ص 699 وللإطلاع أكثر راجع كتاب لأنور الرفاعي الإسلام في حضارته
[6] ينظر مقال د/ محمد أحمد أمليحي الأستاذ بجامعة محمد الخامس مدينة فاس مجلة العربي للفلسفة والفكر ص 145

أســـــــــــــــــباب نـــــــــشـــــــــأة هـــــــــــذا الـــــــــــعلم:

أصبح علم له قواعده وأسسه وأتباعه ومنها الفرق الإسلامية راحت تختلف في كثير من القضايا، وتجادل مرة وتقاتل بالسيف تارة أخرى من أجل قضية من أجل الدفاع عنها:مثلا قضية الخلافة ومن حق بها؟ هل هي إرث لآل النبي أو انتخابية أم شورية أو ملكية كما قام بها الأمويون؟ هل خطأ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بقبولهما؟ الخلافة مع وجود على هل هما أحق بها أم أصابا؟ وأمر مرتكب الكبيرة أهو كافر أم مؤمن؟ وقضية خلق القرآن أم هو كلام الله؟

إلى جانب التراع الجدلي بين المسلمين وغيرهم من أتباع الدينات الآخرى، ضف إلى ذلك أن بعض الفرق الإسلامية، والدينية كالمعتزلة أخذت على عاتقها الدعوة الدينية والرد على المخالفين.

التـــــــــــــــصـــــــــــــــــوف : هذا الجانب وجانب الفرق لعب عليه بعض المستشرقين من أجل ضرب الإسلام، وت الشكيك في مبادئه وأصوله مثل المستشرق ماسنيون الذي أعتبر الحجاج شهيد العصر وأن علمه سبق عصره.[1] ولكن لعبوا على وثر التصوف المتطرف لا التصوف المعتدل الذي يخدم الإسلام وحضارته التصوف الذي أدخل بعض العقائد الفاسدة والآراء الخاطئة وإزاء ميل كثير من الخلفاء والأمراء والأغنياء، إلى حياة الترف والنعيم وظهور كثير من مظاهر اللهو والمجون وتمتع بملذات الحياة،و من كل أمور الدنيا أثاث فخر وطعام وشراب مختلف ألوانه وموسيقا وغناء....الخ[2] ومع هذا كله ظهر في الطرف الآخر فرقة تتخذ الزهد والتصوف في الحياة واخشوشنوا في الحياة، وانصرفوا عن الدنيا، تيار يعادي التيار اللهو والمجون واقبلوا على الله ولبسوا الصوف مقلدين بعض الصحابة[3] وأختلف العلماء في أصل اقتباس كلمة الصوفية، فقال المتصوفون أنها مأخوذة من الصفا وأن الصوفي رجل صافاه الله، وقال آخرون مشتق من الصف الأول الذين كانوا يجلسون فيه للصلاة في المسجد أو من الصفة وهي الدكة في مسجد رسول الله صل الله عليه وسلم، في المدينة ينقطع أناس عنها للعبادة وقال بعض المستشرقين إنها كلمة صوفية تعريب لكلمة صوفيا اليونانية أي الحكمة وأجمع أكثرهم على أنها من لباس الصوف الغالب على الزهاد.[4]

تطـــــور الصـــوفـــيـــــة وفلـــســـفـــتها و طـــرقـــها: ماانفك التصوف حتى صار مذهبا خاصا، وظهر كثير من المتصوفين بعضهم مغال وبعضهم معتدل حتى شد بعضهم عن القول المألوف، عند جمهور المسلمين[5] كالحلاج حسين بن منصور كان من غلاة المتصوفين حتى أنه أدعى الألوهية، في عهد المقتدر العباسي، وكان مجوسيا من بلاد فارس، ثم أسلم وذهب إلى الهند، وتعلم الشعوذة، وأثر على أتباعه حتى أضحوا يشككون في العبادة والمناسك، أما المعتدلون فلم يصلوا إلى ما وصل إليه الحلاج، اخترعوا نظرية الحب الإلهي والمسالك، وطريق المقامات، وصاروا يقومون بالأذكار بصوت عال ومنخفض ويدقون بالطبل و الزمر وأنواع الآلات الموسيقية، ويقومون بأفعال الاستكانة، ومنها السنوسية والشاذلية والنقشبندية.

---

[1] ينظر رسالة ماجستير الأستاذة الدكتورة ميم نسرين جامعة بلعباس جيلا لي اليابس مخطوط تحت رقم
[2] الإسلام في حضارته ونظمه ص 701
[3] المسعودي مروج الذهب دار الفكر مكتبة الأسد سنة 1980ص 600
[4] ينظر نفس المصدر ص601
[5] الإسلام في حضارته ونظمه ص 701

أثـــار الـــفلـــــسفة في الحـــضـــارة الإســـلامية: كان من أثر الفلاسفة المسلمين أن ربط العلماء بين العلم والدين وتناقشوا، في الإلهيات ووضعوا أسس الفلسفة الإسلامية الروحية ظهر علم الكلام مما أضطرهم للاشتغال بعلم المنطق والتأليف فيه.[1] واضطهد الخلفاء الفلاسفة ومنهم من قتل ومنهم من سجن لأنهم كانوا ينظرون على أنهم يريدون تشكيك الناس في عقائدهم وبعض الآخر شجعوهم على النقاش والجدال مثل قضية القرآن أهو مخلوق أم كلام الله[2] وظهور كثير من الفلاسفة المسلمين الذين تركوا أثرًا واضحًا في الفكر الإسلامي ومنه الفكر الأوربي أبان نهضته.لأنهم أسسوا مبادئ علم النفس ويعد من ذلك أهم أثارهم وبنوا عليها طرائقهم، في التربية والتعليم ابن الوردي وغيره و أن الغرض الأساس من التربية الإسلامية هو كمال النفس وتهذيبها[3] قال الرسول صلى الله عليه وسلم:(**أدبني ربي فأحسن تأديبي**).[4] ونلاحظ اهتمام المسلمين بالتربية وعنايتهم بها على أسس من علم النفس مثل حجة الإسلام الغزالي الذي أورد في كتابه إحياء علوم الدين وقواعد ومبادئ يسير عليها المعلم والمتعلم، ويجد المتصفح لها أنها سامية الغايات، فيها تحليل نفسي دقيق يدل على النضج وحصب القريحة وعلى معرفة تامة بنفسية المعلم والمتعلم وهي لاتقل عن النظريات الحديثة، في علم التربية[5]

المـــــــــذاهـــــب والـــــــفـــــرق:

نـــــــشأة الفرق: كانت الخلافة كما قدمنا هي المسألة الأولى التي أشتد حولها الخلاف بين المسلمين وتشعبت فيها آراؤهم[6] وظهرت الفرق في العصر الأول وهي:

الشيعة: الذين شايعوا على ويرون أنه هو أحق بالخلافة، بعد الرسول صلى الله علىه وسلم وهم أقدم الفرق الإسلامية وخمد هذا الرأي في عهد أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما أجمعيين وفي عهد عثمان ظهر أصحاب هذا الرأي مجددا. [7]

مبادئهم:

1. الإمامة ليست من مصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، ويتوجب القائم بها تعينهم بل هي ركن الدىن وقاعدة الإسلام ولا يجوز، للنبي إغفالها ولا تفويضها إلى الأمة يجب تعين الإمام وتكون له العصمة.
2. وان علىا رضي الله عنه عينه الرسول صلى الله عليه وسلم بنصوص ينقلونه ويؤولونها هم[8] ومن هنا نشأة فكرة الوصية ولقب على بالوصي.
3. وأنه أفضل الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فمن عاداه أو حاربه فهو عدو الله.

الدوافع لانتشار التشيع:

---

[1] حضارة العرب وتاريخ علومهم وآدابهم وأخلاقهم وعاداتهم اسعد ذاغر ص 163
[2] راجع الفرق والملل لأسعد محمد صالح منجد مدرس العلوم الشرعية بجامعة أم القرى دار الهجرة للنشر والتوزيع سنة 2001ص 211
[3] الأستاذ قدري حافظ طوقان العلوم عند العرب دار الحديث لنشر والتوزيع ص 177
[4] سيرة ابن هشام ص190
[5] الإسلام في حضارته ونظمه ص295
[6] ينظر الشهرستاني الملل والنحل ص 30 للأستاذ بدران
[7] دكتور أبوزيد شلبي تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص 283 مكتبة وهيبة القاهرة 1433هـ 2012م
[8] تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص 283 نفس المصدر

1. حب أل البيت
2. القصد إلى هدم الإسلام لما تنطوي عليه قلوب المتظاهرين، بالتشيع من ضغينة وحقد وعداء وكيد للإسلام فكرة الشعوبية.
3. إدخال بعض تعاليم الآباء ودياناتهم من يهودية ونصرانية ومجوسية إلى الإسلام من أجل إفساده بحجة أنهم أهل كتاب[1] وكان لظهور التشيع أثار سياسية واجتماعية ودينية بعيدة المدى اعتبروا الأمويين مغتصبين للسلطة. ألهوا بعض الشخصيات وجاءوا بأشياء تتنافى والدين الإسلامي.[2]

ولما قامت دولة بني العباس لم يفرح العلويون، واعتبروا أن العباسين خدعوهم وأنهم عارضوا وكافحوا وناضلوا العباسين، وكانوا بعدها يعملون في الخفاء ولما اشتدت بهم الأوضاع وعلىهم الأحوال رحلوا إلى بلاد المغرب العربي، وأسس الأدريس هناك دولة الأدارسة، وأقاموا دولة الفاطمية وأسسوا القاهرة نافست بغداد هنالك عدة طوائف للشيعة منها الرافضة، والكسانية والزيدية، والإمامية[3]

الخوارج:كان موقفهم سياسي ثم بعد ممر الزمن أصبح مذهب ديني، وظهروا في موقع صفين في قصة التحكيم، الذي عمد معاوية مع ابن العاص إلى الحيلة والدهاء وقالوا الخوارج، قولتهم المعروفة –لا حكم إلا لله– معلنون رفضهم لما جرى في موقعة صفين وخرجوا إلى حوراء وهي قرية بظاهر الكوفة وسموا بالحرورية وأمّروا علىهم رجلا أسمه عبد الله بن وهب الراسبي، وحاربهم على وهزمهم في موقعة النهر وان.

مبادؤهم:

1. الخلافة تكون باختيار حر من المسلمين
2. ليس من ضروري أن يكون الخليفة من قريش
3. على الخليفة أن يخضع لما أمر الله
4. الإيمان ليس اعتقادًا وفقط بل اعتقاد وعمل كان لظهور الخوارج أثار سياسية، واجتماعية هددت الحضارة الإسلامية كانوا خطرًا هدد المسلمين وأقلق الخلافة وأثار الحروب، دامية أضعفت كاهل الخلافة تدخلوا في العقائد وكفروا مخالفيهم، وافترقوا إلى فرق بلغت العشرين فرقة منها الأزارقة والصفرية والإباضية[4]

المرجـــــئـــــة: لما أنقسم المسلمين بين مؤيد على على وخارج عنه خرج جماعة من الصحابة وقالوا لا نكفر ونبدع أحدًا بل كرهوا التراع، وقالوا فلنرجئ أمرهم إلى الله تعالى فسميت المرجئة ثم تطور أمرهم في أمور الدين فقالوا عن الإيمان بأنه معرفة الله ورسوله، وقالوا وبلغوا أن الإيمان اعتقاد ولا يوجد للعمل مطلقا حتى قالوا مقولتهم المشهورة لاتضر مع الإيمان معصية، كما لتنفع مع الكفر طاعة.[5]

---

[1] ينظر الشهرستاني الملل والنحل تخريج الأستاذ بدران القسم الأول مقدمة ابن خلدون جزء الثاني ص 527 وفجر الإسلام أحمد امين ص 313

[2] مقدمة ابن خلدون ص 232

[3] فخر الرازي تحقيق د/ أنور الرفاعي اعتقادات فرق المسلمين والمنكرين ص 286 الطبعة الأولي بدون سنة الطبع

[4] ينظر فخر الرازي والشهرستاني القسم الأول فرق المسلمين والمنكرين ص 288

[5] ينظر للإمام الرازي اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ومنه تاريخ الحضارة الإسلامية ص 292

المعتزلة: واصل ابن عطاء الذي صار رأس المعتزلة من تلاميذه الحسن البصري، فاختلف معه في حكم الكبيرة[1]

مبادؤهم:

1. نفي صفات الله القديمة كالعلم والقدرة
2. القول بالمترلة بين المترلتين مرتكب الكبيرة الذي مات ليس مؤمنا، ولا كافرا وهو مخلد في النار
3. القول بخلق القرآن وعدم رؤية الله في الآخرة.[2]

أهل السنة: هم أتباع أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي وأخذوا طريقهم من السلف الصالح في فهم العقائد وجعلوا القرآن مصدرًا، وما أشكل وأشتبه علىهم من أحكام أو آيات أرجعوه إلى السنة لأنها مفسرة للقران وأحكامه، وإلى أساليب اللغة إنا أنزلناه قرانًا عربيًا مبينًا لقد تطرنا إلى بعض المعرف والعلوم في الحضارة الإسلامية، وقبل أن ننتقل إلى عنصر وهو الفن في الإسلام أو الفنون الجميلة والعمران الذي أبهر العالم بهندسة، وإتقانه بالأندلس عنا ببعيد ويبقي شاهد على ما مدى إنسانية الحضارة الإسلامية، أنها حضارة لم تقم كما قال المستشرقون أن الحضارة الإسلامية قامت على السيف أي أنها دموية ونشرت الموت والإرهاب في المعمورة نقول إن قتلى الحروب الفتوحات من عهد الرسول صل الله علىه وسلم إلى أخر عهد، من العصور الإسلامية لم يتجاوز بضعة ألاف وبينما الحروب التي كانت تحت، عنوان الحروب الصليبية و الاستعمارية تجاوزت الملايين من القتلى نهيك عن الحرب العالمية الأولى والثانية.

وأنها حضارة علمية، لأنها جمعت بين علوم الدنيا وعلوم الدىن، وهذا سر قوتها إلى جانب أصولها، ولهذا نجد أن الإستشراق فهم هذا السر وراح يضرب هذه الأصول من أجل إضعاف المجتمع العربي المسلم وإبقائه تحت السيطرة، إلى جانب نظرة التعالي والفوقية كما قال مالك ابن نبيّ[3]

الفـــــــــن والعـــــــــــمارة الإســـــــلامـــــــــيـــــة: هل الإسلام فن؟ وليس الإسلام دينا؟ والفن يعاكس الدىن فما هي علاقة هذا بذاك؟ لدى تناول أي مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية يتوجب علىنا، ملاحظة الغاية القصوى وإلى أساسه الإبداعي على أنهما مرتبطان ونجمان عن القرآن والواقع أن الثقافة الإسلامية، هي ثقافة قرآنية، لأن أهدافها وتعريفها وبناها وطرق الوصول إلى تلك الأهداف تصدر جميعها عن ذلك الفيض القرآني[4] إذن القرآن يقدم المبادئ الأساس لثقافة وحضارة، بأكملها ومن دون ذلك الوحي ما كان للثقافة أن تولد ولا توجد ديانة إسلامية، ولا قانون أو مجتمع إسلامي ولا نظام سياسي ولا اقتصادي. إنّ الدىن يلتقي في جوهره النفسي بالفن[5] فكلاهما انبثق من عالم الضرورة وكلاهما ينظران إلى عالم الكمال[6] وكلهما ثورة على

---

[1] من مقال د/ محمد يوسف موسي دائرة المعارف الإسلامية العدد 14 المجلد الخامس ص 292
[2] تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص 293
[3] إنتاج المستشرقين وأثرة في الفكر الإسلامي الحديث دار الإرشاد للنشر والطباعة والتوزيع الطبعة الأولى سنة 1388ه-1969م ص32
[4] حضارة العرب ص 243
[5] حضارة العرب ص 244
[6] نفس المصدر ص 244

آلية الحياة والفن ليس بالضرورة هو الفن الذي يعبر عن الإسلام[1] الوعظ والإرشاد إذن الفن هو الذي يبهر، النفس بالجمال والقرآن جاء مبهرًا في شكله وأسلوبه، يعد تحفة فنية أعجزت أصحاب السحر البلاغي، الجمالي من مجاراته ومحكاته.

إذن الفن الإسلامي هو الذي يرسم لنا شكل الوجود من زاوية نظرة إسلامية لهذا الوجود[2]، هو تعبير الرائع عن الكون والحياة، والإنسان هو الذي يهيئ اللقاء الكلي بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو قمة الجمال.

إذن السؤال الذي يراودنا ماذا نعني بالفن الإسلامي؟ هل هو فن عربي؟ أم فن إسلامي، ألم يكن في البلاد العربية في القدم فنون مميزة؟ وألم يكن فنون مابين النهرين وبلاد الشام والعراق، واليمن من أرقي الفنون القديمة[3] وأكثر نشاط وحيوية؟ نقحها وعدلها الإسلام وأحدث فيها تغيرات جديدة، إذن جمعت بين الأصالة العربية وروح والدوق الإسلامي.

ولكن الإسلام أو الحضارة الإسلامية بشكل عام انتشرت في ربوع المعمورة، ودخل في تركيبتها فرس وهنود وترك وصعد ومغاربة ورنوج وقوط وفاندال وغيرهم؟ وعاشوا في ظل دولة واحدة وكل واحد من هذه الجنوس كانت لهم تقاليد فنية تأثرت بالعرب والمسلمين وبقيت على العهود، إذن الفن الإسلامي نقصد به جميع الجهود التي قدمها العالم الإسلامي، خلال عشرة قرون على الأقل، في التعبير عن الجمال وابتكار الأشياء الفنية ويعد من أوسع الفن انتشارا في العالم لأنه وصل حتى تخوم خليج البنغال في الهند وإيبرية ويعد أطول الفنون تعميرا إذا استثنينا الفن الصيني[4] ويقول جورج مارسه ((الفن أعطاه الإسلام وجها جديدا لا يمكن به على أصولها، وقد كفى هذا الفن أن يمر عليه مئة عام من الزمان لكن يتجذر في أعمال لم يعد بالإمكان نسبها للفنون القديمة، التي أغنته ومن خلال القرون كان يبتعد عن المؤثرات التي أحاطت بمقدمة العالم)).[5]

تطور الفني الإسلامي: بدأ الفن الإسلامي مع بدء الدعوة وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم، وجدناه يحثنا إلى النظر ناحيتي الجمال، والزينة في المخلوقات، ووضح لنا القرآن الكريم إلى الطريقة التي يهتدي بها الإنسان المؤمن وغير المؤمن إلى تهذيب الخلق، حتى يصل إلى حب الخير، والذوق حتى ينتهي، إلى حب الجمال، ونجده أقسم ببعض مظاهر الطبيعة انفهم ما فيها من جمال الفني يقول عن غروب الشمس ورعي الأغنام {**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**}[6] وأول خطوة قام بها كما يقول د/ محمد عبد العزيز رزوق الرسول صلى الله عليه وسلم، فيها عمارة وفن البناء لم تعهده العرب من قبل وهو بناء المجسد المدينة ((النبوي)) ونشاء فن عمارة المساجد، ثم تشيد القصور، وكذلك بناء المدارس والأضرحة ونقش على الرخام وصور الرسامين، والمخطوطات المستمدة من النباتات، أو

---

[1] من مقدمة كتاب منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب دار الرشاد مصر
[2] ينظر الإسلام في حضارته ونظمه ص 334
[3] نفس المصدر ص 334
[4] نفس المصدر ص 334
[5] نفس المصدر ص345
[6] سورة الأنعام الآية رقم

الأشكال الهندسية وحاك العمال البسط والسجاد، وصنع الفنانون مختلف الأثاث، وأغراض اللاستعمال الفنية[1] فظهرت المنشآت المعمارية، وصناعة الرياش والحلي وأدوات الزينة.[2] ففي عهد بني أمية ظهر الفن الذي يمكن إن نسميه الفن العربي الإسلامي، و لم يكن في بدايته أمرا سهلا كما يبدلونا لأنهم في البداية الأمر العرب اقتبسوا الفنون التي كانت قبلهم، فأخذوا الفنون البيزنطية، التي وجدوها في سورية والشرق الأدنى وخلقوا منها طرازا، فنيا خاصا وهي مرحلة انتقالية، بين الفنون البيزنطية والطراز العباسي.[3] ولما آل الحكم للعباسين منذ سنة((232ه- 750م)) نقلوا حكمهم إلى بغداد، و بأت إسلاميا بل طبعت علىه صفة الفن الإسلامي.[4] وبلغ أوجه في سامراء القرن الثالث الهجري فلما تأثروا بتقاليد الساسانية، وأصبح الفن هناك متأثرا بالأساليب الفنية الفارسية فلم يعد فنيا عربيا، إسلاميا بل طبعت علىه صفة الفن الإسلامي.[5] وبلغ أوجه في سامراء القرن الثالث الهجري فلما انحطت الدولة العباسية المركزية، انحط معها الفن وأصبح، ظهور أساليب محلية مستقلة في الفن.

عصـــــــور الفن الإسلامي: الفن وازدهاره مرهون بالاستقرار، السياسي ورغبات الحكام الشخصية ولذلك فإن الفن ينسب إلى الدولة الحاكمة، ولهذا أخذت بتقسيم الفن الإسلامي على فترات السياسية.

عصر الإسلامي الموحد: يشمل أواسط القرن السابع الميلادي حتى نهاية القرن التاسع الميلادي وهو يبدأ مع الفتوح، في العالم القديم في هذا العصر خل من أي تقليد، فني فأخذ الخطوط العريضة من البحر الأبيض المتوسط، والعالم الأسيوي فأحذ الفن الهلينستي والفن الإيراني وظهر طابعهما، على العصر الأموي والعباسي الأول ولكن التأثير الإيراني لم يكتمل، إلى عندما انتقل الحكم إلى بغداد، ظهر الإيوان وتركيب الجذران والكوى والجص و زخرفة[6]

عـــــصر الخلافات الثلاث: يمتد بين القرن العاشر حتى متوسط القرن الثاني عشر الميلادي، تفككت أواصل الإمبراطورية الإسلامية إلى ثلاثة قوى، الخلافة العباسية في بغداد والشرق والخلافة الفاطمية في القاهرة في الوسط، وتحكم كم القاهرة وجزء من ليبيا، وإلي الشام والخلافة الأندلس وبزغ الفن الإسلامي من هذه الثلاث مناطق متأثرين فيه بالفن العربي الإسلامي الذي يراعي فيه القيم الدىنية ومتأثر كذلك بالأعاجم، الأعجمي الإسلامي والملاحظة أن كل منطقة حافظت على خصوصياتها، المسجد الأكبر السلجوقي في أصفهان ومسجد الحاكم الفاطمي في القاهرة، وفي قرطبة والأندلس نلاحظ بوضوح، اختلاف بينهما ووجود الطوابع المحلية الخاصة فظهر الفن السلجوقي في الشرق والفاطمي، في مصر والشام والفن الأندلسي في المغرب العربي.[7]

وهناك ظهرت بعض العناصر الزخرفة، في الفن الإسلامي كالمقرنصات والنقش بالعناصر النباتية، ولقد انتشرت كالنار على الهشيم في المناطق التالية وانتقلت حتى إلى المناطق الصليبية

---

[1] الإسلام في حضارته ونظمه ص 336
[2] نفس المصدر ص 336
[3] نفس المصدر ص337
[4] نفس المصدر ص 337
[5] نفس المصدر ص 337
[6] ينظر الإسلام في حضارته ص 340و الفن الإسلامي محمد قطب ص 204
[7] الإسلام في حضارته ونظمه ص 341

عصـــــــــر ما بعد الخلافات: وهو ثلاثة قرون أيضا، تبدأ نهاية القرن الثاني عشر حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، سقوط الخلافات الثلاثة وظهور حكومات الأتابكة والمماليك، وعرف العالم الإسلامي في عهدهم أخطار خارجية ورغم كل ذلك وظهور دول صغرى لم يثنى من عزيمة الفنانين بل ذلك شجع الفنون على نطاق ضيق[1] وتمثل ذلك ببناء مساجد ومدارس على طريقة التحف المعمارية ذات الطابع الإسلامي، وصارت قطيعة مع الغرب وانغلق الفن الإسلامي، على نفسه وعرفت، كل قطر خصوصياته الفنية وكانت معظمها في الأبنية واضعا مخططها، وألوانها وهندستها وزخرفتها شخصية المحلية المستقلة[2]

الفـــــــــــــــن الأندلـــــــــــــــسي: نجد أن الفن العربي الأصيل وفن كل قطر، ضمه الحاكم إلى الدولة الإسلامية نجده، يجمع بين فن كل قطر والفن العربي وهذا ما نجده في الأندلس والمغرب بتداخل الفنين الشرقي والبربري، والأوربي فالبربر مثلا قبل الإسلام كان لهم أساليب معمارية، تتلاءم مع رقعتهم الجبلية، فاتخذوا دار المحصنة التغرمت وهو بناء مربع له أربع أركان وأبراج ومدخل لسورها واحد كما أقاموا الإيغرم أي المخازن المحصنة وهي عبارة عن أجنحة، منفصلة تنفتح عن الساحة، داخلية وتكون في أعالي الجبال تكون بمثابة مستودع وملجئ عند الخطر[3]

وكذلك الأجدير وهي دار مربعة لها باب خارجية وإحدى تؤدي إلى الساحة المركزية، وبعد الإسلام أصبحوا يضيفون مسجدا.

والأبواب البربرية تصنع من أخشاب محكمة بدسر تنقش علىها رسوم بدائية تتوسطها مطرقة، من حديد على أنماط مختلفة.

وعندما دخل الإسلام إلى بلاد إفريقيا دخل الفن الإسلامي إليها وأسسوا للفن الجديد في القيروان وجددوا مسجد عقبة ابن نافع على الهندسة المعمارية للمساجد في الشام والقاهرة وشمل ذلك مدينة فاس وبنو زيان بتلمسان، وتونس من طرف المرابطين والموحدين والحفصين وزادو على ذلك، نقش على الخشب والجبس والطلاء البديعة والشامسيات الملونة والنحاس المموه والمرمر والمفصص وتزين المنارات وأصله من الأندلس[4] .

العصر العثـــــــــماني والإيراني: يبدأ من القرن السادس عشر وينتهي إلى القرن الثامن عشر، وقد رجع إلى العالم الإسلامي الشرقي والأوسط خلال هذه القرون نوع من الوحدة، بظهور الإمبراطورية العثمانية، وشاهات الصفو يين في إيران، وعمل العثمانيين على نشر في البلاد التي أقاموا فيها نوعا خاصا من الأبنية العمرانية الدىنية، تتميز بالقبات كبيرة مفلطحة ومآذن رشيقة ونجدها في إسلام بول والبلقان.[5] أما إيران فقد حافظت على كثير من تقاليدها، الفنية وأبنيتها نموذج قديما من مدن الإسلام واستطاع الطراز الإيراني، غزو الهند وظهر ذلك في تحفة الفنية في تاج محل في أكرا إلى جانب رسم الكائنات، الحية والزخرفة عرفت تقدما، يعد الفريد من نوعه في الإسلام.[6]

---

[1] نفس المصدر ص 341
[2] نفس المصدر ص 342
[3] نفس المصدر ص 342-343
[4] نفس المصدر ص 343
[5] نفس المصدر ص 344
[6] نفس المصدر ص 344

مميزات الفن الإسلامي: يتميز بتميز العصر والمكان ولكن هناك صفات مشتركة:

1. ذو شخصية واحدة وهو راجع لتأثير العامل الجغرافي المتشابه في الأقطار العربية والإسلامية.
2. أنه فن ديني متأثر بالروح الإسلام وكانت مواضيعه دينية مثل بناء المساجد والزخرفة بالآيات القرآنية.
3. أنه فن كثير الزخرفة ونشهد ذلك في الآنية والجذران والمنابر والسقوف والخط العربي للتزين.
4. أهمل الفن الإسلامي الرسومات المجسمة الإنسان و الحيوان وخاصة في أماكن العبادة.

الموسيقي والغناء: الموسيقي فن رياضي، يبحث فيه عن أحوال النغم من حيث الإتقان و التنافر وأحوال الأزمنة المتخللة لين النقرات من حيث الوزن وعدمه، ليحصل معرفة كيفية التأليف اللحن.[1] فقسمه المؤرخون والمختصون إلى قسم أحوال النغم والثاني عن الأزمنة الأول وهو علم التأليف، وثاني الإيقاع والهدف منه حصول تأليف الألحان،[2] والموسيقى مثل الشعر هو يفصح عن جمال الطبيعة بالألفاظ والمعاني و الموسيقى تفصح عنه بالنغم واللحن.[3]

أما الغناء فهو تلحين الأشعار الموزونة، بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة ومعروفة يوقع على كل صوت منها توقيعا عند قطعة فيكون نغمة، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متفاوتة ويطرب لسماعها بلذة من أجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات[4] وقد تغنى العرب الحداة في حداء (الحداء بالضم والدسوق الإبل والغناء*).

وإبلهم والفتيان في خلواتهم طردا للوحوش، عن أنفسهم وكانوا يسمون الترنم إذا كان بالشعر غناء[5]

فغناها وهي لك الفداء ***** إن غناء الإبل الحداء[6]**

وكانوا يضربون بالدف وهو نوع بدائي، من الموسيقي وقد أباحه الإسلام في الولائم ويقال إن الحارث بن كلدة الثقفي وهو في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يضرب بالعود[7] ولما جاء الإسلام وفتح الأمصار وأخضعوا، سلطان العجم وغلبوهم عليه مال المسلمون إلى الترف وغلبت عليهم الرفة بما وقع لهم من غنائم الأمم صاروا إلى نضارة العيش ورقة الحاشية وإستحلاء الفراغ وأفترق المغنون، من الأعاجم فذهبوا إلى الحجاز وأصبحوا من موالي العرب، وغنوا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير[8] وأعجب العرب تلحينهم للأصوات فلحنوا علىها أشعارهم وعرفت المدينة، نشيط الفارسي وطويس وسائب وجاتر مولي عبد الله بن جعفر فلحنوا الشعر العربي وغنوه فطار

---

[1] تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص 368
[2] كشف الظنون الجزء الثاني ص 368
[3] جورج زيدان آداب اللغة العربية ص49
[4] ابن خلدون مقدمة الجزء الثالث ص 964
*ينظر لسان العرب مادة شرح الغناء
[5] تاريخ الحضارة الإسلامية ص 224
[6] نفس المصدر ص224
[7] طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص 74
[8] تاريخ الحضارة الإسلامية ص 225

ذكرهم ثم قلدهم معبد وطبقته وابن سرج وأنظاره[1] حتى أخذت الموسيقي، تتطور إلى حب وهيام بها مفرط في عهد الوليد الثاني وأصبح العطاء والأموال نصرف على المغنيين، والموسيقيين.[2] ومازالت مهنة الغناء تتطور وتكبر وتتقن كلما أصبحت الدولة، تسبح في الترف والقصف ومجون الحكام واللهو حتى اكتملت وبلغت الغاية على يد إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وحماد في عهد الدولة العباسية وبالتحديد أيام الرشيد، وكان الأمراء يشرفون عليها ويعملون على رفع من شأنها، وكانت الأميرة علية معروفة بفضلها و ورعها إحدى الشهيرات عصرها في الموسيقي وحتى أنها كانت تلحن وتفهم في الأنغام.[3] وجاء على ذكرها وإشادة بها عند صاحب كتاب الأغاني للأصفهاني، وقد تنوعت آلات الموسيقي وكان منها الدف والطنبور والعود والرباب، والناي والصنيج والقيتار والأرغول وقد ازدهرت الموسيقي في عهد الأندلس وكان للموصليين[4] غلام اسمه زرياب أخذ عنهم الغناء حتى تناقلوه إلى فترة الطوائف وهو الذي زاد في العود وترا خامسا ووضع مضراب العود من قوادم النسر،[5] ولما عكف المسلمون ينقل العلوم الدخيلة بواسطة الترجمة كان من بين تلك الكتب الموسيقي، اليونانية والهندية والفارسية فلقحواها وهذبوا وزادوا، حتى اصطبغت بهويتهم وشخصيتهم [6] فألفوا فيها ما ألفوا وخاصة الآلات واخترعوا الألحان ما لم يكن له مثيل مثل الآلة المعروفة بالقانون، التي اخترعها الفارابي وكان المغنون من خيرة المثقفين، ومن رجال الأدب وكان راتب الموصلي 10.000 أي عشرة ألف درهم في الشهر هذا يوحي على أهمية الغناء عند الحكام والاهتمام به وكان من برع في الموسيقي وألف فيها الكندي 873م والفارابي 950م وعبد المؤمن 1294م وعرفت على يده الاكتمال نظرياً وعلمياً غير أن معظم نظرياته ومؤلفاته اندثرت.[7]

المـــــــــــدن الإســـــــــــلامية: بناء المدن يدل على مدى تطور المجتمع وبلوغه الحضارة لأن الإنسان كان يسكن الفيافي والغابات والجبال ينحت منها مساكن ثم، قام بتشكيل تجمعات سكنية مثل القبيلة والعرب لم يكن بشواذ في هذا الأمر، بل عرف العرب بناء المدن قبل الإسلام و في الإسلام في زمن مبكر وأكتمل في الإسلام بالمعايير المعروفة في ذلك الوقت، بل زادو عليها وما إن فتحوا العراق ومصر حتى تونس في عهد عمر بن الخطاب حتى بنوا، أربع مدن وهذا الذي لم ينتبه له ابن خلدون حين قال أن العرب ما دخلوا بلاد حتى أشاعوا فيها الفساد[8] واستغل هذا القول من ابن خلدون الشعوبيون والمستشرقون، وظل بناء المدن حتى الأزمنة المتأخرة[9] والهندسة وتنظيم المدن اختلفت الغاية، والطريقة في تأسيس المدن الإسلامية جهة للقوافل التجارية، ثم ينمو بالتدرج وبعضها قرى تجارية، أو مرفأ بحري ذو موقع هام مدن سورية الساحلية وبعضها أنشأ قرب أنهار مثل مدن مصر، والدافع الأول لبناء المدن الإسلامية هو المهمة الحربية، لإقامة الجند والإنزال الجاليات العربية الفاتحة، كمدن الهلينيين في الشرق

---

[1] طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص 744
[2] تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص225
[3] راجع مقدمة ابن خلدون الجزء الثالث ص97
[4] السيد أمير علي مختصر تاريخ العرب و التمدن الإسلامي دار المعرفة ص 172
[5] ينظر مقدمة ابن خلدون الجزء الثالث ص971 ومنه تاريخ الحضارة الإسلامية ص 226
[6] ينظر تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص 172
[7] نفس المصدر ص 172-173
[8] ينظر الإسلام في حضارته ونظمه ص350
[9] نفس المصدر ص 350

الأدنى ثم أصبح بناء المدن من أجل أن يكون حاضرة أو مركز تجاري[1] وملاحظة مهمة أن العرب رغم بنائهم المدن، وعيشهم الحياة المدنية لم يستغنوا، عن النظام القبلي وبقوا يتفاخرون بالقبيلة لا المدينة وكان تنظيم الهندسي للعمارة الأحياء يقام على أساس، قبلي كل قطعة أو خطة من الحي قبيلة من القبائل، ولكل قبيلة في حيها مجسد خاص بها وسوقها حتى مقبرتها، وكان لها أثار وخيمة على الحياة السياسية وكان يتوسط في المدينة، في الغالب قصر الحاكم والمسجد الجامع ودور القواد والحكومة، وتحاط بأسوار منيعة لدفاع وكان للأبواب، عظيمة تفتح عند الخطر[2] وأنشأ المسلمون عدداً كبيرًا من المدن بقي معظمها إلى الآن. مدن العراق البصرة وكانت المدائن أهم مدن الساسانين، كما كانت الحيرة أهم مراكز العرب في العراق وأول مدينة أنشأت، في الإسلام البصرة والكوفة، ثم بغداد فسامراء.[3] ثم مدن الشام و لم يكن بناء المدن في الشام بالأهمية التي حظي، بها العراق أو مصر أيضا ومن أهم المدن الرملية والرصافة والرقة أو الرافقة وبدأ بناء المدن في مصر مبكرا ومن أهم مدنها القاهرة والفسطاط، والإسكندرية وكذلك في مدن المغرب العربي، نجد القيروان والمهدية وفاس وكان للأندلس نصيب في بناء المدن أيضا، قرطبة ولكنها لم تكن من بناء العرب بل بناء القوط، وهي أقدم مدينة في شبه جزيرة إبيرية.[4] وهنا نجد أن العمارة اكتملت من حيث الجمال والعظمة لأنها امتزجت، بين الأصالة العربية وإبداع الأوربي في الأندلس تزاوج العمارة والفنون ظاهر في الأندلس وقد قال أحد الشعراء في وصف قرطبة:

بأربع فاقت الأمصار قرطبة ** وهُنَ فنطره الوادي وجامعُها**

هاتَان ثنتان، والزهراء ثالثة ** والعلم أكبر شيء وهو رابعها[5]**

وقال آخر:

دع عناك حضرة بغداد وبهجتها * ولا تعظم بلاد الفرس والصين**

فما على الأرض قط مثل قرطبة * وماشى فوقها مثلٌ ابن حمدين[6]**

فـــــن الـــــعـــــمارة الإســـــلامـــــية: هناك طريقتان في النظر إلى تراث أمة من الأمم إما ينظر إليها من حيث تأثيرها، في غيرها أو من حيث منجزاتها والطريقة الأولى أن تكون غير ذات معنى في حالة العمارة الإسلامية، ويعود ذلك إلى عدة أسباب كثيرة يتصل بطبيعة العمارة نفسها والبعض الآخر يرجع إلى الإسلام ذاته[7] حيث لم نجد العمارة الإسلامية ليس مجرد، الوحدات الزخرفة ذات أثر بعيد في العمائر المسيحية، واليهودية خلال العصر الإسلامي في الأندلس وبعده[8] ونجد العمران عند المسلمين كان فيه كثير من تقليد فشيد كثير من الصحابة دوراً جديدًا في مكة والمدينة، من الحجارة والرخام وكان أثر تعاليم الإسلام بادية في الفن

---

[1] تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ص250

[2] الإسلام في حضارته ونظمه ص351

[3] راجع كتاب أنور الرفاعي عن المدن في الإسلام ص 350-371

[4] الإسلام في حضارته ونظمه فصل الفنون ص 367

[5] نفس المصدر ص 368

[6] نفس المصدر ص 368

[7] جوزف شاخت وكليفورد بوزورث ترجمة حسين مؤنس / محمد زهير ألمهوري تراث الإسلام الجزء الأول عالم المعرفة الكويت 1985 ص 287

[8] العمارة الإسلامية وزخرفتها 1967 ص782 ج-د هوجdp hoag

الجديد الذي أخذه العرب وبرعوا في تقليده وأدخلوا، عليه كثير من التغيرات صار فن إسلامي مميز، ففي دورهم، كانوا يحبون استعمال الصور والتماثيل العربية واستعمال الأواني الذهبية، ذات الصور المختلفة وهم بذلك يفصلون بين فن ديني، يخص المساجد وفن مدني يتصل بحياة المرء.

وكان المسجد أهم مباني المسلمين وكان في أوله بسيط يقوم، سقفه على عمد من جذوع النخل، ثم عرف تطور على يد بنائين من غير العرب.[1] وإذا نظرنا إلى تصميم المسجد في عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم وجدناه يتكون من عناصر رئيسية وهي بيت الصلاة، والصحن ، والقبلة، والمحراب، و المنبر.[2] وعلى هذا الطراز أصبحت المساجد في كل العصور لا تخرج عنه وزادت عنه بعض الأجزاء، يظن بعض الباحثين أنها مأخوذة من العمارة المسيحية ويلي المسجد المدرسة وقد استقلت ببناء خاص، منذ القرن الخامس الهجري.

كان في بداية الأمر هو مركز التدريس أي المسجد[3] وكان تصميم المعماري للمدرسة في الغالب صحنا مكشوفا، يحيط به أربع ايوانات في شكل متعامد ثم يؤتي الضريح أو المشهد ويسمى أحيانا القبة أو التربة ويختلف تصميم المعماري للضريح، باختلاف الأقطار الإسلامية، وفي معظمها كانت عبارة عن غرفة تعلوها قبة[4] وهناك عمارة الرباط وهو نوع من الابنة عسكرية كان يسكنه المجاهدون وهي أبنية مستطيلة تعلوها، أبراج المراقبة وهناك نوع معماري يسمى ألخوانك جمع خانكاه أو خانقاه أو التكايا[5] وهي بيوت المتصوفة.

واهتم المسلمون ببناء الأسبلة في أركان المساجد وشيدوا المستشفيات وبناء الحانات والأسواق، في المدن وللحمامات تصميم معماري يراعي انتقال المتحم من حر الهواء الطلق,و في كل حمام ثلاثة أقسام كل منها أسخن من الآخر، أما القصور فكان يعني بها عناية، كبيرة وكلها اندثرت إلى ما بقي في الأندلس يدل على فن معماري يشد له الألباب من كثرة براعته وجماله.[6]

خـــــــــــــــاتـــــــــــمة الفـــــــــــــصل: يرى القارئ أو المهتم بهذا العمل المتواضع أننا أوردنا في الفصل الثاني، بعض مفاخر وعناصر الحضارة الإسلامية، بغاية من الإيجاز والاختصار واقتصرنا على كليات علومهم دون جزئيات وفروعها لأننا لو أردنا الإحاطة كلها لا احتجنا إلى وقت لا ينتهي وألفنا مجلدات ضخمة ضخامة هذه الحضارة العظيمة، ومن خلال هذا الفصل أردنا الإشارة على ما أحدثه، العرب والمسلمون من الاكتشافات والاختراعات، ومالهم أثار خالدة في عالم الفنون والصناعة والعلوم و ما أضافوا، عنها على المتقدمين من تصويب أو تكميل والحضارة والمجد والرقي لم يكن ليتسنى لهم بلوغه لولا ما امتازوا به من بعد الهمة وصدق العزيمة وسموا المدارك، والعقل والذكاء، ولا يخفى على أحد منا أن علوم الأمم الإفرنج لم تكن تصل إلى ما وصلت إليه، اليوم لولا القواعد والضوابط التي وجدوها في كتب الحضارة الإسلامية، فكان العرب وكتبهم كلها كاملة

---

[1] الإسلام في حضارته ونظمه ص372-373
[2] د/ حسين مؤنس المساجد عالم المعرفة الكويت 1990ص 61
[3] الإسلام في حضارته ونظمه ص373
[4] نفس المصدر ص 373
[5] نفس المصدر ص 373
[6] جوزاف باتريك الفن الإسلامي في الأندلس قصر الحمراء عصر ملوك الطوائف دار التراث سنة 2000ص 211 ترجمة محمد فأيد

صحيحة فلم تكن ثم حاجة للتنقيب، والتعديل عكس كتب اليونان والأمم الآخرى، والقديمة فظل العرب مثل المؤسسين وقد قام الإفرنج بعدهم بتشييد مباني العلم فوق ذلك الأساس. والفضل فما بلغ فيه العرب من الحضارة يرجع لمدارسهم العظيمة، وكلياتهم الجامعة التي تعد قاعدة الانتقال من المسببات ثم جلاء الأسباب، ومن أشهر مدارسهم تأثيراً في حضارة العالم، مدرسة الكوفة والبصرة ونجادي وسمرقند و أصفهان ودمشق وحلب في قارة أسيا والقاهرة والإسكندرية ومراكش وفاس والقيروان واشبيليا وقرطبة وغرناطة ثمانون مدرسة في عهد الحكم بن عبد الحمن الناصر المتوفى سنة 399ه وهذا رداً على المستشرقين الحاقدين الذين درسوا الحضارة الإسلامية وخاصة أصولها وأنكروا وجود حضارة إسلامية بزعمهم وردوها إلى الحضارة اليونانية والفارسية وهذا ما سوف نتطرق إليه في الفصل الثالث.[1] بإذن الله

[1] مأخوذ من خاتمة وبتصرف من كتاب حضارة العرب لدكتور أسعد داغر

الحضارة الإسلامية في ضوء الاستشراق الفرنسي

الجانب التطبيقي نشاطات الاستشراق الفرنسي في الرقعة الجغرافية

الجزائر أنموذجا

الفصل الثالث

الحضارة الإسلامية في ضوء الاستشراق الفرنسي

الجانب التطبيقي نشاطات الاستشراق الفرنسي في الرقعة الجغرافية

الجزائر أنموذجا

توطئة: الاستشراق ظاهرة معقدة شكلتها عوامل عدا دينية، اقتصادية وثقافية، سياسية، استعمارية، تجارية، تاريخية، وحضارية وهو اتجاه فكري، يعني بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة، والحضارة الإسلامية بصفة خاصة، وقبل الخوض في هذا الموضوع لبدا أن نقعّد للموضوع ببعض التوضيح حتى نجعل القارئ والباحث في جو الموضوع وهو عنده فكرة ولو بسيطة عن الاستشراق عامة والفرنسي خاصة والخلفية الفكرية والصراع الحضاري.

إن مما لا نقاش فيه أن الاستشراق له أثر كبير في العالم الأوربي والعالم الإسلامي على السواء وإن تباينت ردود الأفعال على كلا الجانبين، ففي الغرب لم يعد يسع أحد أن يكتب عن الشرق أو يفكر فيه أو يمارس فعلا مرتبطا به أن يتخلص من القيود التي فرضها الاستشراق على حرية الفكر أو الفعل، حيث أن الاستشراق يكون مجموعة المصالح الكلية التي يفعل تأثيرها بصورة لا مفر منها في كل مناسبة، يكون فيها ذلك الكيان العجيب (الشرق) موضوعا للدراسة.[1] وأما في وقعنا العربي الإسلامي، لا يكاد يخلو ذهن المرء أو مجلة أو صحيفة، أو كتابا إلى وفيها إشارة إلى شيء عن الاستشراق أو تبشير إليه بصلة قريبة أو بعيدة، وهذا أمر ليس فيه استغراب، ذلك أن الإستشراق في حقيقة الأمر كان ومازال جزءاً لا يتجزأُ من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي (الحضارة الإسلامية) والعالم الغربي، بل إن الإستشراق يمثل الخلفية أو الجناح المذهبي والفكري لهذا الصراع ولهذا هو يعد من أكبر الدوائر التي كان لها الأثر في صياغة التطورات الغربية عن الإسلام.[2] وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام في حضارته على ممر الزمن والغرب ما زال مصدره الكتابات التي صدرت عن هؤلاء المختصين في هذا المجال وهم من طبقة المستشرقين، ورغم أن كتابات بعض الفلاسفة والأدباء عن الإسلام في طبيعتها لا تخرج عن كونها مبنية على كتابات المستشرقين.[3] وظاهرة الإستشراق ظاهرة انقسم حولها النقاش، هناك من يراه عدواً لذوداً لكل ماهو شرقي و اسلامي بالدرجة الأولى وهناك من يؤيده ويتحمس له إلى أقصى حد والواقع يظهر هذا الانقسام على أرض الواقع،[4] ولا يستطيع إنكاره، هو أن الاستشراق له تأثير قوي في الفكر والحضارة الإسلامية، إيجابا وسلبا، شئنا أم أبينا لذلك لا نستطيع الاكثرات له أو تجاهله، لأننا إذا فعلنا مثل ذلك يكون حالنا مثل النعامة التي تدس رأسها في الرمال ويجب علىنا ألا نواجه المشكل برفض لبدا من البحث و الدراسة لاستخلاص. الحلول وتفادي الصدام الحضاري ونبتعد عن التعميمات الخاطئة وهذا ما يؤكده القرآن الكريم في قوله تعالى**{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ}**.[5]

الاستشراق إذن حقيقة أمره يحتوي على عناصر سلبية وأخرى إيجابية، و توخي الموضوعية من جانب الدارسين العرب والمسلمين هو في الحقيقة في صالح الإسلام وحضارته، لأن الإسلام وحضارته جاءت موضوعية تسع الكبير

---

1 إدوارد سعيد الإستشراق ترجمة كمال أبو ديب مؤسسة الأبحاث العربية بيروت 1981م ص 39
2 / محمود حمدي زقزوق الإستشراق والصراع الفكري والحضاري دار المعرف القاهرة 1982 ص 11
3 محمود حمدي زقزوق الإسلام في مرآة الفكر الغربي دار المعارف القاهرة ص 117-118
4 ينظر نفس المصدر ص 11-12
5 سورة المائدة الآية رقم 08

والصغير، القوي والضعيف، الحاكم والمحكوم وجاءت إنسانية في رسالتها لا تخشي الدراسات الموضوعية. ولهذا عندما درس بعض المستشرقين الإسلام في حضارته، كدين وكنظام وتقصوا الروح العلمية أنصفوا وأنصفهم التاريخ لدراستهم من أجل روح العلمية، أما الذي أخذ عكس ذلك سقطوا في بيداء الوهم والزلل، وتبين خبثهم وعدم موضوعياتهم، لأن العلم من أسسه الموضوعية وهو عنصر هام بل مهم .

لأنه لا توجد موضوعات وتيارات فكرية يمكن أن تتحدى الإسلام، بل العكس صحيح أما إذا افتقد الإسلام لدى أتباعه الوعي السليم والفهم الصحيح والجيد لأصوله وغاياته، فإن مواقف هؤلاء الأتباع مهما حسنت النيات لن تخرج عن مواقف الصديق الجاهل الذي أضر الإسلام من العدو العاقل[1] وقصة الدب وصديقه الصياد خير دليل.

إطلالة تاريخية حول نشأة الاستشراق: ليس القصد من هذه الإطلالة التاريخية حول نشأة الاستشراق وتطوره، أن يكون مسحاً شاملاً يقف عند كل الحيثيات ويفصل في الجزئيات ويؤرخ لكل مرحلة بتدقيق، ولكن القصد وهو وضع القارئ أو المتلقي في صورة من أجل إلقاء نظرة عامة تبين لنا بعض المعالم الرئيسية والخطوط العريضة في هذا الصدد ونلقي نظرة على أهم العوامل التي ساعدت على نشأة الاستشراق، وأهم المؤثرات التي كان لها دور فعال في تطوير الحركة الاستشراقية وما صاحب ذلك كله من تطور النظرة الغربية للإسلام والحضارة الإسلامية[2] ولهذا سوف نلقي نظرة على البدايات الأولى للاستشراق، ويجمع على أن منطلق هذه البدايات في القرون الوسطى، ويجمع بعض الباحثين على أن الاستشراق ظهر مع أول احتكاك المسلمين بالروم في معركة مؤتة، فلاحظوا أي الروم أن العرب كانوا يخافون مقارعة الروم والفرس وكانوا يتخطفون من حولهم حتى أصبحوا لهم قوة مرهوبة الجانب تقارع الروم والفرس وتدك حصونهم، وعادوا قوة لايستهان بها، فراحو يبحثون ويدرسون سر تحولهم من ناس بسطاء لا يقام لهم وزن إلى قوة فرضت نفسها وقلبت الموازين وهناك من أرجع بداية الاستشراق إلى تواجد العرب والمسلمين في الأندلس وتطلع الغرب إلى حضارة الأندلس الإسلامية وانبهارهم بها.[3]

البدايات الأولى: الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي،[4] وكلمة مستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله أقصاه ووسطه وأدناه في لغته وآدابه وحضاراته وأديانه ويقصد بالشرق ليس الرقعة الجغرافية، بل الشرق الهوية ولا نقصد كذلك هذا المفهوم الواسع ولكن ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الإستشراق الذي يعني بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وهذا المعني هو الذي يتبادر للأذهان في رقعتنا والعالم الإسلامي عند ما نسمع كلمة مستشرق أو استشراق، ومنتشر وشائع في كتابات المستشرقين المعنيين[5] ومن الصعب تحديد تاريخ بداية الإستشراق ويؤرخ بعض الباحثين لبدء وجود الإستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي في عام 1312م بإنشاء عدد

---

[1] الإستشراق / محمود حمدي زقزوق ص 15
[2] ينظر الإستشراق والخلفية الفكرية والصراع الحضاري ص 17
[3] جون م غانم ترجمة عبلة عودة الإستشراق والقرون الوسطى هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة الطبعة الأولى 1433هـ -2012م ص 40
[4] تأليف وردي بارت ترجمة د/ مصطفي ماهر الدراسات الجامعية الإسلامية العربية الألمانية القاهرة 1967ص 11
[5] ينظر إلى الإستشراق والخلفية الفكرية والصراع الحضاري ص 19

من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية[1] وعندما نضع سطرا عريضا تحت الإستشراق الرسمي، تدل على أنه يوجد استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ، وهذا ما يؤكده بعض باحثين أوربيين لا يعتمدون التاريخ المشار أعلاه كبداية للاستشراق، ولذلك تتجه المحاولات في هذا الصدد لا إلى تحديد سنة معينة لبداية الإستشراق، وإنما إلى تحديد فترة زمنية، على وجه التقريب.[2] وليس هناك شك في أن الانتشار السريع للإسلام في المشرق والمغرب وأوروبا، وأسيا قد شدّ إليه أنظار رجالات اللاهوت المسيحي إلى هذا الدين وبته المنعة والقوة في العرب، ومن هنا بدأ الاهتمام بالإسلام ودراسته ومن بين العلماء المسحيين الذين أظهروا في وقت مبكرا اهتمام بدراسة الإسلام، لا من أجل اعتناقه بل من أجل حماية إخوانهم في الدين منه، وهذا العالم المسيحي، هو يوحنا الدمشقي(676ه-749م). ومن مصنفاته لإخوانه في الدين كتاب محاورة الإسلام وإرشادات النصارى في جدل المسلمين.[3] وبعض النقاد والباحثين، لا يعد محاولات يوحنا بداية للاستشراق، لأنه رجل شرقي عاش في ظل الدولة الأموية، وخدم في القصر الأموي لهذا لا تعد هذه المحاولة من جانب المسحيين الشرقيين.[4] ونجد بعض الباحثين لا يتفقون على فترة زمنية معينة لبداية الاستشراق قسم يقول: بأن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادي عشر الميلادي، بينما رودي بارت Rudi Parte* أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية في الغرب ترجع إلى القرن الثاني عشر حيث في هذا القرن ترجمة لأول مرة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية كما ظهر أول قاموس لاتيني عربي.[5] وهذا الطرح أيده المستشرق جوستاف دوجا في كتابه تاريخ المستشرقين في أوروبا من القرن الثاني عشر حتى القرن التاسع عشر الذي صدر في باريس في نهاية الستينات من القرن الماضي وقسم من ينظر على أن بداية الإستشراق تعود إلى الوراء بقرنيين أي القرن العاشر الميلادي، ولعل هذا السبب ما دفع بنجيب العقيقي إلى أن يجعل كتابه عن المستشرقين في أجزاء الثلاثة، سجلا للاستشراق على مدى ألف عام بدأً من الراهب الفرنسي جرب ردي أوراليك(938م-1003م)؛ الذي زار الأندلس وتتلمذ على يد أساتذتها في اشبيلية وقرطبة، حتى أصبح أوسع علماء عصره في أوروبا ثقافة، بالعربية والرياضيات والفلك ثم نصب في منصب البابوية، في روما سلفستر الثاني 999م- 1003م وعلى رغم من أن الاستشراق- بناء على ذلك- يمتد بجذوره إلى ما يقارب عن ألف عام مضت فإن مفهوم مستشرق Orientalist لم في أوروبا إلا في نهاية القرن الثامن عشر فقد ظهر أولا في إنجلترا عام 1779م وفي فرنسا في عام 1799م وأدرج مفهوم الاستشراق Orientalisme في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م[6]، وليس مهم متى ظهر مستشرق أو استشراق إنما المهم هو متى بدأت الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ومتى بدأ الاشتغال

---

[1] ينظر الإستشراق إدوارد سعيد ص 80
[2] الإستشراق والخلفية الفكرية والصراع الحضاري ص19
[3] نجيب العقيقي المستشرقون دار المعارف بالقاهرة الطبعة الرابعة الجزء الأول 1981م ص 72
[4] لدبيور ترجمة د/ أبو ريدة تاريخ الفلسفة في الإسلام دار المعارف ص 08
*مستشرق ألماني معاصر وصاحب ترجمة ألمانية لمعاني القرآن الكريم
[5] الإستشراق والخلفية الفكرية والصراع الحضاري ص20
[6] مكسم رودتسون ثرات الإسلام تصنيف شاخت وبوزورت ترجمة د/ محمد زهير السهو ري الجزء الأول سلسلة المعرفة الكويت 1978م ص 78

بالإسلام والحضارة الإسلامية سواء بالإيجاب أو بالسلب، وهذا أمر موغل في القدم[1]، إذن على آية حال فإن لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والمسيحي في الأندلس وصقلية والحروب الصليبية تركت الأوربيين يشتغلون بتعاليم الإسلام وعاداته وآدابه، إذ لن يعد فقط أن المرحلة الأولى في تاريخ الإستشراق هو تاريخ للصراع بين العالم المسيحي في القرون الوسطى والشرق الإسلامي على جهة الدين والإيديولوجية[2]، لأن الإسلام صار يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم المسيحي على جميع المستويات كالصليبية والتبشير والتبادل التجاري، باعتباره مشكلة لا هوتية، تتطلب إجابة عن أسئلة في هذا الصدد، وذلك يقضي معرفة الحقائق التي لم تكن من السهل معرفتها، وهنا تحلت مشكلة تاريخية صار من المتعذر حلها دون معرفة أدبية ولغوية، يصعب اكتسابها وأضحت المشكلة أكثر تعقيدا بسبب التعصب والسرية والرغبة القوية في عدم، معرفتها خشية الدنس.[3] فظهر اتجاهين مختلفين:

اللاهوتيون الأوربيون ونشط هذا الاتجاه في وقت مبكر ضد الإسلام وعملوا على نشر الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه صل الله عليه وسلم وقالوا: أن الإسلام قوة خبيثة شريرة، وأن نبي الإسلام صل الله عليه وسلم ليس إلا صنماً أو إلاه قبيلة أو شيطاناً وأدخلوا الأساطير الشعبية، والخرافات وسيطرة على خيال الكتاب المستشرقين، من أجل تشويه صورة الإسلام ومن هذه الأمثلة، أنشودة رولاند الشهيرة The Song of roland وغيرها من آثار أدبية تصف المسلمين بأنهم عباد أصنام، والذي لعب دور مهم المستشرق الفرنسي،مكسيم ردونسون وقال مما قال: ان العلم بعيد كل البعد عن الإسلام.

وفي العصور الوسطى كانت هناك محولات للتعرف على الإسلام بقدر من الموضوعية ومن أجل ذلك قام بطرس الموقر ت 1156م رئيس رهباني كلوني بتشكيل جماعة من المترجمين في إسبانيا يعملون على الحصول على معرفة علمية موضوعية عن الدين الإسلامي[4].

تعريف الإستشراق في اللغة والاصطلاح: الاستشراق مصدر من الفعل السداسي استشرق وأصله (شَ- رَ- قَ)؛ والألف والسين والتاء إذا سبقت الفعل الثلاثي أفادت الطلب وعلى هذا استشراق أي طلب الشرق[5] والشرق الشمس أو الوجهة التي تشرق منها، والمشرق مثله وفي النسبة مشرقي(بفتح الراء وكسرها)؛ والشَرْقَة والَمشْرقة (مثلثة الراء)، موضع العقود في الشمس بالشتاء وتشَرق أي جلس فيه وأشْرَقَ: دخل في وقت شروق الشمس، وأشرقت الشمس: أضاءت[6] وعلى هذا فمعنى الكلمة يدور حول جهة الشرق والضوء(والذي يتبادر

---

[1] الإستشراق وخلفية الفكرية والصراع الحضاري ص21
[2] نفس المصدر ص22
[3] ساذرن نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى ترجمة د/ علي فهمي خشيم ود/ صلاح الدين حسني دار مكتبة الفكر بطرابلس ليبيا 1975م ص17
[4] الإستشراق والخلفية الفكرية والصراع الحضاري ص 25
[5] ينظر محمد فتح الله الزيادي الإستشراق أهدافه ووسائله دار قتيبة دمشق الطبعة الثانية 2002م ص 17
[6] ينظر قاموس المحيط مادة (ش-ر-ق) ص 1158 والمصباح المنير مادة (ش-ر-ق) 1/311-310

للذهن، عند ذكر الشمس.) فسمي الإستشراق بذلك، لأن أهله (الغرب) طلبوا علوم المسلمين والعرب وبحثوا في الإسلام حيث كان مبدؤه من جهة الشرق بالنسبة لهم.

المقصود بالاستشراق: اختلفت معاني الاستشراق تبعا للهدف الذي وجه أصحابه، ومن هذه المعاني والتعريفات للاستشراق ما يلي، هو أسلوب غربي لمعرفة العالم الشرقي عن طريق البحث أو التخصص في الشرق بدراسة علوم وآداب وديانات وتاريخ شعوب الشرق للسيطرة عليها[1]، أما تعريف الموسوعة الميسرة فهو ((تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين، وثقافتهم، وتاريخه ويقصد به: ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته ،و أديانه، وآدابه، ولغاته، وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق الإسلامي بصورة خاصة معبراً عن الخلفية للصراع الحضاري بينهما)).[2] وهناك تعريفات عديدة غير هذه التعريفات تختلف، باختلاف مجال الدراسة والمنطقة المدروسة والجهة الدارسة؛[3]... والملاحظ: أن بعض هذه التعريفات ركز على جانب دون جانب إلا أنها تجمع على دراسة علوم الشرق، وخاصة الإسلام.

دافع الاستشراق وأهدافه: تتنوع دوافع الإستشراق تبعا لمكانة المستشرق والجهة التي تتبناه، فمن ترسله الكنيسة يغلب عليه الدافع الكنسي التنصيري، أو التبشيري ومن ترسله الجهات الاستعمارية يغلب عليه الدافع الاستعماري، وهكذا... وعلى هذا فمن أهم دوافع الاستشراق:

1. **الدافع العلمي:** لأن أوروبا أدركت أنها لا تستطيع النهوض والتخلص من الحكم الإسلامي، إلا بالعلم الذي أقام عليه المسلمون فتوحاتهم وحكمهم، فانكبوا على دراسة التراث الإسلامي في التاريخ والجغرافيا والفلك والعلوم وغيرها، بل حتى الأساطير، وتنافسوا في جميع المخطوطات شراءً ومصادرةً، كما قاموا بترتيبها وترجمتها وفهرستها.[4] كما يلاحظ أن هناك نفراً منهم أقبلوا على الاستشراق ودافعهم حب الإطلاع على حضارات الأمم والأديان، وأدبها وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه.[5]
2. **الدافع الديني:** جاء الاستشراق بديلا عن الحروب الصليبية لتحطيم عقيدة المسلمين، وفكرهم والعمل على نشر عقيدة النصارى، ولتحقيق هذا الغرض: عملوا على حرب الإسلام، عبر تنصير المسلمين ومحاولة حجب الإسلام الحق عن الأوروبيين وبث دراسات منحازة ضد الإسلام. كما تم إنشاء مركز لدراسة اللغة العربية في الفاتيكان.[6]

---

[1] ينظر محمد فتح الله الزيادي الإستشراق أهدافه ووسائله ص 16 -17
[2] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة 687/2
[3] ينظر حمد أمين حسن محمد بني عامر المستشرقون والقرآن الكريم دار الأمل أربد الطبعة الأولى 2004م ص 11
[4] د/ عبد المتعال محمد الجبري الاستشراق وجه الاستعمار الفكري مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى 1416ه- 1995م ص 16وما بعدها
[5] ينظر مصطفي السباعي الاستشراق والمستشرقون المكتب الإسلامي بيروت ط2 1399ه- ص 19
[6] محمد أمين حسن محمد بني عامر المستشرقون والقرآن الكريم دار الأمل ط1 2004ص 31-32
وينظر لطفي حداد الإسلام بعيون مسيحية الدار العربية للعلوم بيروت الطبعة الأولى 1425ه-2004م ص202 والمستشرقون والقرآن الكريم ص 33-34

3. الدافع الاستعماري: قام الاستعمار و الاستشراق بمساندة بعضهما ولا يتصور تخلي أحدهما عن الآخر؛ إذ اتكأ الاستعمار على الدراسات التي قدمها المستشرقون قبل وأثناء غزوهم للبلاد الإسلامية، وكان ساسة المستعمرين يغدقون على المستشرقين ما يحتاجونه من مال أو جهد أو استشارة[1]

4. الدافع المالي أو التجاري: حرص بعض الغربيين على تشجيع الاستشراق الذي يعينهم على معرفة أحوال الشرق الاقتصادية لترويج بضائعهم، وشراء موارد الشرق الطبيعية ومنافسة الصناعات المحلية التي كانت لها مصانع مزدهرة في مختلف البلاد الإسلامية، كما يتمثل هذا الدافع في طموح الغرب لنهب نتاج المسلمين الفكري والعلمي، كما يشهد على ذلك: متاحف الغرب وجامعاته المملوءة بالمخطوطات والكتب العربية والإسلامية.[2]

ومن خلال هذه الدوافع، تبين أن أهم هدف عند المستشرقين العمل على تشويه تاريخ المسلمين وحضارته والحط من قيمهم التي جاء بها الإسلام والإعلاء من شأن العلوم والقيم العربية، وإظهار أي محاولة للرجوع إلى الدين الحق بمظهر الرجعية والتخلف، والعمل على تفريق وحدة المسلمين عن طريق إحياء العصبيات والقوميات والحضارات السابقة على الإسلام. أحكم الجاهلية تبغون.

الاستشراق الفرنسي بداياته ونشاطاته وخصائصه:

نشأة الاستشراق الفرنسي: نشأت العلاقة بين فرنسا والعالم الإسلامي منذ فتح المسلمين لمقطعات فرنسية، ثم استمرت أثناء وجود المسلمين بالأندلس، وفي الحروب الصليبية، ثم إنشاء طرق للتجارة، وتبادل السفراء، ثم احتلال شمال إفريقيا، وحملة نابليون على مصر، وفتح قناة السويس والانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان وكانت تلك العلاقات متعددة ومتنوعة متعاقبة اختلط فيها الحرب والسلم والتجارة والثقافة جميعا.[3] وعام 1553م قام فرانسوا، الأول بالمحاولات الفرنسية الأولى لتدريس العربية واللغات السامية الآخرى ثم جُدد بعد ذلك بداية القرن السادس عشر الميلادي؛[4] وقد ضمت فرنسا أول ترجمة فرنسية لمعاني القرآن في العصور الوسطى، وهي ترجمة قام بها الإنجليزي والألماني واستعانا باثنين من العرب، وتمت عام 1143م برعاية بطرس المحترم رئيس كلوني بجنوب فرنسا، وهو من أهم الأديرة في أوروبا وكانت ترجمة رديئة كثيرة الأخطاء، ومع ذلك فقيل: إنها أحرقت خشية تأثر اللاتين بها.

والمنقول إنها ظلت محفوظة في الدير، حتى نشرت بأوروبا عام 1543م ثم تتابعت الترجمات بعد ذلك باللغات الأوروبية؛[5] أما مفهوم الاستشراق مؤسسيا أكاديميا فلم يظهر في أوروبا بهذا الاسم إلا نهاية القرن الثامن عشر، فظهر

---

[1] نفس المصدر ص 33-34

[2] ينظر في هذه الدوافع الموسوعة العربية العالمية1/712-713؛ وعبد الرحمن أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير- الاستشراق- الاستعمار دار القلم دمشق الطبعة السابعة 1414ه-1994م ص 125-126 وينظر أيضا محمد عبد الله مليباري المستشرقون والدراسات الإسلامية دار الرفاعي الرياض ط1 1410ه-1990م ص 38-40

[3] ينظر نجيب العقيقي المستشرقون- دار المعرف القاهرة دون تاريخ نشر 138/1

[4] عبد الله العليان الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف المركز الثقافي العربي الدار البيضاء الطبعة الأولى 2003م ص 78

[5] ينظر رؤية إسلامية للاستشراق ص 32-33

أولاً في بريطانيا عام 1779م، ثم في فرنسا عام 1799م وأدرج مفهوم الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م وسبقت الاستشراق مراحل سمي فيها بـــــــــ[1] (الدراسات العربية والإسلامية).

مظاهر النشاط الاستشراقي الفرنسي: بالإضافة إلى جهود لدى المستشرقين فقد تجلى الاستشراق الفرنسي في مظاهر عديدة، ويمكن إجمال المؤسسات العلمية التي أنشأتها فرنسا في الأمور التالية:

أولاً: كراسي اللغات الشرقية:

- **مدرسة ريمس** بأمر البابا سلفستر الثاني ومدرسة شارتر في القرن الثاني عشر الميلادي.
- أنشأ البابا معهداً لتعلىم اللغات السامية بتوصية من مجمع فيينا بإنشاء كراس للعربية والعبرية والكلدانية في عواصم العلم الأوروبية.
- **أنشأت جامعة باريس** تولوز أنشأها رجال الدىن عام 1217م
- **جامعة بوردو** أنشئت عام 1441م، وفيها معهد الآداب اللغة العربية والتمدن الإسلامي.
- أنشأ الملك فرانسوا الأول كرسياً للعربية والعبرية في ريمس عام 1519م.
- في القرن السابع عشر ألف كولبر وزير الملك لويس الرابع عشر بعثة بـــ(فتيان اللغات) لتعلم اللغات السامية في معاهد باريس، ثم أرسلوا للقسطنطينية لإتقان تلك اللغات، ثم ألحقوا بالسلك السياسي، أو عينوا مترجمين أو أساتذة للغات السامية.
- **أنشئت المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية** في باريس عام 1795م للسفراء والقناصل والتجار وتضم اليوم أقساماً للعربية الفصحى ولهجات المغرب والشرق.
- **جامعة السوربون:** بدأها الأب روب ردي سوربون منه، ثم جدد بناءها الكردينال ريشليو، وضمها نابليون إلى جامعة باريس، وعني فيها بدراسة الآداب وتاريخ الفن الإسلامي المغربي وتاريخ الشعوب الشرقية ودراسات في اللغة والألسنية، والحضارة العربية....
- **المدرسة الشرقية في القسطنطينية:** أنشئت عام 1802م، وعنيت بتخريج رجال السلك السياسي وأشرف علىها مستشرقون مشهورون.
- **جامعة ليون:** أنشئت عام 1808م، وفي فيها اللغة العربية والآثار المصرية والتمدن الإسلامي.
- **المدرسة العلمية للدراسات العلىا في باريس:** أنشئت عام 1868م، وفيها قسم العلوم الدىنية وفقه اللغات الشرقية.
- **جامعة ستراسبورج:** أنشئت عام 1872م، وفيها تاريخ الشرق.

---

[1] ينظر محمود حمدي زقزوق الاستشراق والخلفية للصراع الحضاري دار المنار للطباعة والنشر القاهرة طبعة الثانية 1409ه-1989م ص27

●**المعهد الكاثوليكي في باريس** : أنشئ عام 1875م، وفيه اللغات العربية والسريانية والقبطية.[1] ولم تقتصر فرنسا في تعلىم اللغات السامية، على مدارسها ومعاهدها وجامعاتها في فرنسا بل أنشأت مثيلاتها في الدول العربية، وشمال أفريقيا وغيرها، وزودت معظمها بالمكتبات، والمطابع والعلماء.. ومن تلك المعاهد مايلي:

●**في مصر**: أسس نابليون معهد مصر 1798م، ثم أنشأ عام 1880م المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، والهدف إخضاع عدائية الشعب.

●**وفي تونس** : أنشأ كلية بورجاد الراهب الأب بورجاد عام 1841م، ثم تحولت إلى معهد الآداب العربية عام 1937م ثم أنشئ معهد قرطا جنة عام 1895م ومعهد الدراسات العلىا عام 1945م.

●**وفي الجزائر** : أنشأ فاري عام 1881م مدرسة الآداب العالية ثم تحولت إلى جامعة عام 1909م، وتعني باللغة العربية العصرية وعلم الآثار الإسلامية والتاريخ، وألحق بها **معهد للدراسات الشرقية**.

●المعهد الفرنسي في دمشق عام 1922م.

●المعهد الفرنسي الإيراني في طهران 1948م[2].

ثانيا: المكتبات الشرقية: تكونت في فرنسا مكتبات، عديدة عنيت بالمصادر الشرقية والعربية الإسلامية، ويمكن تقسيمها على نحو التالي: أهمها مكتبة باريس الوطنية أنشئت عام 1654م، وتحتوي على ستة ملايين كتاب ومخطوط، منها 7000 مخطوطا عربيا من النفائس العلمية والأدبية والتاريخية والنوادر، ويوجد في المكتبة قطع من المصحف مكتوبة من القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة، كما يوجد فيها مخطوطات لكتب عربية في موضوعات مختلفة منسوخة منذ القرن الرابع أو الخامس أو السادس أو السابع للهجرة النبوية. كما تضم المكتبة نوادر النقود والأوسمة والأختام والخرائط.[3]

مكتبات الجامعات والمعاهد: منها مكتبة ستراسبورج، ومكتبة المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية، ومكتبة بلدية أفنيون، ومكتبة الآسيوية في باريس.[4]

المكتبة الخاصة: لمعظم المستشرقين مكتبات خاصة أوقف بعضها للمكتبات العامة ومنه مكتبة فرانك، ومكتبة الكونت، رشيد الدحداح ومكتبة فلوريان فرعون، ومكتبة خليل غانم، ومكتبة جان طرازي، جميعهم في باريس. ومكتبة عبد الله مراش في مرسيليا، ومكتبة حبيب زيات في نيس، وقد اعتني الفرنسيون بتلك المكتبات فتمت فهرستها وتصنيفها[5]

مكتبات شمالي إفريقيا: فهرس المستشرقون الفرنسيون، بعض المكتبات الموجودة في شمال أفريقيا، ومنهم رينه باس: وفهرس مكتبة آل عظوم في القيروان والمخطوطات العربية في مكتبة فاس، كما فهرس مكاتب الزوايا. وفانيان:

---

[1] ينظر المستشرقون 1/ 138-139

[2] ينظر المستشرقون1/ص 141 و إدوارد سعيد الاستشراق ترجمة كمال أبوديب مؤسسة الأبحاث العربية بيروت الطبعة 3 1991م ص 113

[3] ينظر كتاب المستشرقون 1/ ص 142 ص-143

[4] نفس المصدر 1/ ص144

[5] نفس المصدر 1/ ص14 145

فهرس المخطوطات مكتبة خاصة في طنجة، وبلوشه: فهرس البعثة العلمية في المغرب. وألفرد بل : فهرس الكتب العربية في مكتبة جامع القيروان بفاس، وليفي بروفنسال: فهرس المخطوطات العربية في المغرب الرباط بتحديد، ووصف 544 مخطوطا، وغيرهم فهرسوا ونظموا المكتبات والمخطوطات في شمال أفريقيا.[1]

ثالثا: المطابع الشرقية: بدأت الطباعة الشرقية بالعبرية في باريس عام 1519م، ثم أسست فرنسا المطابع الشرقية أسوة بروما، وأهم المطابع مطبعة دي بريف[2] ولم تقتصر المطابع الشرقية على فرنسا وحدها، بل إن نابليون جلب معه مطبعة وعدداً من الباحثين والعلماء إلى مصر أثناء حملته عليها، مما دعا بعض الباحثين إلى اعتبار الحملة بداية الاستشراق.[3]

رابعاً: الجمعيات الاستشراقية: ومنها الجمعية الآسيوية، والتي تأسست في باريس عام 1822م.

صدر كتابها السنوي عام 1992م، ومن أهم أهدافها:

تأليف ونشر الكتب النحوية واللغوية وغيرها، مما لها علاقة بدراسة اللغات الشرقية.

الحصول على المخطوطات، وترجمتها أو أخذ مختارات واقتباسات منها:

جمع تبرعات دورية تخصص للأدب الآسيوي، وآثار الشرق والشريعة.

جمع المعلومات عن الشرق، وجعلها مجلا للتخصص العلمي.[4]

خامسا: المجلات الشرقية: لفرنسا مجلات خاصة بالاستشراق، تصدر في باريس وشمال أفريقيا والشرق الأدنى عن الجمعيات أو المعاهد أو الإدارات الحكومية أو الهيئات الخاصة أو الرهبنات ذوات اللسان الفرنسي وتعنى بالعرب في تحقيق تاريخهم وجغرافيتهم وأنسابهم، وبحث أديانهم وشرائعهم ومذاهبهم وأخلاقهم، ودراسة لغاتهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم وألفت في مجموعها مكتبة كبيرة فيها زبده أعمال المستشرقين في آلاف المجلدات وأشهر تلك المجلدات:

صحيفة العلماء: 1665م صدرت عن جمعية العلماء الفرنسيين في باريس.

المجلة الآسيوية: 1822م، أصدرتها الجمعية الآسيوية الفرنسية في باريس أصدرت 330 مجلداً تناول قارة آسيا ولا سيما العالم الإسلامي

المجلة الأفريقية: 1856م، تصدرها الجمعية التاريخية الجزائرية في الجزائر.

مجلة تاريخ الأديان: 1880م.

مجلة العلوم الدينية: حوليات تصدر في ستراسبورج.

نشرة المراسلات الأفريقية: 1881م.

حوليات الجغرافيا: 1891م حوليات تصدر في باريس.

---

[1] نفس المصدر 1/ ص 145-146

[2] نفس المصدر 1/ ص146

[3] ينظر الاستشراق أهدافه ووسائله ص 25

[4] ينظر رؤية إسلامية للاستشراق ص 44

المجلة التونسية: 1894م يصدرها معهد قرطا جنة كل ثلاثة اشهر.

نشرة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة: 1901م جولية تعنى بالآثار والتاريخ في مصر وشرق العربي.

نشرة الجمعية اللغوية: 1905م تصدر في باريس كل ثلاثة أشهر.

مجلة الشرق المسيحي: 1905م حولية تصدر في باريس[1].

مجلة هسبيريس: 1921م أصدرها هنري باسه كل ثلاثة أشهر في باريس بإشراف معهد الدراسات المغربية العليا في الرباط.

مجلة الدراسات الإسلامية:1927م، صدرت في باريس بإشراف لويس ما سنيون ومشاركة معهد الدراسات الإسلامية في باريس، والمعهد الفرنسي في دمشق، كل ثلاثة أشهر وكانت تنشر في العدد الأخير من كل سنة ثبتاً بالمصنفات الإسلامية لجميع المراجع ومختصراً لمحاضرات أساتذة الاستشراق في باريس طوال العام.

نشرة الجماعة اللغوية للدراسات الحامية السامية: 1931م، شهرية في باريس

نشرة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية في دمشق: 1931م، حولية تعنى بالآثار والتاريخ في سوريا,والشرق العربي.

حوليات معهد الدراسات الشرقية بجامعة الجزائر: 1934م، تصدر في باريس.

مجلة معهد الآداب العربية: 1937م، تصدر كل ثلاثة أشهر في تونس، وتعنى بالعادات والحرف واللهجات والتربية والحضارة.

حوليات التاريخ الاجتماعي: 1939م تصدر في باريس كل ثلاثة أشهر.

نشرة الدراسات العربية: 1941م.

المجلة السامية: 1948م حولية تصدر في باريس.

كراسات تونس: 1953م تصدر في تونس.

مجلة العربية(أرابيكا): 1954م، للمستعمرين الفرنسيين ونظرائهم تصدر ثلاث مرات في السنة، عن قسم الإسلاميات في جامعة باريس، أنشأها ليفي برفنسال.

المعرفة: تصدر في باريس باللغتين العربية والفرنسية.

المجلة الفرنسية لدراسات لبحر المتوسط: باريس وغيرها الكثير من المجلات والنشرات العامة والمتخصصة في علم أو أكثر[2].

---

[1] الاستشراق الفرنسي ونشاطاته في الجزائرفي رسالة ماستر للطالب بركان بن يحي مخطوط جامعة بلعباس جيلا لي اليابس قسم اللغة العربية وآدابها قسم الاستشراق سنة الجامعية 2013-2014ص 13-14-15-16-17

[2] ينظر المستشرقون نجيب العقيقي 1/ ص 146-147

سادسا: المجموعات الشرقية: نهضت المجامع وإدارات الحكومية والهيئات الخاصة وبعض العلماء بإصدار مجموعات علمية، كالمكتبة الشرقية وجمعية نشر كنوز المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس، ومن أشهرها:

مجمع الكتابات والآداب 1663م: أصدر مجموعة مؤرخي الصليبية في ستة عشر مجلداً.

المراجع العربية: تناولت مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب.

مجموعة الكتابات السامية1872م: تقع في خمسة أقسام النصوص الفينيقية والآرامية والعبرية والحميرية والسبئية، وغيرها من المجامع والمجموعات. [1]

خصائص الاستشراق الفرنسي: تميز الاستشراق الفرنسي بسمات عديدة ذكرها أحد الباحثين وأنقلها هنا على سبيل الاختصار: [2]

تتركز الدراسات المستشرقين الفرنسيين حول ثلاثة محاور المحور الدينى، والمحور السياسي، والمحور الاستعماري. للاستشراق الفرنسي أثر كبير في توجيه الاستشراق الألماني والانحراف به نحو منعرجات دينية وسياسية، ويبرز ذلك من خلال تتلمذ الكثير من المستشرقين الألمان على مستشرقين فرنسيين.[3]

يعد معهد اللغات الشرقية أهم مكان ترعرع فيه الاستشراق الفرنسي.

كان لجامعة السور بون أثر واضح في تنشيط الدراسات الشرقية في فرنسا.

كان لتأسيس المعاهد والمدارس والمراكز الثقافية في بلاد الشرق تأثير كبير في فَرْنَسة عدد من هذه البلاد خاصة تلك التي استعمرتها فرنسا.

يمتاز الاستشراق الفرنسي بالتخصص، فإن معظم أفراده يتخصص كل منهم، في جانب معين من جوانب البحث والدراسة.

نشأت معظم الجامعات والمعاهد الفرنسية التي تعنى بالدراسات الشرقية بجهود رهبان وقساوسة، كما تولوا إدارتها.

قام الاستشراق الفرنسي، بفهرسة الكثير من الكنوز الشرقية من مخطوطات ووثائق وغيرها، سواء في فرنسا أو في غيرها من البلاد التي استعمرها.

اهتم الاستشراق الفرنسي بكل ما يتعلق بالشرق عموما، وإن كان تركيزه يشتد على علوم المسلمين والعرب.

يعد الاستشراق الفرنسي المرجع الأوروبي الأول عن الأبحاث والدراسات الخاصة بالطوارق والبربر، وكان تركز مستعمراته في أفريقيا عاملاً مساعداً له على ذلك، واهتمامه بهذا النوع من الاستشراقية الدراسات لا يخلو من نوايا استعمارية.

---

[1] ينظر نفس المصدر ص 151-152

[2] بقلم إبراهيم خليل أحمد المدرسة الاستشراقية الفرنسية مكتبة الوعي العربي بون سنة 1946 ص64

[3] (عنوان المحاضرة الاستشراق الفرنسي) محاضرات في الاستشراق لدكتور باقي جامعة بلعباس سنة 2013 يوم 25 الاثنين من الساعة 9.50-12صباحا

ترك بصماته الواضحة على التعلىم في أفريقيا وخاصة في الشمال منها؛ وذلك بسبب ما أتيح لأعضائه من فرص في التدريس والتوجيه التربوي وتخطيط المناهج.

ضم بين صفوفه الكثير من ضباط القوات المسلحة الفرنسية، وأتاح لهم عملهم في المستعمرات الفرنسية النبوغ في ميدان الدراسات الشرقية في مختلف جوانبها.[1]

تأثر الأدب الفرنسي بالشرق عموما، وبالعرب والإسلام خصوصا، حيث اطلع الآباء اليسوعيون على الثقافة الصينية وترجموا روائعها، وقد تأثر الأدباء الفرنسيون ببعض التيارات، والموضوعات السائدة في الأدب الصيني والعربي. فمثلاً: استوحى روسو اعترافاته من الشرق، وكذلك لا فنوتين في أساطيره، وتسربت أغراض القصص الشرقي إلى المسرح الفرنسي فكتب لا ساج مسرحيات عن أبي بكر، والجنة ومكة، وقوافل الحج،وتأثر مونتسكيو بالثقافة العربية فجاء كتابه(الرسائل الفارسية) متأثراً بألف ليلة وليلة مشتملاً على نزعاتها وتعدد احتفالاتها، كما أخذ عن ابن خلون بعض الفلسفة الاجتماعية في كتابه(روح الشرائع).[2] وفي المقابل: يرى بعض الباحثين أن مما يختص به المستشرقون الفرنسيون أنهم أشَدُ المستشرقين تعصباً ضد الإسلام ورسوله وحضارة الإسلامية، إذ من النادر أن تقرأ لمستشرق فرنسي شيئاً طيباً عن حياة رسول الله صل الله علىه وسلم، وحتى لو قال شيئاً حسناً، فإنه يحتفظ في قوله تحفظاً بالغاً.[3] واحتضنت فرنسا كما سبق الذكر أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم، وظهرت فيها تسع ترجمات للقرآن الكريم.[4]

النزعة الاستشراقية الفرنسية في دراسة الحضارة الإسلامية(بعض النماذج):

الدراسات الاستشراقية الفرنسية، تحمل الغث والسمين من دراسات حول الحضارة الإسلامية، ويشمل ذلك أصولها ومقوماتها(النظم، والمؤسسات، والحياة الفكرية والآدابية، والعلمية.) ففي الوقت الذي أقرّ فيه بعضهم بأن الحضارة الإسلامية وأثرها على النهضة في أوروبا، راح البعض منهم التقليل من أثار المسلمين، وإنجازاتهم العلمية والحضارية[5]، فقالوا: أنّ علماء الإسلام مجرد سراق نقلوا التراث الأقدم، وإذا كان هناك إضافات فهي لترقى إلى حد الابتكار، والإبداع ولا تستحق كل العناية والاهتمام بل اليونان هم سادة الحضارة، وهم أساتذة العرب والبشرية منهم أخذوا وتعلموا، ولا وجود لفضل العرب على العالم الغربي،وراح كل من دي ساسي، ما سينيون، وهنري، ماسيه، وليسكي[6] وهاليقي...وغيرهم، على أن العرب المسلمين أتقنوا أصنافاً من المعرفة، لا تحتاج على المنطق أو التفكير، لأن الجنس العربي بطبعه عاجز عن الاستخراج والاستنباط، وابتكار أفكار جديدة، بل البارع فيه هو النقل

---

[1] محمد عبد فتح الله الزيادي الاستشراق أهدافه ووسائله ص 85-86
[2] نجيب ألعفيفي المستشرقون 1/ ص 156-157
[3] ينظر نذير حمدان الرسول في كتابات المستشرقين دار المنارة جدة الطبعة الثانية 1406ه-1986م ص 37
[4] ينظر الاستشراق وخلفية الفكرية والصراع الحضاري ص 78
[5] ينظر أ-د فاروق عمر فوزي الاستشراق والتاريخ الإسلامي الأهلية للنشر والتوزيع الأردن عمان الطبعة الأولى طبع الغلاف والتنضيد في لبنان 1998 ص161
[6] دكتور عبد الرحمن بدوي موسوعة المستشرقين طبعة جديدة ومنقحة دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثالثة تموز يوليو 1993م ص 113- 601-603

والمحاكاةْ ليس إلا[1]، فهو لا يمكن له أن يكتشف الفلسفة وهي أرقى الطرق في التفكير، أو الطب ويخترع ويكتشف معادلات هندسية وحسابية، أو يستنبط، أفكارا كيماوية فيزياوية.[2] وهو بعيد كل البعد عن الشعر القصصي ولا التمثيل، لأن هذا الأخير يعتمد على تركيب وابتكار واختراع وهي ليست من صفات العقل العربي، وعندما نبحث عن تجليات المدرسة الاستشراقية ونزعتها الواضحة في دراسة الحضارة الإسلامية، لبد أن نشير إلى ما قلناه بأن: قيادةَ الكنيسة في العصور الوسطى، وما بعدها للصراع الثقافي ضد الإسلام وحضارته.[3] وبلغ ذروته عندما فشلت الحروب الصليبية، و تفشى الخطر الإسلامي، حث تخوم أوروبا الشرقية والجنوبية، وإلى جانب حروب السلاح كانت الحرب الثقافية، من أشَّد أنواع الحروب تشويها لصورائية الإسلام. كد[4]ين حضاري ولإنجازات علماء المسلمين في مجالات العلوم والفنون والآداب والنظم المتنوعة. و الأهم من ذلك الشوبوهات والتشويهات التي ظلت تابعة في العقل الأوربي، عبر فترة من الزمن ولا زالت تعمل عملها في إنتاج فئة المستشرقين الفرنسيين، أمثال(ليفي بروفنسل، ولد في عاصمة الجزائرية 1894م وبولياك، والأسقف ديفريس، ديني جان، مونيه، مارشال كوهين، وجبريل كولين[5] ورغم تغير في الأسلوب والمنهجية وهي السطحية حيث ظل الجوهر الموقف هو هو، لم يتغير منذ العصور الوسطى**{وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ.}**[6] وإن انزحنا وتركنا العامل الدينى فإن الفلسفة الوضعية التي تعاقبت في الظهور على الساحة الأوروبية، تعيد كثيراً فهذا الفيلسوف رينان يتكلم ويتنبأ عن فلسفة عرقية عنصرية مبعثها أن العقل الغربي هو عملي مركب يختلف عن العقل السامي العربي الساذج المعادي والمنافي للعلم، والفلسفة.[7] وأن العقل الأوربي يسمو ويعد مركز الثقل للفكر الإنساني جمعاء.[8] وهكذا نجد رينان العنصري و ريموندلل التبشيري المسيحي، متشددْ في كرههما للحضارة الإسلامية، وكل ما يتعلق بالإسلام الأول ينطلق من عنصر عرقي والثاني من عنصر صليبي،[9] فرينان يثني على ريموندلل باعتباره رائد فكرة، الصراع الثقافي والحضاري ضد الإسلام فيقول: ((لا ريب أن ريموندلل هو بطل الحروب الصليبية (حروب الصليبية، الثقافية) ضد الرشدية (فلسفة ابن رشد)، فالرشيدية عنده هي الإسلام في ساحة الفلسفة ومن المعلوم أن هدم الإسلام كان حلما خلال حياته ولهذا قام سنة 1311م ثلاث مذكرات إلى البابا كليما نس الخامس مطالباً تكوين منظمة لهدم الإسلام بدأً بتأسيس كليات لدراسة اللغة العربية)).[10] وتأكيداً لهذا الموقف فإن هذا الفيلسوف الفرنسي المستشرق العنصري يقول: (عن الفلسفة العربية الإسلامية هي فلسفة يونانية مكتوبة، بأحرف عربية.)[11] أما غوستاف لوبان[1] أشاد بالحضارة العربية، وأثارها على

---

[1] الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص150
[2] نفس المصدر ص150
[3] نفس المصدر ص 151
[4] الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 162
[5] مستشرقون1/ ص 158-159 وكتاب مستشرقون سياسيون جامعيون مجمعيون ص 55-56 ص 120-ص 121 ص162ص 163ص 212
[6] سورة البقرة الآية رقم 120
[7] ينظر الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 151
[8] نفس المصدر ص151
[9] مالك بن نبي العداء التقليدي للإسلام في الغرب فصل الرابع المنصرون والحضارة ص 85
[10] عرفان عبد الحميد الاستشراق عرض تاريخي دار الحكمة ص 10 وكذلك كتاب ابن رشد الرشدية الترجمة العربية ص 267
[11] نفس المصدر ص نفس الصفحة

أوربا في كثير من جوانب في كتابه حضارة العرب، وعندما ينتقد الوضع الحالي للعرب والمسلمين فلا يجد إلى أحكام القرآن يصفها بأنها ثابتة لاتتطور فينظر على أن الحال في نهوض العرب هو هذا القرآن الذي ينظر إليه المؤمنون أنه غير قابل للتعديل والنقاش.[2] ونقول: إن تدوين في مجال الحضارة الإسلامية، سواء كان عنصر النظم أو في محور الفكر وتاريخ العلوم أو الآداب والفنون، والتاريخ يحتاج إلى جهد كبير وعمل متميز لحصر المعلومات من مصادر تاريخية، إرادية وغير إرادية وغير تاريخية، متفرقة إلى جانب الكتابة في مثل هذه الموضوعات الحضارية الكبيرة نحتاج، إلى بعد ثقافي ونظرة علمية منهجية واعية.[3]

وفي اطار النظم والمؤسسات الإسلامية، بدأ المستشرقون الفرنسيون يدقون هذا الباب في المراحل الأولى، ونجد ديثي جان منذ سنة 1915م كتب عن (مؤسسة الخلافة)؛ ثم زاد علىه كتاب(دراسات محمدية)؛ وتناولوا مجموعة من المستشرقين الفرنسيين، بتفصيل عن النظم الاجتماعية والاقتصادية في الإسلام مؤسسة الخلافة ظهورها وتدهورها وسقوطها، وهناك من تناول بتأليف عن الوزارة العباسية، ويقول رضوان السيد متخصص في الاستشراق وفي تعلىقه عن الفكر السياسي في الإسلام عن المستشرقين الفرنسيين الأوائل، وبعض المحدثين هم الذين ادخلوا إلى مجالات الدراسات السياسية، في الإسلام مصطلحات الثيوقراطية، والأوتوقراطية، والدىمقراطية، والاوليجاركية، وإذا كنا لا نستطيع لوم كريمر وهورغرونيه، وبيكر على هذا الخلف المنهجي على أساس غربتهم عن ثقافتنا الحضارية....[4] فإن العقاد وطه حسين ومحمد حسين هيكل وحتى محمد إقبال لا يبقون بمنأى عن مثل هذا اللوم، لاندفاع في سبيل نفسه. ولا يلحظ أيرون روزنتال وجود فلسفة أسلامية، ذلك إن علماء الإسلام والفقهاء لم يسألوا ماذا لو كان؟ ولماذا لم يكن؟ بل اهتموا بتطبيق الشريعة على الأمة.[5] وفي سنة 1954م قام ليفي بكتابه الموسوم تحت عنوان التركيب الاجتماعي في الإسلام وكان متز قد سبقهم في كتابه الموسوم تحت عنوان؛ الرينيسانس في الإسلام تناول فيه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.[6] من نظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية، والمالية والإدارية وتناول كاتر مير آتيين[7] – 1857م– 1782م النظام الإقطاعي في الإسلام ونلاحظ أنه أطلق كلمة إقطاعي، وهنا إشارة من بعيد أو قريب على أن الإسلام، ما هو إلى نظام إقطاعي مثل بقية الأنظمة الإقطاعية الآخرى. و الموجودة آنذاك ونجد ما سنيون عراب المستشرقين الفرنسيين، وعميدهم وأستاذ شلة كبيرة من المستشرقين الفرنسيين، درس هذا المستشرق نظام الفتوة، ونظام الأصناف والحرف في الإسلام، وكتب تراس trase 1971م–1895م *[8] عن الموسيقي الإسلامية

---

[1] لوبان حضارة العرب ص 34

[2] حضارة العرب ص 34 ومنه ينظر الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 163

[3] ينظر الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص **164**

[4] ينظرنفس المصدر ص 164

[5] برنارد لويس لغة السياسة في الإسلام مترجم عبد الحميد عرفان سنة 1993ص 163 بدون دار النشر ينظر أيضا الفكر السياسي الإسلامي الوسيط كمبرج 1962 ص 24

[6] الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 153

[7] * مستشرق فرنسي عني بالتاريخ الإسلامي نشر العديد من المخطوطات العربية وكان يتقن اليونانية كما أتقن معظم اللغات السامية من مواليد باريس 12 يوليو 1782م ينظر موسوعة المستشرقين د/ عبد الرحمن بدوي ص 154

[8] * وهو عالم فرنسي بالآثار الإسلامية في مراكش والأندلس ولد في قريني محافظة Loiretفي 08 أغسطس سنة 1895م تخصص في تاريخ الفن ودرس التاريخ وصار دكتور في الآداب وأخذها من جامعة باريس في الفن الإسباني والمغربي وله عدة نشطات في الفن الإسلامي / ينظر موسوعة المستشرقين ص 446

سنة 1929م وعن العمارة الإسلامية، وظهرت مجموعة من الدراسات الحضارية الثقافية قام بها كل من نليو سنة 1939م ومن أهم المراجع الاستشراقية الحديثة، التي ألفت وتطرقت إلى موضوعات النظم والمؤسسات الإسلامية، مع موضوعات أخرى هي دوائر المعارف الإسلامية أو الموسوعات وإلى جانب المؤلفات المرجعية في التاريخ العام،[1] ومن أهم هذه المعارف والموسوعات هي دائرة المعارف الفرنسية والموسوعات، والموسوعات الجامعية باريس إكلوبيديا جامعة باريس 1968-1979م وقد عالجت التاريخ الإسلامي بالمنهج الشمولي مشابهة في دراستها دائرة المعارف الإسلامية البريطانية، ودرست العديد من المظاهر الحضارة الإسلامية(درست أشكال الإسلام وفرقه ثم أركان الإسلام الدولة والآداب والشريعة والفقه والعمارة والحركات الإصلاحية، وعلاقة الإسلام بالديانات الآخرى وخصصت هذه الموسوعة مقالاً خاصاً لتاريخ الإسلام حتى الوقت الحاضر القرن 14ه-20م).[2] ناهيك عن التحدث بأن المستشرقين عندما يتحدثون عن الإسلام وحضارته قد أجمعوا، على جملة من الأحكام والتعميمات أصبحت من قناعتهم ضمن المسلمات الثابتة، يَعُودُونَها في كل إصدارات، دوائر المعارف مع تغيير طفيف في الآخراج،[3] والمقارنة إما الكتب في التاريخ العام المرجعية Référence Books ، فهي كثيرة توجه إلى عامة المثقفين إلى جانب الباحثين ذوي الاختصاص، ولهذا كان أثرها جد كبير على الرأي العام الأوربي وتتميز تلك المراجع، بميزتين إثنتين:[4]

1. إنها تنظر إلى الإسلام من خلفية مفاهيم ومعايير وقيم الحضارة الأوروبية وقيم وأحكام الكنيسة المسيحية، لذلك جاءت الأحكام لا تخلو من تشويه وخاصة إذا تعلق الكلام بأصول الحضارة الإسلامية (القرآن الكريم والرسول الكريم صل الله عليه وسلم.).[5]

2. ينظر إلى الإسلام على أنه حلقة من حلقات التاريخ الأوروبي، لذلك عدوا الإسلام يعد ضمن تاريخ العصور الوسطى الأوروبية، على أساس أنّه مكملُ ومقابلٌ له[6] ونلاحظ في هذا الصدد التأكيد، على الحروب الصليبية وحركة الحروب الإستردادية في بلاد الأندلس،[7] والفعاليات الأوروبية، في آسيا وإفريقيا، (الاستعمار) حيث يعرض ويسرد تاريخ هذه المناطق عرضاً ومشوهاً بالقياس إلى التواريخ الآخرى، وظهرت عدة مؤلفات في التاريخ العام وأعطت صورة مشوهة عن الإسلام. وتعلمون أن التاريخ يعد عنصر مهماً في تكوين الحضارة والمحافظة عل هوية الأمم وجعل الأمم بفضله تنظرجيداً للمستقبل وصناعة الحاضر والغد ولهذا عمدَ الاستشراق الفرنسي على تشويه التاريخ حتى تبقى الأمة العربية والإسلامية بدون هوية،وفي هذا الصدد نعرض كتاب موجز تاريخ العالم، للمؤلف ويلز ووجهات نظر عن الرسول صل الله عليه وسلم معادية ونجد كذلك كتاب تاريخ الحضارات العام الذي ترجم إلى

---

[1] الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص **164**
[2] نفس المصدر ص 165
[3] البهي محمد الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي القاهرة 1981م ص25
[4] ينظر الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 164
[5] نفس المصدر ص164
[6] ينظر نفس المصدر ص166
[7] ينظر تاريخ العرب وحضارتهم في بلاد الأندلس تأليف مجموعة كل من د- خليل إبراهيم سمرائي ود- عبد الواحد دنون طه د- ناطق صالح مطلوب دار الكتاب الجديدة بيروت لبنان الطبعة الأولى ص 128 توزيع دار أويا لطباعة والنشر والتوزيع الجمهورية الليبية العظمى طرابلس سنة 2000

العربية، في بيروت سنة 1965م والذي كتب فيه المستشرق الفرنسي كلود كاهين[1] klod khine فضولا عن الإسلام وأنصف فيه البربر والترك والفرس، والمغول على حساب تاريخ العرب والرقعة العربية.[2] ومن الكتب قصة الحضارة لمؤلفه ديورايت الذي عده فاروق عمر فوزي في كتابه الاستشراق والتاريخ الإسلامي من المستشرقين ويعلل ذلك بأنه خصص جزءاً كبيراً فيه عن الكلام عن الحضارة الإسلامية حيث أدرك أهميتها وأنها قدمت للبشرية إضافات مبدعة في مجالات الحياة،[3] ويقول ديورانت: ((إن قيام الحضارة الإسلامية، واضمحلالها تعد من الظواهر، الكبرى في التاريخ لقد ظل الإسلام يترأس، خمسة قرون من 700م إلى 1200م يترأس العالم بأسره في جميع المجالات، وبسط جميع طباعه على المعمورة وارتفع مستوى الحياة في تشريع الرحيم والتسامح الديني وفي الآداب والبحث العلمي والطب والفلسفة)).[4] ثم يلخص في عنوان أحد الفصول((عبقرية الإسلام)) قوله عن الحضارة الإسلامية وجهازها المناعي، وتفاعلها وديمومة والحيوية والصمود بوجه الغرب والمغول وذلك في قوله: إن الحضارة الإسلامية الرائعة كانت غنية إلى حد القدرة عل تمدين غزاتها.)).[5] وامتدح توينبي في كتابه(دراسة في تاريخ) الحضارة الإسلامية وعدها من الحضارات الحية، لأنها استجابت للوقائع والأحداث، بطرق إيجابية فأعطت وأخذت وساهمت في تطوير الإنسانية.[6]

فيرى أحد المستشرقين الفرنسيي ،لويس برنارد في كتابه تاريخ الإسلام يقول:(إن الإسلام دين وعامل تركيب عظيم ذي طاقة رائعة عل لَمْ مواد الحضارات، المتفرقة وتركيب بنيتها وتنشيطها، وإعادة إخراجها في حلة جديدة ومتميزة. وهذه العلامة الأولى للكتاب تنصف جذرياً الحضارة الإسلامية، وتبتعد عن روح الشك والعدوانية،[7] التي طبعت العديد من مؤلفات القرن التاسع عشر، انتشرت اللاموضوعية والعدوانية والكراهية ونظرة التعالي التي طبعت الاستشراق الفرنسي، والنقطة الآخرى الإيجابية في هذا الكتاب هو شمولية حيث تأكيده على دراسة الشعوب الإسلامية غير العربية وتحول الاستشراق الفرنسي عن الاهتمام على مركز القديم للإسلام ونقصد به العالم العربي فتوجه إلى البحث، في مناطق أخرى.[8] واقتنع المستشرقون الفرنسيون المنصفون أو ذوو أصول فرنسية، أن الإسلام له قدرة على الامتصاص الحضاري المتنوع وأنها لم تكن تجمع الثقافات القديمة بل أبدعت وخلقت جميع العناصر لتكون هناك ميلاد حضارة جديدة وهذه الظاهرة هي الميزة لكل مرحلة من مراحل تطور هذه الحضارة.[9]

أما جانب الفكر والعلوم عند المسلمين فإنها لم تكن دراسة المستشرقين فيها شاذة عن دراسات الأنظمة الإسلامية و لم تتأخر عنها، حيث نجد أن الاستشراق الفرنسي حقق العديد من المخطوطات العربية في جميع العلوم

---

[1] إذا أردت معرفة هذا المستشرق راجع موسوعة المستشرقين لبدوي ترتيب الألف بائي الكاف
[2] ينظر الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 165-166
[3] ينظر نفس المصدر ص 166
[4] نفس المصدر نفس الصفحة
[5] نفس المصدر ص 166
[6] نفس المصدر ص 166-167
[7] مكتبة التربية لدول الخليج: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية المنظمة العربية للتربية والثقافة، د ت ص 156
[8] ينظرالاستشراق والتاريخ الإسلامي ص166 - 167
[9] نفس المصدر ص 167

النظرية والتطبيقية، ولم يميل المحققون بالموضوعية، وأهملوا أسماء مؤلفيها،[1] ونسبوها إلى مؤلفين من الأوروبيين، وإذا لم يسعفهم الحظ أرجعوا ما فيها إلى الحقبة اليونانية. من أجل التشويش عن الحضارة الإسلامية وإنجازاتها العلمية والآدابية والفنية والعمرانية والسياسية والثقافية والفلسفية[2]، من أجل ربطها أو رد إنجازاتها إلى الحضارة اليونانية، ويتجلى ذلك واضحا في ترجمة جرسان ذي تاسي*[3] لفصل من تذكرة الطوسي وكذلك كتاباً، للبوزجاني في الرياضيات، كما برز أسماء المستشرقين الفرنسيين في الدراسات اللغوية العربية،وشجعوا اللهجة البربرية في المغرب[4] وعملوا على ربطها في الحياة اليومية قصد محاربة اللغة العربية وسعوا إلى توثقها، ودراسة جذورها وكل ذلك من أجل خدمة مآرب وأغراض فرنسا في شمال إفريقيا وإثارة الثغرات الغوية بين أبناء الشعب الواحد وهذا ما نجده في بحوث ديستنيك وياسيه[5] الفرنسيين وفي الجهة الآخرى نجد بعض المستشرقين ومنهم جوسيناين[6] جند نفر من الباحثين الذين مرروا مشروع الاستشراق من مفكرينا فترة من الوقت مثل طه حسين[7] الذي تكلم في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر)؛ ((إن تطور الحياة البشرية منذ عهد بعيد قد أبان أن مقوم و وحدة الدين واللغة لا تكفيان ولا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ولا قواماً لتكوين الدولة...إنما كانت مصر دائما جزءاً من أوروبا.)).[8] وهنا نجد طه حسين تأثرا بآراء المستشرق والمفكر الفرنسي بول قاليري[9] ومؤكد ذلك نرجع لكتابه مستقبل الثقافة في مصر وبالتحديد عندما يقول: ((أن نسير سيرة الأوروبيين، ونسلك طريقهم ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها...)).[10] ولكن طه حسين تراجع وصحح وتدارك القول بقوله وبتحديد في كتابه مرآة الإسلام عندما قال:(المستعمرون في هذا العصر الحديث، يعملون أن يفرضوا عليهم (العرب) ضروبا من العلم قد تخرجهم من الجهل ولكنهم ستقطع الأسباب حتماً بينهم وبين تاريخهم تفننهم في الأمم المستعرة إفناء ومن حيث المبدأ لا يوجد حرج في التعامل مع المشروع المتوسطي، أو أي مشروع أخر، لأن العرب جزء من هذا العالم ولبدا أن يتفاعلوا معه شرط معرفة إيجابياته وسلبياته فيجتنبوها.)).[11] ودراسة أخرى حاول المستشرقون الفرنسيون تجسيدها وهي الفصل بين العقيدة الإسلامية والواقع التاريخي للدولة الإسلامية[12]، لأن في كتاب (الفن الإسلامي وحضارة العرب) لذاغر أسعد وقد مر بنا في الفصل الثاني، يوضح كيف أن الإسلام كل فنونه وحضارته قائمة على عقيدة التوحيد وهي العقيدة الإسلامية وحتى يجعلوها دولة غير دينية وهم بالطبع يعلمون أن العرب كانوا أدلاء فأعزهم الله بهذا الدين وهذا

---

[1] ينظر نفس المصدر ص 168
[2] ينظر هاملتون جيب دراسات في حضارة الإسلام مترجم دار العلم للملايين بيروت 1974ص 151
[3] موسوعة المستشرقين لبدوي ص 164 * وهو مستشرق فرنسي ولد في مرسيليا في 20 جانفي 1794م وتوفي سنة 1878م 2سيبتمبر تعلم مبادئ العربية وهو تلميذ ذي ساسي.
[4] ينظرالاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 168
[5] راجع أسماء هؤلاء المستشرقين في كتاب بدوي عبد الحمن موسوعة المستشرقين
[6] راجع موسوعة المستشرقين لبدوي
[7] عرفان عبد الحميد الخصائص الثقافية لمجتمع العربي دار العلم للملايين ص 138 هامش 14
[8] الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 169
[9] عد لموسوعة المستشرقين لمعرفة سيرة هذا المستشرق
[10] طه حسين مرآة الإسلام دار الحكمة طبعة الثالثة القاهرة ص 158 ومنه الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 168
[11] الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 168 ومنه مرآة الإسلام طه حسين
[12] ينظر الاستشراق الإسلامي ص 169

جانب، وجانب آخر أن المستشرق فهو مراراً متأثر ببيئته التي ولد فيها ونشأ وهذه البيئة الأوروبية ثنائية التكوين تعود بأصولها على الحضارة اليونانية الوثنية وعقيدتها الجديدة هي المسيحية، وأصبح هذا متصلاً ويعملوعلى إبعاد الشؤون الدنيوية عن الأمور الدينية، وفي هذا الاطار يتحدث عبد العزيز الدوري المختص في الفكر الاستشراقي، بأن المستشرقين الفرنسيين حللوا الظاهرة بموجب المفاهيم الغربية وقد أصبح هذا المنهج الآن غير دقيق وغير مقبول[1] وظلوا يجتهدون في فرض نظرتهم هذه على المجتمع الإسلامي الذي هو في نقيض من المجتمع الأوروبي. حيث تداخلت مظاهر الواقع التاريخي مع العقيدة الإسلامية وهكذا فسر المسلمون كل انتصار في مسرح التاريخ الإسلامي[2] وكل تقدم حضاري هو انتصار للإسلام وعقيدتها، أما جانب المستشرقين الذين تبنو اللائكية العلمانية، ظلت دراستهم تحاول تخيل صورة مفبركة للمجتمع الإسلامي، وتطويع النصوص التاريخية وجعلها حجة لفرضيتهم المزعومة[3] التي تماثل المجتمع الأوربي قصد تقزيم دور الإسلام في إنجاح المجتمع الإسلامي[4] وقد بين برنارد لويس عن هذا الخلط: ((نحن في العالم الغربي وتكويننا في التقاليد الغربية عند ما نستعمل لفظة إسلام نقع عمداً في خطأ ونعتقد أن الدين هو نفسه عندنا مثله مثل ما عند المسلمين، وأنه جزء مستقل عن الحياة مختص بأمور معينة، وانه منقطع عن شؤون الحياة.))[5] واهتمت الدراسات الاستشراقية للمدرسة الفرنسية باللغات والدين اللاهوت أولا وعرف ذلك، بالاهتمام بالتراث الحضاري والتاريخي وعمر عمرًا طويلاً حيث اهتموا بالمخطوطات التاريخية وتحقيق ما أمكن منها وترجمة بعضها. فنجد (كازانوفا) عَملَ عَمَلا مشتركا مع (مارغليوت) في تحقيق أنساب لسمعاني ومعجم الأدباء لياقوت الحموي وأجزاء من الإمتاع والموانسة للتوحيدي ونثوار المحاضرة للتنوخي وترجموا تلبيس إبليس لابن الجوزي[6] و المستشرق أمدروز ت 1917م عمل على تحقيق الأمم لمسكوبة، وذيل التاريخ دمشق لابن القلانسي والوزراء لهلال الصابي ونشر المستشرق فان فولتن بعض رسائل الجاحظ، وكتابه البخلاء والمحاسن والأضداد والنابتة وترجم جوسين المدينة الفاضلة للفارابي ودي خويه، أهتم بسلسلة الكتب الجغرافية العربية[7] وزادا كازانوفا ترجمة خطط للمقريزي وكذلك ترجم غيوم السيرة النبوية لابن هشام وترجم فاكنان أخبار المغرب للمراكشي وترجمت من طرف بعض المستشرقين الفرنسيين، كتاب(البيان المغرب) لابن عذارى وكذلك الجزء الخاص بالمغرب واسبانيا من كتاب الكامل في التاريخ، لابن الأثير ويعكف منذ أوائل العقد الثامن لبعض مجموعة من المستشرقين والمستغربين إلى ترجمة تاريخ الطبري إلى الفرنسية ومن ذوي إلمام باللغة العربية[8] وبعض الدراسات الاستشراقية الفرنسية اهتمت بمظاهر الجدل وعلم الكلام والفقه.[9] نفتح قوسا هنا الملاحظ، أن الاستشراق الفرنسي ركز على علم الكلام والجدل

---

[1] ينظر عبد العزيز الدوري التكوين التاريخي دار المجد للنشر والتوزيع بيروت 1984م ص 159 ومنه الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 170

[2] ينظر الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 170

[3] نفس المصدر ص 171

[4] عرفان عبد الحميد لغة السياسية في الإسلام دار الكتاب بيروت 1993م **ص 10**

[5] نفس المصدر ص 10

[6] الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 170

[7] نفس المصدر ص 171

[8] ينظر نفس المصدر 171

[9] نفس المصدر ص 171

والتصوف والفقه، لأنه يري فيه الأرض الخصبة لمحاربة الإسلام ويدقق ويتفحص بعناية كبيرة وخير دليل هنا ما سنيون macinione ودراسته للحلاج والعرض من ذلك هو جعل الإسلام دين الأساطير والجدال ونهانا القرآن عن الجدال وعلم الكلام يدخلنا إلى دراسة القرآن دراسة تكون فيها بعض الشبهات حتى نجد وصل في عهد المأمون في العصر العباسي قضية القرآن هل هو كلام الله أم مخلوق وعدة قضايا جعلت المسلمين يكون بينهم شرخا عظيما لأنه هم الاستشراق الفرنسي عامة والآخر خاصة، هو ضرب العقيدة واللغة والقرآن والسنة لأنها هي جهاز الأمة المناعي ضد كل الفيروسات الحضارية والتاريخية والعقائد الوثنية. والدراسات الفرنسية لعلم الكلام والجدل والفقه أخذت حيزاً هاما في الكتابات، فكتب أثر جفري عن الجدل الإسلامي المسيحي وكتبوا عن علم الكلام في الإسلام وتطورت إلى أن وصلت إلى الإسلام الحديث و المعاصر، وبرز المستشرق جيب في دراساته مثل الاتجاهات الحديثة في الإسلام وكتاب الإسلام الحديث وكذلك الدين والحياة في الإسلام وعرض هذا هو استغلال الفروق والعادات و تقاليد المسلمين مثل مافعل بيلير الفرنسي[1] وبقدر ما إشتغل الاستشراق الفرنسي بالعلوم والفكر الإسلامي حتى ظهر بين الحربين العالميتين وما بعدهما مجموعة من المستشرقين الفرنسيين الذين أسهموا إسهامات بارزة أمثال فانيان و وَفرَان و ديقرجيه[2] وإلى جانب الذي هو غير فرنسي ولكنه يعد من تلاميذ أو تأثر بالفكر الاستشراقي الفرنسي على شاكلة ذي ساسي وما سنيون كازانوفا، وهو الألماني كارل بروكلمان الذي ألفوا تاريخ الأدب العربي سنة 1898م-1942م وبراون التاريخ الأدبي لبلاد فارس في أربعة أجزاء 1901م أما تاريخ الأدب العربي في خمسة أجزاء[3] ونلاحظ أن رغم أهمية هذه الكتب إلا أنها لا تخلو من بعض الإسقاطات وبعض تفاسير التي تعتمد على الهوى، والميل إلى جانب الآخر والبعد عن الروح العلمية لأنه أحد نقاد الاستشراق وهو المفكر والباحث إبراهيم نملة يقول: إن كتاب كارل بروكلمان رغم المجهودات التي قام إلاّ أنه لا يخلو من سقطات استشراقية وكذلك الأمر بالنسبة لهونكه الألمانية صاحبة (شمس العرب تطلع على الغرب)، العنوان فيه استشراق بامتياز قالت شمس العرب و لم تقل المسلمين هذا عل حسب رأي نملة إبراهيم[4] وكذلك اهتمام وتحقيق شارل بعدداً لايستهان به من رسائل الجاحظ وركز اهتمامه بالجاحظ وأكمل مسيرة سلفه، فإن فولتن في هذا الاتجاه وكان التركيز على الجاحظ لسببين، أولهما أنه عربي الأصل والثاني كونه قبل كل شيء عالم معتزلي استخدم المنطق والجدل اليوناني وكأنهم بقولون: إن هذا القامة العربية وهو الجاحظ جل إبداعاته يعود الفضل فيها إلى العلوم اليونانية، وبالتالي الحضارة اليونانية لها الفضل على الحضارة الإسلامية، ثم إخراجها بحلة جديدة.

وعمدوا على دراسة الفرق الإسلامية وإنتاجها الفكري والأدبي مثل الزيدية، والأشعرية وغيرهم من أجل إضعاف المجتمع الإسلامي وشغله بأشياء تعد ليس لها قيمة، بل بالعكس صار العداء وتحيل المكائد بين هذه الفرق إلى

---

[1] نفس المصدر ص 171

[2] موسوعة المستشرقين ص 361-362

[3] الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 171

[4] ينظر علي إبراهيم نملة كنه الاستشراق المفهوم والأهداف والارتباطات مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة 2011م-1432هـ ص **199**

درجة الاقتتال[1] وراحوا يتتبعون أثار الحضارة اليونانية في الحضارة الإسلامية، ويظهر ذلك واضحا في جملة كتب المستشرقين الفرنسيين سواء عن الإسلام في العصر الوسيط أم[2] المدنية الإسلامية والغاية من ذلك كله هو تشويه انجازات الحضارة الإسلامية.

وتطرق الثلاثي الفرنسي بوليلك و رودنسن وجاك بيرك إلى مظاهر خاصة تتعلق بأمور اقتصادية واجتماعية طفت على المجتمع الإسلامي واهتموا بالكيمياء عند العرب ونشروا عدة كتب عربية عن الصيدلة، والتشريح الطبي وطب العيون وغيرها والإسهامات في الجيولوجيا والكيمياء والرياضيات وقبل النهضة الأوروبية، اطلع علماء الغرب وعلى رأسهم الفرنسيون على علوم الأرض للعرب وتشير الأخبار عن جورجي غريكولا، كان قد اطلع على تصانيف المسلمين للمعادن والصخور قبل أن تنشر تصنيفه الجديد في أوروبا[3]، وقبل أن يبدأ بارا سلس في القرن السادس عشر تجاربه الكيماوية مع المعادن لاكتشاف أكسير الحياة، نجده قد أطلع على رأي ابن سينا عن استحالة تحويل المعادن الخسيسة إلى ثمينة في كتبه، لكن تعصبه جعله يرفضها ويحرقها[4] وقبل أن تعرف الحضارة الأوروبية،(القرن السابع عشر و الثامن عشر). بإيجاد الدليل الاستقرائي مكان الآراء الافتراضية، كان الدليل الاستقرائي موضوع اعتماد في الحضارة الإسلامية في العصر العباسي، في كثير من الإنتاجيات التطبيقية والنظرية، عند كل من ابن سينا، وابن الهيثم والبيروني واكتشف المسعودي، دورة المياه في الطبيعة قبل أن يعلن عنها هاتون عام 1785م،[5] وهذا كله مازالت هذه النماذج تلقى الإنكار، والإهمال من قبل فئة من المستشرقين ولازال هناك من يدعي أن مساهمات العلماء المسلمين اقتصرت على حفظ علوم الأوائل عن طريق الترجمة، بل عجزوا عن إضافة أو ابتكار أشياء جديدة في العلوم أو اكتشافات جديدة لذلك نجد جل كتابات المستشرقين الفرنسيين، وغيرهم تصب اهتمامها في التراث اليوناني وإغفالهم للتراث الإسلامي العلمي بالطبع وحتى ولو وجدوا بصمة وإبداع عربي إسلامي فإنهم يعمدون إعادتها قسراً إلى أصولها اليونانية أو غير اليونانية[6]، كما يفعل الفريق الآخر إلى إرجاع تعاليم الدين الإسلامي والقرآن إلى أصول يهودية أو نصرانية.[7] ولو تحدثنا عن الاستشراق والحضارة الإسلامية لما أنهينا لألفنا الكثيرمن الكتب فاكتفينا بهذا القدر والنماذج الإيجابية و السلبية حتى نكون منصفين، وفي ختام هذا العنصر نذكر بعض النتائج من خلال هذه الجولة في ربوع الاستشراق والحضارة الإسلامية فنلخصها فيما يلي: عرض عن سكينة ابن شلوح وطيب ابن إبراهيم* باحث جامعي في كتابه الاستشراق وتعدد مهامه في الجزائر طبعة الأولى 2004 دار منابع للنشر والتوزيع الجزائر

---

[1] ينظر الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 171 وينظر الغزالي محمد، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطامع المستشرقين دار الحديثة سنة1964ص 155

[2] ينظر الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 171

[3] نفس المصدر ص 172

[4] جحا ميشال الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا بيروت معهد الإنماء العربي 1983م ص162

[5] مالك بن نابي إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث دار الإرشاد للطبع والتوزيع والنشر الطبعة الأولى 1388ه-1969م ص 10

[6] حمودي عدنان تطور الفكر الجيوموفولوجي في العصر الإسلامي الوسيط مجلة الفكر العربي 1983 ص169-170

[7] الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 173

- ملاحظة: يوجد أسماء مستشرقين من غير دولة الفرنسية لأن ذكرهم ضروري في البحث ولأنهم تتلمذوا على يد المدرسة الاستشراقية الفرنسية لأن فرنسا في يوم من الأيام كانت قبلة المستشرقين الأولى وساهموا مع المستشرقين الفرنسيين في تكملتي أعمالهم

يقول فيه:[1] أن الاستشراق الفرنسي يخدم أجندة معينة وفكرة مسبقة ويستند على خلفية استعمارية وتنصيرية، والغزو الثقافي وهو أكثر أنواع الاستشراق مكرا في مخططاته، فهو لا يهتم بالشرق الجغرافي بل بالشرق الهوية والتاريخ ومتمثل في الحضارة الإسلامية، ومثل هذا الملك شارل مارتن: وهو ذو خلفية تاريخية عند الذاكرة الجماعية الفرنسية يقول شارل مارتن إن تنصير المسلمين ليسوا أهلاً له بل صرفهم عن الإسلام والدين، وتحالف الملوك والأمراء مع البابوية إلى جانب بعض النتائج وهي أنهم استخدموا منهجا دراسيا واحدا في تعاملهم مع التاريخ الإسلامي، منهج حسب أهوائهم، وعدم اتخاذ بعض ممارسات المسلمين في الحياة العامة، عدم اتخاذ بعض الاجتهادات لبعض العلماء المسلمين غير المعقولة بثر النصوص لخدمة تفسيراتهم أسلوب القدح والغمز واللمز في تحليل الظواهر الإسلامية، الابتعاد عن الموضوعية في دراستهم، والاستشراق الفرنسي هو الذي غدا الاستشراق العالمي، لأنه في يوم من الأيام كان قبلة المستشرقين[2] ثم نتطرق إلى موقف الاستشراق والمستشرقين الفرنسيين من أصل مهم، من أصول الحضارة الإسلامية ألا وهو القرآن الكريم وأراء المستشرقين حول القرآن الكريم.

القرآن الكريم و السنة في ضوء الاستشراق الفرنسي:

مصدر القرآن: بما أن القرآن يعد مصدراً من المصادر، وأصل من أصول الحضارة الإسلامية عمد الاستشراق الفرنسي إلى تشويه صورته على اعتبار أنه هو كتاب الإسلام الأول الذي تقوم على أساسه عقائد الدين الإسلامي وشريعته وتخرج منه أخلاق وآدابه، لأن الإيمان به أمر مسلم عند المسلمين زيادة عن كونه يعد معجزة العرب لغةً وبياناً وبلاغة و فصاحةبل هو الإعجازبكل اتجاهاته وفي كل زمان ومكان وفي كل مجال الحياة، ومن أجل ذلك اتجهتَ جهود المستشرقين قديما وحديثاً إلى محاولة زعزعة الاعتقاد في صحة القرآن الكريم، وفي مصدره[3]، وهنا يتقاطع المستشرقون مع الوثنيين المكيين في إدعاء أن القرآن ليس وحياً من عند الله، فزعموا أنه {**إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ**}[4] {**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** }[5] وعملوا بكل جهدهم على زعم وإبطال القول، بأنه وحي السماء وقد حدا المستشرقون الفرنسيون المتحاملون، على الإسلام وحضارته في موقفهم من القرآن حدوا مشركي مكة وبدلوا محاولات مستميتة لبيان أن القرآن ليس وحيا بل هو من خيال وتأليف محمد صل الله عليه وسلم وبذلك نجدهم رددوا أحيانا الاعتراضات التي قال بها الوثنيون قديما يقول أحد المستشرقين الفرنسيين: ((إنً محمد كان في الحقيقة، مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لايقبل الجدل وأن يظهر مع ذلك أن المساعدة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن مساعدة يسيرة وخير دليل أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض

[1] مقطع صوتي عن محاضرة عن الاستشراق الفرنسي ومهامه في المغرب العربي جامعة الجزائر العاصمة موقع من الانترنت
[2] ينظر إلى الاستشراق والتاريخ الإسلامي ص 192-193-194-195-196
[3] محمود حمدي زقزوق الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري دار المعارف ص 86
[4] سورة الفرقان الآية 4 ورش عن نافع
[5] نفس السورة الآية 5 ورش عن نافع

عليه بذلك)).[1] ونجد بلاشر ممن لهم اهتمام بالغ بالقرآن لدرجة أنه وصف القرآن بأنه من خيال محمد (صل الله عليه وسلم) لما كان عليه من جنون، وقد صادف المقدمة، التمهيدية للترجمة التي جزم فيها بتأليف محمد (صل الله عليه وسلم) للقران نجاحا عظيما، في أوروبا وهو الأمر الذي جعل المستشرق (كا سمير كي). أن يجعل من مقدمة (سيل جورج)، لترجمة الفرنسية لمعاني القرآن التي صدرت عام 1841م وعمرت هذه المقدمة زمنا طويلاً كمصدر علمي موثوق به لذا المستشرقين لأنها حوت على عرض شامل للدين الإسلامي[2] لقد ظلت فكرة تأليف محمد (صل الله عليه وسلم) للقران لدا المستشرقين أمرا لا يقبل الجدل والنقاش وبعضهم من يذكر ذلك بكل جرأة وصراحة كما فعل (سيل- ورينان)؛ من بعده إذ اعتبر أن رسالة محمد ص ماهي إلا امتداداً طبيعيا للحركة الدينية، التي كانت سائدة في عصر الرسول ص دون أن تحتوي على أي جديد[3] ومنهم من يتطرق إلى ذلك بأسلوب أقل حده وبأسلوب غير مباشر وبعض المعاصرين ينحو هذا المنحى مما جعل رأيهم يبدو وكأنه، استنتاج علمي وإذا كان الرسول صل الله عليه وسلم هو مؤلف القرآن كما قال المستشرقون الفرنسيون وغيرهم في هذه الفرية الاستشراقية، المحبوكة بقدر الإمكان من خلال ذكر المصادر التي أعتمد عليها الرسول ص في كتابته للقران يرى الخيال الاستشراقي الفرنسي في هذا الصدد، كل مذهب لإثبات مزاعمه[4] ويقول أحد المستشرقين الفرنسيين -بل- Bellمؤلف كتاب مقدمة القرآن أن النبي محمد (صل الله عليه وسلم) اعتمد في كتابته للقران على الكتاب المقدس وخاصة في العهد القديم، في قسم القصص ويعطي أمثلة على ذلك من خلال بعض القصص المتعلقة بالعقاب هي مثل قصص عاد وثمود مأخوذة من مصادر عربية والقسط الأكبر من المادة التي استعملها محمد (صل الله عليه وسلم) ليفسر تعاليمه، منقولة من مصادر يهودية ونصرانية[5] وكانت فرصته عندما كان موجدا في المدينة للإطلاع على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السابق في مكة، حيث كان الاتصال بالجاليات اليهودية[6] ومنها أخذ قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل، ويرى رفائيل القيطي: ((وهو مصري التحق بالفرنسيين أثناء حملتهم عل مصر 1798م-1801م وصار قنصلاً أول في أغسطس1802م وأنشأ كرسيا، ثانياً للغة العربية في مدرسة اللغات الحية بباريس وتعين رفائيل هذا تحت اسم Donraphael-de Mondésوالذي صار يسمى في فرنسا به وكان خلفا للمستشرق الكبير وأب الاستشراق الفرنسي سلفستر ذي ساسي[7] ويقول هذا الأخير: أن النبي صل الله عليه وسلم، مدين بفكرة فواتح السور من مثل، حم، وطسم، وألم...الخ، لتأثير أجنبي ويرجح أنه تأثير يهودي،مفسرا أن السور، التي بدأت بهذه الفواتح مدنية وخضعت سورة من تلك السور التسع والعشرون مكية، واثنين فقط من هذه السور مدنية وهما سورة البقرة وال عمران[8] ويوافق هذا الطرح المستشرق (لوت-lotte)، ويرى بارت أن التأثير المسيحي على محمد ص

---

[1] نقلا عن اللبان ينظر بحث (الإسلام في الفكر الاستشراقي محمد امين في العدد3 من حوليات كلية الشريعة بجامعة قطر ص 109
[2] بلاشر القرآن نزوله ترجمتة وتأثيره تر/ رضا سعادة دار الكتاب اللبناني 1974م ص 19
[3] - محمد عبد الله دارز مدخل إلى القرآن دار القلم بالكويت سنة 1984م ص 130
[4] الاستشراق والخليفة الفكرية والصراع الحضاري ص 89
[5] د- محمد عبد الله دراز مدخل إلى القرآن دار القلم الكويت 1974م ص130
[6] الاستشراق والخلفية الفكرية ص88
[77] ينظر موسوعة المستشرقين ص 280
[8] الاستشراق والصراع الفكري ص 90

في تأليفه للقرآن أن الناس في مكة كانت معلوماتهم في عصر النبي عن المسيحية محدودة وناقصة، لأن المسيحيين العرب لم يسيروا في معتقداتهم في الاتجاه الصحيح،ولهذا ظهرت الأفكار البدعية المنحرفة، ولولا ذلك ماكان محمد ص على علم بأمثال تلك الآراء التي تنكر صلب المسيح وتذهب على نظرية التثليث النصرانية، لا تعني الأب والابن والروح القدس وإنما تعني الله وعيسى ومريم وعلى أية حال فإن المعارف التي جمعها، محمد ص عن حياة المسيح، وأثره كانت قليلة ومحدودة[1] وعلى العكس تماما كان محمد صل الله علىه وسلم يعرف الكثير عن ميلاد عيسى وعن أمه (نحن نقص علىك أحسن القصص)[2] وما يقصد قوله المستشرق واضح وهو أن المعلومات التي وردت في القرآن عن المسيحية وعن المسيح وأمه كانت معلومات جمعها محمد ص من البيئة التي كان يعيش فيها، وكانت معلومات شائعة آنذاك إما خاطئة أو محدود، فمحمد إذن هو مِلف القرآن الكريم. ويزعم المستشرقون الفرنسيون أن محمد ص تعرف على المسيحية من بحيرة الراهب في رحلته التجارية إلى الشام، ووعى محمد ذلك على لسان وتمثيل في نفسه من بحيرة الراهب[3] ولقد ضخم بعض المستشرقين أثر مقابلة الرسول صل الله علىه وسلم لبحيرة الراهب رغم، أنه لا يوجد لذلك أي سند صحيح، وقال ذلك أحد المستشرقين الفرنسيين في هذا الصدد((لاتسمح النصوص العربية التي عثر علىها ونشرت وبحثت منذ الوقت بأن نرى في الدور المسند إلى هذا الراهب السوري إلا مجرد قصة من نسخ الخيال.))[4] إذن إدعاء بعض المستشرقين الفرنسيين عن القرآن وتأليفه من طرف محمد ص إدعاء باطل، لأن جميع سبل البحث تكذب الافتراضات المتعلقة باحتمال وجود مصدر بشري للقرآن أولا، لأن محمد (صل الله علىه وسلم) كان أمي لا يعرف الكتابة ولا القراءة وحتى في العصر، الجاهلي وصدر الإسلام لم يكن هناك كتابة، والكتاب كانوا يعدون على الأصابع، وهذا مايفسر ضياع وتلف بعض المصادر، لأنهم كانوا يعتمدون على المشافهة، مثل الأشعار وبعض فنون النثر وموت كثير من الحفاظ دفع ببعض الاجتهادات، مما جعل أكبر تدوين في العالم وفي التاريخ هو كتابة القرآن وجمعه في كتاب ((مصحف)) واحد. إذن العرب لم يعرفوا الكتابة ونقل العلوم وترجمة إلا في نهاية العصر الأموي والعصر الذهبي أي العصر العباسي، إذن كيف لي محمد صل الله علىه وسلم أن يحصي كل ماجاء في الدىن المسيحي، وينقله بتلك الدقة والإبداع المتناهي.

إلى جانب ذلك وقع تحت أيدينا بعض الوقائع والأفكار ناقشنا ماتبث ضعفها وعدم قدرتها على تقدم أي احتمال لطريق طبيعي أتاح له أي النبي صل الله علىه وسلم فرصة الاتصال بالحقائق المقدمة، ورغم جهود التضليل، وتضخيم المعلومات السمعية والمعارف بيئته فإنه، يتعذر علىنا اعتبارها تفسيرا كافيا لهذا البناء الشامخ من العلوم الواسعة المفضلة التي يقدمها لنا القرآن الكريم في جميع المجالات،الدىن التاريخ والأخلاق والقانون والكون...الخ.[5] هذا إنما يدل على أنه وحي من الله لنبيه صل الله علىه وسلم ويحق لنا أن نسأل هؤلاء المستشرقين الذين يشككون في مصدر القرآن ويرجعون أصوله إلى النصرانية واليهودية والبيئة العربية ما المانع، أن يكون القرآن وحيا أصيلاً مصدره

---

[1] د- غلاب ينظر على نظرات استشراقية في الإسلام دار القلم الكويت ص 41-42
[2] سورة يوسف الآية 1-2
[3] الاستشراق والصراع الفكري ص 91
[4] د- محمد عبد الله دراز مدخل إلى القرآن دار القلم الكويت 1974م هامش 1 ص134
[5] نفس المصدر ص 165

المنبع نفسه الذي اغترفت منه الديانات السماوية الصحيحة؟ وماهو المانع أن يكون الإسلام أخر حلقة ربطت السماء بالأرض ولماذا هذا التشكيك والحملة العدائية وهل هذا راجع إلى التعصب الأعمى لبعضهم أم هي حرب بعنوان الهوية أو الكراهية والتعالي لهذا الدين وهل مبدأ اتصال السماء بالأرض حكر على اليهودية والنصرانية، ولقد جاء القرآن بما هو أعلى وأوسع وأكمل، من كل المعلومات التي كانت لدى بحيرة الراهب ولدى كل النصارى واليهود في شتى بقاع العالم، وبل أكثر من ذلك جاء القرآن مصدقا لما نزل على موسي وعيسى وداود وسليمان وعلى جميع الأنبياء والرسل.

ضف إلى ذلك لو كان زعم المستشرقين صحيحا في مصدر القرآن، لكان كفار قريش سهلا عليهم محاربة محمد ودينه الجديد لأنهم،يدركوا مصدر محمد ص أنه استقى معلوماته من اليهود والنصارى، وقالوا: أن محمدا يأخذ القرآن من معلم وهو عبد رومي، فرد عليهم القرآن: { **ولقد نعلمُ أنهمْ يقولونَ إنمَا يُعَلمَهُ بَشَرٌ لسانُ الذي يلحدوُن إليه أعجميٌ وهذا لسانٌ عربيٌ مبينْ**}[1] وحتى الحقائق التي ذكرها القرآن،والمعلومات لم يكنْ الرسول صل الله عليه وسلم ولا قومه يعلمون عنها شيئاً ويشير القرآن إلى بعضها ذلك مثل قصة نوح عليه السلام مثلاً{**تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.**}[2] وهناك بعض الأخبار والحقائق في القرآن لم يكن يعرفها أهل الكتاب أنفسهم فنجد ذكر القرآن الكريم بعد قصة زكرياء وولادة، مريم عليها السلام وكفالته لها{ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم**} .

من أين أخذ محمد صل الله عليه وسلم ببساطة، إنه وحي من السماء ضف على ذلك أن مهد اليهودية والنصرانية والإسلام هو الشرق، فالشرق مهبط الأديان السماوية وعلى أرضه سار الرسل يحملون رسالة من الله، إلى الناس جميعاً والمقياس لهذه الأديان هو مقياس واحد وهذا المقياس لا يكون الذي يرده المستشرقون على علاقة التأثير والتأثر كما لو كان يدور حول مقياس، إنساني ولهذا يرفض وبكل قوة منهج المستشرقين في دراسة مصدر القرآن وبكل قوة لأنه غير مؤسس وعلمي ويصطبغ بمنهج اللاهوت الأوروبي[3]، لأنه منهج يقصر عن فهم طبيعة الأديان السماوية ويجعل خندقتها في صعيد واحد مع الاتجاهات، الفكرية الإنسانية.

حقيقة النص القرآني عند المستشرقين الفرنسيين: بعدما وقفنا على بعض مزاعم المستشرقين في تكذيب وتغليط في مصدر القرآن، نتحول إلى نقطة أخرى لعب عليها المستشرقين الفرنسيين، وتشير في اتجاه التشكيك نفسه، ولكنها هذه المرة تلعب على وثر مادي صحة النص القرآني وكأنهم يحاولون أن يهاجموا القرآن بالسلاح نفسه ونجد أن القرآن تحدث على أن الكتب السماوية السابقة أصابها التحريف والتبديل، على يد أتباعها، وقد تكلم المستشرقون الفرنسيون كثيرا في موضوعات القراءات بالأحرف السبعة غرضهم إظهار أن القراءة كانت حرة طليقة، الأمر الذي جعل النص القرآني غرض للتغير، ورأيهم أن التدوين تم في جو هذه الحرية ومن خلال تلك الحرية تم

[1] سورة النحل الآية 103
[2] سورة هود الآية 49
[3] الاستشراق والصراع الفكري ص94

تسجيل القراءات مختلفة وهذه القراءات التي ظهرت عن ذلك، لم تكن هي صورة التي ورد بها الوحي أساسا[1] ومن خلال هذا كله ظهر القول بحدوث تغيير في النص القرآني، وأشاع وروج بعض المستشرقين أمثال فانيان1931-1846م لفكرة القراءة بالمعنى مما يعطي دور للمزاعم السابقة سندا تعتمد عليه، فقد ظهرت هذه النظرية في زعمهم في العهد الأموي، وسادت الجو وتلقها الناس بالقبول،فلم يكن النص القرآني بحروفه بالنسبة لبعض المؤمنين هو المهم ولكن المهم هز روح النص ومن هذه النظرية، أصبح اختيار الوجه(الحرف) في القراءات التي تقوم على الترادف المحض أمراً لابأس به ولا يثير الاهتمام وهذا ما يجعل خضوع النص لهوى كل إنسان ولكن اختلاف القراءات أمر ثابت لا ننكره، ولكن الأمر الذي لا شك فيه أيضاً أن القرآن الكريم كان يترل وحياً باللفظ، والمعنى معاً، وهذا ما جعل الرسول صل الله عليه وسلم، حريصاً على تسجيل الوحي فور نزوله، والعناية به ويحفظ في سجلات التي سطر فيها.[2]

عكس ماقاله بلاشر من أن فكرة التدوين الوحي كانت بعد إقامة النبي صل الله عليه وسلم في المدينة، وأن التدوين كان جزئياً ونتجاَ عن جهود فردية ومثاراً للاختلاف[3]، فالحقيقة أن فكرة تدوين الوحي كانت قائمة منذ نزوله، وهذا ما تؤكده الروايات القائلة والصحيحةِ أنهٌ عندما جاءهٌ الوحي وتلاه على الحاضرين أملاه من فوره على كتبة الوحي، ليدونوهُ وقد بلغ عدد كتاب الوحي كما يروى من الثقات من العلماء تسعة وعشرونَ كاتبًا أشهرهم الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية وزبير بن العوام، وسعيد بن العاص وعمرو بن العاص وأبي بن كعب وزيد بن ثابت[4]، أما بالنسبة لمسألة الأوجه السبعة في القرآن فإن الأمر فيها متروكاً لأهواء الناس وكان الرسول ص أجاز أن يقرأ على حرفه، أي على طريقة في اللغة إلى أنْ انضبط الأمر في آخر العهدْ وتدربت الألسن. إذنْ همهم هو البحث دائما كما سبق أن أشرت عن الآراء المرجوحة والأسانيد الضعيفة ليبنوا عليها نظريات لا أساس لها من الصحة ويتصل التشكيك، في صحة القرآن، بأن لغة القرآن لا تتميزْ عن لغة الأدب الدنيوي بعصمة يقينية، ويعرضون هذه النظرية على اختلاف بعض الصحابة فابن مسعود مثلاً يرى أن سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن رغم أن هذه من أشهر المشهورات.[5] وهذه من الأكاذيب التي قيلَتْ عن ابن مسعود وهذا ما فنده فخر الدين الرازي:(نقل في بعض الكتب القديمة، أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين، من القرآن وهو أمر في غاية الخطورة لأنه إذا قلنا إن النقل المتواتر كان حاصلاً في عصر الصحابة، يكون ذلك من القرآن فإنكاره يوجب الكفر، وإن قلنا لم يكنْ حاصلاً في ذلك الزمان فيلزم أن القرآن ليس بمتواتر في الأصل.)[6]، إذن مزاعم المستشرقين عن القرآن ورواية ابن مسعود لايستحق الوقوف عنده أو الاهتمام به، على النحو الذي يسلكه المستشرقون، فلم يحدث في تاريخ المسلمين،أن كان لأمثال هذه الآراء الباطلة أي تأثير على الإطلاق في توجيه معتقداتهم و لم يحدثْنا التاريخ عن تسليم

---

[1] الاستشراق والصراع الحضاري ص95
[2] نفس المصدر ص 96
[3] بلاشر القرآن ص 28-29
[4] د- دراز مدخل إلى القرآن ص 34
[5] ينظر برتسل أوتو -Otto prêtez (مستشرق فرنسي مختص بالدراسات القرءانية) التيسر في القراءات السبع المجلد الثاني استانبول 1930 ص 82
[6] الاستشراق والصراع الحضاري ص 98

المسلمين برأي ابن مسعود كما زعم المستشرقون وعلىه، لا يترتب أدنى شك، في تميز لغة القرآن عن لغة الأدب الدنيوي المعهود.[1] فلغة القرآن لها خصوصية التفرد وقد عجزتْ فصاحة العرب وبلاغتهم وهم أهل ذلك عن مجاراة ومحاكاة لغة القرآن وبل أدهى من ذلك تحداهم الوحي أن يأتوا ولو بسورة من مثله، فلو كان القرآن خارج عن العادة لأتوا بمثله أوعرضوا من كلام فصاحتهم وبلغاتهم ما يعارضه، فلما لم يشتغلوا بذلك علم أنهم فطنوا لخروج ذلك عن أوزان كلامهم وأساليب نظمهم، وزالت أطماعهم عنه فجاءت آراء بلاشر وأتو، آراء مريضة عن القرآن يقولون: بأنه كتاب ذو ذوق رديء للغاية ولا جديد فيه إلا القليل، وفيه إطناب بالغ وممل إلى حد بعيد. ورد على هؤلاء نقول من أين لهم الأهلية لإصدار مثل هذا الحكم على القرآن؟؛ والعلم الذي يتحدث باسمه لا يمكن أن يعطي له مثل هذا الحق على الإطلاق، وهم غرباء عن لغة القرآن أن يتمكنوا الوصول إلى إدراك ما ينطوي علىه القرآن الكريم من إعجاز وفصاحة، وبلاغة أجبرت حتى المشركين الأعداء والخصوم من غير العرب الاعتراف ببلاغته وفصاحته، التي فاقت كل توقع، والحق ما شهد به الأعداء فهذا الوليد ابن المغيرة أفصح العرب وأبلغهم قال عن القرآن:(والله إن له لحلاوة، وإن علىه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وأسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى وإنه ليحطمْ ما تحته) فشتان بين موقف المغيرة العربي العارف بخبايا اللغة والفصاحة والبيان وسحر الكلام وبين بعض المستشرقين الحاقدين الذين هم باعدين عن أسرار اللغة والبلاغة فالمغيرة قال مقولته عن تذوق سليم لبلاغة القرآن، أم الفريق الآخر أنف لهم هذا التذوق السليم وهم مهما كانت براعتهم في العربية، غرباء عن هذه اللغة وأجنبيون عن روحها وأن برع في معرفة ألفاظها؟

خطر القرآن على المستشرقين: القرآن الكريم كتاب مقلق للفرنسيين خاصة لأنهم ذو نزعة استعمارية وللغربيين عامة لأنه الحصن الحصين للأمة، ومحير لهم ومبلبل ومشتت أفكارهم، وحده حاربهم وقاوم أفكارهم وبفضله وقف العرب والحضارة الإسلامية، سداً منيعاً ضد أفكار المستشرقين يقول الله تعالى إلى نبيه صل الله علىه وسلم (جاهدهم به جهاداً كبيرا)[2] وخير دليل على ذلك الجزائر في عهد الاستعمار بفضل القرآن ورجالاته قاوم هذا الأخير المشروع الاستشراقي والتغريبي للهوية العربية الإسلامية والعربية في الجزائر، يقول ماسنيون وبلاشير(قلما وجدنا بين الكتب الدىنية الشرقية كتاباً، بلبل بقراءته أدبنا الفكري أكثر، مما فعله القرآن)). والأمر ليس كما دعى وبلاشير وغريمه ما سنيون، عندما ربط خطر القرآن مجرد حيرة قلق وبلبلة فكرية، وإنما المرء أبعد من ذلك إنه الشعور بخطورة القرآن على الحضارة المادية الغربية، فقد عمل بعض المستشرقين وخاصة الفرنسيون، بالكشف عن أخطار القرآن الذين أخضعوا بحوثهم العلمية للأهواء الشخصية والأهداف السياسية الامبريالية والدىنية، فأعماهم عن الحقيقة العلمية وعندما تدرس هذه الفئة القرآن وتقف عند مبادئه الأساسية وتظهر مزاياه الفريدة وما فيه من فضل وفضائل ومكارم الأخلاق وجمع بين التشريع الدىني و الدنيوي والاقتصادي بأصح العبارة مشروع كامل للحياة السعيدة، وعندما يتبنون ذلك كله يحاولون، طمس هذه الحقائق وإبعاد المسلمين عنها ويسارعون إلى أولى، الأمر في بلادهم من

[1] نفس المصدر ص 99
[2] سورة الفرقان الآية رقم 52

المستعمرين القدامى والجدد ويوحون لهم بأن هذا القرآن كتاب خطير[1]، وهذا ما جعل يتقوا السموم والخرافات في تفسيرهم الكاذب، لأنهم يعملون على أن المسلمين إذا ما عرفوا كتابهم حق المعرفة وبأنه مشروع حضاري وترقوي، فلنْ تقوم للاستعمار قائمة القديم والجديد التنفيذ الخطط والمخططات[2]، وهنا نعرف سبب هلع الغرب فإنهم عرفوا أن القرآن كان وراء حضارة إسلامية ملأت الدنيا علماً وعزةُ وعدلاً و لم يبق للظلم والاحتلال، باقية وهؤلاء الغربيون استعملوا الاستشراق من أجل تأكيد مقولة مفكريهم الغاية تبرر الوسيلة، وغايتهم كسب المال ونظرة التعالي أنا خير منه قالها إبليس إلى جانب التحكم في الاقتصاد والسياسة، وسخروا في ذلك الإعلام والمال والعلوم والفنون من أجل النيل من أصل أصيل وهو القرآن الكريم ومنه الحضارة الإسلامية. وكل خطوة وخطة إلا ونجد فيها دور للاستشراق، وتنطلق الدعوة من جانب بعض المستشرقين إلى إصلاح الإسلام فالإسلام في زعمهم دين جامد ولا يصلحْ مع مرور الزمن و لم يعدْ يساير روح العصر، ودعوة إلى إتباع سبيل الغرب، ويقول أحد المستشرقين الفرنسيين:((على الإسلام إما أن يعتمد تغيراً جذرياً فيه أو أن يتخلى عن مسايرة الحياة.))[3] ويقول أحد رجال العسكر الذي كان ذو فكر استشراقي لرئيس حكومته بتاريخ 9 يناير كانون الثاني 1938م: إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية، هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على فرنسا أن تحذره وتحاربه، وليس فرنسا وحدها بل أوروبا أيضاً، ولفرحتنا قد ذهبت الخلافة وأتمنى أن تكون إلى غير رجعه. ويقصد خلافة الحضارة الإسلامية، هنا إذ يكمل القول أن سياستنا، الموالية للعرب في الحرب العظمى، الأولى لم تكنْ مجرد لمتطلبات تكتيكية ضد القوات التركية بل كانت مخططه أيضاً لفصل السيطرة على المدينتين المقدستين مكة والمدينة، عن الخلافة العثمانية [4].

موقف الاستشراق الفرنسي من السنة النبوية: لقد عمل المستشرقون بكل الوسائل من أجل ضرب الإسلام في جوهره، وجعل المسلمين بيتهم أهون البيوت حتى تُنْتَزَع منهم سر قوتهم وتمكينهم حاولوا ضرب كل مقوم وأصل الحضارة الإسلامية، و لم يكن في صنوة وبدعة عن أعداء الإسلام في أيام الرسول صل الله عليه وسلم حيث قالوا: ساحر ومجنون وكذاب أشر وغيره من الصفات والألقاب، لأنهم يعلمون أن ضرب السنة هو ضرب للقرآن على اعتبار أنها ترجمان للقرآن وشرح له وتبيان له والسنة النبوية هي الأصل الثاني في الحضارة الإسلامية التي ملأت الدنيا عدلا ورحمةً واستقرار وسلم وأمان. وهي عند عامة المسلمين بينت أحكام القرآن **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }**.[5] وتبليغ كان مصحوبا بالتبيين، إذن كانت مرتبطة بالقرآن لذلك اهتم المسلمون بها اهتماماً عظيماً بالنسبة وبوصفها الأصل الثاني في حضارة الإسلامية، وإذا ما عدنا على جناح طائر إلى الوراء بل على جناح السرعة لنقف مع لحظة

---

[1] الكريم ص 41 الاستشراق والصراع الحضاري ص 101 وينظر إلى وبلاشير القرآن

[2] د محمد غلاب نظرات استشراقية في الإسلام دار القلم الكويت ص 32-33

[3] جربير البابا سلفستر الثاني وهو البابا رقم 146 خلف أول ألماني وهو الوحيد الذي تعلم العربية وأتقن العلوم عند العرب وعلى أيدى العرب في إسبانيا قال هذا في خطابه عندما تم ترسميه في كنيسة روما الكاثوليكية في 2 أفريل 999

[4] الوثيقة محفوظة بالمركز العام للوثائق بلندن تحت رقم 371- 5595عن جريدة المغربية بتاريخ 07-04-1980 ونقلا عن درع الوطن العسكرية لدولة الإمارات

[5] سورة المائدة الآية رقم 67

من تاريخ لما بعث الرسول صل الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن الأرض السعيدة سأله كيف تقضي بين الناس إذا عرض لك قضاء؟ قال أقضي بكتاب الله، قال فإن لم تجدْ؟ قال: بسنة رسوله ، قال إن لم تجدْ؟ قال أجتهد رأي[1] وعملا المستشرقون إلى جانب محاولاتهم الفاشلة في التشكيك، في القرآن الكريم، من جوانب مختلفة ولن تنجح محاولاتهم لأن الذي أنزل الذكر الحكيم تكفلَ بحفظه إلى جانب تمسك المسلمين بالقرآن انصرفوا إلى الطعن في السنة النبوية، على اعتبارها الأصل الثاني في قيام حضارة ملأت الدنيا عدلاً وعلماً، وهذه المحاولات لم تكن إلا كما صورها الشاعر:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها ******** فلمْ يضرها وآو هي قرنة الوعل.[2]**

وأول مستشرق أراد ضرب السنة هو المستشرق الفرنسي وليم مرسيه- 1956-1874م في كتابه

الإسلام والحياة المدنية إلى جانب اهتمامه خصوصا باللغة البربرية، واللهجة العربية المغربية عين مديراً ناظراً في عام 1898م لمدرسة بتلمسان فساعده هذا المنصب بالاتصال بالمعلمين العرب[3] وموقفه هذا يتقاطع مع المستشرق اليهودي جولد تسهر يقولون في دائرة المعارف الإسلامية، وهي مؤسسة من إنشاء الاستشراق:((إن العلم مدين ديناً كبيراً، لما كتبه كل من جولد هيسر و مرسيه وليم في ما يخص موضوع الحديث وقد كان تأثير، على مسار الدراسات إلى جانب جولد هيسر على مسار الدراسات الإسلامية الاستشراقية أعظم مما كان لأي من معاصريه من المستشرقين، فقد حدد تحديداً حاسماً اتجاه وتطور البحث في هذه الدراسات[4])). ونجد بعض المستشرقين الفرنسيين وعلى رأسهم- مرسيه- وبلا شارل – وجو تسه ليون- مارتز فرتس – ومارسل – ولويس ما سنيون Jean Marle- Masse Henri- Luis Massinoin-Fritz Merz-أنهم كانوا عارفين بعلم الحديث النبوي وتناولوا في الدراسات المحمدية موضوع تطور الحديث تناولاً عميقاً ودرسوا التطور الداخلي والخارجي للحديث، من كل النواحي وتوصلوا إلى الشك في الحديث وقالوا بأن الحديث لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام، في عهده الأول وإنما هو أثر من أثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في مراحل الناضجة لتطور الإسلامي.

وكان في رأيهم الحديث مترجم لروح العصر وكيف عملت الأجيال المختلفة والأحزاب والاتجاهات في الإسلام تبحث لنفسها من خلال ذلك عن إثبات لشرعيتها بالاستناد إلى مؤسس الإسلام، وكذبت على لسانه الأقوال التي تعبر عن شعاراتها.[5] وهكذا تم إيجاد كم هائل من الأحاديث وخاصة في العصر الأموي وكان راجعا لسبب سياسي وطائفي وهذا ما جعل بعض الأحاديث تنسب إلى الرسول صل الله عليه وسلم، ولكن هذه حجتهم واهية لأن دكتور مصطفي السباعي رد عليهم بالحجة والبيان[6] يرى السباعي: أن علماء الحديث اهتموا بعلم التجريح في علم الحديث من أجل الوقوف وتطهير السنة من الحديث، الموضوع والكاذب.

---

[1] ينظر أبي عمرو يوسف بن عبد البر جامع بيان العلم وفضله الجزء 2 المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة 1386ه ص 69
[2] ينظر الاستشراق والصراع الحضاري ص107
[3] لمعرفة أكثر ترجمة هذا المستشرق عد إلى كتاب لبدوي عبد الرحمان موسوعة المستشرقين ص 547
[4] الاستشراق والصراع الحضاري ص 107
[5] الاستشراق والصراع الحضاري ص 108
[6] راجع د/ مصطفي السباعي السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي بيروت ص 190-191-سنة 1978

تطور الموقف الاستشراقي من السنة: كان من الطبيعي أن يسعى الغرب في مهاجمة السنة وتشكيك في أمرها ومصدرها والطعن في قداستها حتى أصبح من اللازم لدى الاستشراق والمستعمرين محاربة سنة الرسول صل الله علىه وسلم، لأن بمجرد إبعاد المسلمين عنها ضرب في الصميم القرآن الكريم ويصبح تمكن منه أمراً ميسوراً.

وعمل الاستعمار والذي تعرف حق المعرفة، أن الاستشراق الفرنسي هو الأساس يعتمد على الجانب الاستعماري وعمل من جهته، على إيجاد طبقة أنكرت جزءاً من السنة النبوية مبتدئة بإنكار أحاديث الجهاد ثم انتهت بإنكار السنة بكاملها[1]، مما جعل فرنسا تجهز، جحافل المستشرقين ويسرت لهم الإمكانيات المادية وسبل البحث، وأقام حولهم هالة من القداسة فأصبحوا رواد الغزو، على السنة النبوية، ولم تكتف بذلك بل جيشتْ حتى بعض المتنورين المنهزمين عملوا في داخل وطلائع المستشرقين يعملون مع هذه الفئة المفتنة بالغرب ووجدوا الرعاية والدعاية، وسبل النشر بما يكفل له النمو والازدهار في ربوع العالم.

وبعض المستشرقين الفرنسيين استلهموا أفكارهم عن السنة من خلال نظريات شاخت وكذلك روبسون وفيزجرالد، وكز لوسن يقول المستشرقون: أن النبي أصبح بالمدينة نبياً مشرعاً ولو أن سلطته لم تكن تشريعية فقد كانت للمؤمنين من الوجهة الدىنية و للمنافقين من الوجهة السياسية، وأنكروا النمو الطبيعي للفقه الإسلامي وأخرجوا الفقه عن دائرة الدىن في القرن الأول وأنكروا السنة النبوية نهائياً.[2] ويؤكدون على موقفهم العدائي للسنة، من خلال المعارضة الشديدة ضد الأحاديث النبوية من قبل المدارس الفقهية القديمة وضربوا أمثلة من المدرسة المدينة والعراقية، والسورية ويخبروننا أن كافة المدارس الفقهية فضلاً عن أهل الكلام قاومت بشدة السنة النبوية، كعنصر جديد في مجال فقههم، ويذكروا أن أحد مظاهر مقاومة السنة النبوية، عند مدارس الفقهية القديمة هو الاعتماد على الآثار لا على الأحاديث النبوية ويدللون على ذلك، مثلاً كتاب الإمام مالك الموطأ سنة 179ه يساوي تقريباً في الكلمة أثار الصحابة والتابعين.

إلى جانب بعض الفرق التي أخذت عل حسب رأيهم موقف من السنة النبوية، مثل المعتزلة وركزوا و خاصة، على المتطرفين منهم ويقولون، أن الخياط المعتزلي في كتابه الذي آلفه قبل 300ه الانتصار وهم لم يعاصروا المعتزلة بل أخذوا الموقف العدائي، من كتاب ابن قتيبة وهو خصم للمعتزلة المتوفى 276ه[3] وهناك من راح يطعن في شخص الرسول بأنه مصاب بمرض نفسي وجنون العظمة، وهذا المرض النفسي جعله يتصل بالعالم الآخر ويوحي له زخرف القول وهذه الظاهرة كانت موجودة عند الجاهليين وخاصة في قضية وادي عبقر وقضية الجن والشعراء وأنه كما اتهم يعاني من مرض انفصام الشخصية وحب الزعامة والقيادة وراح يدرس كتب الأقدمين ويأخذ منها الحكم والأمثال وخاصة من ألواح موسى التي وجدت عند بعض اليهود وخاصة بجيرة الراهب الذي كانت تجمعه معه عدة لقاءات كما يزعموا، وكانت عند هذا الأخير بعض النسخ من كتب الدىانات السابقة، وخاصة المسيحية ويؤكد فرويد في كتابه موسى والتوحيد أن محمد صل الله علىه وسلم أن محمد ماهو إلى مقلد، لأنه درس عن موسى، وأخذ عنه

---

[1] ينظر منهاج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الجزء الأول ص 65
[2] نفس المصدر ص 79
[3] نفس المصدر ص88

جل أفكاره وتعاليمه، إذن هو يرى أن الدين الإسلامي ماهو إلى امتداد طبيعي لدين اليهودي وحرف من بعض الأتباع الذين يكرون السامية،وعلى اعتبار أن موسى كان قبل النبي صل الله عليه وسلم والرسول ص كان متأثراً بالنبي موسى وهذه الأفكار روج لها المستشرقون المتأثرون بالمنهج النفسي[1]، وفي الختام هذا كله نقول: أن السنة النبوية لو كانت كما زعم هؤلاء المتعصبين لا أفلت نجوميتها وصارت للنسيان ولكنها مازالت عند جل المسلمين، ثاني مصدر يأخذ منها التعاليم وأن محمد أنه كان مولعا بالنبي موسى فلماذا دين موسى لم يبق له أثر الدين محمد باقي، لحد الآن وأن نضوج الحديث كان في حياته صل الله عليه وسلم أما بعد وفاته حديث لا أساس له، لأن النضوج تم بالفعل قبل وفاته ص وأما الحديث عن الانعكاسات للتطورات التي شهدها المجتمع الإسلامي، يكذبه الحديث الشريف. ((تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي)) [2]

الأدب العربي في ضوء الاستشراق الفرنسي:

أولاً عندما نقول: الأدب والحضارة فقد عطفنا الحضارة على الأدب بالواو والتي هي من حروف الجر الأصلية، وتفيد معنى القسم وكذلك العطف واشتراك المتعاطفين في الحكم، وكأن الأدب والحضارة شيء واحد فلا نتصور الأدب بدون حضارة وحضارة بدون أدب هما متلازمان، الأدب هو موجود مع الحضارة وهو يصنع الحضارة والآخرى ترتكز عليه بل تقاس بمدى تطور الأدب، ولذلك قبل تطرق إلى الأدب والاستشراق لابأس أن نعرف ما الأدب؟:

الأدب لغة من أدُب أيْ دعا قوماً إلى مأدبة، ووليمة قال طرفه:

نحن في المشاة ندعو الجفلى*** ولا ترى الأدب فينا ينتقر[3]**

أما إذا أردنا نتحدث عن وظيفة الأدب من حيث دوره في المجتمع، فإن الأدب صورة ذلك المجتمع كما أنه يعبر عن الوجه الحقيقي لأفراده وحضارته وانتمائه، فإذا استقام الأدب(شعراً ونثراً)؛ استقام المجتمع وقويت حضارته، وعلا شأن أفراده، وتطورت اهتماماته وعلت معاليه، ولذلك إذا أراد الخصوم ((المستشرقون أو الغرب أو الأعداء)) أن ينالوا من مجتمع ما، أفسدوا أدبه وإبداعه، فأصبح سمج المزاج، فاسد الطبع، والعكس صحيح أيضا، فإذا صلح الأدب واستقام الأدب والأديب، تطور المجتمع، لأن الأدب يدعو إلى القيم الحضارية، الراقية التي بها يعلو شأوه ويرقى شأنه.

وخير دليل على ذلك أدب صدر الإسلام كيف ساهم في نشر الرسالة المحمدية والقيم الهادفة (حسان، وكعب ابن مالك، ابن رواحه، على ابن أبي طالب...)؛ وفي العصر الأموي كذلك (عبد الحميد الكاتب). ثم العصر العباسي كيف ساهم الأدباء والنقاد والمفكرون في بناء المجتمع، ودفع عجلة الحضارة إلى الأمام (الأصمعي والجاحظ، ابن المعتز، ابن وهب...)؛ أضف إلى أن معظم العلماء والمفسرين كانوا أدباء ومفكرين. فليست ثمة حضارة بدون أدآب

---

[1] ينظر فرويد موسى والتوحيد لدار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان الطبعة الرابعة 1973م ص 148 ترجمة جورج طرابيشي

[2] ينظر الاستشراق والصراع الحضاري ص 112

[3] ديوان طرفه بن العبد ص 125

أو علوم أو فنون تحقق الخير، والحق والحرية والعدل والقيم الرفيعة، لأبنائها، فلابد من ركيزتين لقيام الحضارة، الركيزة المادية المالية والركيزة المعنوية الأدبية، ومن هنا فالأدب يترع نوازع البشر والأنانية والصراع من النفوس ويعمل على، جلائها ونقائها، فتصبح تلك النفوس مهيأة لبناء حضارة راقية.

وفي العصر الحديث لا ننسى محمد إقبال في روائعه، والبدوي ومصطفى صادق الرافعي، ونجيب الكيلاني، والعقاد وطه حسين إلى جانب الشعراء القامات في القول المنظوم، أخيراً فإن للأدب وظيفة نفسية تحل مشاكل الفرد ووظيفة اجتماعية وسياسية ووظيفة منهجية وتربوية أخلاقية تساهم في الانضباط الخلقي[1]

دور فرنسا في الصدام الحضاري والاتصال بين الحضارتين: العلاقة بين الثقافة بين شاطئ البحر الأبيض المتوسط، هي علاقة موغلة في القدم وشديدة التشابك والتعقيد، وإذا لا حظنا العلاقات الثقافية حول البحر الأبيض المتوسطي، تحتوي الشاطئين على طول امتدادات كل منهما، إلا عن ارتكاز هذه الجهة أو تلك تتباين من عصر إلى عصر ونجد أن العصور القديمة، عرفت هذا التبادل بين أثينا وروما، أو بين الإغريق والرومان في كسب موقع ذو أهمية أولى بالنسبة للشرق[2] إلى أن برزت في العصور الوسطى، والحديث نمو وظهور دور فرنسا الاستشراقية على اعتبارها لعبتْ دورا مهما في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب إلى جانب دورها في العلاقات أخرى وبقيت فرنسا نقطة ومحور هذه العلاقات منذ أن فطنت على صوت زحف الشرق العربي على أوربا الذي اجتاح شبه الجزيرة الأندلس ثم اجتاح عبر جبال البيرية إلى بلاد الغال (فرنسا) وكان أول احتكاك فرنسي بجيش موسي بن نصير الذي كان يقوده، جيشه عبد الرحمن الغافقي في موقعة بلاط الشهداء سنة 732م ومن جانب فرنسا القائد شارل مارتل[3] وتوقفت بعدها موجة الزحف وراحت في انكماش التدريجي الذي استمر نحو ثمانية قرون غادر الغرب أوروبا سنة 1492م بسقوط أخر معاقلهم في الأندلس والنتائج الثقافية لهذا الصدام لم تتأخر كثيرا، بل إن نشأة ما عرف بالأدب الفرنسي، ربما كانت بؤرة هذا الصدام ذاته، بعد خمسين عاماً على موقعة بلاط الشهداء حديث موقعة رونسيفو سنة 778م بين المسلمين والفرنسيين الذين أبيدت، موخرة جيوشهم التي كان يقودها رولاند ابن أخ الإمبراطور شارلمان وأصبح رولاند بطلا لملحمة شعرية كتبت بلهجة النورماندية، وأصبحت النواة لاستقلال الأدب الفرنسي عن اللاتينية وكان موضوع الملحمة بين بطل المسيحي مع الأعداء المسلمين[4]، وخلال فترات الصراع كان المثال الشرقي العربي يتمفصل داخل فرنسا ذاتها من خلال الفتوحات الجزئية، التي استمرت حتى بعد موقعة، بلاط الشهداء بواتيية يقول جوستاف لوبون المؤرخ والمستشرق الفرنسي عن هذه الفترة أن العرب أخذوا يستردون مراكزهم، السابقة وقد أقاموا مقاطعة، الأرال وفتحوا مقاطعة سان تروبير في سنة 889م ويروى بعض المؤرخين على أنهم استولوا حتى مدينة ميس.[5]

---

[1] ينظر إلى وحي القلم مصطفى صادق الرافعي جزء دور الأدب و عماد الدين الخليل وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي

[2] ينظر احمد درويش الاستشراق الفرنسي والأدب العربي ذار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة سنة 2004م ص 18-19

[3] نفس المصدر ص 19

[4] ينظر تر-للملحمة ودراسة حولها د/ درويش – نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي دار غريب القاهرة الطبعة الرابعة 2001م ص 21

[5] لوبون حضارة العرب ص 316

وهذا الاقتراب بين الجانب الشرقي العربي ومنطقة بلاد الغال فرنسا جعل سكان هذه البلاد التي وطنتها أرجل العرب يعجبون بالنموذج الحضاري العربي وراحوا يفضلونه على نموذج الفرنجة والذي ينتمي إليهم شارل مارتل.

وسكان، بلاد الغال نظروا إلى الفرنجة على أنهم قوم غير متحضرين، لأن شارل مارتن أخذ، ممتلكات الكنائس والأديرة أما العرب لم استولوا على هذه الأرض تركوها لهم وتتحدث مصادر المسيحية عن تسامح الوالي العربي عقبة بن الحجاج، احترامه لرجال الدين المسيحي والكنائس[1] وهذا الإعجاب بالنموذج العربي والإحساس بقيمته هو الذي دفع الفرنسيين في فترة ما بعد المواجهات إلى البحث عن المنجزات الحضارية العربية، والعكوف عليها والاستفادة منها[2]، وعند سقوط طليلطة سنة 1085م في يد الملك الإسباني الفونس السادس، سارع العلماء الأسبان والفرنسيون وعلى رأسهم ريمون وهو فرنسي إلى الاهتمام وتحقيق كنوز المخطوطات العربية في المدينة المستسلمة، وهذه الكنوز المخطوطات حول طليلطة إلى كعبة للدارسين من أرجاء أوروبا وخاصة فرنسا[3]، وشجع ريمون فكرة الترجمة من العربية ووضع جيش من المترجمين وترجموا مؤلفات ابن سينا والكندي والفارابي وابن رشد، واستمر سعي الفرنسيين نحو المخطوطات العربية وبحثهم عنها وزادتهم الحروب الصليبية منفذا جديداً نحو معقل هذه المخطوطات في الشرق وصارت بعض غاراتهم عف بجلب المخطوطات وأمهات الكتب العلمية والأدبية، وقسموا المترجمين على فرق كل فرقة تهتم، بجانب من الجوانب المعرفة والعلوم، ويظهر هذا ما ذا استفادت العقلية الأوروبية في فترة تكوينها بالتقدم العربي في مجالات المعرفة والعلم واستمرت حركة، البحث عن المخطوطات العربية وتصنيفها في فرنسا في القرون المتتالية.

ولقد كلف الوزير، كولبير بعض المعتمدين في الشرق بالبحث، عن المخطوطات العربية لتزويد مكتبة لويس الرابع عشر فجلبت عدة مخطوطات من عاصمة العثمانيين اسطنبول، وبعض المدن العربية، كما حدث في البعثة التي أرسلها كولبير إلى الشرق العربي وعادت بكثر من المخطوطات وثروة هامة منها، سنتي 1671م-1675م.[4] وتوالت البعثات خلال القرن الثامن عشر، ومنها بعثة بتي ذي لا كروا وبعثة بول لوقا وبعثة أنطوان جالون، والتي عثرت عن مخطوطات مهمة منها ألف ليلة وليلة التي ترجمت إلى الفرنسية، من قسيس حلبي على الفرنسية في مطلع القرن الثامن عشر فأحدثت ثأتيراً هائلاً في الذوق الأدبي الفرنسي، وانتقلت إلى بقية الآداب الأوربية.[5] وقد واكبت مرحلة الجمع والتصنيف والحفظ، دراسات المستشرقين الفرنسيين عن علوم المخطوطات العربية ومن أشهرها كتاب وبلاشير وسوفاجية قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها[6]، إن هذه الأعداد والكم الهائل من المخطوطات والأنواع الحضارية العربية التي اكتشفتها، فرنسا حوالي ألف عام استدعى وجود حولها جمهرة من الدارسين المهتمين باللغة العربية وآدابها ومنه ظهرت ظاهرة المستشرقين والمستعمرين، وأمدَ هذا الاستعداد العلمي والبحث المكثف على امتداد

---

[1] علي حسن الخربوطلي العرب في أوربا دار غريب القاهرة ص 30
[2] احمد درويش الاستشراق الفرنسي والأدب العربي ص 21
[3] نفس المصدر ص 21
[4] زو تبريج مقدمة فهرس المخطوطات العربية من مكتبة الوطنية في باريس نقلاً عن محمود المقداد تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ص 58
[5] أحمد درويش نظرية الأدب المقارن مبحث ألف ليلة وليلة ومنه الاستشراق الفرنسي والأدب العربي ص 23
[6] ترجمة- محمود مقداد دار الفكر المعاصر بيروت سنة 1988م ص 22

هذه القرون جملة من الدراسات القيمة حول الشرق وتراته وخاصة العربي ألفها المستشرقون بالفرنسية ولغات أخرى، واصطبغ جانب منها بسوء النية، وملاحظ أن الإسهام الفرنسي، كان كثير ومتنوع، وحتى نجد فيه المجهود الجمعي وأحيانا المجهود الفردي، ومن خلال الجهد الجماعي ظهر ما يسمى ظاهرة الموسوعات، العامة ودوائر المعارف الإسلامية.[1] وأهم هذا العمل ظهر في القرن السابع عشر 17 تحت اسم المكتبة الشرقية La Biblio tique- oriental وهو عمل موسوعي ومؤسس هذا العمل هو أير بلو أثم ذلك من بعده تلميذه أنطوان جالون مترجم ألف ليلة وليلة إلى جانب عدة موسوعات ظهرت، في العالم العربي كانت تحت إشراف فرنسيين أمثال باسيه إلى جانب دائرة المعارف الإسلامية وكان يمثل مصر المؤتمر أمير الشعراء أحمد شوقي سنة1894م.

أما الجهود الفردية للاستشراق الفرنسي في خدمة الثقافة المشرقية فهي كثيرة ومتنوعة، وقد ترجم جانب منها إلى العربية، فهناك عدة دراسات منها دراسة (سيدبو) عن خلاصة التاريخ العرب ودراسة لوبون عن حضارة العرب، ودراسة جاستون فيت كتب عن مصر العربية من الفتح العربي إلى العثماني، وهناك عدة دراسات آلام الحجاج لما سنيون وهنري لواست عن ابن تيمية، وهناك عدة دراسات فردية أخرى، إلى جانب أعلام الأدب العربي الذين اهتموا، بهم بدراسات واسعة وعميقة بدءا من تحقيق دواوين الشعر الجاهلي مثل دراسة وبلاشير للمتنبي وشارل بيلالا للجاحظ وهنري بيريس للشعر الأندلسي وجان فاديه لقضية الغزل في الشعر العربي ومارك بريجيه لأبي حيان التوحيدي، والقائمة طويلة من الدراسات الكمية الهائلة، في الحقيقة أثرت المكتبة الإبداعية، إذن السؤال الذي يبقي مطروحا هل هذه الدراسات بريئة أم هي مجرد بحث علمي في التراث الإنساني، أم هي نتاج ألوان العلاقة بين المشرق والغرب العلاقة التي سادتها القلاقل والحروب الصليبية والعداء العقائدي والصراع الهوية بين حضارتين.

الاستشراق الفرنسي وسياسة التعريب الأدب العربي: كانت هذه سياسة، التعريب ترتكز على عدة أهداف وسبق وأن ذكرنا أهداف الاستشراق ولابأس نذكر نقاط التي ارتكزت علىها سياسة التعريب.

أولا: حاولت فرنسا ومن روائها الاستشراق أن تستغل قانون المعرفة والقوة لصالحها فراحت، تطلق بين الفترة والأخرى، ما يسمى شرعة الاستشراق التي تعمل على رسم الخطوط التي ينبغي أن تعملْ في حدودها دراسات المستشرقين وحدث هذا في كل من فرنسا وبريطانيا، عندما وضع تقرير سكار بورد سنة 1948م.[2]

يوضح الجامعات مجالات العمل المرغوب فيها بالنسبة للدراسات الشرقية على جانب تقرير، الثاني الصادر من اللجنة هاتير، وكان من بين توصياته السعي إلى تحقيق توازن أفضل بين الدراسات اللغوية وغير اللغوية والدراسات الكلاسيكية والحديثة، والنقطة الآخرى هي النقطة الدينية: فهو صراع بين الإسلام والمسيحية، وصراع الذات مع الآخر ألقى بظلاله على سياسة التعريب الاستشراقية أن مجرد اختزال الشرق أو الغرب في التصور الديني هي في ذاتها انتهاك أنها كلمات أثقل من أن تكون مبتدأ يعبر عنه خبر وإذا كانت جملة العرب كسالى دينهم وآدابهم، امتداد للآخر القديم هي جملة عنصرية وقاموا بدراستهم من أجل الدفاع عن المسيحية، وفهم ما يدور في المجتمع العربي، لأن

[1] الاستشراق الفرنسي والأدب العربي ص 25
[2] الاستشراق الفرنسي والأدب العربي ص 36

الآداب هي الصورة الحقيقية، عن ذلك المجتمع أعطيني أدب راقي بشعره وفنه المسرحي ونثره وروايته أقول لك كم يساوي ذلك المجتمع، إذن فهم الإنتاج الفكري والأدبي هو بضرورة فهم المجتمع ومعرفة نقاط قوته وضعفه ثم تحكم فيه. ونقطة الآخرى وهي حب التطلع والمعرفة والفضول وجه نظرة الغرب إلى الأدب العربي، لأن بالأدب نفهم سلوك المجتمع.

والعلاقة بين المعرفة والمجتمع نقصد بها هنا رجال الاستشراق والاستعمار إلى جانب حب التعالي أنا خير منه تكريس لقول إبليس وإقصاء الآخر، لأن الغرب بواسطة الاستشراق راح يغزو كل شيء، لأنه عندما تقول للإنسان: أنني أعرف حقيقتك، فليس معنى هذا أنك، تتحدث فقط عن طبيعة المعرفة، ولكنك تتكلم عن علاقة تقول إنني، مسيطر علىك وأحسن شيء لمعرفة الآخر هو قيام بالتعريب، لأن فعل فَهَمَ يقصد به فَسَرَ سواء تم بصورة سلبية أو إيجابية سواء بالإستعاب والتمثيل، لأن المعرفة تساعدك على المناورة وهذا ما فهمه الغرب بواسطة الاستشراق، عندما أراد أن يكنْ هو السيد في المجالات كلها، لأن ببساطة المعرفة تعني أنك السيد، وهذا ما جعل العلاقة بين المعرفة والقوة يكون بينهم فهم دقيق وهو ما جعل نزعة معرفة الغرب للشرق من أجل بسط النفوذ والتحكم في كل شاردة وواردة، ولهذا حاولت كل من الاتجاه السياسي والدىني والاستعماري أن يستغلوا الأدب العربي.

لاشيء سوى تحطيم الشرق الهوية والشرق الحضارة خاصة الحضارة الإسلامية[1] وكل تلك الرؤية أوجدتها الرؤية دينية من خلال، رؤية إلى الآخر من خلال نظرة دنيوية، وأمية {**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ**}[2] على اعتباره قاصرا عقلياً وفكرياً وباختصار امتداد تعريب التراث الأدبي، والفكري والعلمي من طرف الغرب وفرنسا بتحديد، ليس نتوءاً زائداً أو نزعة مؤقتة، أو تغيراً عن متغيرات فكرية أو اقتصادية أو شيئا يمكن، إيقافه هناك أو تجاهله هنا، وإنما يرجع إلى الحقد الدفين الحاصل من أمة، تنظر أنه لا يوجد الآخر وتحب ذاتها حب نرجسي، بل يغذيه صراع الخير والشر[3] صراع منذ أن خلق آدم علىه سلام وقذف به إلى الأرض كان هذا الصراع قائما منذ الأزل، ويبقى إلى حد قيام الساعة.

رؤيا عامة وشاملة للأدب العربي: هذا القول مأخوذ من كوليج فرنسا، للمشرق أندريه ميكيل Miquel-MA ndre إذا ما وقفنا عند المشكلات الأربعَ التي يطرحها الأدب العربي، ونقصد بها عمل الكتابة والأدوار المتعلقة بالشعر والنثر، والعلائق التي تحصل بين اللغة والأدب والمجتمع، ودور اللغة ومكانتها من خلال الجماعة والأمة، والأمة إلى العنصر العالمي الثقافي وهذا يجعلنا نسلم أن المشكلات الأربع الكبرى، أن تنظر (إلى اللغة و الأدب). ليس نظرة مجردة بل تكونَ التاريخ وحده، والسياق التاريخي يحيلونا، إلى أن القرآن لم يخلق لا اللغة ولا الأدب[4] ومع ذلك فإنه من خلال الانفجار الهائل والصدى المدوي له فقد جدد وبني، ونشر هذه اللغة وأدخلها، إلى لغة عالمية، ومجد

[1] ينظر درويش الفصل الأول مجال الاستشراق التعرف على الشرق الترجمة العربية ص 63-64
[2] سورة الجعة الآية رقم 2
[3] ينظر د- إيليا الحاوي اسخيلوس والتراجيديا الإغريق دار الكتاب اللبناني بيروت 1980 ص 97
[4] الاستشراق الفرنسي والأدب العربي ص 56

أدبها وخلق بالمعني الكامل للكلمة هذه المرة حضارة، وجعل بلاد العرب رغم أنها كانت هامشية إلى منطقة ذات قيمة تاريخية ورمز للمسلمين والعرب وكذلك الأمر بالنسبة للغة وارتقاء اللهجات، المتنوعة.

منعرج الفاصل في الأدب العربي مشروع جديد للعصور الأدبية: (رجيس بلاشر)

تصور جديد للعصور الأدبية: إن حصر العصور في تاريخ الأدب العربي قد أضحى ومازال غالبا، يكمن على أساس المظاهر الثقافية، والاجتماعية فقط. وبالدرجة الأولى والأهم على أساس الظواهر السياسية تعاقب الدول،[1] وأدى ذلك الأساس إلى تفرعات غربية مثل كتب الملخصات وكأننا نشاهد مصطلح العصر العباسي الذي احتوى على كل ما تم في رحاب الأدب منذ 850م حتى سقوط بغداد على يد هولاكو عام 1258م وكان لهذا الاتجاه المقلق ردود فعل لدى الدارسين الأوربيين وخاصة المستشرق الفرنسي رجيس بلاشير و إندريه ميكيل دون أن تصل إلى أسس واضحة تتسم ويمكن أن تصور لنا بطريقة صحيحة، وتشخيص فترة وأخرى.

وإذا ما توصلنا إلى تحديد أدق لهذه العصور التي تمت خلالها التحولات في الحركة ديناميكية في الأدب في العالم العربي، خلال أربعة عشر قرناً ومن خلال هذه الحركة والنشاط الأدبي نجد توافق بين الأحداث، السياسية والظواهر الأدبية وهذا حصل أكثر تعقيداً. حيث لعبت الحياة الاجتماعية والثقافية، والمحلية دورا بارزاً مما جعل تحول بسرعة يعطى الإحساس بالتحول[2] إلى جانب الاحتفاظ بخصائص السابقة للعصر في مجالات كثيرة. ونظرة إلى الأدب العربي على حسب رجيس بلاشير يسمح لنا بأن نلاحظ خمسة عصور.

العصر الأول: هو عصر الذين حملوا دعوة محمد صل الله عليه وسلم ورسالة الإسلام في الجزيرة العربية ثم بعد وفاة رسول عام 632م نقلوا الدين الجديد إلى الشام والعراق **(ملاحظة نجد أن المستشرقين الفرنسيين وعلى رأسهم رجيس بلاشر بدأ بالعصر الإسلامي كعصر أول وهو هنا له حاجة في نفسه أراد أن يفصل العصر الجاهلي لأنه يعتقد انه موروث من الحضارات الآخرى مثل الفارسية واليونانية)** مهم نعود إلى طرحه.

إذاً قلنا: نقلوا الدين الجديد على الشام والعراق، وعندما نخص الأدب فإن القمة في هذا العصر في عام 50ه 670م ولقد كان ذلك الجيل في الحقيقة الذي يبني الإمبراطورية الجديدة على الأقاليم التي كانت تحت سيطرة الفرس والبيزنطيين[3] إذن حتى هنا نجده يؤكد طرحه بأن الثقافة والأدب الفارسي والبيزنطي له أثر في الأدب العربي والإسلامي، وكذلك يتميز هذا العصر بدور الفعال الذي لعبته البصرة والكوفة وهما حاضرتان تولدتا عن تلك الفتوحات وكان مركز الفتوحات السياسة والثقافة، والأدبية على جنابات المناطق المجاورة لهما وعرف الإبداع العقلي والشعري خاصة تألقا وانطلاقا لم يكن معروفين حتى تلك الفترة[4] وغرض من **(هذا الطرح طعن في الشعر الجاهلي ، من طرف المستشرقين من أجل غاية واحدة وهي ضرب القرآن الكريم لأن العرب أغز ماكانوا يملكون هي اللغة وإنتاج الشعر ونعود لطرح هذا المستشرق بلاشير)** إلى جانب تميزه بظاهرة لغوية حددت الإطار الذي سوف يشير

---

[1] نفس المصدر ص 76
[2] نفس المصدر ص 77
[3] نفس المصدر ص 77
[4] نفس المصدر نفس الصفحة

علىه كل حضارة عربية إسلامية حيث استبدلت باللهجات التي كانت سائدة في الحياة العربي لغة كان شيوعها مقصوراً على المجال الشعري حتى ظهور الوحي القرآني، ارتقت إلى مصاف لغة دينية حاملة رسالة الله. (**نحلل هذا القول لبلاشير أن اللغة العربية لم تكن في مصاف اللغة التي تنتج لنا أدب في القمة والذي أدخلها إلى مصاف العالمية هو الرسالة الإسلام وإذا عدنا إلى تفسير الوحي على حسب قول الاستشراق نجدهم يقولون انه فقط من أساطير محمد ص اكتتبها وأخذها من التوراة والإنجيل.**). ومن خلال جلين ساهمت حركة الفرس للعربية في الإسلام والعراق بؤرة الأقاليم تندمج من خلالها الثقافة الإيرانية في الظاهرة القادمة من المجال العربي.

العصر الثاني: لحظة المتميزة فيه نقدرها نحو عام 725م أما السمات، التي تحكم بدايات هذا العصر، تجلت وتطورت في الشام والعراق والحجاز حيث يتواجد المركز العصبي الذي أدارا، منطقة الشرق الأدنى[1] وهناك في هذا العصر ظاهرة فيها الغرابة والدهشة، ففي خلال الفترة التي مثلت طلائع هذا العصر ورغم ظهور البوادر المشجعة ورغم حماية سلطة المركزية فإن الشام لم تمثل المركز الحقيقي للإبداع الأدبي بل دمشق فقط، هي نقطة جذب لشعراء المديح المحتاجين، القادمين من خارج الشام من المناطق المجاورة الحجاز والعراق وظل الحجاز عام 650- 725م قد ظهرت فيه مدرسة شعرية تبلورت فيها محاولات أجهضت للأسف لكي تتميز عن التقاليد والمحاكاة الشعرية للصحراء وتجعل لنفسها ايطارا جديدا[2] وحتى موسيقى جديدة تستطيع أن تعطى جوا مناسبا لغنائية نشطة حية وصادقة وشخصية وهنا تظهر بصمة دون منازعة على الحضارتين العراقيتين، البصرة والكوفة فإليها يرجع الفضل في تطور حركة دينا مكية للتطور الأدبي. وهذا راجع لتشجيع تيار فكرى ومناخ عقلي واجتماعي نتيجة ترجمة وولوج علوم جديدة كالمنطق والفلسفة وتغير في الهرم، الاجتماعي العربي الإسلامي، وكل هذا جعل نهاية العصر السابق ومما جعل التقاليد الشعرية للصحراء تتنح عن هيبتها، إذن هو عصر التوفق العراقي ونفوق الهيمنة الصحراء إلى جانب الثورة السياسية التي نقلت العاصمة والسلطة من الشام إلى العراق، وظهور بغداد عام 145ه- 762م ودام هذا العصر قرن ونصف وفرضت سيطرة المطلقة الأدبية والسياسية على دائرة تتسع على الدوام نحو الشرق ونحو الغرب.

ورغم كل ذلك لم يكنْ عصر التفوق العراقي خالي من الاضطرابات السياسية، ولا من القلق الدينى[3] والملاحظة التي يجب أن نتوقف عندها، هنا على حسب رأي رجيس بلاشير ويعد الانجاز الحاسم هن يتمثل في خلق النثر الأدبي، تحت تأثيرات إيرانية وهيلينية، وهو يتباين عما عرفه العالم العربي الإسلامي من نثر عاطفي، لقد صاغت الأوساط في العراق المدنية إذن أداة التغيير التي تكفي، بالحاجات العقلية والروحية لذلك المجتمع الجديد، وفي نهاية القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، سوف نجد المعجزة ويظهر النثر الأدبي من فترة التكوين الجنيني والحمل، أما الذي شغل فترة التكوين هذه فهو الإيراني ابن المقفع (139م-757م). إلى جانب دور الذي قام به شخص آخر وهو الإيراني يدعى سهل بن هارون(251هـ - 830م)؛ في تطور هذه الأداة اللغوية التي كانت قد أثريت وطوعت ببراعة على يد سلفه إلى جانب العراقي الآخر الجاحظ(255هـ - 868م)؛ قد أحس جيدا بهذا الدور واستطاع

---

[1] نفس المصدر ص 78
[2] نفس المصدر نفس الصفحة
[3] نفس المصدر ص 79

ببراعة أن يبدع على منوال أسلوب كان غير موجود بين يديه[1] أما الظاهرة والإبداع الثاني في هذا العصر الذهبي والذي جعله عنصر ذو اتجاه آخر هو الحركة العقلية التي سميت آنذاك روح الأدب وهي حركة تتلقى أصولها من الروافد الإيرانية والهيلينية، وتتميز بتفتح إنسان حقيقي، وظهرت في العراق إلى جانب ظهور المغتزلة ومناقشتها، عدة أمور أدبية وعقائدية جعل حركة (روح الأدب) تتسم بجو من سير نحو بروز نزعة عقلية في الأدب عقلنت الأدب[2] دون أدنى ريب فإن أكثر الوجوه إخلاصا في ذلك الجيل تراجعت فرقة أمام أفكار تعطينا الإحساس بوجود قوة، ذات نزعة إنسانية ملحدة ورغم ذلك لم يتراجع البعض في نوادي الأدبية في الكوفة والبصرة وبغداد و يشار في بعض لكتابات والخطب والأفكار، بتشكيك فيها وإنكارها، و لم يبق مجرد توفيق بين الدين والفلسفة.

ويعكس هذا الصراع جيل من الكتاب والشعراء الذين بلغوا قمة النضج في نحو عام 860م تراجعاً أمام الظواهر فابن قتيبة(276هـ - 689م) كان مثالاً واضحاً للبلبلة الداخلية،[3] ففي زهاء السن العشرين نقد وتبرأ من التيارات الفكرية في خلافة المتوكل وصار من المفكرين في العراق، الذي مارس تأثير على طبقة الحاكمة من أجل إيقاف تصاعد أفكار الشيعة والمعتزلة، إلى جانب مواقف جيل من الشعراء وهي وسيطة تسما روح التأقلم مثل أبي تمام وابن الرومي وابن المعتز والذي جاهدوا من أجل الحفاظ على التقاليد الشعراء القدماء الكلاسيكيين، ومع محاولاتهم تجديد في نفس الوقت والمحافظة على روح العصر[4] وهذه المرحلة من مراحل الكتاب والشعراء تجعلهم يهدؤون ولا يشعرون بالقلق الذي كانت تبعته، مجهودات مضنية بذلت منذ حوالي سبعين عاماً، خلت على يد الشعراء أمثال أبي العتاهية وأبي نواس لكي يكتشفوا مخرجاً يخرجون من خلاله ويعبرون عن مشاعرهم الذاتية.[5]

العصر الثالث: يبدأ بنهاية الربع الأول من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ونلاحظ لظاهرتين تسودان هذا العصر، الذي دام عشرات السنين، فرغم مجهودات التي نشرتها العبقرية الفنية غير القانعة للشاعر المتنبي(355هـ - 965م)؛ والغنائية شديدة الصفاء لأبي فراس(357هـ - 968م)، راح الشعر ينفصل عن جذوره الشعبية وعاد يكتسي مظاهر العلمنة وتمركز في أثواب لها قيمتها عند طبقة المتأدبين والأرستقراطيين أما النثر، راح يبحث هو أيضا عن طريقه ووسائل ارتقائه من خلال أسلوب نمطي مع جنس المقامة[6] التي ظهرت على يد الإيراني الهمداني (398هـ - 1007م). وبدت هذه الأشياء حقيقة بديهية هي أن روح الأدب توقفت كونها انفتاحاً على النزعة الإنسانية العلمانية لم تعد إلى لعبة أدبية من الآن فصاعدًا.

وفضولا للعلماء ولجامعي النصوص، وتأكيدا للبراعة اللفظية وهذا جعل نوع من البلبلة، إلى جانب ظاهرة آخري احتوت ذلك العصر، وأدت إلى التوازن في النتائج فنجد فيه تناقض ظاهري أكثر من حقيقي نجد تفتت الخلافة العباسية التي تركت المكان لإمارات قوية إلى حد ما حاولت كل إمارة منافسة بغداد و لم تعد لها السلطة، الفكرية

---

[1] نفس المصدر ص 79
[2] أحمد درويش نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي دار غريب القاهرة الطبعة الثانية 2002م ص 80
[3] الاستشراق الفرنسي والأدب العربي ص 80
[4] نفس المصدر ص 80
[5] نفس المصدر ص 80
[6] نفس المصدر ص81

والأدبية على الأقاليم الآخرى، ولكن الحضارة العربية الإسلامية في أشكالها التي ظهرت في بغداد نمت في كل أرجاء الأقاليم تحت مباركة نصراء الأدب والأمراء والحكام.[1] ثم إنشاء اتحاد إيراني عراقي تحت سلطة البوهيين الشيعة بدأ من عام 945 بعد إعلان الانفصال السياسي والدينى والفكري، وظهور الفاطميين في مصر واتساع دولتهم من إفريقيا إلى سوريا جعل القاهرة منافساً لبغداد وظهور قرطبة بدورها حكم الأمويين، إلى مصاف حضارة أوروبية للحضارة العربية الإسلامية وتستمر هذه المراكز طوال تلك الفترة إلى خضوعها الرمزي للعراق إلى أنها في جوهرها تختلف عن نمط في العراق والعصر الثالث لم يعدْ بداية لعصر ذهبي ثان، لأن كثير من الأدباء والشعراء واصلوا النسج على منوال النمط العراقي رغم أنهم مهرة في إبداعهم وفنهم لهم أدوات تعبيرهم إلى غزارة الإنتاج، كتب المختارات التي ظهرت في قرنين الحادي عشر والثاني عشر سواء في الشرق أو الغرب الإسلامي وبدل ذلك على روافد أدبية أكثر حيوية.

ومن خلال مؤتمر الاستشراق الذي عقد في مدينة(بوردو)، الفرنسية في الخمسينات من القرن العشرين ظهرت مناقشات، ومن زوايا عديدة لقضية التراجع وفي الأدب العربي وقال المستشرق بول ليمرل وهو برفسور في هذا المؤتمر هل ممكن أن نحدد مقاييس كلمة التدهور؟ كيف نتصور هذا المفهوم جيداً عندما يتعلق الأمر بحاله بيزنطة مثلاً[2] وفي هذه الحالة نجد التدهور خلال ألف عام والأمر كذلك بالنسبة في حالة الأدب العربي إذن كيف نطلق، المصطلح التدهور على خمسة القرون التي تبدأ من اختفاء الدولة البويهية في عام 1055م حتى ظهور القوة العثمانية، وكان خلال هذه الفترة شعراء وكتاب كتبوا بتقاليد الأدبية سائدة في كل أرجاء العالم العربي والإسلامي في إسبانيا نجد ابن زيدون ترك إنتاجا، أدبيا يعكس بعمق تجربة التي خلت ذات شعور حاد وقلق، أما المسيلي بن حمديس* نجده وجد نغمة عنى من خلال أماله وإخفاقاته، وكان بهاء الدين* وهو راح يزاوج بين متطلبات شاعر مادح وشاعر رثاء حزين بطريقة متميزة يجب الوقوف عندها ونجد هذه المرحلة تعرف بمحاولة إحياء لون من الغنائية أكثر عفوية من خلال لغة نصف شعبية، وهنا يجذر الوقوف عند أعمال ابن قزمان* والعراقي صفي الدين الحلي إلى جانب ظهور الكاتب القامة أبوحامدالغزالي الذي حكاه باسكال الفرنسي وإلى جانب ابن الخطيب.

إذن حين نضع أي أدب في دائرة ما حوله نجده يعاني من التقلبات الاجتماعية والسياسية والفكرية المحيطة به والتي لا ينفصل عن تاريخه وهذا نجده كذلك في تاريخ الأدب العربي ظاهرا وجليا وخاصة عند سقوط بغداد على يد هولاكو وشهد الأدب العربي خسوفاً في النشاط وماهو إلا تأكيد لانتقال السيطرة الأدبية إلى القاهرة وعواصم آخري قاسمتها، ذلك الإرث البغدادي التليد.

العصر الرابع للأدب العربي: نجد فيه ظاهرة تسمى السبات، وتبدأ عام 1517م تاريخ دخول السلطان العثماني سليم الأول إلى القاهرة وجاء ينظم وتصورات إدارية أدى تطبيقها إلى تضيق الخناق على العربية واستقرت في الشرق وتوسعت حتى وصلت الجزائر،إذن إن القول بوجود مخطط لدى السلاطين العثمانيين لإخماد الأدب العربي قول

---

[1] نفس المصدر نفس الصفحة

[2] نفس المصدر ص 82

- 527هـ 1132م كان من ضحايا الغزوات الخارجية في إسبانيا
- 656هـ - 1258م كان في ظل حكم الأبوبيين في مصر
- 55هـ - 1160م الأندلس

ثابت لكنه غير موضوعي، لأنه كان بوجود أسباب أخرى، لأن الحديث والتحليل سريعاً الإنتاج الروحي، والدىني خلال هذه فترة يظهر عن وجود حركة أكثر من الحركة الأدبية، مع أنها تعتمد على النشاط الفكري نفسه. خلال تهديد إفريقيا الشمالية بحركات الامبريالية البرتغالية والاسبانية صاغت الجماعات الإسلامية والعربية وسائل للدفاع عن نفسها.[1] ومن أجل الحفاظ على كيانها في جل المجالات راح البعض وتحت سكر العطش، وإلى الهروب والبعد أنغمس البعض في الدراسات الصوفية وراح آخرون يحافظون على أمهات الكتب الموروثة عن العروبة اتجهوا إلى النحو والبلاغة وكتب التفسير والفقه وخاصة المغرب، ووجدتْ كذلك كتابات تاريخية تحاكي كتب قديمة، تاريخ الطوائف أو المدن التي اشتهرت بالعلم مثل فاس تلمسان وتونس، والقاهرة ودمشق ونجزم القول أن بقايا النزعة الإنسانية التي سادت القرون الكبرى في الحضارة العربية الإسلامية هي نزعات تمسنا بنواياها أكثر ما تمسنا بقيمتها الحقيقة[2] في هكذا مناخ ماذا يبقي للشعر وألوان الإنتاج الأدبي الخالص حتى مع وجود النية الحسنة لبعض الفنانين، وبعض الأدباء خلال القرون السالفة الذكر لم يزل أمام أولئك، الذين كانوا يحتفظون بالتذوق وحتى بالعاطفة نحو الأدب الجيد سوى إعجابهم، بإنتاج القدماء من خلال كتب المختارات عرفوهم.

وهذا الإعجاب جعلهم يكتبون ويبدعون، وفي إبداعهم تقليد ومحاكاة، ومحافظة على سبيل القدماء ورغم ذلك أصبحت اللغة التي يقلونها مكانة شديدة السمو[3] وكل هذه الظروف منعت من أن تقود هذه الأسباب إلى يقظة وإنعاش للنشاط الأدبي، هو ذاك العالم العربي الإسلامي الذي أصبحت رقعته جغرافية تتناقص لم يعد يمثل البحر الأبيض المتوسط، ودوائر الواسعة التي تختلط فيها الشعوب،حيث تزدهر الحياة الفكرية حتى من خلال الصدام العنيف كما أظهرت العصور الوسطى الإسلامية، في اسبانيا والشرق الأوسط مما جعل الأدب العربي، في حالة محزنة قانطة، بدون صدى خارجي حتى فجر القرن الثامن عشر[4] عندما أصبح التغير الجذري لا مفر منه ، حيث بدأت بعض الأصوات تسمع نفسها على خجل مثل المثقف الماروني الكبير الذي كان قسيس حلب جرمانوس فرحات 1732م وظهرت معجزة الطباعة والكتاب لبنان فوجدت المطابع والفنون خاصة لسد حاجات الجالية المسيحية [5] وفي عام 1798م كان ظهور حدث مدوي بعد نزول بونابرت في مصر وجاء معه علماء فرنسيون، يحملون معهم مناهج البحث وكان إنشاء المطبعة الحكومية في بولاق 1821م يؤكد أن محمد على كان على دراية ما يمكن أن يحصل علىه من خلال تجديد الثقافة العربية، وبمثابة عون له في صراعه مع القسطنطينية، وإرساله بعثات مصرية إلى فرنسا قبلة الاستشراق من مواطنين ينتمون إلى طبقات متواضعة كطبقة رفاعة الطهطاوي عام 1826م وهذا كله يؤكد أن تغير الثقافة العربية الإسلامية لن يرَ نورا منهم من يفكر بدعوة التجديد والانفصال عن تقاليد الأدبية الموروثة، من الماضي حتى مارون النقاش 1852م وهو يحسب على الاتجاه الجديد وهو من أصحاب الثقافة الفرنسية ظل خادما

---

[1] الاستشراق الفرنسي والأدب العربي ص 85 أجمد درويش
[2] نفس المصدر ص 87 أحمد درويش
[3] نفس المصدر ص87
[4] نفس المصدر ص 86
[5] نفس المصدر 88

لفترة العصر الذهبي في الأدب العربي ، وهذا يوحى أن هناك شعور بأن الأمور مرتبة من أجل انتقال جديد ومع ذلك لم يكنْ هدمًا للموروث الماضي.[1]

العصر الخامس: وهو الأخير في الأدب على حسب رجيس بلاشير فيحدد منذ سنة 1881م أو عصر النهضة ويعد عند البعض أنه مجرد صحوة تحمل في ذاتها قوى أخرى عكست أثارها على آداب العالم العربي وعرف غزارة الإنتاج، المتدفق وظهرت بعض ألوان الإبداع لم تكن موجودة في العصر الذهبي مثل المسرح واليوميات والترجمة الذاتية وخاصة ديوان العرب الجديد الرواية والقصة القصيرة.

قرائن لمن يرى ثورة عقلية وأخلاقية تساوي في عمقها وتجربتها العاطفية ما مثلته للغرب الأوربي والفرنسي فترة عصر النهضة، ومع وجود كل هذا الإبداع فكر الاستشراق الفرنسي من أجل جعل النهضة تحت السيطرة[2] وراح يضرب بسمومه كل ما هو أدب أصيل يجعل الأمة تنهض من سباتها، وعلما أن للشعر دور في قيام أمم واعية ويستطيع الشعر أن يصلح المجتمعات فحوربا وبكل قوة الشعر العربي الأصيل باسم الحداثة تارة باسم المناهج الأدبية تارة أخرى، فالشعر العمودي جعل الإبداع في الشعر الحر بحجة التجديد وأنه لا يساير العصر وأنه قديم في صوره وألفاظه وأحاسيسه وخياله....الخ واستبدل بشعر التفعيلة على حساب العاطفة والألفاظ والخيال والحبكة والقوة والمتانة إذن السؤال هل الشعر الحر أو الحداثة في الأدب ضرب من ضروب الاستشراق.؟

لأن المتتبع للحركة الأدبية والإيديولوجية يجد نفسه أمام ظواهر عديدة يمكن الخوض فيها، ودراسة جوانبها وأثارها في شتى مجالات الحياة، الشعر الحر والحداثة والاستشراق من الظواهر التي أثارت جدل واسع في الغرب وفرنسا بتحديد وخاصة حيث أفرزت وجهات نظر وأطروحات مختلفة، ما زالت لم تحظ بما تستحقه من عناية من طرف مفكرينا ومثقفينا بل هناك مقاربة لهذه الظاهرة، نجد ورآها أقنعة الأصالة والهوية والقيم، لأن الحداثة تقر بإدخال هذه القيم وتسمح، بالانفتاح على الجديد وتأقلم مع المجتمعات العصرية.[3]

العلاقة الفكر الاستشراقي الفرنسي والفكر الحداثي وخاصة في الأدب العربي : فهما يمثلان مسألة شائكة في ثنائية كبيرة تبحث في ثقافتين أو حضارتين متباينتين عربية وغربية، إذا كان الاستشراق هو دراسة البلاد الشرقية والعناية بها ومحاولة تشويه عن طريق الكذب، والشبوهات فيها، فالحداثة لا تبتعد كثيراً عن هذا، إذن هي حقل واسع يعتمد نظرة تجديدية للواقع الاجتماعي بما فيه بناءاً على التناقضات من جهة وتشويه التراث العربي من جهة أخرى، وهذا الحقل أشبه بالسباحة في بحر هائج، لأن الحداثة لم تجد بعد المكانة اللائقة ضمن انشغالات الحركة الأدبية في العالم العربي بستتناء بعض الجهود التي تدعو إلى تجديد الأدب مع تغير واقع، الحياة الاجتماعية العربية.

وللخوض في هذا الموضوع نطرح السؤال ماذا نقصد بالحداثة الشعرية ماهي مصطلحاتها؟ كيف نجد العلاقة بينهما، أي الحداثة والفكر الاستشراقي ونأخذ نموذج وهو الشاعر أدو نيس مثلا، لأن الاستشراق الفرنسي حاول جاهداً استخدام المنهج الشك الدىكارتي في تشكيك في الشعر الجاهلي الذي يعد قمة في الإبداعي العربي بل الإنساني

---

[1] الاستشراق الفرنسي والأدب العربي أجمد درويش ص89

[2] نفس المصدر ص89

[3] مخطوط ، لطالب باهرة خالد تجليات الفكر الاستشراقي في الشعر الحديث جامعة جيلا لي اليابس

والشعر العمودي يتطلب من قائله حضور عاطفي ووجداني وعقلي وكذلك يأثر في القارئ ويجعله يتجاوب وإلا كيف نفسر وجود الشعر العمودي مع كل مراحل الحضارية التي دعت إلى التطور ونجده قيل مع الحرب من أجل دفع الإنسان إلى الانتصار، ودعوة إلى التحرر.

وهذا ما تفسره كتب التاريخ، أن الشاعر في العصر الجاهلي مكانة خاصة في قبيلته ويعد قلبها النابض وحتى الرسول صل الله عليه وسلم، قال لحسان بن ثابت: ((أهجوهم وروح القدس معك)).[1] لأن الاستشراق وعى كل هذا وراح ينال من الشعر العمودي والشعر الواعي بكل سبل فأوجد لنا موضوعا تحت عنوان الحداثة أو الشعر الحداثي وكذلك شعر النثر الذي اسميه الولد غير الشرعي لتزاوج قصيدة الشعر العمودي والشعر الحر

الحداثة بنت الاستشراق واقعاً وموقعًا: في الحقيقة أن هذا العنوان هو للمفكر أبو عبد الله العياشي ابن أعراب رحماني وهو عبارة عن مقال نشره هذا الأستاذ يصف فيه الحداثة بأنها بنت الاستشراق واقعا وموقعا بقوله:

بعد أن حمد الله وصل على رسوله الكريم ((فلقد تعرض القرآن الكريم، منذ عهود إلى حملة شرسة وذلك من حيث، التشكيك تارة، ومن حيث سوء الفهم تارة أخرى واتخذت في ذلك ألوانا من الزخارف والصورات، وذلك من خلال تلك الدراسات، التي تتابعت من الغربيين ومن بعض من جنح إليهم متخذاً لساننا في التعبير عنهم، فظهرت قمامات منثورة هنا وهناك، دون قيود علمية ولا ضوابط عملية، هدفها كتاب الله تعالى تشكيكاً في مصدرتيه وانتزاعا لقدسيته وتشويهاً للإسلام وأهله، ولاشك أن التيار الغربي الاستشراقي أخذ قطبي هذه الحملة مع بنته الحداثة، التي وُلدَتْ حديثاً والتي يجب أودها قريباً وذلك بتغطية شُبهاتها بدراسات علمية راقية، و بردود علمية وفحمة أصلاً وفصلاً[2] وهنا لست في مقام دراسة علمية ورد علمي لن هذا الأمر قد كفاه علماء أجلاء، وفطناء وأكاديميون عقلاء، وردوا بهتانهم وقصور فهمهم بالحجج المفحمة وبعقولهم، فأصبحوا يديدنون حول قضية النص القرآني بأقوال غيبية والقصد من وراء ذلك هو ضرب هذا المرجع الأصيل، والبتالي صرب للمنظومة اللغوية ومن ورآها المنظومة الأدبية. لأنه يقال أعطيني أدب عظيم أعطيك شعب عظيم ولغة عظيمة أعطيك شعب متحضر وعظيم.

إن الحداثة تعد مسألة ذات الإشكاليات المطروحة بحده على الساحة الأدبية والنقدية والفكرية، العربية رؤية إبداعا وتلقياً انتقلت بصورة جد لصيقة بالإبداع، شعرا ونثراً إلى علامة يجب تواجدها في العمل الأدبي إذن هي من جانب تعد هاجس يتقاسمه، المبدع الذي يريد أن يبلغ لكتابة نص الحداثي يحقق تفرده بتخطي المألوف من الكتابات الأدبية الآخرى.

الحداثة والاستشراق الفرنسي في ضوء الشعر الحديث: أولا قبل الحديث عن ظاهرة الاستشراق في العمل الأدبي، باسم الحداثة لبد أن نعود أولاً إلى المعاجم اللغوية لنحدد مفهوم الحداثة من شقيها اللغوي والاصطلاحي، لأن ضبط المفهوم يكون فيه إيعاز لفهم خبايا الفكر الاستشراقي في ظاهرة الحداثة خاصا إذا علمنا أن فرنسا كانت عرفت

---

[1] شوقي ضيف الأدب الجاهلي تاريخ الأدب العربي دار المعارف بمصر الجزء الأول الطبعة السادسة ص 185

[2] http: //WWW.aluKh.net/arlture/0/96611/ zzHi160AnWg

الحداثة بل شجعتها وبكل الوسائل لا بشيء إلا أنها رأت فيها الهدف للولوج إلى سويداء قلب الحضارة الإسلامية والعربية حتى تأتي على الأخضر واليابس.

التعريف اللغوي للحداثة: يعرفها إبراهيم الخولي لغة بأنها مأخوذة من مادة ح- د- ث، يقول الرسول صل الله عليه وسلم: ((من أحدث في أمرنا هذا شيء فهو رد))[1]، أي غير مقبول وفي اللغة يقال حدث حدُثاً وحَدَاثَةً فهو حديث ويقال: حَدَثَ في مقابل قُدمَ ويشطر قائلاً والمفترض لغةً: أن الحداثة مقولة إضافية، أي بالإضافة إلى القديم سبقه ويعذر من الداخل في المفهوم، إذن كل حديث سيعود قديما وكل قديم كان حديثا بالقياس ماكان قبله.[2]

التعريف الاصطلاحي الحداثة: عامة هي صيانة المضمون وعبثية في شكلها الفني وتمثل الترعة الشر والفساد، في نصب العداء للماضي والقديم وهي نتيجة عزل الدين عن الدولة في المجتمع الأوربي، وظهور الشك والقلق في حياة الناس[3] على رغم من أن مصطلح الحداثة متجانس من حيث السؤال ما لحداثة؟ الحداثة جدة في الإبداع وتحرر من قيود المحاكاة، والتقليد حيث يقوم بإنجاز عمل لم تتجه من قبل. وفي الحداثة الشعرية هي تعبير عن روح العصر بأبعاده ووقائعه وقضاياه تعبيراً حضارياً، مما يعكس تغلغل الشاعر في عصره وارتباطه، بالحياة من حوله ارتباطا عضويا وجوهراً، إذن هي ليس لها موصفات محددة، وطقوس معلومة، يمكن حفظها والإبداع على منوالها كما أنها ليست شيء يحفظ عن ظهر قلب ويتنافس في تأديته، لأنها مشروع مفتوح بين الشعراء وشورى مستمرة بينهم.

أن أول ما يجب أن ندرسه، هو المصطلح عينه وعلاقته بالمصطلح الغربي الذي هو أساس، لأنه هو مصطلح غربي أجنبي بامتياز[4]، ففي اللغتين الانجليزية و الفرنسية نجد مصطلحين Modernity/Modernisme ونجد اختلاف في الترجمة المصطلحين إلى العربية وهذا راجع إلى مشكلة الترجمة في حد ذاتها بين الحداثة والعصرية والمعاصرة، أما في المعاجم نجد الفرق ضيقاً في الترجمة مثلاً Modernisme تقابلها في العربية استعمال عصري، العصرانية، و Modernity بالعصرية أو شيء عصرياً،إلا أن المعاجم تضيف إلى معنى كلمة،Modernisme أنها حركة الفكر الكاثوليكي لتأويل تعاليم الكنيسة في ضوء المفاهيم العلمية والفلسفية السائدة في القرن التاسع عشر.

و اختلط مصطلح الحداثة في العديد من الكتابات النقدية بمصطلح الحداثانية، (المودرنيزم) فكان يوصف الشعر المودرنزمي بالشعر الحديث بينما يكون من الدقة استخدام صفة لها علاقة بالمودرييزم، وهي Moderniste أو Modermistic تجنباً للالتباس[5] ومصطلح الحداثة يختلف عن المودرنيزم إذ نجده يعطينا دلالة محددة على ماهو جوهري، وكامل وشامل في نزعة الحداثة دون تقيد باشتراطات مذهبية.

---

[1] محمد سرور بن نايف زين العابدين دراسات في السيرة النبوية دار ابن تيمية الجزائر العاصمة الطبعة الرابعة 1410هـ 1990م الفصل الثالث نقد منهج الإصلاحيين ص 302

[2] ندوة ثقافية بعنوان سقطة الحداثة والخصوصية الغربية مجلة البيان الصادرة من منتدى الإسلامي ص 47 العدد 110 جمادي الآخرة 1424هـ أغسطس 2003 إعداد وائل عبد الغني

[3] مذكرة ماستر الطالب باهر خالد جامع بلعباس مخطوط

[4] سامي مهدي أفق الحداثة وحداثة النمط دراسة في حداثة مجلة شعر بيئة ومشروعاً نموذجياً ص 151 دار الفكر لبنان بدون سنة الطبع

[5] ينظر فاضل تامر مدارات نقدية ص 170-171 وينظر كذلك جدل الحداثة في الشعر ص 6-8 دار الفكر للطباعة لبنان بيروت 1986م

وهنا نجد موقف انطلوجي مساعد بإزاء الحياة والإنسان، أما مصطلح المودرنيزم، فهو على رغم من أنه ينتمي إلى جذر اللغوي نفسه للمصطلح الأول غير أنه تمذهب بعد إضافة ISM إليه فأصبح يدل على حركة معينة داخل الأدب العربي مشروطة بوضع تاريخي معين، وحركة المودرنيزم لم تستغرقْ وقتاً طويلاً في اسبانيا ولكنها كان له دور في ربط الشعر الاسباني وأمريكا اللاتينية بالشعر في أوروبا،وظهرت هذه الحركة في العقد الأخير من القرن التاسع عشر و لم تدم طويلاً.[1]

الحداثة وتطورها في الشعر العربي: نجد أن الحداثة في الوطن العربي بشكل عام، تعود إلى محاولات الجذرية التي ظهرت في شتى مناحي الحياة اليومية للإنسان العربي على صعيد السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي ولتحدث عن الحداثة ونشأتها، وتطورها في الشعر العربي لا بد أن نعود على جناح السرعة إلى أول حركة تجديدية في التراث الأدبي وتطورها عبر مراحلها التاريخية ووقوفاً عند حركة الحداثة الإبداع الشعري العربي الحديث.

لقد ظهر اتجاهين من طبقة الشعراء طبقة، تعتبر نفسها امتداد لشعراء العصر الذهبي العباسي وروادها أي هذه الحركة أبونواس وأبوتمام وابن الرومي، وأبوالعلاء العري، ابن سنا... هؤلاء الشعراء جاءوا بالثقافة الفارسية واليونانية، والبيئة الحضارية الجديدة فاهتز في وجدانهم هيكل القصيدة العام. فهجروا الأطلال و لم يقفوا عندها، و لم تعد به حاجة، لأن بتجشم عناء الوصول على الممدوح على الناقة، وجددوا عن طريق المحاولات، العديدة لتوحيد موضوع القصيدة بتأثر بالمنطق الأرسطي والثقافة اليونانية إلى جانب التحليق في جوّ، القصيدة نفسياً وفكرياً مثل أبي العلاء المعري وابن سنا.[2]

إلى جانب تغير على مستوى اللغة الشعرية وذلك بسبب دخول ألفاظ أعجمية كالفارسية راجع إلى احتكاك اللسان العربي بالألسنية الأعجمية، كما تسللت بعض الألفاظ الفلسفية والعلمية والدينية وبعض الألفاظ المستحدثة وليدة الحضارة الجديدة، ومست الحداثة كذلك الوزن و القافية فنجد، مثلا لأبي نواس قصائد خرج بها على نظام الأوزان المعروفة وأبا العتاهية اخترع أوزانا جديدة وحاول بعضهم الخروج عن نظام القافية الواحدة ومن ثم ظهر ما يسمى بالمزدوجات[3]، وهناك حركة تجديدية أخرى كان لها أثر في تاريخ الشعر العربي، والتي ظهرت بالأندلس بدأ فن التو شيح متأثرا ومؤثرا بما كان موجود في جنوب فرنسا، وهو شعر التروبادور، مع بداية القرن الرابع ونهاية القرن الثالث هجري.[4] ومنذ نهاية القرن التاسع عشر بدأت تظهر بوادر التجديد في بعض ما أنتجه فرانسيس مراس الحلبي وأحمد الشدياق ونجيب حداد وقد كان تجديدهم محصوراً في أوّله على ظاهرة التمرد على موضوعات التي عرفها الشعر القديم ودعوة إلى الأخذ بالجديد في النمط الغربي. ثم ظهرت حركة التجديد في المهجر التي نمت في أحضان الثقافة والشعر الغربيين ولعل أبرز، الثائرين على القديم جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ومؤسسي الرابطة القلمية، وينظرون على أن الشعر رسالة سامية، يتزلها الشاعر في عالم الروح لينشرها بين الناس واللغة ليست ألفاظا جامدة

---

[1] حامد أبو أحمد نقد الحداثة دار المدني جدة 1407هـ- 1987م ص 147

[2] غالي شكري شعرنا الحديث على أين؟ دار الشروق ط1 بيروت لبنان 1991م ص 102

[3] * المزدوجات هي القصائد التي تأتي فيها القافية متنوعة.

[4] د محمد العيد حمود الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانها ومظاهرها دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ط1 1986م ص 23-24 وكذلك ينظر غالي شكري شعرنا الحديث إلى أين؟ ص 105

وبديعاً وبياناً ومنطقاً، هي ترجمة للروح والحياة أما الموسيقي لا تعد من ضرورة الشعر، وحطموا وحدة البيت بل الموضوع هو الأساس بل البيت عضو يستمد قوته من التئامه مع سائر القصيدة الأم وأعضائها.[1] وسوف نتكلم عن المنهج الرومانسي، وخبايا الاستشراق الفرنسي فيه عنصر لاحق، ببعد من التفصيل ومن خلال هذه الجولة الجد قصيرة في العرض التاريخي لحركة التجديد أو ماتسمى الحداثة في الشعر العربي منذ العصر العباسي إلى العصر الأندلسي والحديث مع شعراء المهجر يحق لنا القول: أن الشعر العربي لم يخرج عن دائرة وجوهر التراث الشعري العربي القديم، فإنهم مهما غيروا من موضوعاتهم وتلاعبوا بالأوزان وبدلوا في القوافي، فإن أهم خصائص عمود الشعر العربي ظلت مسيطرة على جميع تلك الحركات و لم تصل إلى حد الحداثة.[2] وتأتي موجة الحداثة من بحر أسمه الاستشراق لتلطم شاطئ أسمه الشعر العربي بالفعل في زمن أو بعد الحرب العالمية الثانية، عندما أنشأت الدعوة إلى تطوير الأوزان وقوافي تحت اسم حركة الشعر الحر إلى جانب حركة جديدة، تدعو إلى فلسفة الشعر العربي ليجد له موقعاً، في صورة الشعر العالمية المتطورة، وكان في طليعة شعراء العراق على رأسهم نازك الملائكة بدر شاكر سياب والبياتي ثم قاد حركة الثانية شعراء لبنان، على رأسهم يوسف الخال الوافد من أمريكا، بعد هجرة طويلة وأد ونيس بعدما غادر سوريا. ومنه فإن الشعر العربي الحديث، استطاع أن ينطلق من العراق كمحفز ورائد في مشروع التحول الحضاري، والثقافي والاجتماعي، ولكن هذا التحول لم يعد حدثاً فريداً، لا سابقة له، أو لغزاً لدى من يعرفون التاريخ العربي جيداً.[3] إنهم يعلمون أن الروح العربية والروح الشعرية بامتياز، وأن الشعر العربي كان على الدوام التغير الاسمي، عن تطلعاتها والسجل الوافي لتحركاتها كلها[4] وهذا جعل ظاهرة الحداثة العراقية تعرف معارضات من النزعة المحافظة[5] وعرفت المسيرة الشعراء العراقيون تطورات منذ سنة 1947م ليواصلها شعراء العرب من الوزن إلى شكل وعلاقة العضوية مع هندسة القصيدة.[6] إذن مجيء البيت الشعري الحر كان يمثل في تلك الفترة ظاهرة عامة تظهر تطوير جيل شعري جديد في العالم العربي وكان بمثابة لقوى شابة متمردة ضد تراث جامد، ومجتمع كان ولا يزال يختنق في أمور التقليد والقداسة.

إذن حركة الحداثة وتطور جاءت مع تأسيس تجمع شعر في لبنان والذي قاده يوسف الخال، مع مجموعة من الشعراء ذوى الأصل السوري على رأسهم الذي يعد من أعمدة الحركة الحداثية، إلى جانب كل هذا السرد يجدر بنا الإشارة هنا إلى مسألة أثيرت حول حركة الحداثة في الشعر العربي الحديث، والتي يعتبرها البعض نسخة طبقاً للأصل، في الشعر الغربي، وهناك من يعتقد أنها كغيرها من المذاهب الفكرية والتيارات الأدبية، التي سبقتها إلى البيئة، الأدبية والفكرية العربية كالواقعية والرمزية والرومانسية والوجدانية والوجودية...بل هناك من يعتبرها أخطر من ذلك حيث يعتبرها حملة على الدين، واللغة العربية على حد سواء، كونها وجدت في بيئتنا التربة الخصبة سرعان ما ترعرعت،

---

[1] غالي شكري شعرنا الحديث إلى أين؟ ص 106-107
[2] ينظر طالب باهرة خالد رسالة مخطوط جامعة بلعباس سنة 2016 ص44 رقم الجرد 299
[3] ينظر نفس المصدر باهرة خالد ص 44
[4] ينظر نفس المصدر ص 44
[5] ينظر د/ كمال خير بك حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر دار الفكر للطباعة ط1 بيروت لبنان 1986م ص 42-43
[6] ينظر وبتصرف نفس المصدر ص 43

على أيدي روادها العرب أمثال غالي شكري والمنظر لها أحمد سعيد أدو نيس وزوجته خالدة سعيد من سوريا وعبد الله العروي بالمغرب وكمال أبوذيب من فلسطين وصلاح عبد الصبور من مصر، والبياتي عبد الوهاب من العراق، وهم كلهم يمشون على خطى الغرب، وعلى طريقتهم مثلى وطريقة بود لير ثم رامبوا ثم ما لا رمبيه و دول فيرى.

ونرصد قول غالي شكري في هذا المجال((فالحق أن قطاعا، عريضاً من شعرائنا قد اتصل بفن إليوت، في وقت مبكرً، لا لأن لغة الحديث هي التي جذبتهم في هذا الفن، بل لن توقيت اللقاء بين جيلنا والحضارة الأوروبية، صادف من ناحية ازدهار إليوت على نطاق العالمي.)).[1]

خصائص الحداثة: من خلال تتبع خصائص الحداثة نفهم الغاية والهدف لنوايا الاستشراق وعرابي الاستشراق.

1. محاربة الدين بالفكر والنشاط.
2. الحيرة والشك والاضطراب.
3. تمجيد الرذيلة والفساد والإلحاد والهروب من الواقع إلى الشهوات والمخدرات والخمور.
4. الثورة على القديم كله وتحطيم جميع أطر الماضي إلى الحركات الشعوبية والباطنية.
5. الثورة على اللغة بصورها التقليدية المتعددة.
6. امتدت الحداثة في الأدب على مختلف نواحي الفكر الإنساني ونشاطه.
7. قلب موازين المجتمع و المطالبة بدفع المرأة إلى ميادين الحياة والدعوة إلى تحريرها من أحكام الشريعة.
8. عزل الين ورجاله واستغلاله في الحروب عدوانية.
9. تبني المصادفة والهوس والحظ والخبال في المعالجة الحالات النفسية والفكرية بعد فشل العقل.

إذن نجد الحداثة فعلاً مشروع استشراقي بامتياز، وهي بنت الاستشراق إذ تعد قدحا في التراث الإسلامي وحضارته وإبراز شخصيات في الفكر والأدب عرفت بجنونها العقدي كالحلاج والأسود العنسي ومعيار الدين لمي، وميمون القداح وغيرهم.

تناقضات الحداثة: الحداثة في بنيتها تحمل تناقضات، جذرية في بنيتها المعرفية والثقافية إلى جانب التغيرات الدلالية، التي تطرأ عليها فهي حركة قلقة لا يقر لها قرار.[2] نجد أنها ذات اتجاهات متباينة، ورؤىً متناقضة تؤدي إلى انسحاب لفظة الحداثة على شيء ونقيضه، في الوقت ذاته.[3] وأجمع أهل النقد على أن التناقض أهم سمة في الحداثة ومن تم يرى النقاد على انه لا يوجد حداثة واحدة بل حداثات متعددة، وهي تختلف فيما بينها أكثر مما تتفق وأكبر تناقض مواقفها من التراث أي نحو الماضي. موقف رافض تمام رفض وبمثله المستقبليون الإيطاليون يعتبرون الماضي خانق ولا بد من قذفه من سفينة الحداثة، والقطيعة مع التراث، والموقف الآخر دعوته العودة إلى حنين الماضي ونبذ الجديد بما فيه الخراب والدمار مثل

---

[1] غالي شكري شعرنا الحديث إلى أين؟ ص 215
[2] رايدموند ويليا مز طرائق الحداثة ضد المتوائمين الجدد: ترجمة فاروق عبد القادر عالم المعرفة الكويت يونيو 1999 ص 68
[3] عبد العزيز حمودة الحداثة والمسرح العربي مجلة عالم الفكر الكويت العدد الثاني المجلد الحادي والعشرون 1993م ص 45

موقف إليوت. وتندرج قوة الدعوة، لربط الحديث بالقديم، في الواقع من دعوة الهادئة القائلة بأن الحداثة في جوهرها استمرار للرومانسية وعودة واضحة لها، إلى القول بلا مواربة بأن انفصال التام القديم، من نوع الانفصال، الذي ينادي به المستقبليون بعني فقدان الجذور وضياع الكامل.[1] وهناك موقف آخر يرى أن الحداثة قد تقبل الماضي وتعالجه بالحاضر الحامل شرط التحول،[2] لأن الحاضر قد يكون ليس بأفضل حال من الماضي، إذ يجب على الإنسان الحداثي أن ينظر إلى الواقع نظرة ريبة وشك، ومتناقضات الحداثة إلا انعكاس لتناقضات المجتمعات الغربية وما فيها، من تزعزع بالقيم الإنسانية والأطر الأخلاقية، السامية التي أصابت الحضارة الغربية في مقتل بيد أن من العجيب أن ينبهر الأديب العربي المعاصر بهذه الحداثة ويفقد ثقته بنفسه وثقافته وأصالته ليهرع لاهثاً نحو الموضات الغربية ويقلدها سواء عن معرفة أو جهل.[3] ويتقمص أدوار المشاهير من الأدب الأجنبية ويأتي بحداثة زائفة. لاجوهرية وليس لها جذور متأصلة في العقلية العربية ولا تناسب مع الظروف الحضارية التي تمر بها الأقطار العربية، فتكون القطيعة الأبدية بين المبدع والمتلقي.

ونأخذ رجل من الأدب العربي عرف بأنه منظر للحداثة وهو أدو نيس لنقف على خبايا الفكر الاستشراقي والحداثي الرافض لكل ماهو ماضي كنموذج من أجل الوقوف على سموم الاستشراقية في الأدب بعد أدبئنا.

تجليات الفكر الاستشراقي في شعر أدونيس: كثر الحديث عن منجزات المستشرقين، حول الحضارة الإسلامية والتراث العربي و الفكري والأدبي سواءً كان علما أو أدبا أوشعرا أو نثراً أو إبداعًا لما، أنجزوه من تحقيق وترجمة ونشر، وظلت أعمالهم،منحصرة بين ماهو أدبي وماهو فكري، في سياق ما يؤثرون به في التراث العربي الإسلامي قاطبة.

ومن خلال هذه النقطة، حاولنا أن نتناول هذا الموضوع برصد التجليات ومظاهر الاستشراق عند شعراء الحداثة،وعلى رأسهم المنظر وزعيمهم، الشاعر أدو نيس[4] وركزت على بعض الجوانب فقط في شعره وقمت بعقد دراسة بينه وبين المستشرقين الحداثيين وذلك بغرض نظرته من اللغة والتراث العربي، وهذا الأخير يوحي ويجمع مظاهر ك:(**الحضارة- الدين – الثقافة – والأدب العربي**.....). كثر القول عن أعمال المستشرقين وخاصة منهم الفرنسيين لا لسبب إلا أنهم كانوا هم السباقون في هذا المجال حول الحضارة العربية الإسلامية والتراث واتسمت أعمالهم، بالتحيز ونصب العداء لكن المؤسف أنه ظهر من يحمل رايتهم ووُلدوا، من رحم الأصالة العربية وتمردوا عليها.

لدا نطرح السؤال عن حظ الأدب العربي من اهتمام هؤلاء الذين خرجوا من رحم هذه الأمة؟ هل فعلاً الشاعر أدو نيس أدرج أفكار المستشرقين في أشعاره وفي عدة جوانب؟

---

[1] عبد العزيز حمودة الحداثة والمسرح العربي مجلة عالم الفكر الكويت العدد الثاني المجلد الحادي والعشرون 1993م ص 48

[2] عبد الرحمن محمد العقود الإبهام في شعر الحداثة العوامل والمظاهر واليات التأويل عالم المعرفة الكويت مارس 2002 ص 125

[3] محمد مصطفي بدوي قضية الحداثة ومسائل أخرى في النقد الأدبي دار شرقيات للنشر والتوزيع القاهرة ط1 1999 ص 22

[4] أدرج تعريف شامل له في الملحق عد له للوقوف على سيرته الذاتية

فـــــــــــي جـــــــــانـــــــــب اللـــــــــــــغـــــــــــة :

راح أدو نيس على صدم ومباغتة المتلقي بإقامة ارتباط وجسر غير متوقع بين الكلمات، التي يصنع بها عباراته وجمله، كما أن اللفظة عنده تختلف عن معجم العادة، لقد تغيرت دلالاتها، وكذلك تغيرت الأطر والتراكيب اللتان، تندمج فيها ومن أجل ضرب المثال في هذا نأخذ جزء من مقاطعه شعرية.

ذونادرُ الأسود
كان الصَّدى وكان
يجلس بين القمر الجائع والبستان
يكتشف الظل يغطي جوعة وكان
كالدهر فلاحا من الفرات
يخبط جرح الماء
يمشي وتمشي خافه السماء[1]

الناقد يلاحظ أن الكلمات لا صلة بينها، في السياق كالصدى، والقمر الجائع، والدهر، والفلاح، وجرح والماء، والسماء، والظل... ونلاحظ تبعا إلى ذلك ثورة أدو نيس على المنطق العادي لمفهوم الكلمات، هذا في السياق لتدل، على أشياء غير موجودة على الإطلاق في الواقع الم نجد هنا موقف استشراقي خالص؟ لو أردنا، دراستها أو المقارنة بينها لوجدنا أن هناك مواقف في الفلسفة المعاصرة واللسانيات الحديثة، تؤكد أن الفكر لا وجود له إلا إطاره اللغوي لا وجود للغة خالية من المعنى والدلالة وهذا نجده عند أقطاب اللسانيات الحديثة أمثال دي سوسير وإميل بن فست مرو لو يو تيو وكريستيفا[2] وهذا ما نجد نقيضه عند الشاعر العربي معاصر. لقد نقل أدو نيس اللغة من وظيفتها في التوصيل والإفهام إلى وظيفة تركيبية خارج حدود المجاز فإذا كان علماء البلاغة عرفوا الظاهرة المجازية، بأنها استعمال للكلمة في غير ما وضعت له للمبالغة والاتساع[3] فإن أدو نيس قد تجاوز ذلك الحد على صور متمنعة عن حدود المجاز وسياجه.

جـــــــانـــــــب الـــــــــوزن والـــــــــــموســـــــــــيقي: أنبهر وعجزَ المستشرقون عن وصف ما جال في خواطرهم حول النظام الموسيقى للشعر العربي مالم، يعجز عنه رواد الشعر المعاصر في تجازوهم ورفضهم، وجد الشعر من نبرات موسيقية، متكررة للتغني به وما هذه النبرات إلا القوافي التي تتكرر عبر الأبيات، لذا تواجدها في بناء القصيدة أكثر من ضروري، وهذا يرجع لتكوين، الشعر دقيق للموسيقى. وهذا ما يقوله صفاء خلوصي: أن الشعر العربي من أدق أشعار الدنيا، من جانب الروعة الموسيقية لما يلتزمه الشاعر من قواعد في أجزاء

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة لأدو نيس دار العودة بيروت لبنان الطبعة 5 ص 207

[2] See mo rat: http/ www.dalmoor.se/article.asp؟ id-18136Hshastxywe Wrzi.dpuf

[3] تأليف السيد أحمد الهاشمي ضبط وتوثيق د/ يوسف الصميلي جواهر البلاغة في المعاني والبيان المكتبة العصرية للطبع والنشر صيدا بيروت الطبعة الأولي 1420هـ - 1999م ص 42-45

القافية، فضلاً عن تفاعيل البحر الذي تنظم به القصيدة وهو يغيب عن كثير من اللغات؛.[1] إذن إن أول أهداف حركة الشعر الحداثي، هو تفتيت موسيقى الشعر القديم وكان تفتيت القافية أول ما أصابها هذا العمل، لأنها جزءاً مهم في بناء ذلك البناء الموسيقى العام. ومع حداثة أدو نيس يمكن أن نلاحظ انتهاء دور القافية مع أدو نيس بوصفه ضوء أحمر أو علامة وقوف إجبارية، بل أصبحت محطة وقوف اختيارية تتنفس فيها حركة مشاعر الشاعر وأفكاره قبل أن يستأنف الرحلة[2] ويجدر الوقوف عند قول صاحب المقال، المعداويا لمجالطي، لأنه يعطينا ميزتين على أدو نيس في ما يخص الموسيقى الشعرية عنده.

أولاً: يقر صاحب المقال أن أدو نيس ليس حجة في موضوع حركة تجديد موسيقى الشعر، لأنه لم يترك باب من أبواب الهدم والخرق العروضي إلا طرقه، ونجد في ظل هذا الحماس يشاطره هذا الدور كل من محمد بنيس وكمال خير بك، وزوجة أدو نيس خالدة سعيد.– **ثانيا**– ونسجل الخاصية الثانية مع الناقد كاظم جهاد وتتعلق بعلامة لشعر أدو نيس، بميزة التلاعب الشكلي أو الخطي الذي لا يضيف شيئا إلى التجديدات المحققة، على أيدي الدادائيين، وأبو لونير لطبوغرافية القصيدة، بل أنه لا يقصر عنها أولاً، ولا تجدله تبريراً داخليا في طبيعة تجربته الشعرية ثانيا، والأنموذج الفاضح هنا يكمن في (**مفرد بصيغة الجمع**) حيث يستعير الشاعر رموز الرياضيات والهندسة (**أنا تساوي أنا، طعام لا يدخل المعدة/ لا يعود إلى الفم، يبقى في الحلقوم والمعدة.**). ومن هذا أيضا لجوءه إلى التعداد الحسابي، كما في قبرص من أجل[3]نيويورك

في تلك الناحية حفلة جاز
في هذا البيت شخص لا يملك غير الحبر
في هذه الشجرة عصفور يغني
وغير هذا كثير[4]

أدو نيس والـــــــــتراث الـــــــعـــــربي: يقول أدو نيس عراب الحداثة في العالم العربي، في كتابه الثابت و المتحول ((لا يمكن أن تنهض الحياة العربية، ويبدع الإنسان العربي إذا لم تتهدم البنية التقليدية السائدة للفكر العربي، ويتخلص من المبنى الدينى، التقليدي الإتباعي)).[5] وهذه المقطوعة من هذا الكتاب ومقاطع أخرى دعوة صريحة وجاهزة للثورة على الدين الإسلامي، وحضارته وقيمه، وأخلاقه الإسلامية، والعربية ودعوة من أجل التخلص منها وجعل البديل الغربي مكانها، وهذه نفس دعوة المستشرقيين الغربيين.

ثم يقول أدونيس أيضا في مقابلة أجرتها مجلة فكر وفن عام 1987م ((إن القرآن، هو خلاصة ثقافة لثقافات قديمة ظهرت قبله.... وأنا أتبني التميز بين الشريعة والحقيقة، إن الشريعة تتناول شؤون الظاهر والحقيقة هي التي

---

[1] ص 100 علامات في نقد 11ج 41(م س)
[2] مقال للناقد أحمد المعداويالمجالطي تحت عنوان البنية الإيقاعية الجديدة مجلة الوحدة عند مزدوج 83/82 يوليو أغسطس 1991م ص 799
[3] ينظر إلى مخطوط رسالة لطالب باهرة خالد جامعة بلعباس ص 54 رقم 880
[4] إفريقيا الشرق ص 22-23 كاظم جهاد –أدو نيس منتحلاً- دراسة
[5] أدونيس الثابت والمتحول دار العودة بيروت لبنان 1999 ص 55

يعبرون عنها بالخفي والمجهول والباطني لذلك فإن اهتمامي بالمجهول ربما يأتي ويتغير باستمرار، وهذا ما يتناقض مع الدين.))[1] ويقول الدكتور عوض القرني: ((يعتبر أدونيس المنظر الفكري للحداثيين، العرب الذي أخذ على عاتقه نبش كتب التراث ليستخرج، منها الشاذ ومنحرف من الشعراء والأدباء والمفكرين من أمثال بشار بن برد، وأبي نواس، لأن في شعرهم كثير من المروق على الإسلام، والتشكيك في العقائد والسخرية منها والدعوة إلى الانحلال الجنسي.))[2] بصورة عامة، دعوة إلى الجديد وسخرية من القديم. ويقول الدكتور جهاد فاضل في هذا الصدد: ((أدونيس حسب ما يدعي لايطرح نفسه مجرد شاعر إنه، يرصد الإبداع الأدبي عند العرب بنظر موضوعي بارد...)).

.hvbop= rdseeez0 ' هنا كأنه يقول على لسانه أنه غير محب للتراث، العربي بل هو حاقد عليه ومزدر له، متنصر لكل من حمل معولا لهدم كل أصل من أصول هذا التراث ونظرته العرب مأخوذة من فكر استشراقي عدائي ومن أقواله الخبيثة تصريحه بأنه يكره الناس والله.

أكره الناس كلهم

أكره الله والحياة

أي شيء يخافه

من تحطاهم ومات[3]

لكن من يزعم هكذا؟ الإجابة واضحة أنهم المستشرقون المتعصبون يمجدون الفكر الوجودي الإلحادي.

كما نجده يساوي بين الله والشيطان في قصيدته الجدار تعالى الله على ذلك علوا كبيرا.

من أنت؟

من تختار يامهيار

أني اتجهت

الله أو هاوية الشيطان

هاوية تذهب أو تجيء

والعالم يختار

لا الله اختار

ولا الشيطان

كلاهما يغلق لي عيني

هل أبدل الجدار بالجدار[4]

---

[1] مقابلة إذاعية مع مجلة فكر وفن لبنان عام 1987م

[2] عوض القرني الحداثة في ميزان الإسلام دار ابن تيمية المدينة المنورة 2001م ص 19-30

[3] أدونيس الأعمال الشعرية الكاملة .دار القدس للطبعة،النشر سوريا ، 2004م ص124

[4] أدونيس نفس المصدر الأعمال الشعرية الكاملة

ومن مواقفه نجده يعتبر الدين عائقاً أمام نهضة العرب، والعربي في كتابه صدمة الحداثة ويعتبر أن التراث مومياء جامدة، إذا من خلال هذه الجولة نستخلص بعض النتائج:

دعوة أدونيس للتخلي عن تراثنا وهويتنا دعوة استشراقية الصّرف.

أدونيس رجل حاقد عن الحضارة الإسلامية والتراث العربي وهذا من سلوكات المستشرقين أدونيس يجور على التاريخ لصالح النظرة الأحادية الحداثية.

أدونيس يدعو إلى محاربة اللغة العربية بخرقه للنظام العام ولإدخالها في دهاليز الغموض وهنا دعوة صريحة لنشر العامية على طريقة برينيه الفرنسي المستشرق الذي تواجد في الجزائر وعمل عل محاربة اللغة العربية الفصحى وإحياء اللغة العامية وكذلك هي دعوة ما رجليوث وكل هذه النتائج نجدها في كتاب مرايا المجدية لعبد العزيز حمودة.[1]

الاستشراق الفرنسي في المنهج الرومانسي: لقد عرف العالم وخاصة حركية الأدب واتجاهاته نحو تطور وتبلور إلى مناهج أو مدارس حاولت فهم وتطبيق الإنتاج الأدبي والفني وفق أسس ومبادئ تلك المناهج من التاريخي إلى المناهج الحداثية كلها راحت تؤول الأدب وتعرفه وفق نظرتها ومبادئها واستغل الاستشراق هذا الحراك المنهجي لصالحه، وتكلم عن المناهج يجعلنا لا نخرج إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لا لسبب إلا لأن الموضوع طويل وذو شجون بالنسبة للنقاد والباحثين، ولكن شاهد في هذا كله دور الاستشراق الفرنسي في الفن الرومانسي الفرنسي. ونعلم أن الرومانسية جاءت ونقدت الكلاسيكية أو الفن الكلاسيكي باسم الحداثة خاصة في الشعر، لأن الشعر كان ومازال يمثل الهوية العربية والإسلامية يمثل حضور الإبداع العربي والشعر الم يقال عنه: ديوان العرب الم يكن في يوم من الأيام ظهور الشاعر في قبيلته يعد نصراً في حربها الكلامية، الم يكن الشعر يرافق الأحداث العربية والإسلامية ويخلدها وتبقي تاريخ للأجيال حتى لا تنسى.

ونجد الاستشراق الفرنسي لم يترك لا شاردة ولا واردة إلا أحصاها وراح ينال من كل شيء يقوى و يعزز شخصية الاجتماعية العربية الإسلامية، وسؤال وهو كيف للاستشراق الفرنسي بصماته في المنهج الرومانسي؟ والحقيقة عندما نريد تكلم في هذا الموضوع يجذر بنا التكلم عن أثر ديلاكروا وبود لير في حركة النقد الفني والأدبي الفرنسي في متوسط القرن التاسع عشر والملاحظ أن الدراسات الاستشراقية الغربية والدراسات المقارنة بين حضارات الشرق والغرب اهتمامها بالعلوم السياسية والاقتصادية والفلسفة، وظل الاستشراق في الفن التشكيلي رغم أهميته بالموزات بين الفروع الآخرى للاستشراق، وكان تأثير وتأثر، بين حضارة الشرق الإسلامي وبلدان الهلال الخصيب والمغرب العربي والغرب فرنسا بالذات،[2] على اعتبارها من أغنى مراحل الفن الأوروبي وهي رحلة في نصف القرن التاسع عشر أي مرحلة الرومانسية وتعد أكثر إطلاعاً وأخذاً وإبداعاً، للموروث المعرفي والفني الإسلامي الشرقي بعامة. يقول غوته الديوان الغربي الشرقي: ((إذا أردنا المشاركة في عملية العقول النيرة فلابد لنا من التمثل بما هو

[1] عبد العزيز حمودة المرايا المجدية من البنيوية إلى التفكيكية سلسلة المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويت أبريل 1998م ص 102-103

[2] مقدمة ماجستير زيات بيطار منه كتاب الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي ص 4-5 موسكو تشرين الثاني 1989

شرقي، فالشرق لن يأتي إلينا.))[1] لقد برزت محاولة التماثل بين حضارة الشرق والغرب على تخوم القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ولهذا لابد أن نطرح سؤالا لماذا الشرق كان قريبا إلى الرومانسيين، أولا هناك ظروف تاريخية التي هيأت الأرضية لهم حصاد ثمار الشرق بصورة مفيدة عن ظهور الرومانسية بكونها مذهبا فنياً جديداً كان متزامنا، مع تكون وتطور الاستشراق بوصفه فن وعلم في فرنسا[2] وارتبط مصير أدها بالآخر طيلة الحقبة الرومانسية الفرنسية، مما استدعى العديد من الرومانسيين التوجه نحو الشرق للبحث عن مثل جماليات ومسلمات هذا الشرق الأخلاقية الجمالية كما في الصورة وكما في الفكرة معاً[3]، أن الفكر الرومانسي بوصفه مذهباً شمولي المظهر في شتى الميادين المعرفة(الفلسفة، الطب، التاريخ، الفن، العلوم، السياسة، الاقتصاد، الأدب وغيرها)). وفي نهاية القرن الثامن عشر في فرنسا بذات ظهرت الدراسات الشاملة والمتنوعة التي تناولت الحضارات الشرقية كلها من الصينية حتى الإسلامية وفي شتى مراحل تطورها التاريخي، منذ القدم إلى الحديث والتي نتج عنها مفهوم ثقافة الشرق والغرب في أوروبا ككل.[4] وفي هذه اللحظة اتخذ الاستشراق طابع الظاهرة الحضارية العامة المميزة للعصر، وبمأنّ أصبحت الرومانسية متطورة في كل الدول الأوروبية، في نفس اللحظة فقد انعكس الاستشراق الرومانسي، الصبغة القومية، والمكانية التي ظهرت عنه العوامل السسيولوجية والتاريخية الدكرونية والسنكرونية والتقاليد والثقافة في كل بلد على حده، ومن هنا نجد تباين عن المدارس الفنية الأوروبية.

وتطور في كل إبداع وتألق في الأنواع، والأجناس المتطورة في كل مدرسة نجد في ألمانيا مثلاً تألق في الأدب و الفلسفة، وعلم الجمال مدرسة إيينما الأخوة شليغل و نوفاليس شلينغ وفي انكلترا في فن الشعر والرواية التاريخية والترسكون، بايرون، وسيلي، أما في فرنسا فقد غزا ونفذ كل الفنون بشكل جزئي العمارة النحت والموسيقى و المسرح والفنون الزخرفة وأشتهر في فن التصوير الزيتي ومنذ افتتاح الصالون عام 1824م دخل الموضوع الشرقي بصورة، لافتة الأنظار[5] وتطور كل أنواع الفنية اللوحة التاريخية عن الشرق المنظر الطبيعي كالحياة، في الشرق والطبيعة الصامتة، صور الحياة والبيئة في الشرق وفي الثلاثينات عرف ازدهار في الأدب لامارتين وجيراردي نزفال وتيو فييل غوتيه وغيرهم.

ونلحظ أن الاستشراق الفرنسي كان ذو علاقة وطيدة مع الجانب التجاري والسياسي وانطلاقا من مبدأ تركيز على مصالح الاستعمار، الفرنسي وحتى الاستعمار خدم المنهج الرومانسي وبرز حتى نهاية القرن الثامن عشر أحكمت بريطانيا الاستعمارية قبضتها على الهند والشرق الأقصى، وألمانيا بينما غلب موضوع الشرق الإسلامي على منهج أو المدرسة الرومانسية، الفرنسية إلى جانب العلاقة الثابتة والتاريخية بين فرنسا وبلدان الهلال الخصيب، والمغرب العربي منذ القرن التاسع الميلادي والولاء الروحي، والثقافي للكنيسة المارونية والقبطية واحتكار فرنسا للعلاقات بالباب

---

[1] نفس المصدر ص 6
[2] في عام 1795م تم افتتاح معهد اللغات الشرقية في فرنسا واعترف بالاستشراق علما قائما بذاته
[3] زينان بيطار الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي عالم المعرفة 1990ص 7
[4] نفس المصدر ص 08
[5] نفس المصدر ص 9

العالي العثماني منذ القرن السادس عشر[1]، إلى جانب حملة نابليون 1798م التي لعبت دوراً مهما وأساسيا في جلب وتوجيه الرومانسيين الفرنسيين نحو موضوع الشرق الإسلامي وفي عام 1814م انفتحت أبواب مصر أما المستشرقين الفرنسيين والباحثين بعد توقيع اتفاقية التعاون مع فرنسا في عهد محمد على باشا، وفي عام 1830م بدأت حملة الجيش الفرنسي، على الجزائر إلى جانب قيام الثورة اليونانية، في عام 1824م وغزت كذلك بجيوش من العلماء والباحثين والمحققين، والخبراء في كافة الميادين فقد زار في نصف الأول من القرن التاسع عشر 150 فنانا فرنسيا للشرق.

هذا ما جعل الاستشراق تياراً أساسيا داخل الحركة الرومانسية الفرنسية الفنية والأدبية وأدى إلى إكساب الاستشراق الرومانسي الفرنسي سمة الشرقية الإسلامية خلافا عن المدارس الأوربية الآخرى.

وقد ساهموا الرومانسيون الفرنسيون الذين اصطبغوا، بالاستشراق واستهواهم الشرق الإسلامي بتراثه الفني والأدبي وأضافوا، إلى الاستشراق الفني الفرنسي سمة إبداعية مميزة ومنهم (أوجين ديلاكروا، ريتشارد بوثنغتون، الكسندر غابريال ريكان...الخ)). حيث شكلوا منعرجا تاريخياً ومنعطفاً جذرياً في الحياة البشرية، ومرحلة انتقالية للمجتمع الأوربي، من النظام الإقطاعي إلى النظام البرجوازي، وبعد الثورة الفرنسية ظهرت ثقافة جديدة تحاول إبراز التناقضات التي كانت تلطم الحياة الروحية في ظل المجتمع البرجوازي، الجديد ومشكلة الإبداع فيه إرضاء ذوق الجمهور الجديد، والذي يتكون جله من معسكرين البرجوازيين والتجار والصناعيين وهذا التناقض جعل الثورة الفرنسية تفشل في تحقيق مبادئ والقيم (مونتيسكو فولتر، وروسو..... الخ). بيد أن ما تحقق أيام الثورة الفرنسية من تحرير الفنان، والأديب من الكنيسة وتأميم الآثار الفنية والمتاحف جاء بونابرت للقضاء علىه بإخضاعه أي سلطة الفن والأدب للسلطة، ولخدمة إيديولوجية والمآسي الداخلية، والاجتماعية إذن دخول رجال السياسة والمستشرقون في منهج الرومانسية جعلها تخرج منهكة ولا تساير الإبداع، لأن الإبداع غاية الجمال، والفن والتذوق الفني وبالتالي غايته إسعاد البشرية والإنسان ككل وجعل الرومانسية تنحاز مما جعلها تصاب بتشوه وتدخل في أزمة وكذلك جعلها عند أستغلها الاستشراق لمآربه تبتعد عن جوهر رسالتها الإنسانية، وفي فرنسا أخدع بالقوة لخدمة أجندة معينة والدليل تأثرها في فرنسا بثورات 1789- 1830- 1848م[2]

جـــورجـــــي زيـــــــدان وفـــــــكـــره الاســـــــتـــــــشراقي: لا أعرف أحد في دنيا العرب عمل على تلويث تاريخنا الإسلامي، كما فعل جورجي زيدان لقد أفنى سنين عمره وهو يكتب وكان في كتباته سموم وافتراء كاذب في معظم ما حشده، من أخبار وتعلىقات وكأنه أراد أن يلخص أقوال الباطنيين الحاقدين، والمستشرقين الماكرين، لأنه الكلام عن التراث من طرف المستشرقين لا يعار له اهتمام وعندما يأتي من طرف بني جلدتنا، ومن يتكلم بلساننا يكون له نوع من المصداقية ولهذا نجد أن المستشرقين وضعوا كل ثقتهم في مفكرين وأدباء من أجل تمرير أفكارهم الجهنمية، وكانت جل أفكار زيدان تتم لها الآخراج تارة باسم تاريخ التمدن الإسلامي وتارة

[1] نفس المصدر ص 9

[2] زينان بيطار الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي عالم المعرفة 1990ص 213

باسم روايات تاريخ الإسلام. وقد قام الدكتور صلاح الدين المنجد بنشر مذكرات جورجي زيدان وفضح كل السموم المنطوية فيها تارة بأسلوب هزيل يبدو وكأنه عامياً، وتارة بأسلوب ليس فيه ضعف ولاركة.[1] ولابئس أن نعود على جناح طائر ونقرأ عليكم هذا أتعرف على صاحبنا جورجي زيدان هو من مواليد بيروت سنة 1861م من عائلة أرثوذكسية مجهول أصل عائلته وليس لها خبر من أنساب العرب هذا ما يعترف به في مذكراته ولقي رعاية من طرف الانجليز وكان يجيد الانجليزية والفرنسية كما كان عضوا في الجمعية الآسيوية في بريطانيا، ثم أصبح عضوا في المجمع الآسيوي الفرنسي وكانت وفاته سنة 1914م[2]

صلاته بالمستشرقين: تتلمذ جورجي زيدان على يد المستشرقين، وقد أفاض بمدحهم والإشادة بفضلهم على الإنسانية، في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ومن أهم المراجع التي أعتمد عليها في تأليف كتابه تاريخ التمدن الإسلامي مايلي – تمدن العرب للمستشرق جوستاف لوبون – تاريخ الدولة الرومانية البيزنطية للمستشرق ليبو – تاريخ تمدن المشرق فون كريمر وقال الدكتور حسين مؤنس وهو معجب بجورجي زيدان وأساتذته المستشرقين: ((كان أشبه بهمزة وصل بين الحركة العلمية العربية الناهظة، وحركة الاستشراق المتدفقة النشاط في أوربا وأمريكا واتصلت العلاقات بينه وبين أعلام الاستشراق جولد تزهير ووليام رايتGold Ziher...)).[3] وعكف المستشرقون على ترجمة أعماله بجميع اللغات، لأنه كان يصب في أفكارهم المنحرفة، حتى بروكلمان brokolmaneكان شديد الإعجاب به وقد أفرد له فصلاً مطولاً في تاريخ الآداب العربية. ومن أهم مؤلفاته تاريخ التمدن الإسلامي ويقع في خمس أجزاء العرب قبل الإسلام جزء واحد تاريخ آداب اللغة العربية ويقع في أربعة أجزاء. وله عدة روايات التاريخية مثل عذراء قريش – 17 رمضان – غادة كربلاء- الحجاج بن يوسف .....

أهم انتقادات لما كتبه جورجي زيدان بقلم الدكتور سوورور:

موقفة من البعثة: يجمع العلماء المحققون و المتأخرون أن الرسول لبث في قومه أربعين عاماً ثم فاجأهم بدعوة لم يكونوا مهيئين لها، لأنها تصادم طموحاتهم وتصوراتهم ويشهد العدو قبل الصديق أنً محمداً صل الله عليه وسلم كان يلقب بالصادق الأمين ويتجاهل جورجي زيدان هذه الحقيقة التاريخية، ويزعم أن الدعوة التي جاء بها كانت لبنة في بناء بدا منذ عام الفيل ويقول في كتابه تاريخ التمدن الإسلامي: بأن العرب الجاهلية حفظوا أخبار الأقوام البائدة مثل عاد وثمود وصالح وهود، قبل ذلك بقرون طويلة، فتكاثر الشعراء والخطباء والحكماء في القرن الأول قبل الإسلام، وهو ما يعبر عنه بالنهضة العربية، وهذه النهضة لم تكن لتقتصر على الشعر والأدب ولكنها شملت الدين أيضا، إذن كانت هناك نهضة دينية اضطربت لها الأفكار واختلطت الاعتقادات،كان أهل الجاهلية لا يعرفون إلى من يصلون ومن يتوسلون يذبح أحدهم للصنم ويدعو الله، وأصبح الناس يتوقعون الفرج من باب النبوة، وهذا ما جعل كم واحد يدعي النبوة وهذا يدل على تنبه الأذهان إلى أمر الدين والتفكير في عواقب الأعمال[4] ويقول أيضا في المرجع نفسه:(

---

[1] ينظر كتاب محمد سورور بن نايف زين العابدين دار ابن تيمية السعودية الطبعة الرابعة 1410هـ -1990م ص 193
[2] ينظر كتابه مذكرات جورجي زيدان ص 15
[3] ص195 دراسات في السيرة النبوية
[4] جورجي زيدان تاريخ التمدن الإسلامي الجزء الأول ص 40

أن بلاد العرب كانت قبل الإسلام في نهضة أدبية، تمهد لقيام الدعوة الإسلامية ويشترط أن تكون دعوة دينية أن تكون مسبوقة بنشاط أدبي وفكري[1] ويرى جورج زيدان أن غزو الأحباش لمكة أي عام الفيل أنتج رجلاً نبغوا في السياسة والقيادة والإدارة وكانوا من أهم العوامل لانتشار الدين الإسلامي ويقارن بين ما وقع بالثورة الفرنسية، وأنتجت بونابرت وأمثاله. وعام الفيل أنتج قادة أمثال خالد ابن الوليد وأبي عبيدة وأبي بكر وعمر...[2] إذن لو تكلمنا عن جورج زيدان لخصصنا له بحثاً يتسع لعدة فصول وعليه نعود لنخلص إلى عدة استنتاجات ومنها أنً قول: جورج عن العصر الجاهلي فيه مغالطات كثيرة، زعم أن واقعة الفيل كانت المحنة التي أنتجت القادة والجدير بالذكرأنً هؤلاء القادة لم يولدوا عندما غزا الأحباش مكة، وبعضهم كان دون سن التمييز، من جهة أخرى فأهل مكة كانوا في وضع لا يحسدون عليه ولا طاقة لهم بأبرهة وجنده، ولم يؤرخ المؤرخون أو تحدث التاريخ عن معركة دارت بين الأحباش وقريش أما ربطه بين حادثة الفيل والثورة الفرنسية التي أنتجت بونابرت هذا ليس غريباً أن يصدر عن مفكر يدين بالدين المسيحي وهنا يكشر عن نيته النصرانية، لأنه لا يبصر إلا بعيون قادة ومستشرقين فرنسا وكذلك لو كان الناس في مكة يتوقعون الفرج في النبوة لما حاربوا الرسول صل الله عليه وسلم حرباً لا هوادة فيها. هذا فيض من غيض، لهذا الكاتب الذي للأسف، نجد بعض المفكرين والأدباء والباحثين يدرسون له دون أن ينتبهوا لسموم التي هي موجودة في خبايا كتبه التي تحاكي كتب الاستشراق ونجد له كذلك مواقف عدائية من الفتوحات و طعنه بأعلام خير القرون، ومن أراد أن يغوص في هذه المواقف عليه مراجعة كتاب تاريخ التمدن الإسلامي بالنسبة لموقفه من الفتوحات ص 73-74-75-76 وبالنسبة طعنه في خير القرون راجع تاريخ التمدن الإسلامي ص 47- 83 -87- 86- 334-

طه حسين في الميزان: أفضى عميد الأدب العربي بدون منازع منذ نعومة أظفاره إلى أن رُدّ إلى أرذل العمر وهو يحمل بين جنبيه، حقد الدفين إلى كل ماهو تراثي إسلامي وكان متميزاً في ذلك مما جعله يلقى الثناء من المستشرقين لأن كان خادم أفكار المستشرفين، فكان كلام طه ترجمة حرفية لأقوال أساتذته، وتبين أنه متبع وليس مبتدعا، مقلد وليس مجتهداً.

ونقطة التي أفاضت الكأس رغم شذوذا ته وانحرافاته كتابه المسوم تحت عنوان الشعر الجاهلي والذي غير عنوانه بالأدب الجاهلي، وهل هذا تغير في العنوان جعله يغير مفاهيمه وأرائه في الشعر الجاهلي؟ ويرى بعض النقاد المنصفين لا يدرسون طه بنية حاقدة بل بفكرة مجردة من كل خلفيات تسيء للرجل فيقول بعضهم: نحكم على الرجل من خلال كتبه الآخري، أما كتاب الشعر الجاهلي فهو غير بريء فنجد كتابه على هامش السيرة كلام طيباً وآخر يقطر خبثاً، نفس الأساليب المستشرقين الملتوية معروفة ومبثوثة، ظاهرها جنة ومن باطنها الخبث.

هذه بعض النقاط التي كان يؤمن بها طه حسين وكتبها في الشعر الجاهلي وكتبه الأخرى نلخصها في نقاط نجده بالغ في المنهج العقلي المادي واعتبر بعض الحقائق القرآنية ما الأساطير مثل قصة إبراهيم وابنه إسماعيل، في كتابه

[1] ينظر نفس المصدر ص 41- 42
[2] نفس المصدر جورج زيدان ص 75

هامش السيرة نجده بالغ في المذهب العاطفي الخيالي عكس الكتاب الشعر الجاهلي عقلي مادي وهذا دليل على تناقض طه واضطراب عقله، حشر طه حسين قصص الفراعنة والمصريين بسيرة المصطفي صل الله عليه وسلم ذكر قصة قيصر وحاكمه أندرو كليس، ثم ذكر قصة الفيلسوف كلكراتيس، وأسهب في الحديث عن القساوسة والرهبان الذين كانوا يتوافدون على مصر، وعندما وصل في حديثه إلى باخوم الذي زعم أنه أقام بمكة فترة من الزمن، كأنه وجد كترا فقال: ((والعجب أن أكثر المصريين يجهلون أن لهم في بناء الكعبة يداً .))[1] فهو يرى بأن المصريين أمة واحدة هم من نسل الفراعنة، وأنّ المسلمين في نظره مستعمرون لمصر.

المستشرقون و الدعوة إلى العامية: لقد عرف العرب والبشرية جمعاء أكبر معجزة وهو القرآن الكريم ولولاه لدرست اللغة العربية وانقرضت كغيرها من معظم لغات العالم، والمشكلة التي تقلق الغرب وعلى رأسهم المستشرقين هي اللغة العربية، وهي تقض مضاجعهم كيف يصلي المسلمون ويؤذنون خمس مرات في اليوم بلغة واحدة،؟ كيف يقرأ الهنود، والأتراك، وأهل باكستان، وأند ونسيا، وماليزيا،... وغيرهم من المسلمين في مختلف بقاع العالم القرآن الكريم بلسان عربي مبين؟ بل كيف يحفظون هؤلاء الأعاجم القرآن الكريم عن ظهر قلب ويدرسون علومه وتلاوته للعرب؟ إذن لن يقر المستشرقون والتبشريون قرار في بلادنا ولن يحققوا، أهدافهم إلا إذا وجهوا ضربة قاصمة للفصحى وكان أول من قرع ناقوس الخطر لهذا المستشرق أرنولد توينبي، في كتابه الإسلام والغرب، قائلاً:(إن هناك بلادا إسلامية عربية اللغة وإذا كانت لغة التخاطب، تختلف حسب المناطق يعنى اللهجات واللغات العامية، فإن الفصحى واحدة من شواطئ الخليج العربي ، ومن حلب والموصل شمالاً، حتى الخرطوم وعدن ومسقط وزنجبار جنوباً، جميع الكتب والصحف الصادرة في القاهرة ودمشق وبيروت ، يقرأ في هذه المنطقة الشاسعة كلها وحتى خرجها، لأن اللغة العربية، هي اللغة الدينية لجميع البلدان الإسلامية.)).[2] ومن أجل محاربة اللغة العربية عمل المستشرقون كل ما في وسعهم من أجل تحطيم الفصحى عن طريق إحياء اللغة العامية واللهجات، المحلية على حساب اللغة العربية وثم إقامة دروس في العامية للأهالي بحجة التراث والمحافظة عليه وأن العربية لاتصلح أن تكون لغة علم وهي تقتصر على الدين فقط وألفوا الكتب بالعامية مثل المستشرق الألماني كارل فولرس كتب كتابا في اللهجة العامية الحديثة في مصر وجون برينيه في الجزائر كان يدرس دروسه بالعامية وأقام مدارس مع جون فرعون في تقديم دروس في العامية للأهالي والمعمرين. ومن أجل نجاح هذه الجريمة في حق العرب المسلمين توجهوا بكل طاقتهم إلى النحو والقواعد من أجل هدمها والخروج عن عمود الشعر العربي وسموا الفصحى لغة قريش.[3]

المستشرقون الفرنسيون والترجمة: وقبل الخوض في دور المستشرقين في ترجمة الأعمال الأدبية والفكرية الخاصة بالشرق العربي والإسلامي، لابأس أن نضع بين يدي القارئ مفهوم الترجمة وشروطها وأنواعها على عجاله

---

[1] طه حسين على هامش السيرة ص 338
[2] أرنولد توينبي الإسلام والغرب دار الفضيلة للنشر والتوزيع بيروت لبنان ترجمة محمد سرور ص183
[3] ينظر كتاب دراسات في سيرة النبوية لمحمد سرور بن نايف العابدين ص184-185

مفهوم الترجمه: لغة: اختلف اللغويون القدامى في تحديد الجذر اللغوي لمفردة ترجمة فمنهم من رأى أنها من أصل (ر- ج - م)؛ وآخرون راو أنها من (ت – ر –ج – م)؛[1] وجاء في لسان العرب الترجمة من الفعل **رجم** والرجم هو القتل أو الرمي بالحجارة التَرجمان و التُرجمان المفسر ويقال قد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر[2]

اصطلاحاً: معظم التعريفات لمصطلح الترجمة لا تخرج عن المفهوم وهو: (نقل الكلام من لغة إلى أخرى) فهذا تعريف عام ونأخذ بعض التعريف الخاصة مرتبط بالخلفية ومرجعية الباحث فنجد : أنها (استبدال تمثيل نص في لغة بتمثيل نص مكافئ في لغة ثانية، فالترجمة غير التعريب، فهي نقل معنى وأسلوب من لغة إلى أخرى.) وهناك تعريف آخر يشير إلى وظيفة الترجمة فهي (وسيط بين لغتين، وحامل معرفي بين ثقافتين، وربط علمي بين عقلين، وعامل تواصلي بين حضارتين.).

شروط الترجمه: يمكن أن نوجز الشروط الأساسية في أربعة نقاط:[3]

- البيان: يتطلب ترجمة النص الأصلي أن يكون المترجم صاحب بيان كي يصوغه صياغة واضحة، المعنى سهلة اللفظ جيدة السبك،و بهذا يسلم تركيب النص، من غموض الكلام ، ومن وضعه في غير موضعه ويخلو من تنافر الحروف ومخالفة القياس اللغوي وغرابة الاستعمال.

- معرفة اللغتين: المنقول منها والمنقول إليها، معرفة القواعد الصرفية والنحوية، هي العدة الضرورية وهذا يتطلب المعرفة بالغة الأصل والهدف.

- معرفة الموضوع المنقول: وهنا يجب على المترجم أن يكون ملما بالموضوع الذي يترجمه على حسب التخصص.

- ثقافة عامة: إن الثقافة ضرورة لاغنى عنها لأي إنسان ولاسيما للمترجم، يقول عن هذا الأستاذ عجاج نويهض: (إن مجرد معرفة اللغتين المنقول إليها والمنقول منها، معرفة لغوية لا يفيد الغرض كاملا، إلا إذا سبحت معرفة المنقول إليها بعد ذلك في محيط من الثقافة الغزيرة النيرة، البصيرة الحاذقة.).

أنواع الترجمة: تعددت واختلفت التقسيمات، حسب الغاية التي تصنف من أجلها فهي على ثلاثة:[4]

الترجمة التحصيلية: أو الترجمة الحرفية يقدم فيها المترجم الاعتبارات اللغوية على الاعتبارات المعرفية فينشغل بالمطابقة بين اللغتين من حيث المعجم، التراكيب، ويؤدي هذا النوع أحيان كثيرة إلى انحراف المعنى وغربة المفاهيم المترجمة في بنية اللغة المنقول إليها.

الترجمة التوصيلية: وتسمى عند البعض بالترجمة التقريبية، لسعي المترجم إلى إيجاد المعنى التي تقرب النص المنقول إلى اللغة المنقول إليها.

---

[1] ممدوح محمد خسارة علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية دار الفكر دمشق 2008 ص 21
[2] أبن منظور لسان العرب باب الراء مجلد 6 ط1 دار صادر لبنان بيروت ص 117
[3] سعد مظفر الدين حكيم علم الترجمة النظري / دار طلاس ط1 1989م ص 182 إلى 185 نتصرف
[4] علي ألقاسمي علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقيته العَمَلية مكتبة لبنان ناشرون ط 1 2008م ص 176 بتصرف

الترجمة الأصلية: وتسمى أيضا بالترجمة التأسيسية ولا يكفي في هذا النوع أن يتوفر المترجم على الكفاءة اللغوية أو المعرفية، وإنما يشترط فيها العلم بالمقاصد ووضوح الأهداف.

نعود إذا إلى قضية الاستشراق الفرنسي خاصة والاستشراق بصورة عامة وقضية الترجمة في الحقيقة ارتبط الاستشراق، بالترجمة منذ الوهلة الأولى، ذلك إن كل مستشرق درس هذا الشرق إلا وكانت الترجمة وسيطة بين هذين الطرفين، وعن علاقة بينهما يتحدث المستشرق رتشارد جاكمون في حوار جرى بينه وبين محمد على عبد الجليل فيقول: ((يمكن أن نقول بأن الاستشراق هو مشروع ترجمة بامتياز، سواء بالمعنى الحقيقي أم المجازي)).[1] ثم يتحدث عن الاستشراق وترجمته للثقافة العربية فيقول:(بعدما ترجمت الحركة الاستشراقية، الثقافة العربية إلى اللغات الأوروبية، عاد العربُ وترجموا الأعمال الاستشراقية إلى اللغة العربية، بمعني أنهم قاموا بترجمة الترجمة).[2] هذا القول يقودنا إلى أن الغرب أهتم بالترجمة وترجم عن العرب والشرق في مدة زمنية معينة بعدها أعاد العرب ترجمة الترجمة الاستشراقية ونجد المشكل المطروح يخص الأعمال التي ترجمها المستشرقون وخاصة الدراسات العالم العربي الإسلامي وجهت لها انتقادات للمستشرقين، لأنهم ذو خلفية استعمارية ومشبوهة بتحزب وتنصير والكره الدفين منذ الحمالات الصليبية، وتحمل في طياتها أيديولوجية معينة حينها نجد فيها كثير من المغالطات وترجموا عن العرب والحضارة الإسلامية كنوز من المعرفة، ونستطيع أن نكون منصفين أنهم اخرجوا التراث العربي الإسلامي، من الرفوف والمكتبات إلى العلن وعرضوه على المجتمعات الغربية وترجموا القرآن الكريم والشعر العربي والنثر وحققوا المخطوطات رغم المغالطات والتشويه إلا أنه يعد عمل فيه نوع من المثاقفة مع الآخر.

ترجمة الشعر: نجدهم ترجموا أشعار الجاهلين والعباسين وغيرهم وترجموا البردة للبصيري، وعن ترجمة الشعر يقول المستشرق بلاشير: أن هناك هوة بين العروض العربي والعروض الفرنسي لذلك يقول: إن نقل القصيدة العربية إلى لغتنا هو دائما خيانة للأصل،[3] ومن اهتمامات المستشرقين بنشر الدواوين، نجد ترجمة ديرزنبورغ، لديوان الفرض ودوسلان منتخبات من أشعار جاهلية، باسي قصيدة البردة للبصيري وديوان أوس بن حجر

نموذج من الترجمة: ترجمة بلاشير لشعر عمر بن أبي ربيعة:[4]

لقد أرسَلتْ في الَشَر ليْلى بأَنْ أقمْ..... ولا تنأنا ، إنَ التجنب أمثلُ

لعلَ العُيوُنَ الَرامقات لسوُدنـــــــــــــا..... تكذبُ عناً أو تنامُ فتغفُـــــــــــلُ

Layla en secret ma dépêché un émissaire

Me disant Demeure Ne témoigne pas

---

[1] رتشارد جاكمون ولد عام 1958م مستعرب فرنسي ومترجم وباحث في معهد البحوث والدراسات حول العالم العربي الإسلامي أستاذ الأدب الحديث واللغة العربية في جامعة أيكس مرسيليا كلامه مقال من الانترنت موقع معابر www.maaber.org محمد علي عبد الجليل مترجم بين التبعية والاستقلالية في 8-11-2012

[2] نفس المصدر السابق

[3] حورية الخمليشي ترجمة النص العربي القديم وتأويله عند رجيس بلاشير منشورات الاختلاف الجزائر ط1 2010م ص 71

[4] نفس المصدر ص 126

Rester dans les parages est avise
Peut – être les espions surveillant montre Amour

اهتم المستشرقون بشعر المرأة، العربية وأشادوا بها، فهي في نظرهم فرضت وجودها في المجتمع شعريا وثقافياً.

ترجمة النثر: من الترجمات التي خصت النثر المقامات وغيرها من الأجناس الأدبية الآخرى، كونها تعبر عن ذهنية قائلها من العرب والمسلمين وترجموا الأعمال الخالدة النثرية الخالدة في الأدب العربي مثل ألف الليلة والليلة وكتاب الحيوان للجاحظ وكتب الحلاج وترجموا الأمثال والحكم،

نماذج من الأمثال: هم أكلة الرأس [1] ils sont une poignéeتعنى عددهم قليل يشبعهم رأس واحد من البهائم أجوع من كلبة حومْل plus affame que la chienne de h aiomaهذا المثل يعرض لامرأة بدوية تسمى حومل لم تكن تطعم كلبتها التي أتنهى بها المطاف إلى أكل ذيلها، والترجمة لم تقتصر على الأدب بل شملت العلوم، والتاريخ والتفسير والطب والفلك والنبات... في الحقيقة أنهم ترجموا كل كبيرة وصغيرة تخص الشرق والعرب والمسلمين.

ترجمة القرآن: هي من المسائل الحساسة التي تناولها المستشرقون وتجرؤا على فعلها، مما جعل الخلاف[2] يدب بين علماء الإسلام منهم من حرمها واعتبرها اعمل مشينا، لأن اختلاف الترجمات من غير فهم جيد وخاصة إذا صدرت من مجموعة حاقدة على الإسلام والقرآن، لا تلتزم بروح العلمية في مايخص القرآن والإسلام للفكرة المسبقة عنه، سيؤدي بالمسلمين كما حدث مع بني إسرائيل من اختلاف من نسخ التوراة السامرية والعبرانية والسريانية، واليونانية ويظهر بذلك قرآن فرنسي وألماني وبريطاني، وهو الذي جاء بلسان عربي مبين ومن حججهم أيضا، أن القرآن بإعجازه اللفظي والمعنوي وهذا يتعذر على المترجم القيام به، تنحط القيمة الاجتماعية للقران، لأنه لم يجمع الإنسانية عليه وإنما تفرق هو إليها، أما ذكر معاني القرآن وتفسيره بلغات غير العربية، فهذا من الأمور المرغوب فيها حسب رأيهم، أما الطائفة الثانية، أجازت الترجمة لكن بشرط، على المترجم مايلي[3]، أن يكون على دراية تامة باللغة العربية واللغة التي يترجم إليها وأن يكون عالما بدقائق اللغة العربية وخصائصها وأسرارها من نحو وصرف وبديع وبلاغته وأن يكون واسع الأفق بأسباب النزول، مع تمكن من اللغة المنقول إليها ومن خلال هذا العنصر تستنتج بعض الأشياء:

إنً الاستشراق رغم الاختلاف حول دوافعه وأهدافه يبقى الحركة التي اهتمت بالثقافة الشرقية دون ما تفوته جزئية، خاصة بهذا الشرق، أن الترجمة ارتبطت الاستشراق منذ الوهلة الأولى ، المستشرق لعب دورا هاما في الترجمة، التأثير بين الترجمة والاستشراق كان متبادلا فالمستشرق أثر بإيديولوجيته في الترجمة، كما أن النص الأصلي كان له واقع على المترجم.

---

[1] حورية الخمليشي ترجمة النص العربي القديم وتأويله عند رجيس بلاشير منشورات الاختلاف الجزائر ط1 2010م ص 131
[2] محمد الصالح صديق البيان في علوم القرآن المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1994م ص 299
[3] نفس المصدر ص 307

الجانب التطبيقي:
الاستشراق الفرنسي ونشاطاته في الجزائر
أنموذجا

توطئه:

يسمع الكثير من الناس عن، ما فعله الاستعمار الفرنسي في أرض الجزائر – بلد العروبة والإسلام – فيستغرب بسبب الجرائم البشعة التي ارتكبها في حق الشعب الجزائري، من تقتيل وتشريد وتنكيل ومراهنة على بطون الجزائر الحوامل وخنق المواطنين مع نسائهم وصبيانهم في الكهوف والمغارات وذلك منذ أن دنست أقدامه الأرض الطاهرة وانتفضت المقاومات الشعبية، بقيادة الشخصيات التاريخية أمير عبد القادر، بوعمامة، المقراني، والشيخ الحداد وغيرهم من الأحرار. ولكن حجم الدمار والعار والتقتيل والإبادة على طريقة إبادة الهنود الحمر في أمريكا التي لاحقت بالشعب الجزائري، لا يمكن أن يعرفه حق المعرفة إلا من عايشه معايشة تامة فلم يكن الدمار والخراب على مستوى التقتيل والخراب والنفي فقط، بل كان ماهو أشد من ذلك على مستوى الهوية وانتمائه الحضاري، وطمس الهوية العربية الإسلامية عن طريق تشويه الحقائق التاريخية المتعلقة بالجزائر منذ الفتح الإسلامي لها، وهذا كله من خبث ووحي المردة المستشرقين وعلى رأسهم كما وصفه الدكتور الأستاذ باقي محمد من جامعة بلعباس بأنه أخبث رجل على وجه الأرض[1]، ماسنيون الذي لعب دورا مهما في احتلال الجزائر و قبل الخوض في هذا الجزء الذي هو ملحق لابد أن نشير إلى واقع الجزائر الثقافي والأدبي واللغوي قبل لعنات الاستشراق الاستعماري التنصيري الذي ابتليت به الجزائر الحبيبة.

كان الواقع الثقافي والأدبي في الجزائر قبل 1830م مزدهرا في ظل ثقافة أمازيغية عربية إسلامية فلم يكن الإسلام مجرد دين ،بل كان نظام حياة ومنظم للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية ومصدراً لهذه الثقافة، و لم تكن الأمية سائدة في أوساط المجتمع الجزائري، وقد شهد على هذا رجلات Valzzفالز سنة 1834م قائلاً: ((إنَّ كل الجزائريين تقريباً يعرفون القراءة و الكتابة، وفي كل قرية توجد مدرستان))[2]، ولكن الاستعمار استهدف هذه الحالة الثقافية عن طريق التخريب والهدم وتحويل البنايات إلى أشياء أخرى، حيث ارتكزت هذه السياسة الاستعمارية الفرانكفونية الاستشراقية على ثلاث أسس:

الفرنسة – التنصير – الإدماج – ولتحقيق ذلك أعتمد على ما يلي:

محاربة التعليم الإسلامي تعرض إلى حرب شرسة حيث استهدفت، المساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب وعلى سبيل المثال في قسنطينة عاصمة الشرق كان فيها 80 مدرسة و07 معاهد لم يبق منها إلا 30 مدرسة هذا في سنة 1837م وعنابة كان فيها 39 مدرسة و37 مسجداً جامعا، وزاويتان لم يبق منها سوى 03 مدارس واستعملت قرارات وقوانين من أجل ذلك القرار الصادر 18- 10-1893م القاضي بوجوب الحصول على رخصة لفتح مدرسة قانون 1904 الذي يمنع على الجزائريين فتح أي مدرسة لتعليم القرآن والعربية[3] بعد ذلك عمّت على

---

[1] هذه الكلمات مختار بن قويدر جامعة معسكر قسم اللغة العربية وآدابها من كتابه الجزائر ومعركتها مع الثالوث المدمر التنصير والاستشراق والاستعمار دار النشر الكشاف بيروت لبنان 2013- 1434هـ ص الأخيرة على الغلاف

[2] عثمان سعدي الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1945م دار الأمة ط1 2001

[3] نفس المصدر ص132

- سوف نتطرق إلى تحويل دور العبادة إلى كنائس وأسواق من خلال هذا الملحق في النقاط التي نتناولها

نشر اللغة الفرنسية من أجل فرنسة المجتمع والتعليم و الإدارة والأحوال المدنية وهي مرحلة ثانية من المراحل المنتهجة من طرف الاستعمار الفرنسي، وذلك من أجل إدماج الجزائريين في الثقافة الفرنسية ودياناتها نهائيا.

كل هذا لعب فيه الاستشراق الدور الأهم إلى جانب الكنيسة لعبت دورا مع خدمها المخلصين وهم المستشرقين الذين كانوا في الأصل رهبان وعملوا على نشر المسحية والقضاء عن الإسلام من خلال محاربة كل ماهو ديني وعربي ، ونجد بعض المساجد حولت إلى كنائس مثل مسجد كتشاوة وجامع الباي في قسنطينة* [1]، وسوف نسرد القصة كاملة لتحويل مسجد كتشاوة إلى كاتدرائية، ونجد القس شارل لا فجيري 1825م-1892م لعب دورا مهما في إرساء الاستعمار في الجزائر وهو متخصص في علم الدين ودرس الأدب العربي، وله مواقف من القرآن غير مرضية، وهو مؤسس رهبانية الآباء البيض أو بما يعرف برسل إفريقيا سنة 1868م نشر المسيحية وتنصير أبناء المستعمرات الإفريقية.

المستشرقون الفرنسيون وتعليم اللغة العربية للأوروبيين: عندما نذكر الاستعمار الفرنسي للجزائر يتجلى في الأذهان موقفه من اللغة العربية التي حاربها بكل الوسائل حتى عجم أهل الجزائر وخاصة أهل المدن وبنسبة أقل في الأرياف وفرض اللغة الفرنسية كلغة أولى في التعامل والإدارة وقضية مهمة هنا يجدر الإشارة إليها وهي استعمال الفرنسيين اللغة العربية من أجل مصالحهم الاستعمارية وهنا نطرح على أنفسنا بعض الأسئلة: ما مدى نجاحهم في هذا؟ من هم الأشخاص الذين جندوهم؟ قبل أن نتطرق إلى هذا هناك بعض الأشياء أو التجليات تحكمت في هذه التجربة نذكر منها:

- الحملة الفرنسية على الجزائر وقعت بعد ثلاثين سنة من حملة فرنسا على مصر، وهي الحملة التي تركت آثارها على الشرق وجعلت الاستشراق الفرنسي ينشط في إنجاح ما عجز عليه الجيش وسنلاحظأن الفرنسيين استفادوا من تجربتهم في مصر، من عدة نواحي خاصة ما يتعلق باللغة العربية.

- إن المترجمين الذين شاركوا في حملة نابليون على مصر هم الذين تولوا ترجمة لجيش بورمون[2]في الجزائر وكان هؤلاء المترجمون رحالة مشارقه من مصر وسورية[3] ورجال أوروبيين.

- نجاح الحملة الفرنسية وعملية التوسع ونشأة الإدارة الفرنسية واستيطان الآلف من الأوروبيين كل ذلك جعل الفرنسين يتعلمون اللغة العربية في الجزائر، فهنا بدأ نشاط تعلم اللغة العربية ودور المستشرقين في إعطاء دروس للأوروبيين في اللغة من أجل فهم عقلية الجزائريين من أجل تسهيل التحكم فيهم والتعامل معهم. وبدأت بتجنيد فرقة، من المترجمين للحملة والمستشرقين أطلق عليها اسم فرقة المترجمين العسكريين، وكان منهم القسيس والمدرس والتاجر الرحالة، وكان مع هؤلاء المترجمين تلاميذ سلفستر دي ساسي[4]، عميد مدرسة اللغات الشرقية بباريس وهذا الأخير لعب دوراً مهماً في توجيه الاستشراق والمستشرقين في الجزائر من خلال توجيهاته ومن الأدوار التي لعبها

---

[1] عثمان سعدي نفس المصدر ص 213
[2] الكونت دي بورمون كان وزيراً للحربة في عهد شارل العاشر وقاد حملة احتلال الجزائر
[3] يقول شارل كيرو (مترجمو جيش إفريقيا) الجزائر 1876م
[4] دي ساسي لم يزر الجزائر 1758م- 1838م ولكنه شجع على إنشاء كرسي العربية فيها

ترجمته لبيان الاحتلال الفرنسي للجزائر، قبيل نزول الحملة مع المترجم زكار[1]، وهذا الأخير أثناء وجوده في الجزائر قام بتدريس اللغة العربية للأوروبيين، مدة ثلاث سنوات، ولما نجحت الحملة أقام الاستعمار المنشآت الإدارية والإستطان واحتاج النظام الإستدماري إلى معرفة البلاد وأهلها وكانت دراسة اللغة العربية وسيلة مهمة من أجل معرفة طريقة تفكير الأهالي، وكانت بلاد الجزائر مثلها مثل الأقطار العربية الآخرى تعتمد في تواصلها وأعمالها وآدابها على اللغة العربية الفصحى كلغة ثقافة مكتوبة، وعلى العامية أو اللهجات الآخرى كأداة اتصال بين السكان المتعلمين والأميين، ونجد في المدن الساحلية خصوصا مدينة الجزائر كانت تتوفر على لهجة تكاد تكون دولية وتسمى، باللغة الإفرنجية Langua- f raqua/ وهي عبارة عن خليط يتداوله التجار والبحارة من أجل مآربهم وتتألف من كلمات عربية وتركية و إيطالية و إسبانية و وبروفانسيالزو. يقول احد المستشرقين الفرنسيين: ((لقد كان على السادة الجدد، من الفرنسيين إلى أن يستعملوا اللغة العربية في الإدارة وفهم السكان ولا يمكن مطالبة المهزومين، بتعلم لغة الغزاة فورا.)).[2] فاللغة العربية في الجزائر كانت لغة الحديث والفكر والعلم منذ قرون ودراستها بطريقة جادة يمكن أن تقدم للفرنسيين فوائد جمة، ويسرد قوله: أعني ذلك المستشرق والذي دعا إليه إدخال الأهالي بالتدرج إلى عالم أفكارنا وحضارتنا سياسة الإدماج الجغرافي والسياسي، والثقافي والوجودي، ككل حيث نجعلهم يتذوقون حياتنا، ويتعودون على اعتبارناكحماة لمصالحهم وممدنين لبلادهم، وليس غزاة تساعدهم الأسلحة ويضيف القول إن دراسة ،أدب وشعر الجزائريين سيؤدي إلى معرفة عبقريتهم وأصالتهم الفكرية وشعرهم المؤثر ومعرفة كتبهم في العلوم والتاريخ والفقه والدين ومن ثمة معرفة أصول أفكارهم وأحكامهم وتقاليدهم.[3]

و كان أول من عهد إليه الفرنسيون تدريس اللغة العربية للأوروبيين في الجزائر هو جوني فرعون الذي كان من مواليد القاهرة، وكان أول أستاذ اللغة العربية في الجزائر ولد فرعون سنة 1803م وأبوه إلياس فرعون سوري الأصل، وكان مترجما للجيش الفرنسي، وكان كذلك أستاذاً بمدرسة اللغات الشرقية بباريس وبالتحديد في سنة 1831م وعمل مترجماً وكاتباً في الإدارة الفرنسية الجديدة وقد ألف عدة كتب لتلاميذه وخرج منهم معربين في صف الجيش الفرنسي لا موريسيير، وبيليبسي، ديرني، ودوماس* .

كان لجوني فرعون قصة مع تعليم اللغة العربية في الجزائر بعدما جاء الحاكم المدني (جنتي دي بوسي) De Bussy كان يحمل أفكار حضارية يريد غرسها في الجزائر تتلاءم، مع الحاكم العسكري في الجزائر، حيث قال: إن الجزائر لن تكون فرنسية فعلاً إلا إذا أصبحت، لغتنا الفرنسية هي السيدة على هذا قام الحاكم دي بوسي بإنشاء مكتبة عامة نواتها من المخطوطات العربية التي جمعت من المساجد وغيرها ومطبعة عربية فرنسية لطبع المنشورات،

---

[1] جان شارل زكار ولد بدمشق سنة 1789م وأصبح قسيسا في أحد كنائس مرسيليا وخلال الحملة سمي مترجما للحملة مع دي ساسي وألقي أول قداس في مدينة الجزائر

[2] أبو القاسم سعد الله أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1996م ص 24

[3] المجلة الإفريقية كور خاصة بشؤون الاستشراقية في الجزائر مطبعة الجزائر العاصمة العدد 304 ص 31- 32

- لا موريسيير كان من أتباع حركة سان سيمون وتزوج جزائرية وإليه سلم الأمير عبد القادر سيفه وجواده عند هزيمته – ودوماس تولي قنصلية فرنسا في معسكر- بتلبيسي اشتهر بكتابة (الحوليات الجزائرية)في جزئين

الرسمية وجريدة مونتير الجزائري Le moniteur Algérien لنشر أخبار الحكومة وكانت دروس موجهة لحضور مدينة الجزائر واليهود ودروس العربية موجهة للأوروبيين.

ملاحظة: نجد دي بوسي لم يولّ اهتمام دروس لليهود والجزائريين، عكس دروس العربية الذي اشترط مؤهلات عالية وأرسل إلى الحكومة المركزية، وجعلت تحث تصرفه أستاذ من الكوليج لويس لوقران Louis Le Grand واسمه يعقوب، لكنه توفي قبل التحاقه عندئذ أسند دي بوسي تلك الوظيفة إلى جون فرعون، وهكذا أصبح يعطي دروساً في اللغة العربية للأوروبيين، أيام الثلاثاء والخميس والسبت من الثالثة إلى الرابعة[1] وتذكر بعض المصادر أن دروسه كانت ناجحة للغاية وأصبح كذلك يعطي دروساً في العامية من أجل تسهيل وتقرب من الأهالي ومعرفة دهنياتهم وسلوكياتهم وإلى جانب هذا قام بتأليف الكتب المدرسية للتلاميذ ووضع تقرير عن المصطلحات العربية في القضاء الإسلامي، وساهم في إعداد فرقة خاصة بالمترجمين، المحلفين القضائيين سنة 1833م وفرقة المترجمين العسكريين.[2]

رغم الدور الذي لعبه جون فرعون في تدريس اللغة العربية للأوربيين، والخدمة التي أسداها لفرنسا، كان ينظر له على أنه ليس مستشرقاً بالمعنى الدقيق للكلمة ضف إلى ذلك كان يُنظرَ على أنه ليس من أصل فرنسي فالعربي يبقي عربياً حتى لو أفنى عمره في خدمة الإفرنج، لأنه لما أراد الفرنسيون استحداث كرسي اللغة العربية Chair de la Langue arabe في الجزائر سنة 1832م، استشاروا عميد المستشرقين في باريس في الشخص الذي يقترحه فأشار عليهم لويس برينيه . [3] Bresinier ، ومنذ ذلك الحين تحول درس كورس العربية إلى كرسي Chaire العربية ويعلق على هذا التعيين الدكتور سعد الله رحمه الله، أن برينيه كان تعينه مدروس فهو مستشرق بالاختصاص وفرنسي الأصل وهو تلميذ دي ساسي سوف يكون مخلصاً لأستاذه وولائه لفرنسا كبير جداً وكره للإسلام شديد، كل المعطيات جمعت فيه وبالفعل قام بالمهمة جيداً.

وفي سنة 1846م شهدت عمليتان، تتعلقان باللغة العربية الأولى إحداث كرسي جديد أو حلقة للغة العامية في كوليج الجزائر ولصد هذا الكرسي، أجريت مسابقة فاز بها المستشرق قرقوس corguos و المسابقة أشرف عليها برينيه وكانت تتألف : معرفة نحو العربية العامة – العناصر الأدبية الفصحى– إنشاء من مخطوط سهل– درس حول نقطة في النحو العربي تتعلق بمسألةمن الكتاب العربي، أما الكرسي للعربية والدارجة في وهران تحت قيادة هادمار hadmar، وكانت برامجهم دائما تصب في مصلحة توطيد الاستدمار وكرسي قسنطينة فاز به فيكنارد Vignard[4] ، وخصص ثلاث حصص أسبوعياً للتدريب الشفوي وتعلم طريقة النطق والقراءة؛ ومن الصعب أن نعدد أعمال المستشرقين بعد أن آلت إليه بعض الدراسات العربية في الجزائر، بعد أن انتزعوها من أيدي المترجمين ومؤلفي الكتب بالعامية، ولكن أهم النواحي التي اهتموا بها المعاجم واللسانيات والخطوط والنقوش و التاريخ

[1] أبو القاسم سعد الله أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ص 24-25 ينظر
[2] ينظر أبو القاسم سعد الله رحمه الله أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ص 27
[3] ينظر لعبد الرحمن بدوي موسوعة المستشرقين ص 11 - 15
[4] ينظر إلى الأعمال التاريخية وثائق حول عبيد الله المهدي مكتبة المركزية الجزائر العاصمة عدد 222 ص 123

الدیني، وتحقيق النصوص والترجمة في ميادين الأدب، والتاريخ والعلوم والجغرافية و الفقه بالإضافة إلى أعمال الأنترولوجية والفلكلورية.[1] ....الخ

نشاطات المستشرق لويس برينيه في الجزائر: هو من مواليد مونتقري، Monte gris سنة 1814م إشتغل في الطباعة، في أول الأمر ثم شغف باللغات الشرقية وقد استمر في توليه كرسي العربية في مدينة الجزائر من سنة 1836م – إلى وفاته سنة 1869م وألف عدة كتب لتلاميذه، وشارك في عدة مشاريع علمية وكل مشروع لاكتشاف الجزائر العلمي الذي كان تحت إشراف الحكومة الفرنسية سنة 1849م، وتأسيس الجمعية التاريخية، الجزائرية سنة 1856م والمجلة الإفريقية المجسدة لنشاط مدة الجمعية، كما أنه وراء تخرج أفواج من المترجمين العسكريين والقضائيين والمدرسين للغة العربية في الجزائر، افتتح برينيه أول درس له في العربية العامية خلال يناير 1837م، ملاحظة نجد فرنسا والمستشرقين حسب الوقائع التاريخية شجعت العامية على حساب اللغة العربية الفصحى لغاية وهي ضرب الموروث الذي يعد جهازاً المناعة لمجتمع الجزائري وحتى تتركنا نعاني من تذبدب، والآثار مازالت الجزائر تعاني منها حتى اليوم، المهم نواصل سرد محطات برينيه الاستشراقية في الجزائر الحبيبة، قلنا: أول عمل لبرينيه هو بدء الدروس العامية وتنويهاً بالدرس وصاحبه نشرته الجريدة، الرسمية حينئذ لومونيتور بحذافيره، وجاء فيه أن الهدف من هذا الدرس هو تعريف الأوروبيين بمبادئ اللغة أو اللهجة العامية في مملكاتنا الإفريقية الجزائر ومبادئ اللغة المكتوبة، وأشار إلى أن معرفة العربية والعامية على سواء قد أحس بها جميع الفرنسيين في الجزائر، فهي التي يتكلم بها الأهالي وهي مستعملة في جميع العلاقات العائلية والتجارية.[2] وقال: أن كل فرد من الفرنسيين يشعر بضرورة توصيل حاجته إلى الأهالي دون واسطة وتشويه باللغة العربية. وغاية عنده هوإدماج المحتلين مع الأهالي حتى يقتنع الجزائريون بأنهم أي المحتلين يتكلمون بلسان الجزائريين ويكون تواصلاً جيداً وقال برينيه: أن اللغة غنية جداً في تعابيرها وغنية في أشكالها ورشيقة جداً في أساليبها والفرق بين المكتوبة والمنطوقة يشكل ما سماه الآخرون قبله العربية الأدبية، والعربية الدارجة، عدد برينيه الفروق بين الفصحى والعامية قائلاً: إن أصْفى اللهجات هي لهجة اليمن حيث تأصلت العربية وحيث ولد محمد صل الله عليه وسلم الذي يعتبر كتابه نموذجا رائعاً، إذا لم يكن في وضوح الأفكار فعلى الأقل في رشاقة الأسلوب، وقال: بأن اللهجات العربية أخذت تتفرق عن بعضها وتبتعد عن الأصل وادعى أن لهجات شمال إفريقيا أكثر ابتعاداً[3] وقال عن طريقته في التدريس أنه سيجعل دروسه على قسمين:

قسم خاص باللهجة الجزائرية من خلال توضيح تعابيرها الشائعة واستعمالاتها ودربة السامعين إليها، واشترط تعلم الحروف العربية، سواء المعروفة في الشرق، أو الخاصة بالمغرب العربي والتي رأى أنها تختلف في الخط الكوفي أو العربية القديمة.

---

[1] مصطفي السباعي الاستشراق والمستشرقون ماهم وما عليهم دار الوراق للنشر والتوزيع ط1 ص 65
[2] أبو القاسم سعد الله أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ص 30-31
[3] ينظر نفس المصدر ص27-39- وما بعدها –أبو القاسم سعد الله-

أما القسم الثاني من دروسه، كان موجها للأشخاص الذين لهم معرفة بالعربية، والراغبين في معرفة الكتابة وقدم لهم النظرية النحوية وتطبيقاتها على ترجمة النصوص المختلفة[1]، واختار لهم نصوصا من ألف ليلة وليلة، لأنها في نظره تعطي نموذجا بسيطا وسهلاً في تعابير سعيدة ومتنوعة، كما عين لهم كتاب النحو للمستشرق دي ساسي وكتاب النحو العربية العامية لبيرسوفال، وبعد تجربة دامت سنة من تدريسه كتب مقالاً في المجلة الآسيوية أوضح، أفضل الطرق لتدريس اللغة العربية، وقد رأى من الضروري أن يقضي سنة كاملة في تعليم اللغة العربية المكتوبة قبل العامية.[2] كانت حصصه مقسمة إلى ثلاث حصص للتدرب عل العربية الدارجة، وحصة للنحو والإملاء و الأسلوب، وحصة لشرح نصوص عربية أدبية وعلمية وحصة لترجمة الرسائل والنصوص الرسمية والكتابات المتداولة، وكان يلح على أن يخدم تعليم لغة البحث اللغوي، والمواد التاريخية والأدبية وتوفير وسائل للفهم والاتصال التلقائي عن طريق التعبير الشفوي والكتابي، كما كان يدعو إلى الجمع بين مدرسي العربية من المستشرقين حين وفاته.

وفي مؤلفاته أعطى لطلابه نماذج من روح الشرق في العناوين التي اختارها بالعربية في الألوان والتزاويق للغلاف، مثلا في كتابه (**المختارات**) المطبوع سنة 1845م زخرفة أي صفحة،الغلاف بزخرفة عربية إسلامية،الغلاف بزخرفة عربية إسلامية، ولون بألوان متناسقة، وفي وسطها عنوان الكتاب بالعربية، هكذا جامع المكاتيب في العربية والمعاني الغرايب للشيخ النحوي (**المدرس بريني لطفه الله به**).[3]

كما أن كتابه (**الدروس العلمية والنظرية للغة العربية**)؛ قد وضعت له واجهة فنية ملونة على الطراز العربي الإسلامي وكتب العنوان بالعربية هكذا (**مفتاح كنوز النحو والأدب لفتح علوم العرب**).[4] وهنا يجدر أن نلاحظ دهاء لهذا المستشرق، حاول في كل كتبه أن يحرس على إخراجها على طريقة الإسلامية حتى ينجذب إليها القارئ ومن ثم تدخله السموم المبثوثة، مثل تفاسير القرآن لبعض المستشرقين كلمة حق يراد بها باطل وفي ختام الحديث عن برينيه رأيت أن من واجبي أن أذكر ملاحظتين قالها عن العربية بعد تجربته الأولى ، ما جاء في مقدمة كتابه (**المجموعة العربية**): أن العربية عينة في أشكال الكلمات وتنوعها والمترادفات، وأنها بعيدة عن أن تقدم في حالتها الحاضرة وربما في المستقبل الطاقات والسهولة التي تقدمها اللغات الأوروبية الرئيسية ولا سيما الفرنسية.[5] وفي نفس الكتاب انتقد طريقة الكتابة العربية في الجزائر قائلاً: أنها غير فنية وغير متناسبة الأجزاء عكس اللغة المشرق وقال: أن الكتابة الجزائرية لها خصائص لا يدركها المرء، إلا بعد الممارسة: أما الملاحظة الثانية هو حث الفرنسيين على تعلم اللغة العربية لفهم ومعرفة الشعوب الآخرى.

إنً اللغة العربية ليست وسيلة اتصال بالنسبة لفرنسا بعالم الأهالي الجزائريين فقط، بل بالعالم العربي الإسلامي أجمع وأن معرفة اللغة العربية ستجعل العالم الأوروبي يربطه علاقات مع الشعوب الإسلامية وحتى العلاقات لا تكفي

---

[1] ينظر الدرس أو المحاضر برينيه منشورة في المنشور يناير 1837 ص 5
[2] المجلة الآسيوية العدد 121 ص 11 وكانت تعنى بأمور الاستشراق في العالم العربي.
[3] من كتاب باريس الجزائر 1857 الطبعة 2مكتبة جمعية علماء المسلمين الجزائر
[4] طبع عدة مرات 1846 – 1855 – 1915- ينظر أبا القاسم سعد الله أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ص 31
[5] كتاب المجموعة العربية المقدمة طبع باريس 1852 لبرينيه ص 05

فيها الكتب، بل كذلك التعبير الشعوري أيضا[1]، إن دور برينيه في ترويج اللغة العربية والعامية بين الأوربيين مهمة اختير لها وكان أن ينفذها بدقة، لأن بكل بساطة يحقق أهداف الإدارة الاستدمارية.

الاستشراق الفرنسي وإفساد المجتمع الجزائري أخلاقياً وثقافياً : إذا كانت جرائم الاستعمار قضية سياسية وقانونية، فإن الاستشراق جرائمه لا تغتفر، لأنه تسلل عبر الهوية والانتماء والشخصية. الاستعمار زال من الأرض ولكن جرائم الاستشراق مازالت تنخر جسد الجزائر والجزائريين يدفعون الثمن حتى الآن وكان الاحتلال استدمار لكل شيء منذ البداية، لأنه طعم بالاستشراق الذي يحمل حقد دفين منذ القدم لكل ماهو إسلامي عربي، واستمالة الحماية العثمانية الاستدمار الفرنسي[2] وانطلاقا من هذا المبدأ ظهر شعار الجزائر فرنسية، وترتب عنه أنشاء وقيام المدارس الفرنسية، ونشر اللغة الفرنسية في الإدارات والمعاملات، لكي تكون الإدارة الفعالة في تغير النسيج العمراني والثقافي للمجتمع الجزائري،وترتب عن ذلك نوع من ازدواجية في اللغة لغة فرنسية قوية واللغة العربية شبه ضعيفة وتشجيع اللغة العامية على حسابها.

تلك الحالة المأسوية طرحت لدى الجزائريين مسألة الهوية الحضارية كنتيجة التفكك الاجتماعي والثقافي الذي أحدثه الاستدمار الفرنسي بمعونة الاستشراق التنصيري التبشيري الاستعماري، مما جعل الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، يقول في أحد مداخلاته في تجمعات سنة 2000: لقد نفذ الاستعمار عملية إبادة لهويتنا وتاريخنا وتقاليدنا، فلم نعد نعلم ما إذا كنا أمزيغاً، أم عرباً، أم أوروبيين، أم فرنسيين؟.[3] تنشر اللغة الفرنسية بين أوساط الجزائريين، عنوة وهذا من أجل محاربة اللغة العربية وعجم لسان الجزائري وهذا أكبر ظلم، لأن اللغة والفكر شيء واحد وكذلك من بين الظلم الذي تعرض له هذا الشعب الأبي وهو كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية بدعوى وصولها بسرعة إلى الأذهان، وإذا طرنا إلى شاعر الثورة بدون منازع سفير شعب بدون ورق اعتماد مفدي زكريا وبالضبط إلى روائعه الإلياذة، ويقال: أن الشاعر لسان حال أمته، لأنه يرى فيتأثر فيبدع يصور لنا مدى الأثر الواضح الذي تركه الاستدمار داخل المجتمع الجزائري وكل هذا ملكان ليتم لولا الاستشراق البغيض و رجالاته يقول في أبيات من الإلياذة يصف ظاهر التخنث والانحلال وظاهرة التنصير وشرب الخمر وإتيان الفواحش ما ظهر منها وما بطن بعدما كان المجتمع الجزائري محافظ غيور على دينه وإسلامه وهويته[4]، شعب أعلن الجهاد باسم الله أكبر

شاع الشذوذ، وذاع الحشيش وأصبح للموبقات وسيلة
وفرق آذاننا القاذورات فلم تجد في صرفها أي حيلة[5]

وقوله أيضا:

ومستهترون أضاعوا الثنايا وشاع تنكر للسجايا
وقالوا التقدم خلع الغدار وهتك العفاف، ونشر الخطايا

---

[1] أبو القاسم سعد الله نفس المصدر ط4 ص31
[2] ينظر رمضان يحنوني ، موقع منتدى رحاب الكلمة مدونات الأعضاء ص 1....5
[3] عن تلفزيون الجزائري الجزائرية الثالثة والأرضية تنشيط تجمع سطيف سنة 2000م
[4] نسيمه زميرلي قراءة في إلياذة الجزائر لمفدى زكريا دار الهدى عين مليلة د/ ط 2002 ص 22
[5] مفدي زكريا إلياذة الجزائر دار دار الموقد للنشر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر 2004 ص 96

وجدل الشعور، وليس الحلي وحمل القلائد مثل الصبايا[1]

هنا يصور مدي أثر الاستدمار لشبابنا خافوا الشريعة دينهم وتشبهوا بالجنس اللطيف، وقد لعن الله المترجلات والمتشبهين بالنساء وهم بذلك خلو أثواب العزة والكرامة

تخنث هذا الزمان ودبت خنافيس دبي بشبع الرذيلة

ونافس آدم حواءه دلالا وغنجا وذبح فضيلة

وجرت ذيول الطاووس هذي السراويل، وهي القصار الطويلة

ولولا النهود لما كنت تفرق بين جميل وجميلة

وكذلك مفدي خلد ظاهرة التنصير، وهي كلها من نتائج الاستشراق التنصيري الاستدمار للهوية العربية الإسلامية وهذا إنما يدل على أن الحملة الفرنسية صليبية مئة بالمئة. فقال:

غزا المذهبيون عقل الشبا ب بمستورد آفن آثم

وزاغوا بها دون إسلامهم إلى مذهب ليس بالسالم

ودسوا شيوعية كالوباء كما يصرف السم للطعام[2]

ومستشرقون أحبو الجلالا ومستشرقون، أشاعوا الضلالا

فما أنصفونا وقالوا أصوابا وشدو إلى ملتقانا الرحالا

وما البسوا الحق حقدا دفينا ألقى الصليب علىهم ضلالا[3]

ونستطيع أن نعدد التخريب الاستشراقي للهوية والثقافة الجزائرية في نقاط:

1. انتشار الجهل والأمية بشكل لا مثيل له، بحيث ورثت الحكومة الجزائرية وضعا ثقافياً مزريا قبل هذا الوباء الاستشراقي، كان الإنسان الجزائري مثقفا ومتعلما وهذا باعتراف المستشرقيين أنفسهم.
2. التشكيك في هوية الشعب الجزائري من خلال ازدواجية الحصة الثقافية نظرا لازدواجية اللغة.
3. هجرة كثير من المثقفين إلى الخارج خاصة المشرق العربي أين كانت الضغوط على الثقافة العربية أقل.
4. ضياع كثير من المصادر والمخطوطات والتحف الفنية التي استولى علىها المستشرقون حتى جماجم الشهداء لم تسلم من السرقة ووضعها في متاحف في فرنسا.
5. تشجيع البدع والخرافات لتكون بديلا عن الفكر العلمي الواعي، وهذا ماعنت منه جمعية علماء المسلمين وحاربته.

---

[1] نفس المصدر ص96

[2] إلياذة الجزائر ص 94

[3] نفس المصدر ص100

لقد كنت أرجأت الحديث عن مجسد كتشاوة، و ها أنا أحط الرحال عند القصة كاملة كيف تم تحويل هذا شاهد على أصالة المجتمع و في نفس الوقت على همجية الاستعمار وحملته العقائدية ضد حضارة الإسلام وأهله.

القصة الكاملة لتحويل مسجد كتشاوة إلى كاتدرائية: و المسجد من المساجد الأصيلة التي أقيمت في العهد العثماني زمن الخليفة أو السلطان أحمد لما كانت الجزائر تابعة للآستانة وكان موقعه في قلب مدينة الجزائر وصمم كي يكون قريبا للمصلين، ورأى النور في القرن الحادي عشر الهجري والسابع عشر الميلادي، ومع العلم أنه كان في مدينة الجزائر أقلية يهودية ومسيحية والمسلمون الجزائريون لم يعتدوا على دورهم، وخلاصة قصة تحويل هذا المجسد إلى كنيسة بسبب الجنرال **روفيو** الذي كان يكره كل ماهو إسلامي وكان ناقما على الخلافة العثمانية، وقف في وسط المدينة بجانب المجسد ورفع صوته وبجنون الغضب والحقد الصليبي،((**وقال: يجب أن نتخذ أحسن المساجد في هذه المدينة، معبدا للإله المسيح كقربان له وهدية جميلة في هذا اليوم العظيم الذي تم فيه الاحتلال ونكاية في الخلافة العثمانية وفي نبيهم محمد صل الله عليه وسلم**)).ونادى الأعوان والجنود من أجل تحيق هذه الرغبة، وما هي إلا أيام معدودات وبالتحديد ظهر يوم -18- 12- 1832م وفعلا هجمت قوة عسكرية على الجامع وقتلت 4000 مسلم بين جريح وقتيل وجاء عيد رأس السنة واحتفلوا هناك بترتيل أناشيد الغفران وصار الجامع من منارة الإسلام والعلم إلى كنيسة تحاك فيها الدسائس للمسلمين[1]

الفتح الصليبي العقائدي أهم من الفتح السياسي عند الفرنسيين: لقد كتب بعض المفكرين ومن بينهم **شانوا نجول تورنيه** كتابة معنون **فتح الجزائر الدنيء** يحتوى على 260ص تكلم فيه عن تقدم الدعوة النصرانية في الجزائر رغم صلابة الإسلام وأهله أن الفتح الدنيء يشعرني أنا كما يقول بعض رجال الفكر القساوسة والمستشرقين بالفخر وأقل حده عندما أسمع سياسيين يتكلمون عن نصر عسكري، لأنه الفتح السياسي والعسكري يزول يوما ما أما الدنيء يبقي وإلى الأبد[2].

الاستشراق الفرنسي ومحاربته للغة العربية في الجزائر: اللغة هي وسيلة من وسائل الرقي والتحضر وهي خاصية من خصائص الإبداع وتعد من أهم المحطات لبناء مجتمع قوي وكلما دخل الاستشراق إلى قرية راح يحارب اللغة من أجل إضعاف أصحاب تلك اللغة، وخاصة إذا كانت اللغة العربية ولغة القرآن والإسلام الاستشراق ونضع ألف خط عن هذه الكلمة، وخاصة إذا ذكر في الجزائر

قال الشاعر: ينال بالفكر ما تعيا الجيوش به..... كالموت مستعجلا يأتي على مهل[3]، إن الاستشراق والتنصير والاستعمار، يتعاونان تعلنما واستراتيجيا في خدمة أهدافهما المشتركة.فبمجرد احتلال فرنسا أرض الجزائر حتى راح مفكروها يزرعون الفتنة والبلبلة بين أبناء الوطن الواحد، هذا عربي وهذا بربري وبني مزاب، متناسية أن هذه العناصر

---

[1] راجع كتاب لدكتور مختار بن قويدر الجزائر ومعركتها مع الثالوث المدمر التنصير والاستشراق والاستعمار دار الكشاف بيروت لبنان 2013- 1434هـ ص26

[2] ينظر تاريخ الصحافة الإسلامية أنور الجندي ص 212-213 ومنه مختار بن قويدر نفس المصدر ص 29

[3] البيت للشاعر مسلم ابن الوليد الأنصاري وفي رواية ينال بالرفق ينظر الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب/ أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي المتوفى 609هـ

قد وحدها الإسلام منذ مجيئه أيام العرب الفاتحين، وبل هم شاركوا في الفتوحات التي وصلت حتى الأندلس وحدود فرنسا، ومعركة بلاط الشهداء خير دليل والعامل الذي لعب دورا في توحيد العروش والقبائل والبربر و العرب وكل من كان يقطن في الجزائر بسلام، وهو عامل اللغة العربية كانت سد منيع في وجه كل تمزق وفتنة هي والإسلام، بل وصل الأمر حتى تخلي البربر في إبداعهم واللهجات الآخرى فاسحة المجال للغة العربية وظهر من البربر كتاب وشعراء أبدعوا في شعرهم وأدبهم، وما مفدي عنا ببعيد وكذلك عمر أزراج مولود قاسم، ولقد عمل المنظرون الفرنسيون من المستشرقين والمخططين على فرنسة المجتمع الجزائري، إذ بات من الواضح أن تغليط الحقائق التاريخية وحده لا يكفي، وأنه لا بدا بمسعى معمق على أمرين:

الأولى: تجهيل الجزائريين ومحاربة اللغة العربية بوصفها أداة أساسية في الإطلاع على التاريخ الإسلامي، وتفاعل مع نبضه الحضاري.

الثانية: السعي إلى تجريدهم من الإسلام وتنصير من يمكن تنصيره منهم، وفي هذا الإطار المزدوج تسمح على شكليات وطقوس دينية فارغة من روحها، يصير الإنسان الجزائري مغلوب من طرف المشروع الثقافي الاستعماري الذي يقوم على الثالوث تحريف التاريخ، لأنه هو الحاضر والمستقبل والتجهيل باللغة العربية وإفراغ الدين من المحتوى ومضمونه الحضاري وقوته الروحية[1] كل هذا خطط له، لأنهم لاحظوا أن اللغة العربية بضربها يقضى على الإسلام ويسهل دمج الجزائريين.

وسطرت سلطات الاستعمارية برنامجا ومشروعا استشراقيا تغريبي من أجل محاربة العربية الفصحى وكان المستشرقون يطلقون عليها اللغة الكلاسيكية أو لغة القرآن أو لغة الأدب القديم واعتبروها مثل اللاتينية والإغريقية، وهذا المشروع كان ضلوع المخطط الاستشراقي الفرنسي وتآزره مع الاستعمار في قضية ضرب اللغة العربية حتى تقطع التواصل التراثي والهوية بين الشعب الجزائري و أخوّة العرب والمسلمين، وكأنه غريب عن هذا الأرث الحضاري، يقول البشر الإبراهيمي في هذا الصدد : ((**اللغة العربية في القطر الجزائري، ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل، ممتدة مع الماضي، لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم، وتقيم بإقامتهم، فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد، وضرب بجرانه فيه، أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح ما دام الإسلام مقيما لا يتزحزح ، ومن ذلك بدأت تتغلغل في النفوس، وتنساغ في الألسنة واللهوات، وتنساب بين الشفاه والأفواه يزيدها طيباً وعذوبة أن القرآن الكريم بها، يتلى، وأن الصلوات بها تبدأ وتختم.**)).[2]

فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى اتسعت دائرتها وخالطت الحواس والشواعر وجاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا، فأصبحت لغة الدين والدنيا، بل لغة الحضارة وأدخلت العالمية وجاء دور القلم والتدوين

---

[1] بن قويدر مختار الجزائر ومعركتها مع الثالوث المدمر التنصير والاستعمار والاستشراق دار الكشاف بيروت لبنان 2013- 1434هـ ص50- 51- 52

[2] ينظر نفس المصدر - مختار بن قويدر ص 63-64

فسطرت بها علوم الدين والدنيا معا[1]، فما كان من وحي مردة المستشرقين إلى أوليائهم من قوى الاستدمار سوى محاربة اللغة العربية، لغة عدنان لأنها هي لغة التراث الإسلامي والشعر والقرآن الكريم والحديث لغة المؤلفات والفقهية والمتون العلمية والمخطوطات الكثيرة؛ وقد صنف المستشرقون اللغة إلى ثلاثة أصناف:

1. العربية الدارجة وهي التي أخذوا في دراستها منذ الاحتلال، ولهم في ذلك حاجة وظلوا لا يعترفون بها إلا في الجزائر كنوع من الفلكلور.
2. العربية الفصحى وحاربوها أشد المحاربة، لأنها كانت توحد الشعب الجزائري، مع بعضه البعض ومع الأمة العربية والإسلامية وكانت الحجرة التي أفسدت عنهم مخطط الاستعمار.
3. العربية العصرية أو الحديثة كما سموها وهي لغة الجرائد والكتب والمطبوعات[2] وفي هذا الصدد يحضروني موقف للشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس في رده على ماسنيون حول اللغة العربية، كان ما سنيون في طريقه إلى مصر لحضور دورة مجمع اللغة العربية الذي كان عضواً فيه صرح قائلاً: ((على فرنسا الاهتمام باللغة العربية ، لأنها ليس غريبة عنا بل هي جزء من تراثنا القومي.)).

قال بن باديس إن ماسنيون يعرف موقف حكومته في الجزائر من اللغة العربية، ومن التعلىم الحر مع ذلك لم يرفع أصبعا، وأنه لو أراد حقا خدمة اللغة العربية يقدم تقريراً رسميا يدعو فيه إلى اعتبار اللغة العربية جزءاً من التراث القومي الفرنسي قائلاً ، ولكن اللغة هي الطابع الصحيح للقومية التي تعرب عن وحدة الشعور والتفكير وعما يعمها من إحساسات الألم ويوارى الأمل مما اتخذ من ماضيها وحاضرها ومستقبلها، فاللغة العربية هي من تراث القومية العربية فقط، كما أن الفرنسية هي من التراث الفرنسي فقط. لعل ماسنيون أراد المجاملة والمجاملة في المسائل العلمية غير موجودة.[3]

محطات ووقفات متميزة مع الاستشراق الفرنسي في الجزائر: في هذه المحطات نستعرض بعض المحطات التي كان لها أثر على حياة الجزائريين سواء بطمس وتشويه وتحريض على القتل، و إن الاستشراق الفرنسي أصعب استشراق في العالم الغربي وقدر الله للجزائر أن تبتلا به، ورغم ذلك صمد هذا الشعب بفضل الله ثم رجال الدعوة والأدباء والمفكرين والسياسيين، الذين لم يبخلوا علىهم بأعز ما يملكون فجزاهم الله عنا كل خير ورحم الله علماءنا وشهداءنا و الساسة على كل مبدلوه من تضحيات وارجوا من جيل الاستقلال أن يحافظ عل الهوية الإسلامية والعربية والأمازيغية. واللغة العربية ويردد قول عبد الحميد بن باديس:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب — من قال حدا أن أصله أو قال مات فقد كذب

يا نشأ أنت رجائنا — وبك الصباح قد أقترب

---

[1] ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير- محمد بهي الدين سالم، دار الشروق – القاهرة الطبعة الأولى 1999 ص 29-6 – 27 نقلا عن عيون الأخبار /ط الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع الجزائر ص 221 الشيخ البشير الإبراهيمي نقلا عن مختار بن قويدر كتابه الجزائر ومعركتها مع الثالوث المدمر ص 64

[2] أبو القاسم سعد الله -رحمه الله -أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ص 44

[3] جريدة البصائر عدد20 يناير 1939م وقد قال دلك حوالي سنة قبل وفاته رحمه الله وتوفي في 16 أبريل 1940م ويعي بن باديس المجاملة أن ماسنيون كان يستخدم سمعة فرنسا فس المشرق وخاصة بعض اللذين تربطهم بفرنسا

نعم أيها النشئ أنت الرجاء قالها مصلحكم عبد الحميد بن باديس وقالها علماؤكم وشهداؤكم فكونوا كما أرادوا تفلحوا، لأن الأمانة نسأل عنها يوم القيامة.

المحطة الأولى: لماذا يهتم المستشرقون بالآثار في بلادنا؟ وهذا السؤال قد يجيب عليه، المستشرقون أنفسهم أحد المستشرقين يميط اللثام عن هذه القضية.يقول أحدهم من الصرحاء في كتاب الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته: ((**إننا في كل بلد إسلامي دخلناه، نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل التاريخ، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين تلك الحضارات**))[1]، وعلى هذا الأساس أسس المستشرقون الفرنسيون عدة جمعيات أثرية، هدفها بعث التراث الجزائري البربري لهدف دفين في سويداء الحقد وهذا ما أشار إليه المستشرق صاحب كتاب الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته ومن بين تلك الجمعيات نذكر

- جمعية قسنطينة للآثار التي نشأت سنة 1852م وكان من بين أعضائها البارون بواسوني، والمستشرق شاربون كان اهتمامها منصب على الدراسات الإسلامية .
- الجمعية التاريخية الجزائرية باقتراح من بابريج، وفي مدينة عنابه تأسست شركة الجغرافية بونة للآثار سنة 1863م وفي سنة 1878م ظهرت الشركة الجغرافية والأثرية بمدينة وهران. كما ظهرت عدة مجلات ودوريات ونشريات من بينها:
- حوليات قسنطينة التاريخية والأثرية سنة 1852م
- نشرة وهران الجغرافية والأثرية سنة 1878م
- ومجلة الدراسات الإسلامية تصدر كل ثلاثة أشهر، صدر منها عدة مجلدات سنوية من سنة 1906م إلى 1926م ثم حلت محلها مجلة العالم الإسلامي برئاسة ألفريد لوشاتلييه Le A Chateler نشرت الأحداث في أنحاء العالم الإسلامي المعاصر ، مع الجزء المهم منذ احتلال الجزائر منذ سنة 1830م إلى الاستقلال 1962م وأصدرت نشرة ببليوغرافية تحصي الكتب بترتيب وتصنيف.[2]

كما اهتم الفرنسيون بدراسة ونشر وتحقيق الكثير من الكتب العربية، بما فيها المؤلفات الجزائرية منذ زاوية أدرار وجامع بسكرة ومجسد كتشاوة الذي خرب وأخذ منه كل المخطوطات والكتب الفقهية والدينية والأدبية

المحطة الثانية: شهادة الرحالة الألماني فليهم شيمبر(1804 -1878م)إلى الجزائر في سنتي 1831- 1832م يقول هذا الرحالة للعلم: أن الشعب الجزائري ، كان شعبا متحضرا ومتعلما يقرأ بالمدارس و الزوايا، والمساجد في كل حي وشارع، فيأخذ العلم والحساب وبالكتاتيب القرآن الكريم، والمتون الفقهية والنحوية وغير ذلك من العلوم الآخرى، غير أن فرنسا، وبمجرد أن وطأت أقدامها أرض الجزائر قامت تصادر الأوقاف وتغلق المدارس وتضيق عليها وفي افتتاح المدارس حرصا على تجهيل الشعب من أجل التحكم فيه، لأن البشير الإبراهيمي قال: شعب يقرأ شعب لا

---

[1] ينظر د بن قويدر مختار الجزائر ومعركتها مع الثالوث المدمر ص 104

[2] كل تلك الجمعيات جاء ذكرها في كتاب د بن قويدر مختار الجزائر ومعركتها مع ثالوث المدمر ص 106

يجوع ولا يستعبد شهد شاهد من أهلها والحق ماشهد به الأعداء، ويسرد ما شهده أن الأطفال يذهبون إلى المدارس، وهي موجودة بكثرة في السادسة من العمر، يتعلمون المبادئ الأولى في العلوم ثم يواصلون التخصص، في المدن الكبرى أو يسافرون إلى تونس أو القاهرة أو إلى الدول الأوروبية مثل ليفورنو[1] وهذه المفارقة عجيبة حيث لم يعثر على عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، وبحث عن قصداً وتقصيا للحقائق، بيد أنه وجد الجم الغفير من الأوربيين في جنوب أوربا أميين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة قال السيناتور كومب في مجلس الشيوخ الفرنسي مايلي: إنَّ الجزائر كان فيها عند احتلالنا لها أكثر من ألفي معهد ثانوي وعالي ويضيف فالسن Walsinو أوربان Urbain في عدد يوليو سبتمبر 1955م من مجلة التاريخ الحديث والمعاصر تحث عنوان الحالة الثقافية والأخلاقية في الجزائر سنة 1830م ، أن نسبة الأمية سنة 1830م كانت أقل منها في فرنسا بالنسبة لتعداد السكان، أي كانت أعلى في فرنسا[2] وتعطينا بعض الأبحاث أنه توجد إحصاءات فرنسية رسمية سنة 1955 ص 44 إلى 46 والتي تأكد أن نسبة الأمية في الجزائر سنة 1954م قد بلغت 94 % بين الرجال و96% بين النساء وهذه أكبر جريمة من احتلال أرض وحرقها وبمساعدة الاستشراق

المحطة الثالثة: حكاية رجل جزائري مع أحد المستشرقين التنصريين فضل الموت على التنصر في مقابل الطعام ، أحداث القصة في مدينة وهران، عندما وقف عند أحد أبواب الجمعيات التنصرية يطلب لقمة الطعام وهوفي منتهى الجوع الذي أنهك قواه وشارف على الموت ورحب به ذلك الفرنسي وأدخله وأظهر له مائدة فيها ما لذَ وطاب من الأكل و لم يتمالك نفسه ومدَ يده للأكل فجزره الفرنسي صاحب الأطماع التنصرية وعرض عليه دخوله إلى الدين المسيح مقابل الأكل، وكان جوابه هو الانسحاب من المائدة وما إن خرج ببضع أمتار حتى سقط ميتاً[3]، هذا يدل على أن الاستعمار جاء للجزائر بعكس مبادئ ثورته الأخوة والعدالة و المساواة وأنه جاء لينشر الحضارة أن الجزائريين كانو بربر همجيين هذا السلوك هل هو سلوك بربري، أم إنساني؟ بينما الإسلام نهى عن تجويع الإنسان لأخيه الإنسان ويقص أحد المجاهدين كم من فرنسي لقي الترحاب وحسن الضيافة عند الأهالي. في عهد الثورة لأن الله ينهنا عن الذين لا يقاتلوننا (أي أن تبروهم وتقسطوا إليهم على رأي طبري)*

المحطة الرابعة: بإيعاز من رجال الاستشراق ورجال الكنيسة، حاولت فرنسا جلف وعزل البربر عن إخوانهم العرب، وهم الذين وحدهم الإسلام لأكثر من قرون رغم المحاولات الجادة والدؤوبة من قبل الجهاز الكنسي بالتعاون مع الإدارة الاستعمارية والأرواح المَردة للمستشرقين الذين زرعوا فتنة التفرقة وأن العرب مجرد محتلين وإحياءُ تاريخ

---

[1] الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830 – 1855م / أبو العيد دودو، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1989 م ص 11 - 13 نقلا عن فيلهلم شيمبر رحلة فيلهلم شيمبر إلى الجزائر في سنتي 1831 و 1832 م ص 52- 53 ومنه نقلا عن الدكتور مختار بن قويدر ص60- 61

[2] مختار بن قويدر الجزائر ومعركتها مع الثالوث المدمر ص 61- 62

[3] قاهرة الاستعمار/ محمد الصالح الصديق ص 32 -33 نقلا عن مختار بن قويدر الجزائر ومعركتها مع الثالوث المدمر ص 42

*محمد بن جرير الطبري تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القران المجلد الأول دار الكتاب العلمي بيروت سنة 923م-839هـ ص550 تفسير سورة الممتجنة الاية 8-9

قبيلة، زواوا وملكهم في عهد الكهينة، وعملت على إحياء الأعراف البربرية القديمة قبل الإسلام وإدماجها في القانون الفرنسي من أجل الإحتكام إليه بدل من القانون الإسلامي

المحطة الخامسة: ميرانت ومحاربته الكتاب في الجزائر، لقد عين هذا الرجل الحاقد على الإسلام والمسلمين، مكلفا بالشؤون الأهلية بالولاية العامة، لا تخفى عليه خافية من أمور المسلمين المدنية والنفسية والفكرية، سواء أكانت العلاقة هؤلاء مع فرنسا بالجزائر أم علاقتهم مع الأخوة في الخارج، وكان يتقن العربية وخبير بالأمور الإسلامية والفكرية، ووصلت مراسلة من مصر عن طريق القنصل الفرنسي فحواها أن صحيفة مصرية، نشرت تقريراً مفاده تصدير الكتب المصرية إلى مختلف البلدان الإسلامية، وهذا سنة 1910م المغرب الأقصى: 712896250 فرنك، المستعمرات الفرنسية: 438107150 فرنك، الهند والمستعمرات الانكليزية: 24610000 فرنك، وعندما اطلع عليه ميرانت ارتجفا رعبا، ومسجلا أن الأرقام تعكس الاتصال الفكري والعقدي بين هذه البلدان بما يوحي أن حراكاً فكرياً سوف يهدد فرنسا مستقبلاً مما جعله يقدم منشورا في 31 – يوليو – 1913م وقدمه إلى الوالي العام شارل ليطو Lutaud ليوقعه ويرسله إلى الأقاليم الثلاثة بالجزائر العاصمة قسنطينة ووهران من أجل التحقيق في مدى انتشار الكتاب العربي بين الجزائريين وقلل من الحصص وكذا عناوين الكتب الممنوعة من الدخول وهذا يعد أكبر دليل على حرص الفرنسيين على محارب الكتاب والثقافة الإسلامية.[1]

المحطة السادسة: كيف دخل اليهود الجزائر من بوابة الاستشراق، ولو أن اليهود لما عاقبهم الله بالتيه في الأرض نجدهم في كل مكان، وخاصة الأماكن التي يحكمها المسلمون، لأنهم كانوا يجدون الحرية في ظل الحكم الإسلامي، لأن الله نهانا عن الذين لا يقاتلوننا[2] أما المعاملة في البلدان غير الإسلامية التي كانوا يلقونها أن تاريخ يتحدث عنها بأنهم كانوا مضطهدين وما حزب النازي عنا ببعيد، وهم أهل مكر وخداع وشقاق ونفاق ولهذا كلما جاء عدو الإسلام والمسلمين ناصروه وتعاونوا معه. ولهذا كان لهم الدور الخطير في عملية الاستشراق في كافة البلاد الإسلامية والجزائر، كذلك ويعود تدخلهم في الاستشراق منذ زمن طويل في القرن الثاني عشر على يد رجل يهودي اعتنق النصرانية ظاهرا وأخفى اليهودية، وهذا كان سلوكهم مع الرُّسل إنه **يوحنا الاشبيلي**، فظاهرة الإخفاء والارتداء كما وصف الدكتور بن قويدر من جامعة معسكر تخصص الاستشراق والنقد الأدبي أي إخفاء ديانتهم ليس بالأمر الغريب عن اليهود بل هذه الصفة من صفاتهم يقولون مالا يفعلون أي يرتدون كل ما يوصل لأهدافهم، والتاريخ يقر أن كل المستشرقين اليهود، قد استطاعوا أن يكيفوا أنفسهم ليصيروا جزاءًا مهماً من الحركة الاستشراقية الأوروبية النصرانية، لأنهم دخلوا الاستشراق بوصفهم الإنسان الأوروبي لا اليهودي[3]، لكن كل البشرية عندهم حساسية تجاه اليهود، منذ الأزل فإذا صرحوا باليهودية لن يلقوا رواجا لأفكارهم، حتى مع الذين هم أبواق الاستشراق ونجحوا في مساعدة الاستعمار الفرنسي لاحتلاله الجزائر، وخاصةً عن طريق الرحالات التي قاموا بها لاستكشاف الجزائر ورسم

---

[1] ينظر مختار بن قويدر الجزائر ومعركتها مع الثالوث المدمر ص 65- 66

[2] محمد بن جرير الطبري تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القران المجلد الأول دار الكتاب العلمي بيروت سنة 923م-839هـ ص550 تفسير سورة الممتجنة الاية 8-9

[3] الاستشراق والخلفية للصراع الحضاري د محمود زقزوق كتاب الأمة الطبعة الأولى صفر 1404هـ نقلا عن مختار بن قويدر ص 101 -102

الخرائط للمواقع المهمة وعملهم في التجارة، وكان لهم اتصال مع الحكام الفرنسيين وكانوا فنانين ورسموا لوحات فنية لمدن ومداخلها وخاصة المدن الساحلية مثل وهران تلمسان والجزائر العاصمة وعنابة وأرزيو وسيدي فرج واستعملها الاحتلال في الهجوم على البلد التي كانت قد آوتهم وأحسنت إليهم، إنها الجزائر وساعدوا السلطات الاستعمارية حتى بمال التجارة الذي جنوه من سوق الجزائر. وراحوا يلوثون بخبث خطير المناخ الفكري للجزائريين، عندما ركبوا موجة الاستشراق[1]

المحطة السابعة: محطة أراها أنها مهمة وفي غاية الأهمية إنها محطة التاريخ وتشويهه، لأن الأمة بدون تاريخ أمة بدون مستقبل، ولما كان للتاريخ أهمية كبيرة، عند البشر نجد المستشرقون اشتغلوا عليه، لأنه يعطيهم الطريق لفهم أي أمة من الأمم ولا تستطيع أي أمة من الأمم التقدم إلا إذا فهمت تاريخها وقال أحد الحكماء (لا نستطيع رؤية المستقبل إلا إذا صعدنا على أكتاف أجْدَدُنا) فلسفة التاريخ لهيكل، وفي قبائل الإفريقية إذا مات شيخ كبير يحزنون، لأنه بمثابة مكتبة احترقت. وهذا ما فهمته ثلة من المستشرقين اشتغلوا على طمس التاريخ حتى يسيطروا على حاضر ومستقبل الأمة وتعيش في التيه ولنهم فهموا وأدركوا أهميته **{وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ.}**[2]، وهذا ما حذر منه ابن خلدون، حيث توصل في مقدمته إلى عدة نتائج، اعتبرت ثورة في علم التاريخ سبقَ بها الأوروبيون بقرون، من ذلك منهجه في كتابة التاريخ ورصد الحقائق والوقائع، لأنه فهم أن التاريخ له دور في إنارة المستقبل لأي امة، أعتبر فن التاريخ فن غزير المذهب جم الفوائد شريف الغاية، إذا هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم وأخلاقهم والأنبياء وسيرهم حتى تتم فائدة الإقتداء لأنه لا تستقيم حضارة إلا بتتبع حسنات سبيقاتها، وصححَ مفاهيم مغلوطة كانت في زمنه واعتبرا معاصريه تاهوا في بيداء الوهم والغلط والغلط الخفي، وإذ يحتاج صاحب هذا العلم إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع، والأمصار في السير والخلاق والفوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والإحاطة بالحاضر[3]، من هنا نلاحظ أن ابن خلون أعطنا صورة عن تشويه التاريخ كيف أن الأمة تعيش في الوهم، وتتيه في بيداء الوهم والغلط ولا تعرف طريق إلى المستقبل والحضارة والتحرر والتقدم وتبقى في صراع مع نفسها، ولهذا فالمستشرقون راحوا يشتغلون على هذه النقطة لفهم الحضارة الإسلامية والفرنسية لفهم الأمة الجزائرية خاصة والأمم المستعمرة عامة من أجل تحكم في مستقبلها و مقوماتها وحتى المنهج الرباني تحدث عن هده الحقيقة واخبر الله الرسول صل الله علىه وسلم في القرآن عن الأمم السابقة ينير ويرشد ويواسي نبيه ويجعله يفهم طبيعة الرسالة التي يبلغها (الصعاب والمخاطر) ((نحن نقص عليك أحسن القصص)[4]إذاً نعود ونتكلم عن **منهج المستشرقين في كتابة تاريخ الجزائر**، يذكر السيد **بيربروجر** أول رئيس للجمعية التاريخية الجزائرية، أن الفرنسيين قد شرعوا في إدخال نظمهم العلمية والأدبية

---

[1] راجع برتوكولات حكماء صهيونية عجاج نويهض والسيد قطب معركتنا مع اليهود وينظر د- مختار بن قويدر الجزائر ومعركتها مع الثالوث المدمر ص101- 102- 103

[2] سورة العنكبوت الآية رقم 139-140رواية ورش عن نافع

[3] كتاب المدرسي التعليم ثانوي مستوى الثالثة آداب وفلسفة نص لابن خلدون علم التاريخ مأخوذ من مقدمة وزارة التربية الوطنية إشراف د الشريف مريبعي مع مجموعة من المتخصصين و مفتشين ص38

[4] سورة يوسف الآية رقم 03 رواية ورش عن نافع

والفنية إلى الجزائر منذ 1830م وتروى الصحيفة الرسمية **المرشد الجزائري Moniteur algérien** التي أسسها الفرنسيون سنة 1832م، أنه وجدت حينئذ مدرسة للطب وجمعية خيرية، تقوم بنشاطها في جامع السيدة[1] كما شرع في إنشاء مكتبة عمومية ومن بين هذه النظم أيضا الدراسات التاريخية ففي سنة 1831م أذن **بيرتزين** قائد الجيش الفرنسي للسيد **شيالي** الذي كان عالما أثريا، بالتنقيب عن الآثار في المنازل والحدائق العامة[2] ونقتصر على منهج تدوين التاريخ الجزائري من طرف المستشرقين من الفترة الواقعة بين 1830م – 1954م رغم جهل الفرنسيين أول الأمر بواقع الجزائر وتاريخها وانشغالهم بعمليات الحملة والاحتلال ومع تذوقهم الثقافي، فإنهم اتجهوا في البحث ثلاثة مجالات:

نشر الآثار القديمة عن الجزائر:إنشاء اللجان العلمية، وإعطاء رخص الأشخاص للقيام بعمليات التنقيب والجمع والتعريف بالآثار التاريخية في البلاد.

إنشاء الجمعيات المختصة والصحف، والدوريات التي تحفظ المكتشفات التاريخية، وفي ايطار الأول باشروا سنة 1830م أثار الرحلات الانطباعية التي كتبها الأوربيين، عن الجزائر[3] خلال فترة العهد العثماني: مثل رحلات **شيلروشو، وبانانتي، وورونودو،** كما نشروا غزوات عروج وخير الدين، مترجمة عن نسخة العربية، وأولوا اهتماما **بالزهرة النيرة** والوثائق العربية لحملة شارل الخامس على الجزائر وأخذوا بنشر كتب المؤرخين العرب والرحالة العرب جزئيا وكليا، كابن خلدون والبكري العياشي وحسن الوزان الإفريقي، وغيرهم ونشروا مراسلات دايات الجزائر مع حكام فرنسا، ومذكرات قناصل وجواسيس الفرنسيين، أمثال **دوبوا تانفيل ولوتان وكيرسي،** واهتموا بالأرشيف الغرفة التجارية وتقارير الشركات الفرنسية. وأبدوا عناية مركزة على الوثائق العثمانية التي وجدوها في الجزائر، والذي ضاع منها الكثير خلال الفوضى التي سادت دخولهم.[4] أما بخصوص **إنشاء اللجان العلمية،** نلاحظ أن اللجنة الأفريقية، التي زارت الجزائر سنة 1833م بقصد التحقيق في مصير الجزائر أنهت أعمالها بتقارير ومحاضر غنية عن الجزائر في مختلف المجالات، الاقتصادية والاجتماعية، وقامت بإنشاء وزارة الحربية لجنة اسم اكتشاف الجزائر العلمي وقامت بنشر دراسات هامة في عدة أجزاء، عن الآثار والعلوم الطبيعية والفنون الجميلة والتاريخ وعلم السلالات، ونشر تاريخ اللهجات والطرق والنظم وطبائع السكان والزوايا والحياة القبلية والمدن الخ[5]، أما الجانب الثالث الجمعيات والصحف قد ظهر هو الآخر منذ بداية الاحتلال فمنذ 26 جوان 1830م ظهرت الصحافة في الجزائر في سيدي فرج، و لم تكن الصحافة بمعنى الدقيق، على رأي أبو القاسم سعد الله – رحمه الله – لأن أول جريدة حقيقية أسسها الفرنسيون في الجزائر، هي المرشد الجزائري، وكانت تحمل في طياتها القرارات والإعلانات الرسمية إلى جانب التاريخ المحلي وأخبار المسلمين، وحركات الأهالي، وكان على رأسها بيربروجر الذي كان له دور

---

[1] د- أبو القسم سعد الله أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الجزء الأول عالم المعرفة الجزائر دار المرشد طبعة خاصة 2009 ص 12

[2] بيربروجر في مقدمة المجلة الإفريقية – 1856م – 1857م ص 4

[3] أبو القاسم سعد الله نفس المصدر سابق ص 12

[4] وليام مارسي في كتاب تاريخ ومؤرخو الجزائر باريس 1931م ص 136

[5] ستيفان غزال التاريخ ومؤرخو الجزائر ص 7- 8 نقلا عن أبي القاسم سعد الله أبحاث في تاريخ الجزائر

في إدخال من عوامل الحضارة الأوروبية في الجزائر، ثم صدرت جريدة الأخبار سنة 1839م وكانت هي الآخرى تهتم بالأبحاث التاريخية إلى جانب كونها جريدة سياسية، إخبارية والمبشر التي ظهرت 1847م واهتمت بالأخبار المحلية.

وتأسيس جمعية قسنطينة للآثار، يعود الفضل في تأسيسها إلى الضابط **كروللي** والضابط **بروسلار** و **شيربونو** أستاذ العربية سنة 1852م[1]، مما أدى إلى ظهور الدوريات المتخصصة في الدراسات التاريخية والأثرية، وكانت هذه الجمعية تصدر منذ عامها الأول تقويماً، Annuaire تحول في ما بعد إلى مجموعة Recueil من الدراسات والملاحظات المتعلقة بتاريخ المنطقة وبوحي من الحاكم العام **راندون** إلى جانب الجمعيات أنشأوا المكتبات والمتاحف، مكتبة مدينة الجزائر سنة 1835م ومتحف الأثري، حيث أصبحت المكتبة والمتحف منطلق البحث الاستشراقي في الجزائر[2]

دوافع البحث في تاريخ الجزائر: انطلق الفرنسيون وعلى رأسهم المستشرقون في كتاباتهم تاريخ الجزائر من عدة معطيات أهمها، كونهم تغلبوا على الجزائريين بالقوة وكونهم شعب متعالي ومتحضر حكموا شعب متخلف، وكونهم مسحيين قبضوا زمام شعب مسلم، وكل هذا جعل هناك حتمية تاريخية، عندهم وتنصريه واقتصادية وثقافية، واشتسراقية وهي التي حددت منهجهم، الذي تطور مع الزمن كلما ازدادوا صلة بالجزائريين، وهي حتى اليوم تتحكم في كتابات الفرنسية عن الجزائر، تعددت الدوافع لدى الفرنسيين تجاه تاريخ الجزائر.

دافع استعماري: إلى جانب رغبة التعرف على الشعب الجزائري وبسط النفوذ وسلخه عن الهوية العربية الإسلامية وإدماجه في المشروع الفرنسي، فرنسة الشعب من أجل صهره في الحضارة الأوروبية، ومن أجل ذلك حملوا كل وسائل الغزو الفكري والثقافي، فقد احضروا المطبعة والمستشرقين والتراجمة الذين تخرجوا

من مدارس اللغات الشرقية الأوروبية، الذي لعب دور فيها كل من المستشرق **ماسنيون و دو ساسي** أو من الذين جاءوا من الشام ومصر بعد أن ارتبطوا بالحضارة الأوروبية عقب حملة نابليون مثل **جورج غروي و جوني فرعون**[3] وإلى جانب دافع الاحتلال والسيطرة، ولا يمكن ذلك إلى بجمع الآثار المكتوبة وغير ذلك من أجل تحليلها وتقيمها واستخلاص النتائج، وفهم العقلية الجزائرية من أجل إحكام السيطرة، وهذا دفعهم الاستعانة بكتابات الجزائريين مثل **العنتري وابن المبارك** وكتابتهم عن تاريخ قسنطينة وماكتبه **محمد بن على تلمساني** عن علماء وهران وتلمسان بوحي كل من **بواسني** وعامل وهران الفرنسي وما ترجمه، وكتبه **ابن أبي شنب والحفناوي** بتحريض وإيعاز من الحاكم العام **جونار** ومجموعة من الباحثين الفرنسيين.

---

[1] - أبو القسم سعد الله أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الجزء الأول عالم المعرفة الجزائر دار المرشد طبعة خاصة 2009ص 15

[2] بيربروجر مقدمة المجلة الإفريقية 1856م- 1857م ص 4 – 6 أنظر كذلك لوحه عن وضع منشآت الفرنسية مجلد 1846-1849م ص 196- 197

[3] ينظر شارل قيرو مترجمو الجيش الإفريقي وكذلك هنري ماسي الدراسات العربية في الجزائر 1830م – 1930م فاصلة من مجلة الأفريقية 356 – 357 1933م ص1 –2 -3

دافع الفضول العلمي: فقد احتلت الجزائر في وقت كان فيه العقل الأوروبي الدىكارتي، جاهما يتطفل على ميادين المعرفة ويجوب أفاق الحياة، ويذوق أفكارها ويحاول السيطرة، على المجهول المخيف منها، بينما العقل الشرقي الجزائري كان ما يزال راكد ناعسا، ومع هذا الفارق ظهرت فكرة التفاضل والتمايز بين الشعوب، إذن ظهر علماء يؤمنون بأفضلية الشعوب الأوروبية،[1] عن الشعوب الآخرى، كونهم يقومون برسالة حضارية، وهذا ما نجده في كتاب التاريخ الجزائري من الفرنسيين كانوا من دعاة هذا المذهب.

دافع ديني: وهو دافع مهم حرك دوائر الاستشراق والتنصير والاستعمار (حرب صليبية)، لأن احتلال الجزائر جاء بعد صراع مرير وشديد بينها وبين أوروبا المسيحية، دام ثلاثة قرون، عهد القرصنة كما جاء في قول **الفريدييل**: إن حكومة الأتراك في الجزائر كانت حكومة قراصنة جعلت القرصنة البحرية نظام لها، وكان أعضاؤها أتراكا أو مسحيين مرتدين، وكان إسلامهم خفيفاً[2] وهو في الواقع كان الفصل الثاني من الحروب الصليبية ولذلك جندوا جيشا من المستشرقين لمعرفة أسرار تلك الحقبة المشار إليها، وكذلك تحطيم المعنويات من أجل تحقيق الاحتلال والقضاء على أسلمت الجزائريين. ومنه اهتموا بالدراسات الإسلامية والطرق الصوفية ورجال الدىن، ذوي النفوذ الروحي تمشيا مع هذا الاتجاه، كما شاركت الكنيسة مع رجال التبشير ووسائلها المادية والمعنوية في تبني هذا الاتجاه منذ الوهلة الأولى للاحتلال راحت جريدة المرشد الجزائري تتحدث عن تأثير الكنيسة على الجزائريين، وسنة 1841م كون **دوبوش** رئيس كنيسة الجزائر جمعية باسم جمعية **سان أوغسطين**[3]، ويشير بعض الدارسين على أن فترات البحث في الجزائر، تاريخ الجزائر إلى عهدين كبيرين هما **عهد المؤرخين العسكريين وعهد المؤرخين المختصين** وكل من العهدين عمل على تثبيت قواعد وأسس احتلال الجزائر فكرياً ودينياً واقتصادياً، وبمأن للاستشراق مهمة عسكرية استعمارية، نجدهم امتهنوا العسكرية، بل واستخدموا كجواسيس في عهد المؤرخين العسكريين 1830م – 1880م يطلق علىه المؤرخ **ستيفان غزال** على هذا الزمن اسم مدرسة الجزائرية القديمة[4] **عهد المؤرخين الاختصاصيين 1880م 1954م**، تأسيس جامعة الجزائر يبدأ عهد جديد من تدوين تاريخ الجزائر عند الفرنسيين ففي سنة 1880م صدر قانون بإنشاء المدارس العلىا في الجزائر، وهي أصبحت بعد حوالي ثلاثين سنة 1909م جامع الجزائر وكانت المدارس العلىا تضم مدرسة الطب والآداب والحقوق والعلوم وتظافرت جهود رؤساء الجمعيات التاريخية والأثرية، والدوريات العلمية وأساتذة التاريخ في الثانويات ونتج عن التكاتف اهتماما خاصا بتاريخ الجزائر وتزامن مع موجة الاستعمار العنيف في الجزائر وتعكس هذه الدراسات مدى شعبية كتابة تاريخ الاستعمار، حيث كانت تبرر هذا الاستعمار والتاريخ له. إذن اهتم الفرنسيون و المستشرقون بكل ما يخص الجزائر، وخاصة مع افتتاح الآداب العليا، كلية الآداب فيما بعد، مجال التدريس والبحث في أدق التفاصيل المتعلقة بالجزائر، وهذا الاهتمام يخدم أهداف الإدارة الاستعمارية،حيث سهلت هذه الأخيرة الأمور المادية والمعنوية،

---

[1] أبو القسم سعد الله أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الجزء الأول عالم المعرفة الجزائر دار المرشد طبعة خاصة 2009ص 21
[2] أنظر تاريخ ومؤرخو الجزائر ص 194
[3] أنظر تاريخ ومؤرخو الجزائر ص 7 -8
[4] نفس المصدر ص 7 -8 في كتابه التاريخ

وشجعت هؤلاء الباحثين وأوجدهم في كل المراكز الحساسة للتدريس والبحث وتذكر المصادر أن هؤلاء الأساتذة الذين اشتغلوا في مجال الاستشراق استغلوا كل الوسائل والطرق للوصول إلى مآربهم، تنقلوا كثيراً وبعيداً وركبوا في سبيل هدفهم الأحصنة والبغال حتى الجمال[1] وهناك بعض الأساتذة الجامعيين برزوا خلال هذا العهد **لاسيما سكري** الذي لم يختص بموضوع بعينه **وريني وباسي** الذي اختص بالدراسات اللغوية واللهجات المحلية **ودوتي** الذي كرس جهوده للأبحاث الاجتماعية **وجورج أيغير** الذي أهتم بتاريخ الاحتلال **وستيفان غزال** الذي تخصص في تاريخ شمال إفريقية، **ومارسل ايمرت** الذي اهتم بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية للأهالي العهد الفرنسي، **وياكونو** الذي تناول قضايا الاستعمار والمكاتب العربية، إلى جانب من اهتموا بتاريخ شمال الإفريقي أمثال **أندري جوليان** في كتابه تاريخ شمال إفريقيا **ومانصو** (التاريخ الأدبي لأفريقية المسيحية)، **وكانيا** (الجيش الروماني الأفريقي)، **وديل** (إفريقية البيزنطية)؛ ومن خلال عناوين هذه المؤلفات، نجد أن هؤلاء المستشرقين كانت كلها تهمل كلمة الجزائر والجزائريين وكأنهم يؤرخون لدول أخرى وقوميات أخرى مثل **وديل** بيزنطا وهذه الممارسات هي نوع من تشويه التاريخي ومسخ الهوية.

وجاء على لسان **ياكونُو** القول: بأنه لا توجد دراسة شاملة عن سياسة فرنسا الإسلامية في الجزائر ولا عن تحول الذي أصاب الأهالي بتأثير الاستعمار[2] والمهم أن المستشرقين المهتمين بالتاريخ الإسلامي الجزائري درسوا كل شاردة وواردة عن الحملة الاستعمارية، وتناسوا سياسة بلادهم نحو الجزائريين.

مواقف المستشرقين المؤرخين الفرنسيين من قضايا تاريخ الجزائري: لقد شككوا في المصادر الأهلية من حيث قيمتها، ونعتوها بالتجريد والمبالغة وذهب البعض بعدم الاهتمام بها وعليها وقال **وليام مارسي** أنه يجب الاعتماد في توثيق التاريخي الجزائري خلال العهد العثماني بالعودة إلى المصادر الأوروبية، والوثائق الأرشيف الرسمية والتجارية، وهي بهذا يتفق مع **دي سلان** القائل والمشكك في صحة أخبار العرب والمغرب ونجد **ستيفان غزال** يشاطرهم الرأي بقوله عن العهد الإسلامي في الفتح العربي إلى 1500م أن الباحث فيه يدخل في ظلام دامس لعدم وجود الوثائق الأكيدة والحديثة، لأنه لا يجد سوى بعض الحوادث المتأخرة وغير المنتقدة وبعض التاريخ لبعض الأحداث مرتبط بالنظم العسكرية وغير موضوعية وبهذا يستثني ابن خلون من حكمه السابق ونجده نادى باعتماد على رحلات الأوروبيين[3] وأرشيف الدول الأوروبية، وعد كتبات العرب غير موضوعية ومنحازة للأتراك مع علاقتهم مع الأوروبيين وقال: يجب الاعتماد على رحلات الأوروبيين في توثيق التاريخ، وهنا نلاحظ إهمالهم لفترة حساسة في تاريخ الجزائري واعتبروه تواجد تركي وهو بالتالي تواجد استعماري،و لابد من تجاوز هذه الفترة، لأنها هنا مارست على الجزائر نوع من الاستعمار الفكري والأدبي والهويتي ادخلوا الجزائر في قوقعة الإسلام بينما الجزائر ومازالت مرتبطة بدولة بيزنطا والرومانية والنوميدية.

1 ينظر غزال تاريخ ومؤرخو الجزائر ص 90
2 لوتورنو المجلة الإفريقية 1856م – 1956م ص 143
3 ينظر لأبو القاسم سعد الله أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ص 23

ولهذا نجد أن الفرنسيين قد عملوا وعلى رأسهم جنود الخبث والخفاء المستشرقين، على ترجمة الآثار العربية عن الجزائر في شتى العصور، ولا يكاد يوجد مخطوط رحلة أو وثيقة أو مجموعة رسائل أو سجلات حكومية إلا ترجموها كاملة أو مجزأة، وقد يطول بنا الحديث لو استعرضنا كل الدراسات ونكتفي بدراسة قصيرة لكنها ذات أهمية، مفيدة على حسب الدكتور أبو القاسم سعد الله المرحوم، والتي قام بها المستشرق **هنري ماسي** بعنوان (الدراسات العربية في الجزائر من 1830م – 1930م)، وهي مناسبة المئة للاحتلال وكذلك الدراسة التي قام بها السيد **كور** بعنوان (ملاحظات عن كراسي اللغة العربية) في الجزائر، والملاحظة يكتفوا الأعمال التي قام بهَا مترجموهم في نشر الدراسات الإسلامية العربية في الجزائر، بل أقحموا بعض المثقفين الجزائريين، لنفس الغرض من أجل تظاهر بالنزاهة والبراءة .

ومن هؤلاء **محمد أبي شنب، والعنتري، والحاج الصادق ، وصوالح ، وإسماعيل حامد،** وترجموا كتاب تاريخ باشاوات الجزائر **لابن المفتي** والزهرة النيرة **لتلمساني** وغزوات عروج وخير الدين **لمجهول** والحلل السندسية وعجائب الأسفار **لأبي رأس الناصري،** وبهجة الناظر **للمشرفي** ورحلة الباي محمد الكبير **لابن هاطل** ورحلة كل من رحلة **الورتلاني وابن عمار،** وكشف الرموز **لابن حمادوش** وتاريخ قسنطينة **لابن المبارك** ومذكرات **حمدان خوجة،** بالإضافة إلى العديد من الوثائق والرسائل والشعر الملحون وكتب الفقه والنحو والأصول واعتمدوا على الطرق الصوفية ورجالها كمصادر للتفكير الأهالي، فأنهم بهذا وقفوا موقفاً مشبوهاً من الإسلام، من أجل جلف الجزائريين عن النهج القويم الذي جمعهم عدة قرون بإثراء الترجمة، ببعض الحقائق المزيفة والسموم المندسة من أجل خدمة الإدارة الاستعمارية، على بسط نفوذها والغاية من كل تلك الترجمة وتحقيق الآثار هو معرفة وفهم العقلية وتفكير الجزائريين، حتى يسهل ترويضهم وبسط النفوذ وجعل الجزائري يندمج في المجتمع الغريب عنه، ومن خلال كتاباتهم قد استعملوا عناوين توحي بالغاية والمكنونات النفسية والرغبة الفرنسية، وحتى إذا درسنا العنوان دراسة سميائية نتوصل على استنتاجات وقنعات، بأن الاستعمار ومن ورائهم المستشرقون أنهم جهاز تدميري واستعماري بامتياز، كتاب **الإسلام الجزائري،** وهنا نقرأ فصل الجزائر عن الامتداد تاريخي والحضاري مع العرب والإسلام وكأن الإسلام ليس واحد بل هناك إسلام جزائري وآخر مصري آخر سوري...؛ وكتاب **الإسلام الجزائري الجديد،** وكأن هناك إسلام قديم وجديد، مع أن الإسلام دين واحد، ومن وراء ذلك قصد، أن الإسلام لم يعتنقوه الجزائريون، عن وعي بل فرض عليهم فرضاً، وكأن فرنسا جاءت لتحريرهم من هذا الدين الرجعي، أي الغزو العربي، وركزوا على بعض الأحداث التي تصب في هذا الجانب، مثل حادثة **الكاهنة** مع **حسان بن النعمان،** وواقعة **كسيلة وعقبة بن نافع،** وعندما تحدثوا عن هجرة بني هلال تحدثوا عنها كغارة ذئاب، حسب تعبير **ستيفان غزال** على المغرب من أجل امتداد التاريخي العربي وفرض لغتهم ودينهم عن سكان المنطقة، واعتبرا **ستيفان غزال،** أن الرومان أخطأوا، عندما ل م يحولوا سكان المغرب إلى مسحيين لا ثنيين، وذكر أن بني هلال كانوا قوم منبوذون من المجتمع المشرقي العربي وكانوا همج، يقتاتون من القتل، وخرجوا من المشرق بطرق مشبوهة، وهم أراذل القوم، وهنا نجد أنهم ينفون النسب

والحسب وشرف عن سكان العرب المغاربة، ويبرر دائما هذا المستشرق **غزال ستيفان** مقاومة الجزائريين للاحتلال لا إلى روح المقاومة الوطنية أو الدينية، بل إلى ضيق الأفق والتعصب الديني.

أما المستشرق **قوتي أو دوتي** على حسب رأي أبو القاسم سعد الله المرحوم[1]، فقد أطلق اسم القرون الغامضة على عهد الإمارات الإسلامية في الجزائر، والمغرب ويقصد هنا الفتح الإسلامي إلى مجيء العثمانيين ونجد اعتنائهم بقديسي الإسلام في الجزائر، فقد نشر **قوتي أو دوتي** كتاب **قديس الإسلام الجزائري وترومليي** كتاب **قديسو الإسلام الجزائري**، ملاحظة هنا من خلال هذين الكتابين نجد العنوان يسبق لفظة قديس الذي هو مصطلح نجده في الديانة المسيحية، وجعلوا لفظة الإسلام في الأخير، وكأن الإسلام دخيل أحتل هذه الأرض المسيحية.وقام الاستشراق الفرنسي بتشويه الرموز الوطنية، ونعتوها بالماسونية، مثل الأمير عبد القادر وشخصيات أخرى وبالخارجي عن القانون، ومرة متوحشون ومن أجل توضيح نأخذ **كتابات الفرنسيين المستشرقين عن الأمير عبد القادر**: نجد الكتابات عن الأمير كثيرة، ولكنها لم تخرج أغلبها عن الخط من دوره الوطني وجعله شخصاً متعصباً، دينياً في البداية وصديقاً لفرنسا في النهاية.

وهذا الموقف يلخصه بصراحة كتاب المستشرق المتخصص في التاريخ، **بول أزان (المسوم تحت عنوان الأمير عبد القادر من التعصب الديني إلى القومية الفرنسية)**؛ ومن خلال العنوان، فأنه يحتوى على سموم ويقال: الكتاب يقرأ من عنوانه نهيك عن المثن فيه الدجل والهراء والكذب والبهتان وأن الإسلام يصنع لنا التعصب، والتطرف والانحراف، أما السلام فهي القومية الفرنسية، يشير على أن الأمير أخطأ لما كان مسلما ولما عدا إلى القومية الفرنسية أصبح إنسانا مصلحا ومسالما ومعتدلا على طريقة الفرنسية، وهذا الموقف يكرسه **جورج ايفير** الذي تناول الأمير وعصره في عدة مناسبات يقول عنه: انه لم يكن بطل جنسية عربية في الجزائر ولم يكن سياسيا مجددا يهدف إلى إدخال الحضارة الأوروبية على مواطنيه الذين كانوا ونصف بربر، ولكنه كان مرابطا طموحا أراد أن يحل محل الأتراك، وهنا نجده لم يكن يقاتل من قضية أو أرض أو دين بل من أجل الملك والشهرة، وهذا إنقاص من شخصية الأمير وتشويه للحقائق وقال **ايفير جورج** كذلك: أنه قلد الأتراك وراح يستخدم القوة دون رحمة وشفقة، ويقول: أن فرنسا طبقت نفس سيناريو ولكنها كانت أكثر إنسانية منه ويقول أيضا: أن الأمير لم يأخذ بأسباب الحضارة الأوروبية لتخلص من أعدائه للمسلمين والمسحيين على سواء.[2] ولم نستثن بعد المستشرقين من الحكم على الأمير عبد القادر **مثل سول أزان وأندري جوليان** والذي كان أقل قسوة حكما على الأمير من **ايفير**[3] ونفس الحكم خص به كل من رموز المقاومة مثل **الحاج أحمد و المقراني و الحداد وبوبغلة ولا حمدان خوجة** وجردوهم من الوطنية والإسلام والعروبة.

نستنتج بعض الاستنتاجات من خلال هذه الإطلالة سريعة نلخصها في نقاط: من خلال تتبع دور الاستشراق في الجزائر، نجدهم كتبوا الكثير عن الجزائر، منه ماهو مازال في درج المكتبات والمعاهد الاستشراقية

---

[1] ينظر أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ص 32
[2] جورج ايفر المجلة الإفريقية مختصة في شؤون الجزائر ص 290
[3] انظر مقال الأستاذ جوليان والتاريخ الجزائري ص 59 نقلا أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر

الفرنسية، ومنه ما نشر وأخذه بعد المفكرين الجزائريين، بنوع من التحليل ورد الشبهات أمثال الدكتور سعد الله رحمه الله – ونجدهم كتبوا في كل فروع المعرفة واستعملوا، تقنيات جديدة في البحث واستعملوا طرق النقد الحديثة للمصادر وتوصلوا لجمع الآثار، والمخطوطات ووثائق كثيرة عن الجزائر وأنشأوا الجمعيات العلمية، استعمال وسائل البحث وتشجيع الباحثين وشيوع التضامن العلمي بينهم وتبادل الخبرات ، نقد المصادر والوقوف، منها موقف الشك إلى جانب إهمالهم للشعب الجزائري، حيث أنها مجرد منطقة جغرافية تعاقبت علىها الدول من الفنقيين على الفرنسيين خدمة المستشرقين دوي الاختصاص سلطة الاستعمارية تركيز في نشاطهم الفكري والأدبي والعلمي على التاريخ الاقتصادي، والإداري والعسكري جرياً وراء الاستعمار وتحركات الجيش وقواده.

ونشير هنا أن الجزائر كلها وتاريخها، يعد وسمة عار على فرنسا (الاستشراق و الاستعمار)؛ ومفخرة للجزائر ورجالاتها ولأدبها وعلومها وحضارتها، لأنه توجد أكثر من وقفات ومحطات ركزت على بعضها التي رأيتها أنا مهمة عندي.

الخاتمـــــــــة:

من خلال هذه الجولة في رحاب هذا الموضوع، وقفت على بعض النقاط منها ماهو مؤسف في تاريخ الحضارة الإسلامية، ومنها ماهو يسر ويثلج القلوب، إذن البشرية لم تصل إلى ما وصلت من رقي ومدنية وحضارة إليه محض الصدفة بل هو نتيجة تراكمات سابقة، فالإنسان البدائي خط خطوات جريئة نحو فترة أحسن من سابقتيها وكان يفتقر إلى الحضارة بالمعني الصحيح، ولكنه كان له سلوك أخلاقي يدعو إلى الاحترام، لأنه في مجتمعات المتحضرة لا نجد سلوكات البدائي الأخلاقية ووجود الحضارة بدأت بمقومات وأسس مما جعلها تعرف هذا التبلور السريع نحو المدنية وهذا يدل على أن الإنسان مدني بطبعه وهيئته البيولوجية والسيكولوجية، جبلت على التحضر والحضارة عكس الحيوان الذي هو أسير الغريزة فيه والمهم في الموضوع كله هو الحضارة الإسلامية من خلال النظرة العدائية من أطراف ودوائر نقول عنها أنها دوائر حاقدة ومارقة عن صواب وتحب إقصاء الآخر وعندها نظرة التعالي للآخر.

توجد بعض الدوائر الاستشراقية تحترف الكراهية، تزرعها وتسقيها بين المجتمعات تدعو إليها وتبشر بها بل صارت في بعض نوعٌ من العقيدة، لها جلال العقائد التي تجب حمايتها و الدفاع عنها ونتفاجأ بالاستشراق الفرنسي عندما يجابه الحضارة الإسلامية بكل تلك الكراهية، بل وصارت صناعة هائلة ومغذية من جذور التاريخ السحيق

عندما زاحم الإسلام تواجد المسحية في الأرض ممثلة في روما الإمبراطورية، ويمكن الوصول إلى بعض النتائج بخصوص الاستشراق الفرنسي والحضارة الإسلامية للاستشراق أثر بارز في تحديد العلاقة ثقافيا وأدبيا وعلميا بين الشرق والغرب على مستوى الحاضر والماضي وحتى المستقبل، لأنه أمتد مفهومه إلى وسائل إعلامية وتخذ أبعادا سياسية، و لم يكن له أثر في هذه العلاقات، كله سلبي بل كانت له آثاره الإيجابية في تقديم الحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية في بنائها الماضي وبنائها التراثي، وحاضرها المتنامي، والإفادة من معطياتها العلمية و الفكرية، مخلصون لهذا التوجه عن طريق تحقيق المخطوطات ، وترجمة الكتب الأمهات مما جعل بعض الأوروبيين يقتنعون بالحضارة العربية والإسلامية، لأن الترجمة لها دور في المثاقفة بين الشعوب للاستشراق دور مهم في إقامة معاهد و جامعات في بلاد أوروبا نفسها تدرس اللغة العربية وآدابها ويرى البعض أن الاستشراق في جانب، كان بدايته عدائي مثل المدرسة الإسبانية والألمانية ثم صار يتسم بالروح العلمية إلا الاستشراق الفرنسي الذي كان ولا يزال يتصف بالعدائية لكل ماهو إسلامي وعربي أصيل لأنه أرتبط اسمه مع الهدف الاستعماري، وسخر نفسه ورجالاته لخدمة الامبريالية، لذلك يصفه أحد رجال المقاومة الجزائرية **بشير الإبراهيمي** و د- **سعد الله**- رحمه الله بأنه تلميذ غبي لا يعي الدرس عكس الاستعمار البريطاني، ونجد أن الحضارة الإسلامية حضارة كبيرة كبر تجدرها في التاريخ الإنساني وأنها مزجت بجانبين جانب مادي وجانب روحي عكس الحضارات التي عرفت قبلها أو مزامنة معها، وهذا ما تطلع الية المختصين في الحضارات أمثال صاحب كتاب قصة الحضارة **ويل دوريوايت،** أن سر بقاء الحضارة الإسلامية واندثار الحضارات الآخرى هو الجانب الروحي المتميز فيها وهذا ما فهمه الاستشراق والمجمع الكنسي، وراح يحارب هذه الحضارة من هذا الجانب ودرس الأدب و الفنون والعلوم الإنسانية فيها والقرآن والسنة والأشعار، و كل ما من شئنه يغذي الجانب الروحي فيه، ولأنه علمًا أن المواجهة العسكرية لا تجدي نفعاً بل لابد من معرفة نقاط القوة والضعف من خلال الأثر والأشياء والعلوم التي تغذي الجانب القوة في هذه الحضارة الإسلامية وتلقي فيها، وتقوي الجهاز المناعي فيها من أجل بسط النفوذ ومنه راح يرسل جراثيمه في جسم هذه الحضارة الإنسانية بكل المقاييس تارة بالأكاذيب وتارة بتشويه وتارة أخرى بضرب الكتاب الذي سوى هذه الحضارة وآدابها وعلومها وكل شيء مقدس فيها، والاستشراق الفرنسي لم يفلح في كل تلك المحاولات، لأنه كما عرفنا وقلت: أنه ذو نزعة صليبية تنصريه التي خيمت على أذهان المستشرقين الفرنسيين، لأنه أرتبط في كل مراحله بالمؤسسات الكنيسة إلى جانب النزعة الاستعمارية الرامية إلى بسط النفوذ الفرنسي، على البلدان الإسلامية ونهب الخيرات والثروات.

حروب الصليبية التي لم ينتج عنها أي ناتج، وكان هناك خسائر في الأرواح ثم تيقن الغرب أن المواجهة الفكرية أنجع، فعمل على ضرب الحضارة الإسلامية في مقوماتها وأسسها، فرنسا دولة رائدة في مجال الاستشراق، وكانت حاملة لواء التنصير والحروب الصليبية، الفكر المتعالي والاستعمار استند على الاستشراق في محاربة الحضارة الإسلامية، لأن الاستعمار أصلا ضد كل بناء حضاري لا يقوم إلا على أنقاض حضارات الشعوب، وخير دليل على ما قلناه: هو مشروع الفرنسي الاستعماري الاستشراقي في الجزائر أتى على الأخضر واليابس، حيث دمر البلاد والعباد وما زلنا نعاني منه حتى الآن وضرب في عمق الثقافة الجزائرية العربية الإسلامية، وإحياء النعرات القبلية والعصبيات المذهبية وإثارة اللهجات العامية وكسر اللغة العربية. ونختم بهذا القول لأحد المستشرقين عن تحطيم الحضارة الإسلامية.

إن أردت أن تهدم حضارة الإسلامية فعليك بثلاثة أشياء

هدم الأسرة– تغييب دور الأم – اجعلها تخجل كونها ربة بيت

إسقاط القدوة –عليك بالعلماء– أطعن فيهم قلل من شأنهم – شكك فيهم– حتى لايسمع ولايقتدى

هدم التعليم – عليك بالمعلم – قلل من مكانته لاتجعل له مكانة في المجتمع حتى يحتقره المجتمع وطلابه

البيبليوغرافيا

القرآن الكريم : حفص عن عاصم دارالمعرفة سورية دمشق مطبعةالثريا طبعة 1434هـ /2007

الحديث الشريف: صحيح مسلم والطبري وصحيح البخاري

المصادر و المراجع العربية –

1. – نجيب العقيقي المستشرقون دار المعارف بالقاهرة الطبعة الرابعة الجزء الأول 1981م
2. 100– عبد القادر صبري عيون المسائل من أعيان المسائل دار الفكر بيروت لبنان 1982

3. 101- الكندي اختلاف المناظر إعداد وتحقيق د/ محمود سعيد عمران دار المعرفة الجامعية الإسكندرية سنة 1998
4. 102- مصطفي نظيف علم البصريات عند ابن الهيثم دار الوفاء دبي الإمارات العربية المتحدة طبعة الأولى سنة 2004
5. 103- سميث تاريخ الرياضيات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر الطبعة الأولى سنة 2016م
6. 104- ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان طبقاه الأطباء والحكماء تحقيق وإعداد فؤاد سعيد دار الحكمة دمشق 1990
7. 105- أبو على الحسن بن عبد الله ابن سينا ضمن كتاب عبقرية الحضارة العربية ترجمة عبد الكريم محفوظ دار الجماهيرية للطبع والنشر والتوزيع والإعلان طرابلس 1990 م
8. 106- جورج يعقوب أثر علوم الشرق في الغرب دار الفكر دمشق سنة 2000
9. 109- المسعودي مروج الذهب دار الفكر مكتبة الأسد طبعة 2 سنة 1980
10. 110- الفرق والملل لأسعد محمد صالح منجد مدرس العلوم الشرعية بجامعة أم القرى دار الهجرة للنشر والتوزيع سنة 2001
11. 111- الأستاذ قدري حافظ طوقان العلوم عند العرب دار الحديث لنشر والتوزيع طبعة الأولى سنة1961
12. 112- إنتاج المستشرقين وأثرة في الفكر الإسلامي الحديث دار الإرشاد للنشر والطباعة والتوزيع الطبعة الأولى سنة 1388هـ -1969م
13. 112سقموند فوريد الحياة النفسية عند البشر تأليف جورج الطربيشي دار النشر والطباعة الطليعة بيروت الطبعة الرابعة سنة 1986
14. 114- مقدمة كتاب منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب دار الرشاد مصر
15. 115- السيد أمير على مختصر تاريخ العرب و التمدن الإسلامي دار المعرفة
16. 117- حسين مؤنس المساجد عالم المعرفة الكويت 1990

i. 120- محمود حمدي زقزوق الإستشراق والصراع الفكري والحضاري دار المعرف القاهرة 1982

17. 122- تأليف وردي بارت ترجمة مصطفي ماهر الدراسات الجامعية الإسلامية العربية الألمانية القاهرة 1967 م
18. 124- مكسم رودتسون ثرات الإسلام تصنيف شاخت وبوزورت ترجمة د/ محمد زهير السهو ري الجزء الأول سلسلة المعرفة الكويت 1978م
19. 125- ساذرن نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى ترجمة د/ على فهمي خشيم ود/ صلاح الدين حسني دار مكتبة الفكر بطرابلس ليبيا 1975م

20. 126- محمد فتح الله الزيادي الإستشراق أهدافه ووسائله دار قتيبة دمشق الطبعة الثانية 2002م

i. 127- قاموس المحيط مادة (ش-ر-ق) ص 1158 والمصباح المنير مادة (ش-ر-ق) 311-310/1

ii. 128- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة 687/2

b. 129- حمد أمين حسن محمد بني عامر المستشرقون والقرآن الكريم دار الأمل أربد الطبعة الأولى 2004م

21. 130- عبد المتعال محمد الجبري الاستشراق وجه الاستعمار الفكري مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى 1416 ه- 1995م

i. 131- مصطفي السباعي الاستشراق والمستشرقون المكتب الإسلامي بيروت ط2 1399هـ 1978م

ii. 132-محمد أمين حسن محمد بني عامر المستشرقون والقرآن الكريم دار الأمل ط1 2004

iii. 133- لطفي حداد الإسلام بعيون مسيحية الدار العربية للعلوم بيروت الطبعة الأولى 1425هـ 2004م

iv. 134- وعبد الرحمن الدوافع الموسوعة العربية العالمية1/712-713 ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير- الاستشراق- الاستعمار دار القلم دمشق الطبعة السابعة 1414ه-1994م

22. 135- محمد عبد الله مليباري المستشرقون والدراسات الإسلامية دار الرفاعي الرياض ط1 1410هـ -1990م

a. 136- نجيب العقيقي المستشرقون- دار المعرف القاهرة دون تاريخ نشر1/138

b. 137- عبد الله العليان الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف المركز الثقافي العربي الدار البيضاء الطبعة الأولى 2003م

i. 138- إبراهيم خليل أحمد المدرسة الاستشراقية الفرنسية مكتبة الوعي العربي بدون سنة 1946

23. 139- محمد عبد فتح الله الزيادي الاستشراق أهدافه ووسائله مكتبة الوعي العربي سنة 1988م

24. 140- نذير حمدان الرسول في كتابات المستشرقين دار المنارة جدة الطبعة الثانية 1406هـ - 1986م

25. 141- فاروق عمر فوزي الاستشراق والتاريخ الإسلامي الأهلية للنشر والتوزيع الأردن عمان الطبعة الأولى طبع الغلاف والتنضيد في لبنان 1998

26. 142- عبد الرحمن بدوي موسوعة المستشرقين طبعة جديدة ومنقحة دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثالثة تموز يوليو 1993م

27. 143- مالك بن نبي العداء التقليدي للإسلام في الغرب فصل الرابع المنصرون والحضارة
28. 144- عرفان عبد الحميد الاستشراق عرض تاريخي دار الحكمة ص 10 وكذلك كتاب ابن رشد الرشدية الترجمة العربية
29. 145- برنارد لويس لغة السياسة في الإسلام مترجم عبد الحميد عرفان سنة 1993 بدون دار النشر أيضا الفكر السياسي الإسلامي الوسيط كمبرج 1962
30. 146- البهي محمد الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي القاهرة 1981م
31. 147- تاريخ العرب وحضارتهم في بلاد الأندلس تأليف مجموعة كل من د- خليل إبراهيم سمرائي ود- عبد الواحد دنون طه د-ناطق صالح مطلوب دار الكتاب الجديدة بيروت لبنان الطبعة الأولى توزيع دار أويا لطباعة والنشر والتوزيع الجمهورية الليبية العظمى طرابلس سنة 2000
32. 148- مكتبة التربية لدول الخليج: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية المنظمة العربية للتربية والثقافة
33. 149- هاملتون جيب دراسات في حضارة الإسلام مترجم دار العلم للملايين بيروت 1974
i. 150- طه حسين مرآة الإسلام دار الحكمة طبعة الثالثة القاهرة سنة 1980م
34. 151- عبد العزيز الدوري التكوين التاريخي دار المجد للنشر والتوزيع بيروت 1984م
35. 153- عرفان عبد الحميد لغة السياسية في الإسلام دار الكتاب بيروت 1993م
36. 154- - على إبراهيم نملة كنه الاستشراق المفهوم والأهداف والارتباطات مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة 2011م-1432هـ
37. 155- الغزالي محمد، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطامع المستشرقين دار الحديثة سنة1964ص
38. 156- جحا ميشال الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا بيروت معهد الإنماء العربي 1983م
39. 157- مالك بن نابي إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث دار الإرشاد للطبع والتوزيع والنشر الطبعة الأولى 1388هـ - 1969م
40. 158- بلاشر القرآن نزوله ترجمته وتأثيره تر/ رضا سعادة دار الكتاب اللبناني 1974م
41. 159- محمد عبد الله دارز مدخل إلى القرآن دار القلم بالكويت سنة 1984م
42. 160- غلاب على نظرات استشراقية في الإسلام دار القلم الكويت بدون سنة طبع
43. 161- برتسل أوتو -Otto prêtez (مستشرق فرنسي مختص بالدراسات القرءانية) التيسر في القراءات السبع المجلد الثاني استانبول 1930
44. 162- أبي عمرو يوسف بن عبد البر جامع بيان العلم وفضله الجزء 2 المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة 1386هـ
45. 163مصطفي السباعي السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي بيروت -سنة 1978
46. 164 منهاج المستشرقون في الدراسات العربية الإسلامية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الجزء الأول

47. 165وحي القلم مصطفى صادق الرافعي جزء دور الأدب ود- عماد الدين الخليل وظيفة الأدب في المفهوم الإسلامي
48. 166احمد درويش الاستشراق الفرنسي والأدب العربي ذار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة سنة 2004م
49. 167على حسن الخربوطلي العرب في أوربا دار غريب القاهرة
50. 168زو تبريج مقدمة فهرس المخطوطات العربية من مكتبة الوطنية في باريس نقلاً عن د- محمود المقداد تاريخ الدراسات العربية في فرنسا
51. 170أحمد درويش نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي دار غريب القاهرة الطبعة الثانية 2002م
52. 171شوقي ضيف الأدب الجاهلي تاريخ الأدب العربي دار المعارف بمصر الجزء الأول الطبعة السادسة
53. 172 عبد الله الغدامي تشريح النص مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ص1 ن 1987م
a. 173محمد سرور بن نايف زين العابدين دراسات في السيرة النبوية دار ابن تيمية الجزائر العاصمة الطبعة الرابعة 1410هـ 1990م الفصل الثالث نقد منهج الإصلاحيين
54. 174سامي مهدي أفق الحداثة وحداثة النمط دراسة في حداثة مجلة شعر بيئة ومشروعاً نموذجياً دار الفكر لبنان بدون سنة الطبع
55. 175فاضل تامر مدارات نقدية وينظر كذلك جدل الحداثة في الشعر دار الفكر للطباعة لبنان بيروت 1986م
56. 176حامد أبو أحمد نقد الحداثة دار المدني جدة 1407هـ- 1987م
57. 177 غالي شكري شعرنا الحديث على أين؟ دار الشروق ط1 بيروت لبنان 1991م
a. 89 - سالم عطية نقد في صدر الإسلام والعصر الأموي دار هومة للتوزيع والنشر الأبيار الجزائر طبعة الأولي جزء الأول سنة 2007 م
58. 94- رمضان الصباغ العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوربية دار الوفاء للنشر والطباعة والتوزيع ط1 سنة 1998
59. 95- المقدسي: (أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم) تحقيق د/ أحمد فؤاد محمود دار اشبيليا للنشر والتوزيع المملكة السعودية 2000م- 1424ه الطبعة الأولي
60. 96- خليل إبراهيم السمرائي ود/ عبد الواحد دنون طه ود/ ناطق صالح مطلوب تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس دار الكتاب جديدة المتحدة بيروت لبنان الطبعة الأولي سنة 2000 م
61. 97- محمود عبد الوهاب الإسلام وأثره في نهضة الشعوب مكتبة دار الفضيلة دبي دولة الإمارات العربية المتحدة الطبعة الثانية 1407هـ -1987م

62. 98- ابن نديم الفهرست إعداد أنور الرفاعي دار الحكمة بيروت لبنان سنة 2001
63. 99- أبو الغز إسماعيل بن الزرار الجزري الحيل الجامع بين العلم والعمل دار الفكر دمشق الطبعة الثالثة سنة 2008م
64. الأب صبري المقدسي الموجز في المذاهب والأديان الجزء الأول المطبعة ميديا الطبعة 2007
65. إبراهيم جمعة قصة كتابة العربية دار المزهر القاهرة الجزء الثاني بدون سنة طبع
66. أبن منظور لسان العرب باب الراء مجلد 6 ط1 دار صادر لبنان بيروت
67. أبو القاسم سعد الله أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1996م
68. أبوزيد شلبي تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي مكتبة وهبة القاهرة سنة 1433-2012
69. أبوزيد شلبي تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي دكتور مكتبة وهيبة القاهرة سنة 1433-2021 م
70. أبوزيد شلبي تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي مكتبة وهيبة القاهرة سنة 1433هـ 2012م
71. احمد أزهر تعلىق(تأليف الحافظ شيخ الإسلام البخاري) –التاريخ الكبير- جزء الأول دار القارئ للكتاب ونشر سنة 2001
72. أحمد درويش – نظرية الأدب المقارن و تجلياتها في الأدب العربي دار غريب القاهرة الطبعة الرابعة 2001م
73. أحمد عيسى- الإبداع في الفن والعلم دار عالم المعرفة الكويت سنة 1979
74. إدوارد سعيد الإستشراق ترجمة كمال أبو ديب مؤسسة الأبحاث العربية بيروت 1981م
75. أدونيس الثابت والمتحول دار العودة بيروت لبنان 1999
76. أرسطو فن الشعر تر/ خديجة زتيلي الجزء الثالث سنة 2016أكاديمية وكابنة جزائرية
77. أرسطو فن الشعر تر/ : خديجة زتيلي الجزء الثالث سنة 2016أكاديمية وكابنة جزائرية
78. أرنولد توينبي الإسلام والغرب دار الفضيلة للنشر والتوزيع بيروت لبنان ترجمة محمد سرور
79. الاستشراق والخلفية للصراع الحضاري د محمود زقزوق كتاب الأمة الطبعة الأولى صفر 1404هـ
80. أسعد داغر حضارة العرب مطبعة هندية بالموسكي بمصر سنة 1918م- 1336هـ
81. الأعمال الشعرية الكاملة لأدو نيس دار العودة بيروت لبنان الطبعة
82. أفلاطون كتاب الجمهورية دار الحكمة بيروت لطبع والنشر ط 2سنة 1982ص 156تر/ د/ أحمد ماهر قسم الفلسفة جامعة عين شمس
83. أفلاطون كتاب الجمهورية دار الحكمة بيروت لطبع والنشر ط 2سنة 1982ص 156تر/ د/ أحمد ماهر قسم الفلسفة جامعة عين شمس
84. إميل دوركايم التربية و الأخلاق دار الطباعة والنشر الوافر للكتاب بيروت سنة 1989م
85. أنور الرفاعي الإسلام في حضارته وأنظمته دار الفكر دمشق 2008م

86. إيليا الحاوي اسخيلوس والتراجديا الإغريق دار الكتاب اللبناني بيروت 1980
87. بيار ف زيما ترجمة أنطوان أبو زيد مراجعة أبو الناظر النص والمجتمع مكتبة مؤمن قريش توزيع مركز الدراسات العربية الطبعة الأولى بيروت 2013
88. تاريخ ابن عساكر مخطوط بدار الكتب الأزهرية تواريخ دمشق رقم نسخة333057عدد الأوراق45 مصدر المخطوط مكتبة الأزهرhttp/www.alazharonline.org
89. تأليف نيهاردت تر/ هاشم حمادي الآلهة والأبطال في اليونان دار النشر الأهلي للطباعة والنشر الطبعة الأولي
90. تأليف نيهاردت تر/ هاشم حمادي الآلهة والأبطال في اليونان دار النشر الأهلي للطباعة والنشر الطبعة الأولي
91. تر/ محمد عقيمة كوجيكي الكتاب الياباني المقدس دار النشر النيل مصر سنة الطبع 2001م
92. تفسير الطبري: سورة الحجر الآية رقم 80-87
93. الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830 – 1855م / أبو العيد دودو، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1989 م
94. جورجي زيدان، تاريخ تمدن الإسلامي وكذلك تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الأول
95. جوزاف باتريك الفن الإسلامي في الأندلس قصر الحمراء عصر ملوك الطوائف دار التراث سنة 2000 ترجمة محمد فأيد
96. جوزف شاخت وكليفورد بوزورث ترجمة حسين مؤنس / محمد زهير ألمهوري تراث الإسلام الجزء الأول عالم المعرفة الكويت 1985م
97. جوستاف لوبون هل حضارة العرب ترجمة أسعد داغر مطبعة هندية بالموسكى بمصر مارس 1918- 1336هـ
98. جون كولور ترجمة كامل يوسف حسين مراجعة د:إمام عبد الفتاح إمام الفكر الشرقي القديم عالم المعرفة الكويت سنة 1995
99. جون م غانم ترجمة عبلة عودة الإستشراق والقرون الوسطى هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة الطبعة الأولى 1433هـ -2012م
100. جون ماكليش- ترجمة خضر الأحمد- د موفق دعبول- مراجعة د- عطية عاشور- العدد من العصور القديمة حتى عصر الكمبيوتر- دار عالم المعرفة الكويت العدد 251سنة 1999
101. حافظ إبراهيم قصيدة العلم والخلاق من ديوان الشاعر عدد القصائد موجودة فيه 67قصيدة دار الفكر بيروت ط 2 سنة 2005
102. حسان محمود عبد الله ـــ قراءات دينية في قضايا معاصرة، دار الأمير، بيروت، ط/2014م
103. حسن مؤنس الحضارة ط2دار المعارف الكويت سبتمبر 1998

104. حسين محمد فهيم أدب الرحلات دار عالم المعرفة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويت سنة 1978
105. حسين مؤنس حضارة الشرق الأدنى عالم المعرفة الكويت سنة 1990
106. حمو رابي تاريخ النظم (الأسرة الأموسية -الأم + سلطة) الطبعة 1 جزء2 دار الفكر بيروت بدن سنة النشر
107. حورية الخمليشي ترجمة النص العربي القديم وتأويله عند رجيس بلاشير منشورات الاختلاف الجزائر ط1 2010م
108. خالد محمد خالد رجال حول الرسول دار الإفتاء مصر الجزء الأول طبعة الثانية سنة 1998
109. د/ إسماعيل راجي الفاروقي و لوس لمياء الفاروقي -ترجمة : عبد الواحد لؤلؤة (أطلس الحضارة الإسلامية) مكتبة العبيكان الرياض الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م
110. رايدموند ويليا مز طرائق الحداثة ضد المتوائمين الجدد: ترجمة فاروق عبد القادر عالم المعرفة الكويت يونيو 1999
111. رندك كلارك الرمز والأسطورة في مصر القديمة ترجمة د-أحمد صليحة الهيئة العامة للكتاب القاهرة 1988
112. رياض العلمي الفن من فجر التاريخ إلي يوم دار المعرفة الكويت 1988
113. زكي نجيب الحضارة و الإنسان البدائي دار الطبع المصرية القاهرة سنة 1999الجزء الأول
114. زكي نجيب محمود/ ول وايريل ديورانت قصة الحضارة الجزء 1 مجلد1 بيروت بدون سنة الطبع
115. زينان بيطار الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي عالم المعرفة 1990
116. سعد مظفر الدين حكيم علم الترجمة النظري / دار طلاس ط1 1989م
117. سعيد الأفندي بن أحمدا لغامدي الفكر الأخلاقي في الحضارة خوارزم العلمية للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية ط 2012-1433هـ
118. سنهوري تاريخ النظم تشريع عند حمو ربي دار الحرية مصر ط 3سنة 1985
119. السيد أحمد الهاشمي ضبط وتوثيق د/ يوسف الصميلي جواهر البلاغة في المعاني والبيان المكتبة العصرية للطبع والنشر صيدا بيروت الطبعة الأولي 1420هـ - 1999م
120. سيرة ابن هشام الجزء الأول دار ابن تيمية الطبعة الرابعة سنة 1410هـ -1990 م
121. سيغمود فرويد والطوطم والحرام /تر/ جورج طرابيشي دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ط 2 1987
122. سيفرت/ من معجم الآثار السلفية دار الحكمة بيروت طبعة منقحة 1443ه-2005م
123. شارل قيرو مترجمو الجيش الإفريقي وكذلك هنري ماسي الدراسات العربية في الجزائر 1830م – 1930م

124. شاكر عبد الحميد التفضيل الجمالي دراسة في سيكولوجية التذوق الفني دار عالم المعرفة الكويت مارس2001
125. شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي الطبعة السادسة دار المعارف المصرية سنة 1960م
126. شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي دار المعارف بمصر الطبعة السادسة بدون سنة الطبع
127. الشيخ محمد سلامة منهج الفرقان الجزء الثاني دار الإيمان للنشر والتوزيع القاهرة
128. صالح فركوس تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلي غاية الاستقلال المراحل الكبرى دار العلوم للنشر والتوزيع سنة2005
129. صحيح الأعشى تأليف د/ أبوزيد شلبي أستاذ حضارة الإسلامية كلية الآداب واللغة الجزء الأول طبعة المكتبة الحسينية المغرب سنة 1999 م
130. صمويل نوح كريمر أساطير العالم القديم ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974
131. طبقات الأمم لأبي القاسم صاعد الأندلسي دار الإيمان مصر القاهرة 1986م
132. طه حسين في الأدب الجاهلي فصل مرآة الحياة الجاهلية دار المعارف المصرية طبعة حديدة سنة 1982م
133. عباس محمود العقاد إبليس بحث في تاريخ الخير والشر وتميز الإنسان بينهما من مطلع التاريخ إلى اليوم دار النهضة القاهرة
134. عباس محمود العقاد حضارة الإسلام المجلد العاشر المجموعة الكاملة دار الكتاب بيروت الطبعة الأولى سنة 1978
135. عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبوزيدولي الدين الحضرمي الأشبيلي بشأن العقيدة التي يسمونها الأمانة المتعلقة بالثالوث كتابة المقدمة دار نهضة مصر للطباعة والنشر تاريخ نشر 2017م تر علي عبد الواحد وافي
136. عبد الرحمن محمد العقود الإبهام في شعر الحداثة العوامل والمظاهر واليات التأويل عالم المعرفة الكويت مارس 2002
137. عبد السلام الترمانيني الرق ماضيه وحاضره دار عالم المعرفة الكويت سنة 1979
138. عبد العزيز الدوري أوراق في التاريخ الحضارة دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولي 2007م
139. عبد العزيز حمودة الحداثة والمسرح العربي مجلة عالم الفكر الكويت العدد الثاني المجلد الحادي والعشرون 1993م
140. عبد العزيز حمودة المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية سلسلة المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويت أبريل 1998م

141. عبد المحسن صالح –الإنسان الحائر بين العلم والخرافة دار المعرفة الكويت سنة
142. عثمان سعدي الجزائر في التاريخ من العصور القديمة وحتى سنة 1945م دار الأمة ط1 2001
143. العلامة محمد الغزالي (رحمه الله) المرأة في الإسلام دار الشهاب الطبعة 2 منقحة سنة 1986
144. على الخطيب اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي دار المعارف 1404هـ القاهرة
145. على ألقاسمي علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقيته العَمَلية مكتبة لبنان ناشرون ط 1 2008م
146. على محمد الصلابي الدولة الفاطمية ط1 2006 – 1427ه مؤسسة إقراء للنشر والتوزيع القاهرة
147. عوض القرني الحداثة في ميزان الإسلام دار ابن تيمية المدينة المنورة 2001م
148. غزالدين محمد الأحمد تاريخ النظم (كلية القانون والحقوق جامعة عين شمس مصر) تشريع عند حمو رابي دار الفكر بيروت الجزء الأول سنة 2001
149. فرانسوا ديماس آلهة مصر تر/ زكي سوس دار النيل للنشر مصر الجزء الأول بدون سنة الطبع
150. فروید موسى والتوحيد لدار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان الطبعة الرابعة 1973م ترجمة جورج طرابيشى
151. فوريد سيغموند الطوطم والتابو/ تر: بوعلى ياسين دار الحوار للنشر والتوزيع الطبعة الأولي سوريا 1983ص7
152. قاسم عبده قاسم التاريخ الوسيط الجزء الأول ط 5 ناشر عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية جامعة الزقازيق مصر سنة 1997
153. قزوييني خواص القمر كتب المدرسي المستوى ثالثة ثانوي شعبة علوم وزارة التربية الوطنية الجزائرية
154. كاترين كليمان سلسلة ضفاف تحليل النفسي تعريب د- محمد سبيلا حسن أحجيج مطبعة النجاح الجديدة دار البيضاء الطبعة 2004 الناشر جريدة الزمن
155. كارم محمود عزيز أساطير العالم القديم مكتبة النافذة الطبعة الأولي سنة 2007
156. كانط كتاب قضايا فلسفية الأخلاق العقلية عند كانط دار الباحث دار البيضاء المغرب سنة 1988
157. كتاب المجموعة العربية المقدمة طبع باريس 1852 لبرينيه
158. كتاب المدرسي التعلىم ثانوي مستوى الثالثة آداب وفلسفة نص لابن خلدون علم التاريخ مأخوذ من مقدمة وزارة التربية الوطنية إشراف د الشريف مريبعي مع مجموعة من المتخصصين و مفتشين
159. كتاب قضايا فلسفية مطبوعات الجامعية باب الزوار العاصمة طبعة الأولى سنة ص1988
160. كريمة دور الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية دار الكتاب للنشر والتوزيع مصر ط1 2012
161. كمال خير بك حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر دار الفكر للطباعة ط1 بيروت لبنان 1986م
162. لاروس فرنسي عربي دار الكشاف لبنان بيروت سنة 1999م
163. لدبيور ترجمة د/ أبو ريدة تاريخ الفلسفة في الإسلام دار المعارف

164. لسان العرب والقاموس المحيط دار الحكمة بيروت لبنان سنة 1988م
165. لمحمد عاشور دراسة في الفكر الاقتصادي العربي (أبو الفضل جعفر بن على الدمشقي) بدون دار للنشر سنة1973م
166. محمد الصالح صديق البيان في علوم القرآن المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1994م
167. محمد العيد حمود الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانها ومظاهرها دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان ط1 1986م وكذلك ينظر غالي شكري شعرنا الحديث إلى أين؟
168. محمد حسين هيكل على هامش صراع الحضارات دار الشروق مصر سنة 2009ط 1
169. محمد حسين هيكل(حياة محمد)ترجمة بالانجليزية إسماعيل راجي الفاروقي نشر pp510-511 chicagoAmirican Trust Pubs 1976
170. محمد ضياء الدين : النظريات السياسية الإسلامية طبعة الثالثة دار الوفاء القاهرة بدون سنة طبع
171. محمد طنطاوي نشأة النحو دار مطبوعات لجامع الأزهر الشريف مصر القاهرة سنة 2001م
172. محمد مصطفي بدوي قضية الحداثة ومسائل أخرى في النقد الأدبي دار شرقيات للنشر والتوزيع القاهرة ط1 1999
173. محمد يوسف موسي الفقه الإسلامي دار الحكمة لبنان بيروت سنة 1999
174. محمود سعيد عمران حضارة أوروبا في العصور الوسطى دار المعارف الجامعية سنة 1998
175. محمود شكري كتاب نقائض جرير والفرزدق للكاتب الدكتور دراسة نقدية دار البيان للنشر والتوزيع القاهرة مصر سنة 2003م
176. محمود مهدي الإستانبولي الزواج الإسلامي السعيد المكتبة الإسلامية عمان الأردن 1410هـ جزء الأسرة والعرق
177. مختار بن قويدر جامعة معسكر قسم اللغة العربية وآدابها من كتابه الجزائر ومعركتها مع الثالوث المدمر التنصير والاستشراق والاستعمار دار النشر الكشاف بيروت لبنان 2013- 1434هـ
178. مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب/ أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي المتوفى 609هـ
179. **المصادر والمراجع المترجمة:**
180. مصطفي السباعي اشتراكية الإسلام دار المعارف سنة 1998م
181. مصطفي السباعي الاستشراق والمستشرقون ماهم وما علىهم دار الوراق للنشر والتوزيع ط1
182. مفدي زكريا إلياذة الجزائر دار دار الموقد للنشر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر 2004م
183. مقدمة ابن خلون مكتبة الرحمانية بمصر سنة 1355هـ -1936م فصل الأنساب عند عرب الجاهلية
184. المقريزي إمتاع الإمتاع الجزء الأول دار الهدى لبنان سنة 2001 طبعة جديدة

185. ممدوح محمد خسارة علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية دار الفكر دمشق 2008
186. من كتاب باريس الجزائر 1857 الطبعة 2مكتبة جمعية علماء المسلمين الجزائر
187. ناجي معروف ـــ أصالة الحضارة، دار الثقافة القاهرة، ط3/ 1675م، ص
188. نتشيه تكوين الدولة وأركانها دار الحكمة للتوزيع والنشر سنة 1999 الجزائر
189. نسوا ديماس آلهة مصر تر/ زكي سوس دار النيل للنشر مصر الجزء الأول بدون سنة الطبع
190. نسيمه زميرلي قراءة في إلياذة الجزائر لمفدى زكريا دار الهدى عين مليلة د/ ط 2002
191. نورمان فكتور/تر قاسم عبده قاسم التاريخ الوسيط قصة الحضارة البداية والنهاية ط1 ج 1 199
192. هاشم حمدي- كتاب واد الآلهة- الأهلي للطباعة والنشر والتوزيع مصر سنة2001م
193. هيكل فلسفة التاريخ الطبعة 1 دار الفارابي بيروت لبنان سنة 1987ص150
194. وديا كوف س كرفاليف/ تر/ نسيم وكيم اليازجي الحضارات القديمة الجزء 2 منشورات دار علاء الدين دمشق الطبعة الأولى سنة 2000 نسخة 100
195. وليام مارسي في كتاب تاريخ ومؤرخو الجزائر باريس 1931م
196. وليد فكري قصص خلق الكون في حضارات الشرق القديمة دار المعرفة للنشر وطباعة جزء1

المصادر والمراجع الأجنبية –

197. American journal of sociology march 1905 n 12
198. Mead margaret 1932 the Columbia unv cotribution to changing clture of an indian
199. Cowan A R master clues in Word hoslory
200. Hb houise.LTMorais in Evalution 244 cowan A RQuideTAWarld H ISTORY 22 sumner and keller I
201. Hoyas sociologies of society-I- 51 Sumer
202. reported. Similer cuitom in the fifth (1.196)Ibid 1619Herodolus- century b.c and Burckhardt found itin Arabian the nine teenth centery Muller lyer Moden Marmage
203. Muller lyer social develo pmentp288 -9renard
204. Muther-lyer social développent-288-9 renard
205. A Naturapisls voyage ARound the Worid242in Briffault
206. Robinson j-h- art civilisation enaycio pediabrilannica
207. Sumer and kellerK science of society ibid

208. Ttotem et tabo par SIGUMEND FERUD PETITE BIBLIOTHEQUE PAYOT PARIS 1965p 231
209. Westermerck.Moral ideasKi 883p112

-المجلات والمقالات و الرسائل الجامعية والمواقع الإلكترونية-

210. ـــ محمد عبد الهادي أبو ريدة ـــ الحضارة الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر، العدد 24،السبت, 20 ديسمبر 1980م، الساعة 11:39
211. //WWW.aluKh.net/arlture/0/96611/ zzHi160AnWg:http
212. id-؟ http/ www.dalmoor.se/article.asp:See mo rat 18136Hshastxywe Wrzi.dpuf
213. الأدب الحديث واللغة العربية في جامعة أيكس مرسيليا كلامه مقال من الانترنت موقع معابر www.maaber.org محمد على عبد الجليل مترجم بين التبعية والاستقلالية في 8-11-2012
214. الاستشراق الفرنسي ونشاطاته في الجزائر في رسالة ماستر للطالب بركان بن يحي مخطوط جامعة بلعباس جيلا لي اليابس قسم اللغة العربية وآدابها قسم الاستشراق سنة الجامعية م2013-2014 م
215. الأعمال التاريخية وثائق حول عبيد الله المهدي مكتبة المركزية الجزائر العاصمة عدد 222
216. بيربروجر في مقدمة المجلة الإفريقية – 1856م – 1857م
217. تاريخ الصحافة الإسلامية أنور الجندي
218. جريدة البصائر عدد20 يناير 1939م وقد قال دلك حوالي سنة قبل وفاته رحمه الله وتوفي في 16 أبريل 1940م
219. جريدة المغربية بتاريخ 07-04-1980 ونقلا عن درع الوطن العسكرية لدولة الإمارات
220. جريدة لموند مقال عدد 213 سنة 1946
221. جهاد المجالي مقال صدق التجربة الشعرية و صدق الواقع جامعة مؤتة الأردن قسم اللغة العربية ج 15 ع 27جمادة الثانية 1424هـــ
222. الدرس أو المحاضر برينيه منشورة في المنشور يناير 1837
223. رسالة جلال السيوطي الأخبار المروية في سبب وضع علم العربية
224. رسالة ماجستير الأستاذة الدكتورة ميم نسرين جامعة بلعباس جيلا لي اليابس مخطوط تحت رقم
225. رمضان يحنوني ، موقع منتدى رحاب الكلمة مدونات الأعضاء
226. عبد الهادي النجار الإسلام والاقتصاد عالم المعرفة الكويت سنة 1983
227. عنوان المحاضرة الاستشراق الفرنسي) محاضرات في الاستشراق لدكتور باقي جامعة بلعباس سنة 2013 يوم 25 الاثنين من الساعة 9.50-12صباحا

228. اللبان بحث (الإسلام في الفكر الاستشراقي في العدد3 من حوليات كلية الشريعة بجامعة قطر
229. مجلة الأزهر الجزء السابع مجلد 28
230. المجلة الآسيوية العدد 121 ص 11 وكانت تعنى بأمور الاستشراق في العالم العربي
231. المجلة الإفريقية كور خاصة بشؤون الاستشراقية في الجزائر مطبعة الجزائر العاصمة العدد 304
232. محاضرة الأستاذ عيسى عبده إبراهيم (القرآن والدراسات الاقتصادية) التي ألقاها في قاعة الشيخ عبده بالقاهرة سنة 2011
233. مخطوط مذكرة ماستر لطالب باهرة خالد تجليات الفكر الاستشراقي في الشعر الحديث جامعة جيلا لي اليابس
234. مقابلة إذاعية مع مجلة فكر وفن لبنان عام 1987م
235. مقال لمحمد أحمد أمليحي الأستاذ بجامعة محمد الخامس مدينة فاس مجلة العربي للفلسفة والفكر
236. مقال لمحمد يوسف موسي دائرة المعارف الإسلامية العدد 14 المجلد الخامس
237. مقال الأستاذ جوليان والتاريخ الجزائري المنشور في يناير 1839م
238. مقال للناقد أحمد المعداويالمجالطي تحت عنوان البنية الإيقاعية الجديدة مجلة الوحدة عند مزدوج 83/82 يوليو أغسطس 1991م
239. مقدمة ماجستير زيات بيطار منه كتاب الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي ص 4-5 موسكو تشرين الثاني 1989
240. ندوة ثقافية بعنوان سقطة الحداثة والخصوصية الغربية مجلة البيان الصادرة من منتدى الإسلامي ص 47 العدد 110 جمادي الآخرة 1424هـ أغسطس 2003 إعداد وائل عبد الغني

فهرست الموضوعات

العنوان	الصفحة
المقدمة	أ ـ ب
المدخل	3-12
العقل ودوره في تاريخ الحضارة	5-6

التاريخ والحضارة	7-6
طبقات الحضارة	9-7
الحضارة العربية وأطوارها وخصائصها	10
خصائص الحضارة العربية	12-10
الفصل الأول	13
نشأة ومقومات الحضارة	14
عوامل الحضارة	14
العامل الاقتصادي	14
من الصيد إلى الحرث	17-14
الصناعة وأساسها	21-17
التنظيم الاقتصادي	24-21
الأسس السياسة في الحضارة أسس الحكومة	28-25
القانون والحضارة	30-28
الأسرة والحضارة	33-30
الزواج	36-33
أخلاق الجنس	38-36
الأخلاق الاجتماعية	38
الفضيلة والرذيلة	38
الجشع	39-38
الخيانة	39
القتل	40-39
المجاملة	40
الملة والمعتقدات	42-40
الدين	42-41
مصادر الدين	43-42
مصادر الدين في الحضارة البدائية	47-44
وسائل الدين	50-47
مهمة الدين الخلقية	51-50
الأسس العقلية في الحضارة	51
الأدب	55-51
العلم	60-55
الفصل الثاني	61
الحضارة الإسلامية والأصول والمقومات	63-62
من العرب الأقدمين تعلم اليونان صناعات الحضارة	64-63
أحوال العرب والعالم قبل الإسلام	64
الفرس	65-64
الروم	65
أحوال العرب قبل الإسلام الوصف البيئي	66-65

لجزيرة العرب	
حالة العرب الدينية	67-66
حالة العرب الاجتماعية	67
علوم العرب ومعارفهم	68-67
تجارة العرب	68
صناعة العرب	69-68
حالة العرب السياسية	69
خلاصة القول في حالة العرب	70-69
حضارة عرب الحجاز في الجاهلية	71-70
الشعر	72-71
الأمثال والحكم	72
القصص	72
الخطابة	72
المعارف العربية	73
علم النجوم	73
علم الأنواء	73
الطب والبيطرة	73
التجربة العلمية	73
المعلومات العلمية	74-73
الأنساب	74
الفراسة والقيافة	74
الكهانة والعرافة	75-74
أصول الحضارة الإسلامية	76-75
القران والسنة	76
الناحية الدينية	76
الناحية الاجتماعية والأخلاقية	76
باباالحدود والقصاص	76
الأداب الاجتماعية والأخلاقية	77
الناحية الاقتصادية	77
مبدأ العمل	78-77
الزكاة	79
تحريم الربا	79
الناحية الأدبية والعلمية	80-79
الناحية العلمية	80
الناحية السياسية	81-80
الحضارة العربية	83-82
الحضارة الفارسية	83
الحضارة اليونانية والرومانية	84-83
تجليات الحضارة الإسلامية في نشأة العلوم	84

وبدء الحياة العلمية والأدبية	
العلوم الدينية	84
السنة أو علم الحديث	85-84
علم التفسير	86
أقسام التفسير	86
علم الفقه	87-86
المذاهب الفقيه الأعلام وانتشار المذاهب	88-87
علوم العربية اللغة العربية	88
علم النحو والقواعد اللغة العربية	88
منزله وأطواره	89-88
الشكل والنقط	90
الخط	90
المعاجم وفقه اللغة	91-90
البلاغة	91
العروض	91
الشعر	92-91
الشعر في صدر الإسلام	93
الشعر في العصر الأموي	93
الشعر في العصر العباسي	93
الشعر في العصر الأندلسي	94-93
النثر والخطابة	94
في صدر الإسلام	94
في العصر الأموي	94
في العصر العباسي	94
العلوم الاجتماعية	96-94
الجغرافية والرحلات	96
تطور علم الجغرافيا	96
في الجاهلية	96
في الإسلام	96
الفتوح	96
الحج	96
تدوين الأدب والتاريخ	97-96
العلوم الكونية-الطب-الكمياء-الصيدلة-	100- 97
علم النبات علوم البيئة علم الحيل	100
علم الفيزياء	101
الضوء	102-101
الصوت	102
المغناطيس ووثب الإبرة	103-102
الرقاص	103

علوم الرياضة	103
علم الحساب	103
الجبر والهندسة	105-104
علوم الفلسفة والفرق الدينية	105
علم الكلام	106
أسباب نشأته	106
التصوف	107-106
تطور الصوفية وفلسفتها وطرقها	107
أثار الفلسفة في الحضارة الإسلامية	107
المذاهب والفرق	107
نشأة الفرق	107
الشيعة	108
مبادئهم	108
الدوافع انتشار الشيعة	108
الخوارج	108
مبادئهم	109
المعتزلة	109
أهل السنة	109
فن العمارة الإسلامية	110
تطور الفن الإسلامي	111
عصورالفن الإسلامي	111
عصر الإسلامي الموحد	111
عصر الخلافات الثلاث	112-111
عصر ما بعد الخلافات	112
الفن الأندلسي	112
العصر العثماني والإيراني	113
مميزات الفن الإسلامي	113
الموسيقى والغناء	113
المدن الإسلامية	115-114
فن العمارة الإسلامية	116-115
خاتمة الفصل	117-116
الفصل الثالث	118
توطئة	120-119
إطلالة تاريخية حول نشأة الاستشراق	120
بداية الأولى	122-120
تعريف الاستشراق لغتا واصطلاحا	123-122
دافع الاستشراق وأهدافه	123

الدافع العلمي	123
الدافع الاستعماري	124
الدافع المالي أو التجاري	124
الاستشراق الفرنسي وبداياته ونشاطاته وخصائصه	124
نشأة الاستشراق الفرنسي	125-124
مظاهر الاستشراق الفرنسي	125
كراس اللغات الشرقية	126-125
المكتبات الشرقية	126
المطابع الشرقية	127-126
الجمعيات الاستشراقية	127
المجلات الشرقية	128-127
المجموعات الشرقية	128
خصائص الاستشراق الفرنسي	129-128
النزعة الاستشراقية الفرنسية في دراسة الحضارة	138-129
الإسلامية- بعض نماذج -	
القران الكريم والسنة في ضوء الاستشراق الفرنسي	139
مصدر القران الكريم	141-139
حقيقة النص القراني عند المستشرقين الفرنسين	142-141
خطر القران على المستشرقين	144-142
موقف الاستشراق الفرنسي من السنة النبوية	146-145
الأدب العربي في ضوء الاستشراق الفرنسي	148-147
دور فرنسا في الصدام الحضاري والاتصال بين الحضارتين	150-148
الاستشراق الفرنسي وسياسة التغريب الأدب العربي	151-150
رؤيا عامة وشاملة للأدب العربي	152-151
منعرج الفاصل فب الأدب العربي مشروع جديد	152
للعصور الأدبية- رجيس بلاشر- تصور جديد للعصور	
الأدبية	
العصر الأول	152

العصر الثاني	153
العصر الثالث	154
العصر الرابع	155
العصر الخامس	157
العلاقة الفكر الاستشراقي الفرنسي والفكر الحداثي	158-157
الحداثة بنت الاستشراق واقعا وموقعا	158
التعريف اللغوي للحداثة	159
التعريف الاصطلاحي	160-159
الحداثة وتطورها في الشعر العربي	162-160
خصائص الحداثة	162
تناقضات الحداثة	162
تجليات الشعر الحداثي في شعر أدونيس	163
في جانب اللغة	163
جانب الوزن والموسيقى	165-163
أدونيس والثرات العربي	166-165
الاستشراق الفرنسي والمنهج الرومانسي	167
جورجي زيدان وفكرة الاستشراق	170-169
أهم الانتقادات لما كتبه جورجي زيدان بقلم دكتور سرور	171-170
طه حسين في ميزان	171
المستشرقون والدعوة إلى العامية	172-171
المستشرقون الفرنسيون والترجمة	172
مفهومها لغتاـ واصطلاحا	
شروط الترجمة	172
أنواع الترجمة	173
ترجمة الشعر	174
ترجمة القران	175-174
الملحق	176
توطئة	177
المستشرقون الفرنسيون وتعليم اللغة العربية للأوربين	178
نشاطات المستشرق الفرنسي لويس برنيه في الجزائر	182-180

الاستشراق الفرنسي وفساد المجتمع الجزائري أخلاقيا وتقافيا	184-182
القصة تحويل مسجد كتشاوة إلى كاتدرائية	184
الفتح الصليبي العقائدي أهم من الفتح السياسي عند الفرسيين	185
الاستشراق الفرنسي ومحاربة اللغة العربية	187-185
محطات ووقفات مع الاستشراق الفرنسي في الجزائر	187
المحطة الأولى	187
المحطة الثانية	189-188
المحطة الثالثة	189
المحطة الرابعة	189
المحطة الخامسة	190-198
المحطة السادسة	191-190
المحطة السابعة	191-190
نشر الأثار القديمة عن الجزائر	191
دوافع البحث في تاريخ الجزائر	192
دافع استعماري	193
دافع الفضول العلمي	193
دافع الديني	194-193
مواقف المستشرقين المؤرخين الفرنسين من قضايا	197-195
تاريخ الجزائر	
الخاتمة	199-197
الببلوغرافيا	212-200
فهرست الموضوعات	219-213